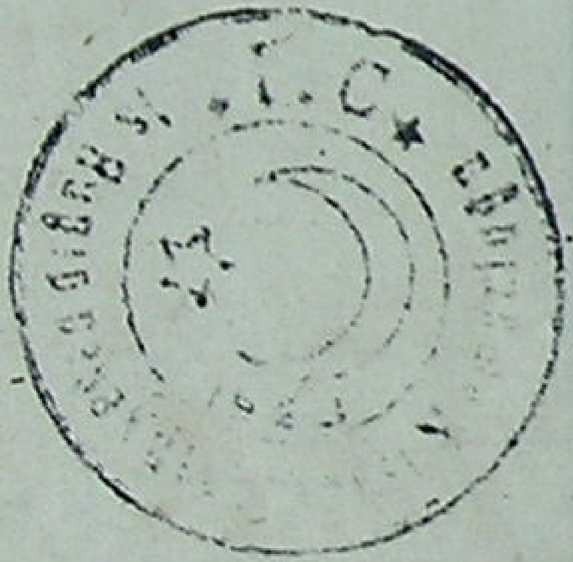
اسرار التنزيل وانوار التأويل
للامام فخر الدين الرازي





اسرار التنزيل وانوار التأويل

للامام فخر الدين الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اظهر من اثار … جلال كبريائه ما حير مقل
العقول عن قدرته • ورد … ات همم النفوس عن عرفان
كنه صفته • يعلم عجايب … لوات • ومعاصى العباد
فى الخلوات • واختلاف … البحار الغامرات • وتلاطم
الماء بالرياح العاصفات • … عظم حلمه فعفا • وعدل فيما
حكم وقضى • وعلم بما ياتى وما مضى • له ما فى السموات وما فى الارض
وما بينهما وما تحت الثرى • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى • الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى • كان ولا مكان •
ولا حين ولا اوان • ولا وقت ولا زمان ولا ظل ولا غمام •
ولا هوا ولا هوام ولا انام • ولا جامد ولا خامد ولا هامد
ولا متحرك ولا ساكن • ولا ظاهر ولا باطن • ولا عرش ولا
كرسى • ولا لوح ولا قلم ولا جنى ولا انسى • ولا خفض ولا
رفع ولا ضر ولا نفع • ولا سما ولا ارض ولا ليل ولا نهار •
ولا جنة ولا نار • وحدانى ليس معه ثان باق لا يبلى • دايم
لا يفنى • عالم لا يلهو • حافظ لا يسهو جبار لا يضام • عزيز
لا يرام • حى لا يموت • ذو الملك والملكوت • والعزة والجبروت
احمده حمدا يليق بعلو شانه وباهر برهانه وقديم احسانه
وعظيم امتنانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة مقرونة بالصدق والصواب • مبراة عن الشك
والشبه والارتياب واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

صلى

صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم تسليما وبعد فهذا
كتاب نرجو من فضل الله العظيم واحسانه القديم • ان يوفقنا
لاتمامه انه ولى ذلك والقادر عليه وقد رتبناه على اربعة ابواب:
الباب الاول فيما يتعلق بعلم الاصول وفيه فصول الثانى
ما يتعلق بعلم الفروع وفيه فصول الثالث ما يتعلق بعلم الاخلاق
وتصفية الباطن الرابع ما يتعلق بالمناجات والدعوات
فنسئل الله العظيم ان يوفقنا لاتمامه انه خير مامول واكرم مسؤل
القسم الاول من هذا الكتاب ما يتعلق بعلم الاصول اعلم ان
القران العظيم قد دل على ان معاقد الايمان مبنية على اربعة
كما قال سبحانه وتعالى والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه
ورسله ونحن قد رتبنا علم الاصول على هذه القواعد الاربعة
القاعدة الاولى فى معرفة الله تعالى اعلم ان معرفة الله تعالى
لا تحصل الا بامور خمسة معرفة الذات ومعرفة الصفات
والافعال والاحكام والاسما ونحن جعلنا معرفة الله تعالى
مبنية على هذه الاصول الخمسة الباب الاول فى معرفة الذات
وفيه فصول الفصل الاول فى اسرار كلمة لا اله الا الله •
قال الله سبحانه وتعالى لرسوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات • واعلم ان الله تعالى قدم الامر
بمعرفة التوحيد اشارة الى علم الاصول والاشتغال بالاستغفار
اشارة الى علم الفروع والاصل يجب تقديمه على الفرع فانه ما لم
يعلم وجود الصانع امتنع الاشتغال بطاعته وخدمته
وهذه الدقيقة معتبرة فى ايات كثيرة اولها ان ابرهيم
عليه السلام لما اشتغل بالدعاء قدم المعرفة على الطاعة قال
رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين • فقوله هب لى حكما
اشارة الى استكمال القوة النظرية بمعرفة حقايق الاشيا وقوله
والحقنى اشارة الى استعمال القوة العملية بالاجتناب عن
طرفى الافراط والتفريط فقدم العلم على العمل وثانيها انه تعالى

لنظمه وتنقيحه وتهذيبه وتوجيهه أقسام

لما اوحى الى موسى عليه السلام راعى هذا الترتيب فقال
وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
فقوله لا اله الا انا اشارة الى علم الاصول وقوله فاعبدني
اشارة الى علم الفروع • وثالثها ان عيسى عليه السلام لما انطقه الله
تعالى في وقت الطفولية قال انى عبد الله اتانى الكتاب • فقوله انى
عبد الله اشارة الى علم الاصول وقوله اتانى الكتاب اشارة الى علم
الفروع فان الاحتياج الى الكتاب انما يكون فى معرفة الاحكام
والشرايع لا فى معرفة ذات الله وصفاته • ورابعها الاية التى نحن
فيها على ما قررناه ولا نزاع ان افضل الانبياء والرسل عليهم الصلوة
والسلام هولاء الاربعة فلما ثبت ان الله تعالى قدم الامر بمعرفة
الاصول على معرفة الفروع فى حق هولاء المكرمين ثبت ان الحق
الصحيح الصريح ليس الا ذلك ومما يويد ذلك وجوه اخر • احدها
ان اكثر المفسرين على ان اول اية انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه
وسلم هو قوله اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق
مالم يعلم • وهذه الاية مشتملة على دلايل التوحيد وذلك
ان اظهر الدلايل الدالة على وجود الصانع الحكيم تولد الانسان
من تلك النطفة ثم انه تعالى نبه فى هذه الاية على لطيفة عجيبة
ولا يتاتى شرحها الا فى معرض السوال والجواب • فان قال
قايل لابد من رعاية النظم بين اجزا الكلام وهاهنا ذكر انه تعالى
يولد الانسان من النطفة فقال الذى خلق خلق الانسان من علق
ثم ذكر بعده علم الانسان مالم يعلم فاى مناسبة بين هذين الامرين
فالجواب ان اخس المراتب وادناها العلقة • وذلك انه يستقذرها
كل احد واعلى المراتب واشرفها كون الانسان عالما محيطا بحقايق
الاشياء وهو اشرف المراتب كانه قال عبدى تامل الى اول حالك
حين كنت علقة وهى اخس الاشياء والى اخر حالك حين صرت
ناطقا عالما بحقايق الاشياء وهو اشرف المراتب حتى يظهر لك
انه لا يمكن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الدرجة

الرفيعة الشريفة الا بتدبير اقدر القادرين واحكم الحاكمين سبحانه
وتعالى عن قول الظالمين وثانيها ان الله تعالى مدح المؤمنين فى سورة
البقرة من اول السورة الى قوله اولئك هم المفلحون • وذم الكافرين
فى ايتين اولهما قوله ان الذين كفروا الى قوله ولهم عذاب عظيم
ثم ذم المنافقين فى ثلاث عشرة اية • اولها ومن الناس من يقول
امنا بالله الى قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم • ثم لما مدح المؤمن
وذم الكافر والمنافق كانه قيل هذا المدح والذم لا يستقيمان الا
بتقديم الدلايل فى اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فان اصول
الاسلام هى هذه الثلاثة فلهذا السبب بين تعالى صحة هذه
الاصول الاربعة القاطعة فبدا اولا باثبات الصانع وتوحيده
وبين ذلك بخمسة انواع من الدلايل اولها انه تعالى استدل على
التوحيد بانفسهم واليه الاشارة بقوله تعالى اعبدوا ربكم
الذى خلقكم والذين من قبلكم وثانيها باحوال ابائهم واجدادهم
واليه الاشارة بقوله والذين من قبلكم وثالثها باحوال
اهل الارض واليه الاشارة بقوله الذى جعل لكم الارض فراشا
ورابعها باحوال اهل السماء واليه الاشارة بقوله والسماء
بناء وخامسها بالاحوال الحادثة المتعلقة بالسماء والارض
واليه الاشارة بقوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم فان السماء كالاب والارض كالام تنزل قطرة المطر من
صلب السماء الى رحم الارض فيتولد فيها من انواع النبات • ولما
ذكر هذه الدلايل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون • وذلك لان هذه الدلايل تدل على وجود
الصانع من وجه وعلى كونه تعالى واحدا من وجه اخر فانها من حيث
انها حدثت مع جواز ان لا تحدث ومع جواز ان تحدث على خلاف ما حدثت
يدل على وجود الصانع القادر ومن حيث انها تحدث لا على وجه الخلل
والفساد دلت على وحدة الصانع كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا
الله لفسدتا فلهذا السبب ذكر بعد تلك الدلايل الخمسة ذكر المطلوب

احدهما اثبات الصانع والثانى اثبات انه واحد لان قوله فلا
تجعلوا لله اندادا مشتمل على اثبات الاله وعلى اثبات كونه واحدا ثم
ههنا لطيفة اخرى مرعية فى هذه الاية وهى ان الترتيب المفيد الحسن
فى هذه الاية فى التعليم ان يقع الابتداء فى التعليم من الاظهر فالاظهر
مرتقيا الى الاخفى فالاخفى فهذه الدقيقة مرعية فى هذه الاية
وذلك لانه سبحانه وتعالى قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم فجعل استدلال
كل عاقل بنفسه مقدما على جميع الاستدلالات لان اطلاع كل احد
على احوال نفسه اتم من اطلاعه على احوال غيره فيجد بالضرورة من نفسه
انه تارة يكون مريضا وتارة صحيحا وتارة ملتذا وتارة متالما وتارة شابا
وتارة شيخا والانتقال من بعض هذه الصفات الى غيرها ليس باختياره
ولا باختيار احد وايضا كثيرا ما يجتهد فى طلب شى فلا يجد وكثيرا ما يكون
غافلا منه فيحصل وعند ذلك يعلم كل احد عند نقض العزايم وفسخ
الهمم انه لابد من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير البشر وربما اجتهد
العاقل الذكى فى الطلب فلا يجد والغر الغبى تيسر له ذلك المطلوب
فعند هذه الاعتبارات يلوح له قول الشافعى رضى الله عنه شعر
ومن الدليل على القضاء وكونه • بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
ويظهر له ان هذه المطالب انما تحصل وتتيسر بناء على قسمة قسام
لا يمكن منازعته ومغالبته كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
فى الحيوة الدنيا ثم ان مراتب هذه الاعتبارات غير محصورة
فتارة كما فى قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه • واخرى كما فى قوله
قل من يكلؤكم بالليل والنهار وبالجملة فلما كان اطلاع كل احد على
احوال نفسه اشد من اطلاعه على احوال غيره لا جرم قدم هذا الدليل
على سائر الدلائل ثم هذه المراتب تتلوها مرتبة اخرى وهى علم كل احد
باحوال ابائه واجداده واهل بلده ثم هذه المرتبة الثانية تتلوها مرتبة
ثالثة وهى معرفة الانسان باحوال الارض التى هى مسكن الخلايق فانها
مختلفة الاجزا كما قال وفى الارض قطع متجاورات • وقال ايضا
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود • ثم هذه

المرتبة الثالثة تتلوها مرتبة رابعة وهى العلم باحوال الافلاك
فان بعضها يخالف لبعض فى العلو والسفل والصغر والكبر والبطؤ
والسرعة واختلاف احوال الكواكب المركوزة فيها كما قال وكل فى
فلك يسبحون وقال رب المشرق والمغرب وقال رب المشرقين
ورب المغربين وقال رب المشارق والمغارب وقال والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره وقال تبارك الذى جعل فى السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال فى سورة نوح الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا وقال فى سورة يس لا الشمس ينبغى لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وقال فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس ثم بعد هذه المرتبة الرابعة
مرتبة خامسة وهى الاحوال المنزلة من السما الى الارض وهى
نزول القطر من صلب السماء ووقوعه فى رحم الارض ثم بعد ذلك
يحدث فى الارض الواحدة انواع النبات بحيث يخالف كل واحد
منها صاحبه فى اللون والشكل والطعم والطبع والخاصية
فمنه ما يكون قوتا ومنه ما يكون اداما ومنه ما يكون دواء ومنه
ما يكون سما ومنه ما يكون علفا لسائر الحيوانات فذكر فى تفصيل
المطعومات قوله انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الخ
وقال ان الله فالق الحب والنوى بل اذا نظرت فى ورقة واحدة من اوراق
الورد وجدت احد وجهيها فى غاية الحمرة والوجه الاخر فى غاية الصفرة
مع انها تكون فى غاية الرقة وقلة الثخانة ونحن نعلم بالضرورة ان نسبة
تاثير الكواكب وحركات الافلاك والطبايع الى كل واحد من وجهى تلك
الورقة الرقيقة جدا من الورد نسبة واحدة فاختصاص احد وجهى
تلك الورقة بالحمرة والاخر بالصفرة لابد وان يكون لاجل القادر المختار
الذى يفعله بالعلم والقدرة لا بالعلية والطبيعة واذا عرفت ذلك
ظهر لك ان الله تعالى فى ترتيب هذه الدلائل الخمسة وتقديم بعضها
على بعض حكمة بالغة واسرارا عجيبة مرعية فسبحان من لا نهاية لعلمه

ولا غاية لحكمته ثم ان الله تعالى لما بين دلايل اثبات الصانع
ووحدانيته اردف هذه المسئلة بمسئلة اقامت الدلالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وهى قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وذلك لان التحدى وقع بكل
القران فى قوله قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما عجزوا
عن معارضة كل القران اتبعه بالتحدى بعشر سور من القران فقال
فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فلما عجزوا عنه اتبعه بالتحدى
بسورة واحدة فقال ههنا فاتوا بسورة من مثله فلما عجزوا عنه اتبعه
بالتحدى باية فقال فلياتوا بحديث مثله فلما عجزوا عنه مع توفر
الدواعى ظهر كونه معجزا باهرا وبرهانا قاهرا ثم انه اتبع هذه المسئلة
بمسئلة المعاد وهى قوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كانه قيل انا قدمنا مدح المؤمنين
وذم الكافرين والمنافقين ولو لم يكن معاد يجد المحسن ثمرة احسانه
ويجد المسئ عاقبة اساءته لم يكن ذلك لايقا بحكمتى وهذا هو
المراد من قوله ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا
بالحسنى وقال فى طه واقم الصلوة لذكرى ان الساعة اتية اكاد
اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال فى ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار فظهر
لما ذكرنا انه تعالى لم يذكر فى اول كتابه الا دلايل التوحيد والنبوة
والمعاد فثبت انه لا بد من تقديم الاصول على الفروع فلهذا السبب
قدم الله تعالى الامر بالتوحيد على الامر بالاستغفار فقال
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك **الوجه الثالث** فى تقرير
هذا الاصل انه تعالى قال فى سورة النحل ينزل الملئكة بالروح من
امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
فقوله لا اله الا انا اشارة الى علم الاصول وقوله فاتقون اشارة
الى علم الفروع **الوجه الرابع** ان موسى عليه السلام لما ادعى

الرسالة

الرسالة عند فرعون قال له فرعون وما رب العالمين يعنى ان
رسالتك متفرعة على اثبات ان للعالم الها فما الدليل عليه ثم
ان موسى عليه السلام لم ينكر هذا السوال بل اشتغل
بذكر الدلايل على وجود الصانع فقال ربكم ورب ابايكم الاولين
فاستدل على وجود الصانع اولا باحوال نفسه وثانيا باحوال
ابايه وهو نظير قوله فى سورة البقرة اعبدوا ربكم الذى
خلقكم والذين من قبلكم فظهر بما ذكرنا وجود الفائدة فى انه
تعالى ذكر اولا قوله فاعلم انه لا اله الا الله وذكر ثانيا واستغفر
لذنبك والله اعلم بحقايق كتابه فهذا ما يتعلق بالدلايل القرانية
الدالة على تقديم علم الاصول على علم الفروع وسنوكد هذا
الوجه بعشرة اوجه اخر **الوجه الاول** وهو ان شرف العلم
بشرف المعلوم فمهما كان المعلوم اشرف كان العلم الحاصل به
اشرف فلما كان اشرف المعلومات ذات البارى تعالى
وصفاته وجب ان يكون معرفته وتوحيده اشرف العلوم
الحجة الثانية ان العلم اما ان يكون دينيا او يكون غير دينى ولا
شك ان العلم الدينى اشرف من الغير الدينى واما العلم الدينى فاما
ان يكون علم الاصول او ما عداه اما ما عدا علم الاصول فان صحته متوقفة
على صحة علم الاصول لان المفسر انما يبحث عن معانى كلام الله تعالى
وذلك فرع على معرفة الصانع المختار المتكلم واما المحدث فانما يبحث
عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فرع على ثبوت
نبوته والفقيه انما يبحث عن احكام الله تعالى وذلك فرع على ثبوت
التوحيد والنبوة فثبت ان هذه العلوم مفتقرة الى الاصول
وظاهر ان علم الاصول غنى عنها باسرها فوجب ان يكون علم الاصول
اشرف **الحجة الثالثة** ان شرف الشئ قد يظهر بواسطة خساسة
ضده فلما كان ضد الشئ اخس كان هو اشرف ولا شك ان
ضد علم الاصول هو الكفر والبدعة وهما من اخس الاشياء
فوجب ان يكون علم الاصول من اشرف العلوم **الحجة الرابعة**

ان شرف العلم تارة يكون لشرف موضوعه وتارة لشدة الحاجة
اليه وتارة لقوة براهينه ودلايله وذلك لان علم الهيئة
اشرف من علم الطب نظرا الى ان موضوع علم الهيئة اشرف من
موضوع علم الطب وان كان علم الطب اشرف من حيث ان الحاجة الى
الطب اشد وعلم الحساب اشرف منهما من حيث ان براهين
هذا العلم اقوى وعلم الاصول مستجمع لهذه الخصال اما شرف
هذا من جهة الموضوع وذلك لان المبحوث عنه ذات الله تعالى
وصفاته وقدسه وعظمته ولا شك الى انه اشرف واما شدة
الحاجة فظاهر لان الحاجة اما فى الدين واما فى الدنيا اما فى
الدين فلان من عرف هذه المطالب يستحق الثواب العظيم
ويتخلص من العقاب الاليم وصار من جملة الملايكة المقربين
فى جوار رب العالمين ومن جهلها صار محروما من الثواب العظيم
مستوجبا للعقاب الاليم وصار فى زمرة الابالسة والشياطين
وبقى فى دركات الضلالة ابد الابدين ودهر الداهرين واما
فى الدنيا فلان معظم مصالح العالم انما ينتظم بسبب الرغبة
فى الثواب والرهبة فى العقاب • والا وقع الهرج والمرج
فى العالم واما قوة براهين هذا العالم فلان براهينه مركبة
من المقدمات البديهية الضرورية وهى اقوى العلوم والمعارف
فثبت ان علم الاصول مستجمع لجميع خصال الشرف فوجب
ان يكون اشرف العلوم **الحجة الخامسة** ان هذا العلم لا يتطرق
اليه النسخ والتغيير ولا يختلف باختلاف النواحى والامم
بخلاف سايرالعلوم فوجب ان يكون اشرف العلوم **الحجة
السادسة** ان الانسان لا يكون من اهل النجاة والدرجات
الامع هذا العلم وقد يكون من اهل النجاة وان لم يتعلم شيا من
الفقه اصلا البتة اما انه لابد فى النجاة من علم الاصول لان الجاهل
بالله البتة لا يكون من اهل النجاة بالاجماع واما انه قد يحصل
النجاة بدون الفقه فلان الانسان قبل البلوغ لا يكون مكلفا

بشى من الاعمال فاذا بلغ وقت الضحوة فى هذه الساعة لم يجب
عليه شى من الصلوات والزكوات والصيامات وساير العبادات
فلو مات فى هذه الساعة مع المعرفة والتوحيد لقى الله مومنا
حقا • ولو قدرنا ان الذى بلغ كان امراة ثم لما بلغت حاضت وبقيت
مدة اخرى فى البلوغ وهى غير مكلفة لا بالصلاة ولا بالصوم
ولا بالقراة فاذا انقضى زمان حيضها وماتت فهى لقيت حضرة الله
مومنة حقا فعلمنا ان النجاة واستيجاب الدرجات لا يتوقف على
الفقه وهى موقوفة على معرفة علم الاصول **الحجة السابعة**
ان الايات المشتملة على دلايل علم الاصول اشرف من الايات
المشتملة على دلايل علم الفروع بدليل انه جاء فى فضيلة قل هو
الله احد وامن الرسول واية الكرسى وشهد الله ما لم يجى مثله
فى فضيلة قوله ويسلونك عن المحيض واحل الله البيع
يايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين ولذلك فان الزهاد والعباد
يواظبون فى شرائف الاوقات على قراة هذه الايات
المشتملة على الالهيات دون الايات المشتملة على الاحكام
الحجة الثامنة ان الايات الواردة فى الاحكام الشرعية
اقل من ستماية اية واما اللواتى فى بيان التوحيد والرد على
عبدة الاوثان واصناف المشركين وفى اثبات النبوة
والمعاد ومسلة القضاء والقدر فكثيرة واما الايات
الواردة فى القصص فالمقصود منها اما التوحيد واما
النبوة اما التوحيد فهو الاستدلال بها على قدرة الله
وحكمته كما قال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب
واما على النبوة فمن وجهين الاول بالفاظ مختلفة كما قال فى
سورة الشعراء بعد ذكر القصص وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك **ووجه الاستدلال** انه عليه
السلام لما لم يتعلم علما ولم يقرا كتابا ولم يتلمذ لاستاذ استحال
منه رواية القصص الا عن وحى الله وتنزيله **والثانية** انه

يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة بالفاظ مختلفة وكل
ذلك متشابهة فى الفصاحة مع ان الفصيح اذا ذكر القصة الواحدة
مرة واحدة بالالفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة اخرى بالالفاظ
الفصيحة فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله لا من
البشر فدل هذا على ان معظم القران فى علم الاصول فلنشرع الى
معاقد الدلايل اما دلايل التوحيد فتارة باخلاق الانسان
من النطفة والله تعالى ذكر هذا الدليل فى القران اكثر من ثمانين
مرة وتارة بدلايل الافاق وهى احوال الارض والسماء والهوى
والنبات وهى اظهر من ان يحتاج الى الشرح واما الدلايل الدالة
على الصفات **فنقول** اما الذى يدل على العلم فقوله ان الله لا يخفى
عليه شى فى الارض ولا فى السماء ثم اردفه بقوله هو الذى
يصوركم فى الارحام كيف يشاء هذا هو دليل المتكلمين فانهم
يستدلون باحكام الافعال واتقانها على علم الفاعل فيها
هنا استدل سبحانه بتصوير الصور فى ظلمات الارحام على
كون الفاعل عالما وقال ايضا الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير وهو غنى عن تلك الادلة وقال وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وهذا تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المغيبات
واما صفة القدرة فكلما ذكره الله تعالى فى القران من الثمرات
المختلفة والحيوانات المختلفة مع استواء تاثير الطبايع والافلاك
فانه يدل على صفة القدرة وسيجى الاستقصاء فى هذه الدلايل
القرانية ان شا الله تعالى **الحجة التاسعة** انه تعالى حكى عن اكثر
الانبياء عليهم السلام انهم كانوا طول عمرهم مشتغلين بهذه
الدلايل ولنذكر ما ينبه على المقصود اما الملكة عليهم السلام
فانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كان
المراد امثال هولاء سبب الشر والفتنة وذلك قبيح والحكيم
لا يفعل القبيح فاجابهم الله تعالى بقوله انى اعلم ما لا تعلمون
والمعنى والله اعلم انى لما كنت عالما بكل المعلومات كنت قد علمت

فى

فى ايجادهم وخلقهم حكمة لا تعلمونها انتم فلما سمعوا ذلك سكتوا
واما مناظرة الله مع ابليس فالقران ناطق بها واما الانبياء
عليهم السلام فاولهم ادم عليه السلام وقد اظهر الله
الحجة على فضله بان اظهر علمه على الملئكة وذلك محض
الاستدلال واما نوح عليه السلام فقد حكى الله تعالى
عن الكفار انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومعلوم
ان مجادلة الرسول مع الكفار لا يكون فى تفاصيل الاحكام
الشرعية فلم يبق الا انها كانت فى التوحيد والنبوة وايضا
انه عليه السلام لما امرهم بالاستغفار فى قوله فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا فى الحال ذكر ما يدل على التوحيد
فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر
فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واما ابرهيم عليه السلام
فالاستقصاء فى شرح احواله يطول فى هذا الكتاب وله
مقامات احدها مع نفسه وهو قوله فلما جن عليه الليل
راى كوكبا قال هذا ربى الى اخر الاية وهذه طريقة المتكلمين
فانه استدل بافولها وتغيرها على حدوثها ثم استدل بحدوثها
على وجود محدثها كما اخبر الله تعالى فى قوله يا قوم انى برى مما
تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ثم ان
الله تعالى عظم شانه بسبب ذلك فقال وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشا وايضا قال فى وقت
دعائه ما هو محض الاستدلال وهو قوله الذى خلقنى فهو
يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين الى اخر الاية **وثانيها**
مناظرة ابرهيم مع ابيه وهو قوله تعالى يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا **وثالثها** حاله
مع قومه تارة بالقول واخرى بالفعل اما القول فهو قوله
ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون واما الفعل فقوله فجعلهم
جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون **ورابعها** حاله

مع ملك زمانه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت الخ الاية
فهذا كله مباحث ابرهيم عليه السلام في معرفة المبدا
واما بحثه في معرفة المعاد فهو كقوله ارني كيف يحيي الموتى
الموتى الى اخر الاية واعلم ان موسى عليه السلام كان يعول
في الاستدلال زيادة على دلايل ابرهيم عليه السلام
وذلك لانه تعالى حكى في سورة طه ان فرعون قال له ولهارون
فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى
وهذا هو الدليل الذي ذكره ابرهيم عليه السلام حيث
قال الذي خلقني فهو يهدين ثم حكى تعالى عن موسى في سورة
الشعرا انه قال لفرعون ربكم ورب اباكم الاولين وهذا
هو الذي عول عليه ابرهيم عليه السلام في قوله ربي
الذي يحيي ويميت فلما لم يكتف فرعون بذلك فطالبه بدليل
اخر قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وهذا
هو الذي عول عليه ابرهيم عليه السلام في قوله فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وقد نبهتك على ان
التمسك بهذه الدلايل حرفة هولاء الانبياء عليهم السلام
ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تقرير دلايل التوحيد
ذكر بعده دلايل النبوة فقال اولو جيتك بشي مبين وهذا
يدل على انه عليه السلام فرع بيان النبوة على بيان التوحيد
والمعرفة واما سليمن عليه السلام فله مقامان احدهما
في اثبات التوحيد والاخر في اثبات النبوة اما المقام الاول
في اثبات التوحيد فهو قوله سبحانه حكاية عنه الا يسجدوا
لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض وسمى الخبء بالمصدر
وهو يتناول جميع انواع الاوراق والاموال واخراجه من السماء
بالغيث ومن الارض بالنبات وتقرير ما قدمناه واما
العلم فدل على ثبوته قوله تعالى ويعلم ما تخفون وما تعلنون
واعلم ان المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس

وتلخيص

وتلخيص الدلالة على قانون الجدل من وجهين الاول الاله يجب
ان يكون قادرا عالما على الوجه المذكور فكما انه واجب الوجود لذاته
فلا يختص قدرته وعلمه ببعض المقدورات وبعض المعلومات
دون بعض واما الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه ولما كان
متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات واذا كان الامر كذلك
امتنع ان تكون الشمس قادرة على اخراج الخبء وعالمة بالخفيات
واذا لم تعلم من حالها كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار
فرجع حاصل هذا الدليل الى ما ذكره ابرهيم عليه السلام في
قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا
الوجه الثاني ان هذا اشارة الى دليل ابرهيم عليه السلام في قوله
ربي الذي يحيي ويميت الخ الاية وبيانه انه سبحانه هو الذي يخرج
الشمس من المشرق الى المغرب بعد افولها هذا هو المراد باخراج الخبء
في السموات وهو المراد من قول ابرهيم عليه السلام لا احب
الافلين ومن قوله ان الله ياتي بالشمس من المشرق ومن قول
موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وحاصل الكلام
يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير
مدبر قاهر فكانت العبادة لقاهرها ومدبرها والمتصرف فيها
اولى واما اخراج الخبء من الارض فالمراد منه اخراج النطفة
من بين الصلب والترايب وهو المراد من قول ابرهيم عليه
السلام ربي الذي يحيي ويميت ومن قول موسى عليه السلام
ربكم ورب اباكم الاولين فان قيل ان ابرهيم وموسى عليهما السلام
قالا ولا ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق
وموسى عليه السلام قال اولا ربكم ورب اباكم الاولين ثم قال
رب المشرق والمغرب فلم عكس سليمن هذا الترتيب فقدم دلايل السموات
على دلايل الانفس فقال الذي يخرج الخبء في السموات والارض قلنا
ان ابرهيم وموسى عليهما السلام كان مناظرتهما مع من ادعى الالهية
من البشر فان نمرود وفرعون كل واحد منهما كان يدعي الالاهية

فلاجرم انهما عليهما السلام ابتدا بابطال الهية البشر ثم انتقلا
الى ابطال الهية الافلاك والكواكب واما سليمن عليه السلام
فانه كان مناظرته مع من يدعى الهية الشمس فان الهدهد قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلاجرم ابتدا بذكر السموات
ثم بذكر الارضيات ثم ان سليمن عليه السلام لما تمم دلايل
التوحيد قال بعده لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد انه
لما بين افتقار السموات والشمس وساير الكواكب الى مدبر خالق
ذكر بعد ذلك ان كل ما كان جسما فهو مخلوق ومربوب سواء كان
عظيما او صغيرا فقال لا اله الا هو رب العرش العظيم فهذا
مقام سليمن عليه السلام فى تقرير دلايل التوحيد اما المقام
الثانى له عليه السلام فى تقرير دلايل النبوة فهو قوله تعالى
حكاية عنه قال يا ايها الملا ايكم ياتينى بعرشها قبل ان ياتونى مسلمين
قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه
لقوى امين قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى
اشكر ام اكفر واعلم ان كثيرا من الناس قالوا ذلك الشخص الذى قال انا
اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك هو غير سليمن وظنوا ان الكاف
فى قوله اتيك خطاب مع سليمن عليه السلام وعلى هذا التقدير
لابد وان يكون ذلك القايل غير سليمن الا ان هذا ضعيف بل الصحيح
عندنا ان الاتى بتلك العرش العظيم هو سليمن عليه السلام وذلك
لانه عليه السلام انما قال ايكم ياتينى بعرشها على سبيل التحدى فقال
العفريت انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك فقال سليمن عليه
السلام للعفريت بل انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فهذا
الكلام قاله سليمن عليه السلام للعفريت تقريرا للتحدى الذى ذكره
اولا وكسرا للعفريت واظهارا للمعجز والذى يدل عليه وجوه
الاول ان سليمن عليه السلام كان قد ذكر دلايل التوحيد
اولا فافتقر بعد ذلك الى تقرير دلايل النبوة مع بلقيس فان سليمن

عليه

عليه السلام كان قد كلفها الاقرار بالتوحيد والنبوة فلما ذكر
دلايل التوحيد وجب عليه ان يذكر بعد ذلك دلايل النبوة
وهذا معجز دال على النبوة فوجب جعله معجزا لسليمن عليه السلام
حتى يتم الدليل الوجه الثانى ان لفظ الذى موضوع فى اللغة
للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة
والشخص المعروف بان عنده علم الكتاب هو سليمن عليه السلام
قال تعالى ففهمناها سليمن وقال وورث سليمن داود فوجب
انصرافه اليه اقصى ما فى الباب ان اصف ايضا كان عالما بالكتاب الا ان
سليمن عليه السلام كان اعرف به من اصف لان الرسول اعرف بكلام
الله تعالى من غيره فكان صرف هذا اللفظ الى سليمن عليه السلام
اولى الثالث ان احضار العرش فى تلك الساعة اللطيفة درجة عالية
فلو حصل لاصف دون سليمن لافضى ذلك الى تفضيل اصف
على سليمن عليه السلام وانه غير جايز الرابع ان سليمن عليه السلام
لو افتقر فى هذا الغرض الى اصف لافضى ذلك الى قصور حال
سليمن فى اعين الخلق الخامس ان سليمن عليه السلام قال هذا
من فضل ربى ليبلونى ااشكر ام اكفر وظاهره يقتضى ان يكون
ذلك المعجز قد اظهره الله بدعاء سليمن فهذا ما يتعلق باشتغال
سليمن عليه السلام بتقرير التوحيد والنبوة والله اعلم
واما عيسى عليه السلام فانه اول ما تكلم شرح امر التوحيد فقال
انى عبد الله وشهادة حاله كانت دالة على صدق مقالته وهذه
الكلمة الواحدة كانت جامعة لكل المقاصد اما دلالتها على
التوحيد فلان انطاق الطفل فى زمان الطفولية لا يتاتى الا من
الاله القادر على كل المقدورات واما دلالتها على براءة امه مجد
من طعن اليهود فلانه لا يليق بحكمة الحكيم تخصيص ولد الزنا بهذه
المرتبة العالية والدرجة الشريفة ثم انه عليه السلام بعد هذه
الكلمة الوافية بكل الاغراض انتقل الى بيان الشرايع فقال اتانى
الكتاب وجعلنى نبيا واما محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم ان

اشتغاله بتقرير دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من ان
يحتاج فيه الى مزيد تقرير وذلك لانه عليه السلام كان مبتلى
بالرد على جميع فرق الكفار فالاول الدهرية الذين كانوا يقولون
وما يهلكنا الا الدهر فالله تعالى ابطل قولهم بانه خالق الدهر والزمان
والثانى الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى ابطل قولهم بحدوث
انواع النبات واصناف الحيوانات مع اشتراك الكل فى تاثير
الطبائع والافلاك والثالث الذين اثبتوا شركاء مع الله وذلك
الشريك اما ان يكون علويا او سفليا فالشريك العلوى فمنهم من
اثبت ان ذلك الشريك هو الكوكب والشمس والقمر والله تعالى
ابطله بدليل الخليل عليه السلام وهو قوله لا احب الافلين
ومنهم من يقول هو النور والظلمة والله تعالى ابطله بقوله
الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
واما من قال يزدان واهرمن والله تعالى ابطله بقوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وبقوله اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا
وبقوله ولعلى بعضهم على بعض واما الشريك السفلى فمنهم من
قال بالهية المسيح والله تعالى ابطله بقوله لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ومنهم من قال انه الوثن والله تعالى ابطله بقوله
افمن يخلق كمن لا يخلق والرابع الذين طعنوا فى اصل النبوة وحكى
الله عنهم قولهم ابعث الله رسولا ثم ان الله تعالى رد عليهم بقوله
اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا والخامس الذين طعنوا
فى التكليف تارة بانه لا فايدة فيه والله تعالى رد عليهم بقوله
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها واخرى بان
الحق هو الجبر وهو ينافى صحة التكليف وانه تعالى اجاب عنه
بقوله لا يسل عما يفعل وهم يسئلون والسادس الذين سلموا
اصل النبوة وطعنوا فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم والقران مملوء من
الرد عليهم ثم ان طعنهم كان من وجوه تارة بالطعن فى القران من حيث انه
مشتمل على ذكر خسائس الحيوانات من البعوضة والنملة والذبابة

فاجابهم الله تعالى عنه بقوله ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها وتارة بان القران شعر وسحر فاجاب الله تعالى عنه
بقوله فاتوا بسورة من مثله وتارة بالتماس ساير المعجزات وهو قوله
تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فاجاب الله
تعالى عنه بان الدليل لما يتم لم يبق للاقتراح فى الزيادات فايدة
وهو قوله تعالى سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وتارة بان هذا
القران نزل نجما نجما وذلك تطرق للتهمة فاجاب الله تعالى عنه بقوله
كذلك لنثبت به فوادك وتارة بانه يحتمل ان يكون هذا القران من القاء الجن
والشياطين كما قال فى حق الشعراء فاجاب الله تعالى عنه بقوله هل
انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم والسابع الذين
انكروا الحشر والنشر والقران مملوء من الرد عليهم فثبت مجموع ما ذكرناه
ان الاشتغال بدليل التوحيد والنبوة حرفة جميع الانبياء عليهم السلام
الحجة العاشرة الدالة على نهاية شرف هذا العلم قوله تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن وليس
المراد منه المجادلة فى فروع الشرايع لان من انكر ثبوته فلا فايدة
فى الخوض معه فى تفاريع الكلام ومن اثبت ثبوته فلا يخالفه فلا
يحتاج الى الجدل فعلمنا ان هذا الجدل الماموربه كان فى تقرير مسائل
الاصول واذا ثبت هنا فى حق الرسول عليه السلام ثبت فى حق امته
لقوله تعالى حكاية عنه وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولقوله
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولقوله عليه السلام
عليكم بسنتى وسنة الخلفا من بعدى الحجة الحادية عشر قوله
تعالى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
وذلك يقتضى ان الجدال مع العلم لا يكون مذموما وايضا حكى الله تعالى
عن قوم نوح انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومن المعلوم
ان ذلك الجدال كان فى تقرير دلايل الاصول واذا ثبت بهذه الايات ان
الجدال فى تقرير الدلايل مستحسن ثبت ان المراد من قوله ما ضربوه لك
الا جدلا بل هم قوم خصمون محمول على ذم الجدل فى تقرير الباطل الحجة الثانية عشر

انه تعالى امرنا بالنظر فقال افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله الخ
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم
اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها افلم ينظروا فى ملكوت
السموات والارض **الحجة الثالثة عشر** انه تعالى ذكر التفكر فى معرض
المدح فقال ان فى ذلك لايات لاولى الالباب ان فى ذلك لعبرة
لاولى الابصار وايضا ذم المعرضين فقال وكاين من اية فى السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لهم قلوب لا يفقهون بها
الحجة الرابعة عشر انه تعالى ذم التقليد فقال حكاية عن الكفار انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقال بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
وقال بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا
لولا ان صبرنا عليها وقال فى والد ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك
واهجرنى مليا وكان ذلك يدل على وجوب النظر وفساد التقليد •
الحجة الخامسة عشر انه تعالى حكى عنهم انهم سالوا محمدا عليه السلام
عن امور كقوله ويسلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء
فى المحيض يسلونك عن الانفال فذكر فى هذه المواضع قل كذا وكذا
الا فى اية واحدة وهى انهم سالوا عن مسلة اصولية وهى قوله
ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فهاهنا ذكر حرف
التعقيب يعنى يا محمد اذكر هذا الجواب فى الحال لان هذه المسئلة
مسلة اصولية فلا يجوز تاخير الجواب لان ذلك يقدح فى الايمان
اما ساير المسايل فهى فروعية فلا يكون تاخير الجواب عنها الى وقت
الحاجة ضارا فثبت بمجموع هذه الدلايل وجوب تقديم علم الاصول
فلاجرم قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين
قدم الامر بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار **الفصل الثانى**
فى فوايد لا اله الا الله **الفايدة الاولى** اعلم ان هذا الذكر لما كان
افضل الاذكار فالعدو لما جاءته المحنة فزع اليه والولى لما جاءته
المحنة فزع اليه **اما** العدو فلان فرعون لما قرب من الغرق قال
امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرايل والمعنى انه لا اله

يقدر على ان يجعل النار راحة كما فى حق ابرهيم والماء عذابا كما فى حق
الا الذى امنت به بنوا اسرايل **واما** الولى فكما فى حق يونس عليه السلام
قال تعالى فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين والمعنى لا اله الا انت فانك انت الذى تقدر على حفظ
الانسان حيا فى بطن الحوت ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة
فان قيل كل واحد منهما نادى فلم قبل نداء احدهما ولم يقبل نداء الثانى
قلنا الفرق من وجوه **الاول** ان يونس عليه السلام كان قد سبقت
له المعرفة مع هذه الكلمة فسبق المعرفة اعانة على قبولها منه
واما فرعون فقد تقدم له سبق الكفر وذلك لانه الذى تقدم
له النداء على نفسه كما قال تعالى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى
واما يونس عليه السلام فقد كان ينادى الله ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم وايضا انه قال فلولا انه كان
من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون • وهذا ينبهك
على ان من حفظ الله فى الخلوات يحفظه فى الفلوات **الثانى** ان
يونس عليه السلام انما ذكر هذه الكلمة مع الحضور فقال لا اله الا
انت فكان فى الحضور والشهود • واما فرعون فانه قالها عن الغيبة
فقال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرايل فاحال العلم
بحقيقة هذه الكلمة على الغير **الثالث** ان فرعون انما ذكر هذه
الكلمة على سبيل التقليد لبنى اسرايل فقال امنت انه لا اله الا
الذى امنت به بنوا اسرايل واما يونس عليه السلام فانه انما
انما ذكرها على سبيل الاستدلال مع العجز والانكسار وذلك
لانه قال تعالى فنادى فى الظلمات فحصل له العجز والانكسار
بسبب تلك الظلمات ثم قال بعده سبحانك انى كنت من الظالمين
فحصل العجز والانكسار بسبب الذلة فلما كانت هذه الكلمة
مسبوقة بالعجز والانكسار ملحوقة بهما لاجرم صارت
مقبولة لقوله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه **الرابع**
انما ذكر فرعون هذه الكلمة لا للعبودية بل لطلب الخلاص من

الغرق بدليل قوله فلما ادركه الغرق قال امنت انه لا اله
الا الذى امنت به بنوا اسرايل واما يونس عليه السلام فهو انما
قالها لما حصل له الانكسار بسبب التقصير فى الطاعة والعبودية
بدليل قوله بعده سبحانك انى كنت من الظالمين فظهر الفرق من هذه
الوجوه والله اعلم الفضيلة الثانية لهذه الكلمة ان الله تعالى
امرك بطاعات كثيرة من الصلوة والزكوة والصيام والحج ويستحيل
ان يكون موافقا لك فى شى منها ثم امرك بان تقول لا اله الا الله
ثم ان الله تعالى يوافقك فيها فقال شهد الله انه لا اله الا هو
الى قوله العزيز الحكيم والمقصود من التكرير وجهان الاول ان
يكون العبد مواظبا على تكريرها طول عمره الثانى كانه قال عبدى
جعلت هذه الكلمة اول الاية واخرها فاجعلها انت ايضا
اول عمرك واخره حتى تفوز بالنجاة والسلامة وههنا نكت
الاولى انه تعالى جعلك ثالث نفسه فى هذه الاية وكفاك هذا فخرا
الثانية روى ان يوسف عليه السلام اراد ان يتخذ وزيرا فجاء جبريل
عليه السلام فقال له ان الله يامرك ان تتخذ فلانا وزيرا لك
فنظر اليه يوسف عليه السلام فهو كان فى غاية الدناءة فسال
جبريل عليه السلام عن السبب فقال ان له عليك حق الشهادة
لانه هو الذى شهد ان كان قميصه قد من قبل الاية والاشارة
ان من شهد لمخلوق وجد وزارته فى الدنيا فمن شهد لله بالتوحيد
والجلال لا يجد معرفته فى الدنيا وجنته فى العقبى الثالثة
فى الحديث ان لله ملائكة يومنون عند تامين الامام فمن وافق
تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
والاشارة ان من وافق تامينه تامين الملك مرة واحدة صار
مغفورا له فمن وافقت شهادته بوحدانية الله تعالى شهادة
الله سبحانه الاف مرة الا يصير مغفورا له الرابعة
انه تعالى سماك وقت التخليق مختارا قال وربك يخلق ما يشا
ويختار وفى موضع الذنب جاهلا انه كان ظلوما جهولا وفى

موضع

موضع الرزق دابة وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وفى
وقت الطاعة اجيرا ليوفيهم اجورهم وعند الشهادة عالما والملائكة
واولوا العلم ثم ان العلم افضل الدرجات وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما والغرض منه التنبيه على الدرجات
فانت من حيث انى خلقتك مختارى فلك درجة موسى حيث قلت
وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اذ تبت فانت جاهل والجهل عذر
من بعض الوجوه وحين تشتغل بطلب الرزق فكالبهيمة
لان ما هو مقدر لرزقك يصل اليك وما ليس مقدرا لك
لا يصل اليك فكان الطلب عديم الفايدة فكان شبيه افعال
البهائم وحين تشتغل بالعمل كنت كالاجير وكل ذلك درجات
نازلة اما حين تشتغل بالشهادة والتوحيد فانت من العلماء
الغايصين فى لجة بحر التحقيق والتوحيد وبلغت غاية القصوى
فى المنقبة والشرف كما قال سبحانه يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات الخامسة قال الله تعالى وما تلك
بيمينك يا موسى وقعت هذه الاشارة على العصا وعلى اليد
اما العصا فقوله وما تلك واما اليد فقوله بيمينك فصارت
العصا من قوة هذه الاشارة تلقف حبال السحرة وعصيهم
وصارت اليد يدا بيضاء وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء وكلمة لا اله الا الله وهى صفة وحدانيته وفردانيته
وجلاله وعزته الا تستقل بافناء اثار العصيان عن قلب
العبد وانارة روحه بنور المعرفة والهداية السادسة عصا
موسى اخرج من الجنة فبطل عصى السحرة عندها فهذه الكلمة
انما ظهرت من شجرة العزة والربوبية والعظمة فنرجو ان تبطل
الذنوب عندها السابعة حكى عن الحجاج انه امر بقتل رجل فقال
لا تقتلنى حتى تاخذ بيدى وتمشى معى واجابه اليه فقال الرجل
بحرمة صحبتى معك فى هذه الساعة ان لا تقتلنى فعفا عنه فههنا
وقعت للمومن صحبة مع الله الكريم فى هذه الشهادة فنرجو ان يغفر الله تعالى

فحين ظ
طلبك ظ

الثامنة وجد المؤمن بهذه الشهادة ابوة ابرهيم فقوله تعالى ملة
ملة ابيكم ابرهيم وامومة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وازواجه امهاتكم واخوة المومنين انما المومنون اخوة واستغفار
الانبياء واستغفر لذنبك وللمومنين والمؤمنات واستغفار
الملائكة ويستغفرون للذين امنوا وشفيعا مثل محمد صلى الله
عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي ومشاركة الله تعالى
في اسم المؤمن فذنبه ما ازال عنه هذه التشريفات افترى انه بانه
يخرجه عن رحمة الرحمن وكرم اكرم الاكرمين التاسعة يحكى
ان عوض على نصر بن احمد الساماني عسكره وكان يسئل عن اسماء رجال
فيجيبونه فسال واحدا عن اسمه فسكت لانه سميه ففطن لذلك
واعطاه خلعة جسيمة فاذا كان حال سمي الملك ذلك فكيف
من كان سمي ربه تعالى وفي الخبر يوتى برجل يوم القيمة اسمه محمد فيقول
الله تعالى ما استحييت ان عصيتني وانت سمي حبيبي وانا استحي
ان اعذبك وانت سمي حبيبي فاذا كان لا يعذب سمي رسوله عليه
السلام فنرجوا من فضله ان لا يعذب سمي نفسه وهو المومن الفضيلة
الثالثة لهذه الكلمة ان كل طاعة فانه يصعد الملك بها اما قول لا اله
الا الله فانه يصعد بنفسه دليله قوله اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه اي الملك الى الله تعالى قال بعضهم الفضيلة
الرابعة لهذه الكلمة قول بعضهم في قوله تعالى اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت ان يوم القيمة يتجلى نور كلمة لا اله الا الله فيمحق
في ذلك النور نور الشمس والقمر لان تلك الانوار انوار مجازية
عرضية ونور لا اله الا الله نور ذاتي واجب الوجود لذاته والمجاز
يبطل في مقابلة الحقيقة فلاجرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النور بل
يبطل كل وجود في مقابلة هذا الوجود كما قال تعالى كل شي هالك الا وجهه
الفضيلة الخامسة ان جميع الطاعات تزول يوم القيمة مثل الصلوة والصوم
والحج فان التكليف الظاهر يزول في عالم القيمة اما طاعة التهليل
والتمجيد فلا يزول عنهم وكيف يمكن زوالها عنهم والقران يدل على انهم

مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر
والتوحيد وانما قلنا انهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن اهل الجنة
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم فثبت انهم مواظبون على الحمد
والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد والتمجيد الفضيله
السادسة ما روي في الاثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله فانه سبحانه
يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الارض قال المحققون
السبب في ذلك انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد رد على كل كافر وكافرة ثبت
لله ضدا وندا وشريكا فلاجرم يستحق الثواب بعددهم الفضيلة
السابعة قال السدي في قوله تعالى حم عسق الحا حلمه وحكمه وحجته
والميم ملكه ومجده والعين عظمته وعلمه وعزه وعدله والسين
سناؤه وسره والقاف قهره وقدرته يقول الله تعالى بحلمي وحكمي وحجتي
وملكي ومجدي وعظمتي وسنائي وسري وقهري وقدرتي لا اعذب
في النار ابدا من قال لا اله الا الله الفضيلة الثامنة قيل اذا كان اخر
الزمان فليس لشي من الطاعات فضل كفضل كلمة لا اله الا الله لان
صلواتهم وصيامهم وصدقاتهم يشوبها الرياء والسمعة ولا اخلاص
في شي منها اما كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله والمومن لا يذكرها
الا عن صميم للقلب الفضيلة التاسعة الاحاديث الواردة في
فضل هذه الكلمة فالاول قوله عليه السلام افضل الذكر
لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله والثاني روي عن ابن عمر
انه عليه السلام قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت
ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة
ينفضون بشعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن والثالث روي ان المامون لما انصرف من مرو يريد
العراق واجاز نيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضى
فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسلك بحق قرابتك من

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحدثنا بحديث ينفعنا
فروى عن ابيه عن ابائه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عن الله تعالى انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن عذابي
والرابع روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفتح
الله ابواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش ايها الجنة وكلما
في فيك من النعم لمن انت فتنادي الجنة وكلما فيها نحن لاهل
لا اله الا الله ونشتاق الى اهل لا اله الا الله ولا نطلب الا
اهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا اهل لا اله الا الله ونحن
محرمون على من لم يقل لا اله الا الله ولم يومن بلا اله الا الله وعند
هذا تقول النار وكلما فيها من العذاب لا يدخلني الا من انكر لا اله
الا الله ولا اطلب الا من كذب بلا اله الا الله وانا حرام على من
قال لا اله الا الله ولا امتلى الا ممن جحد لا اله الا الله وليس
غيظي الا على من انكر لا اله الا الله فيجي رحمة الله ومغفرته
فيقولان انا اهل لا اله الا الله وناصر لمن قال لا اله الا الله و
محب لمن قال لا اله الا الله ومتفضلان على من قال لا اله الا الله
ويقول الله واجبت الجنة لمن قال لا اله الا الله وحرمت النار
على من قال لا اله الا الله واغفر كل ذنب لمن قال لا اله الا الله ولا
احجب مغفرة ورحمة عن من قال لا اله الا الله وما خلقت الجنة
الا لاهل لا اله الا الله فلا تخلطوا لا اله الا الله الا بما يوافق
لا اله الا الله والخامس قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله • قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل
العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب
الاخرة فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى
لرسوله عليه السلام من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال
لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن اخرج لسان
القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو الستر فقال لا اله الا الله ادخلنا

سيف

سيف عذاب الاخرة في غمد الرحمة حتى يكون واحدا بواحد ولا اظلم
ولا اجور السادس روى عن انس بن مالك انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا عند منامه شهد الله الى
قوله ان الدين عند الله الاسلام خلق الله تعالى سبعين الف خلق
يستغفرون له الى يوم القيمة قال وانا على ذلكم من الشاهدين السابع
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال عليه السلام ان الكتاب واية
الكرسي وشهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك
الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب تقول
الله تعالى اني حلفت لا يقراكن احد من عبادي الا جعلت الجنة مثواه
على ما كان فيه ولا سكنته حضيرة القدس ولا نظرت اليه بعين الرحمة
كل يوم سبعين مرة ولا قضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة
واحفظه من كل عدو وحاسد الثامن قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول اربع مرات اللهم اني اشهدك وكفى
بك شهيدا واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك اني
اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك واشهد ان محمدا عبدك
ورسولك الا كتب له به صكا بالعتق من النار التاسع عن ابن عمر انه
قال عليه السلام يجاء برجل من امتي يوم القيمة على روس الخلايق فينشر
عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر فيقال له اتنكر من هذا
شيا اظلمك الحافظون فيقول لا يا رب فيقال له الك عذر فيقول لا يا رب
فيقول الله تعالى ان لك عندي وديعة وانه لا اظلم عليك اليوم فيخرج له
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى لا اظلم اليوم
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة فلا يثقل مع اسم الله تعالى شي العاشر عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما زلت اشفع الى ربي فيشفعني حتى
اقول يا رب شفعني في من قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى ليست
لك يا محمد انما هذه لي وعزتي وحلمي ورحمتي لا ادع في النار احدا قال

فاتحة ٥

لا اله الا الله واعلم انا اهل العرفان ذكروا فى تفسير لا اله الا الله وجوها
الاول قال ابن عباس لا اله الا الله لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل
ولا معطى ولا مانع الا الله الثانى لا اله الا الله الذى يرجى فضله
ويخاف عدله ويومن جوده فيوكل رزقه وينزل امره ويسئل عفوه وبركته
نفيه ولا يحرم فضله الا الله الذى هو رب المومنين وغفار المذنبين
وملجا التايبين وستار المعيوبين وغاية رجاء الراجين ومنتهى مقصد
العارفين الثالث قول العبد لا اله الا الله اشارة الى المعرفة والتوحيد
بلسان الجهد والتسديد الى الملك المجيد فاذا قال العبد لا اله الا الله
فالمعنى لا اله له النعماء والالاء والقدرة والبقاء والعظمة والسناء
والعز والثناء والسخط والرضى الا الله الذى هو رب العالمين وخالق
الاولين والاخرين وديان يوم الدين الرابع لا اله للرغبة ولا اله
للرهبة الا الله الذى هو كاشف الكروب عن عمران بن الحصين
قال عليه السلام لابى الحصين كم تعبد اليوم من اله قال اعبد
ستة او سبعة فى الارض وواحدا فى السما فقال عليه السلام
وايهم تعبده برغبتك ورهبتك فقال الذى فى السماء فقال
عليه السلام فيكفيك اله السماء ثم قال يا حصين لو اسلمت علمتك
كلمتين تنفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمنى تينك
الكلمتين فقال عليه السلام قل اللهم الهمنى رشدى واغفر
لى واعصمنى من شر نفسى الخامس قيل فى قوله تعالى شهد الله هو
يشهد الله فى عوالم القدس وحظاير الجلال وسرادقات الصمدية
والملايكة يشهدون بهذه الشهادة فى السموات واولوا العلم
يشهدون بهذه الشهادة فى الارضين وقال جعفر بن محمد الصادق
وقد سالوه عن هذه الاية ان الله شهد لنفسه بالفردانية
والصمدية والاحدية والازلية والابدية ثم خلق الخلق فشغلهم
بعبادة هذه الكلمة وذلك لان شهادة الحق لنفسه حق وشهادتهم
له رسم فكيف يستوى الرسم مع الحق ومن اين للتراب طاقة على تجلى
نور رب الارباب وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثماية وستون

وابو الحصين كافر يومئذ

فيكفيك صح

صنما

صنما فلما نزل شهد الله خرت الاصنام سجدا حول الكعبة واما
خاتمة المجلس ففيها وجوه الاول اسلم نصرانى ببغداد ايام الشبلى
فقال الشبلى ما سبب اسلامك قال كنت فى حال النصرانية اكرم
دين النصرانية فرزقت دين الاسلام ببركة اكرامى ذلك الدين فصاح
الشبلى وقال اذا كان من يكرم الدين الباطل فالله تعالى يكرمه ويرزقه
دين الحق فمن يكرم الدين الحق الا يرزقه الله الرحمة والمغفرة الثانى
يحكى ان رجلا كان واقفا بعرفات وكان فى يده سبعة احجار فقال
يا ايتها الاحجار السبعة اشهدكم انى اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فنام فراى فى المنام كان قد قامت القيمة وحوسب
ذلك الرجل فوجب له النار فلما ساقوه الى باب من ابواب جهنم
جا حجر من تلك السبعة والقت نفسها فى الباب فاجتمعت ملائكة
العذاب على رفعها فما قدروا ثم سيق الى الباب الثانى فكان الامر
كما فى الاول وهكذا الى الابواب السبعه فسيق به الى العرش فقال الله
سبحانه وتعالى عبدى اشهدت الاحجار فلم نضع حقك وانا شاهدهم
على شهادتك على توحيدى ادخل الجنة فلما قرب من باب الجنان
فاذا ابوابها مغلقة فجاءت شهادة ان لا اله الا الله وفتحت
الابواب ودخلها الرجل الثالث روى يزيد بن هرون فى المنام
بعد موته قالوا له ما فعل الله بك فقال غفر لى قيل بالحديث قال لا قيل
بالعلم والزهد قال لا قيل فبماذا قال اتانى ملكان مهيبان فقالا من ربك
وما دينك ومن نبيك قلت امثلى يسال عن هذا وقد كنت ادعو الخلق
اليه منذ سبعين سنة فانصرفا عنى الرابع زاد الما ببغداد حتى
اشرفت على الغرق فقال بعض الصالحين رايت فى بعض تلك الليالى
كانى واقف على طرف واقول لا حول ولا قوة الا بالله غرق بغداد
فاذا انسان حسن الصورة وكنت اعلم انه ملك وجاء اخر من ناحية
اخرى فقال احدهما للاخر ما الذى امرت به قال امرت بتفريق بغداد
ثم نهيت عنه فقال ولم قال رفعت ملائكة الليل ان البارحة
افتض ببغداد سبعماية فرج حرام فغضب الله تعالى وامرنى

بتفريقها ثم رفعت ملائكة النهار في صبح هذا اليوم سبعماية
اذان واقامة فغفر الله هولاء بهولاء قال صاحب الرؤيا فانتبهت
وجيت الى الدجلة فاذا الماء قد نقص **الخامس** قال بعضهم لا اله
الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا وساعات الليل
والنهار كذلك فكانه قيل كل ذنب اذنبته من الصغير والكبير
والسر والجهر والخطا والعمد والقول والفعل في هذه الساعات
فهي مغفورة بهذه الحروف والكلمات وايضا قول لا اله الا الله محمد
رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة اعضا وللنار سبعة ابواب كما قال
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم فكل كلمة من هذه
الكلمات السبع تغلق بابا من الابواب السبعة عن عضو من الاعضا
السبعة وقيل ايضا ان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا فلاجرم
وجب به اثنا عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة **اما** الظاهرة
فالطهارة والصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد **واما** الباطنة
فالتوكل والتفويض والصبر والرضى والزهد والتوبة **السادس**
سال الشبلي رجل فقال لم تقول الله ولا تقول لا اله الا الله فقال
لان الصديق اعطى ماله كله فلم يبق له شي فتخلل بكساء بين النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام ما خلفت لعيالك فقال الله فكذا
انا اقول فقال السائل اريد اعلى من هذا فقال الشبلي استحي من ذكر
كلمة النفي في حضرته والكل نوره واخشى ان اموت عند الانكار
فلا اصل الى الاقرار قال السائل اريد اعلى من هذا فقال قال الله تعالى
لرسوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فقام شاب وزعق زعقة
فقال الشبلي الله فزعق ثانيا فقال الشبلي الله فزعق ثالثا فمات
فاجتمع اقرباء الفتى وتعلقوا بالشبلي وادعوا عليه الدم وحملوه الى
الخليفة فاذن لهم فدخلوا وادعوا الدم فقال الخليفة للشبلي ما جوابك
فقال روح حنت وسمت فصاحت فدعيت فسمعت فعلمت فاجابت
فما ذنبي قال فصاح الخليفة وقال خلوا سبيله **السابع** سيل
بعض العلماء عن قوله تعالى وبير معطلة وقصر مشيد فقال البير

بجمائه

المعطلة

المعطلة قلب الكافر معطلة من قول لا اله الا الله والقصر المشيد
قلب المومن معمور بقول لا اله الا الله **الثامن** جاءت امراة الى بعض اكابر
الصوفية بقادورة من زيت وقالت يا شيخ احببت ان يصلح قناديل المسجد
من هذا الزيت فقال الشيخ ايما احب اليك نور يصعد الى السقف او نور
يصعد الى العرش فقالت المراة بل نور يصعد الى العرش فقال الشيخ اذا
صببت هذا الدهن في القناديل صعد النور الى السقف واذا صببته
في طعام الفقراء صعد النور الى العرش فقالت المراة اصلح طعامك بذلك
الدهن للفقرا ففعل فلما اكلوا ذلك الطعام قال قولوا من صدق واخلاص
لا اله الا الله واجعلوا ثواب هذه الكلمة لذلك المراة **التاسع** روي
ان امية بن خلف الجمحي كان ذا مال واولاد وكان لهم صنم يعبدونه من دون
الله وكان له اثنى عشر مملوكا ولم يكن احد احب اليه من بلال وكان في بيت
الصنم وكان بلال يسجد لله في بيت الصنم وكان يقول احد احد فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فسر بذلك وبلغ هذا الخبر الى امية فقال يا بلال
اتسجد لرب محمد فقال نعم اسجد لله رب العالمين الكبير المتعال فوثب اليه
امية يضربه ويعذبه فلما كان نصف النهار جعله عريانا وطلى عليه الزيت
والقاه على الرمضا تجره الصبيان وكان اذا اصابته الشمس وحرارة الرمضا
يقول احد احد فمر عليه ابو بكر فقال يا امية الى كم تعذب هذا الغلام فقال
اشتريته بمالي فانا احق بعذابه فقال لا كرامة لك تعذب عبدا قال
لا اله الا الله فاختصما فقال ابو بكر رضي الله عنه لي غلام ابيض على
دينك فانا اشتريته بذلك العبد وعشرة اواق من الذهب وفي رواية
اخرى باوقيتين فقال لو طلبت مني هذا الغلام بدرهمين بعته فقال
ابو بكر ولو سامتني بكل ما املكه لاشتريته فاخذ بيد بلال وستره
بردائه ومسح وجهه من التراب وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
يا معشر قريش اشهدوا انه حر لوجه الله فانزل الله تعالى في شانه والليل اذا
يغشى **العاشر** قال بعضهم الحكمة في سوال الملكين ان الملائكة طعنت في بني
ادم بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها قال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فاذا مات
المومن بعث الله تعالى الى قبره ملكين فيقولان من ربك وما دينك فيقول ربي

الله و دینی الاسلام فیامرهما الله تعالی ویقول اشهدا بما سمعتما لان
اقل الشهود اثنان ثم یقول الله تعالی یا ملایکتی انظروا الی عبدی قد اخذت
ذوجه وماله فماله لعدوه وزوجه فی حجر غیره وضیعته ثم ان الملکیکه
سالوه فی بطن الارض فلم یذکر عن شی الا عن توحیدی وتنزیهی
لیعلموا انی اعلم ما لا تعلمون وایضا قالوا الحکمة فی هذا السوال
ان الله تعالی قال فی الابتدا الست بربکم قالوا بلی فشهد الله علیهم فلما
اخرجهم الی الدنیا شهدوا بالتوحید وشهد علیهم الانبیا والمومنون
بذلک فاذا مات وادخلوه القبر ساله الملکان عن هذه الشهادة
فشهد بها فی قبره فسمع تلک الشهادة فاذا جا یوم القیمة جا ابلیس
واراد ان یاخذه ویقول هذا من شیعتی لانه تبعنی فی المعاصی
فیقول الله تعالی لا سلطان لک علیه لانی سمعت منه التوحید
فی الابتداء والانبیاء والرسل سمعوا منه ذلک فی الوسط والملیکة
سمعوا منه ذلک فی الانتهاء فکیف یکون من شیعتک وکیف یکون
لک علیه سلطان اذهبوا به الی الجنة الحادی عشر قال
بعضهم حضرت مجلس یحیی بن معاذ الرازی فقرا رجل قوله تعالی
فقولا له قولا لینا فبکی یحیی وقال هذا رفقک بمن یقول انا الاله
فکیف رحمتک لمن یقول انت الاله هذا رفقک بمن یعادیک
فکیف رفقک بمن یتولاک ویناديك هذا رفقك بمن يقول
انا الرب فکیف رفقک بمن یقول انا العبد وانت الرب الهی قول
لا اله الا الله یهدم کفر سبعین سنة فما یصنع بذنوب ساعة
الثانی عشر قال بعضهم فی تفسیر قوله تعالی فقولا له قولا
لینا معنی ذلک القول اللین ان یقول موسی وهرون لفرعون وجدت
عمرک اربع مایة سنة تقول انا ربکم الاعلی فانت تقول منکرا لما
ذکره قبلک احد من الکفار فقل مرة واحدة انت الرب الاعلی
یغفر لک کفر الاربع مایة سنة ویطهرک عن نجاسة الشرک والکفر
الثالث عشر سیل الشبلی رحمه الله عن ارجی ایة فی القران
فقال قوله تعالی قل للذین کفروا ان ینتهوا یغفر لهم ما قد سلف

فالله

فالله تعالی اطلق للکفار دخول الجنة بذکر هذه الکلمة مرة واحدة
اتری من واظب علی هذه الکلمة طول عمره کیف یمنع من دخول الجنة
وهو طاهر عن نجاسة الشرک الفصل الثانی فی اسما کلمة التوحید
وذلک لانها تدل علی نفی الشرک علی الاطلاق وفایدة قولنا علی
الاطلاق انه تعالی قال والهکم اله واحد امکن ان یخطر ببال احد ان
یقول ان الهنا واحد فلعل له غیرنا مغایر لالهنا فالله ازال هذا
التوهم ببیان هذا التوحید المطلق فقال لا اله الا هو وذلک لان
قولنا لا رجل فی الدار یقتضی نفی هذه الماهیة ومتی انتفت الماهیة
انتفی جمیع افرادها اذ لو حصل فرد من افراد تلک الماهیة لحصلت
تلک الماهیة لان کل فرد من افراد تلک الماهیة مشتمل علی تلک الماهیة
واذا وجدت الماهیة فذلک یناقض نفی الماهیة فثبت ان قولنا لا رجل
فی الدار یفید النفی العام الشامل فاذا قیل بعد ذلک الا زیدا افاد التوحید
التام الکامل ثم اعلم ان لهذه الکلمة ثمرتان احدهما ان جوهر الانسان خلق فی
الاصل مشرفا مکرما قال الله تعالی ولقد کرمنا بنی ادم واذا کان الاصل فیه
کونه مکرما کان کونه مطهرا علی وفق الاصل وکونه منجسا علی خلاف الاصل
ثم انا اذا راینا الانسان متی اشرک صار نجسا بدلیل قوله انما المشرکون
نجس واذا کان الشرک یقتضی کونه نجسا مع ان ذلک علی خلاف الاصل
فکونه موحدا بان یقتضی کونه طاهرا اولی لانه علی وفق الاصل واذا ثبت
ان الموحد کامل فی کونه طاهرا وجب ان یکون من خواص الله تعالی لقوله
تعالی الطیبات للطیبین والطیبون للطیبات الثانیة ان الشرک
سبب لخراب العالم بدلیل قوله تعالی تکاد السموات ینفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا کان الشرک
سببا لخراب العالم وجب ان یکون التوحید سببا لعماره العالم
ضرورة کون الضدین مختلفین فی الحکم واذا ثبت ان کلمة التوحید
سبب لعمارة العالم فاولی ان یکون لعمارة القلب الذی هو محل
الوحدانیة ولعمارة اللسان الذی هو محل ذکر الوحدانیة وذلک یناسب
عفو الله عز وجل عن اهل التوحید الاسم الثانی ان هذه الکلمة

تسمى كلمة الاخلاص وكان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول
يا نفس اخلصي تتخلصي ثم التحقيق فيه ان كل شي يتصور ان يشوبه
غيره فان اصفى عن شوبه وخلص لله سمى خالصا وسمى الفعل المصفى
اخلاصا ولا شك ان كل من اتى بفعل اختيارى فلا بد له في ذلك
الفعل من غرض فمهما كان الغرض في الفعل واحدا سمى ذلك
الفعل اخلاصا فمن تصدق وكان غرضه محض الرياء فهو غير
مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب
الى الله تعالى عن جميع الشوايب كما ان الالحاد عبارة عن الميل
ولكن خصصه العرف بالميل عن الحق واذا عرفت هذا فنقول
الباعث على الفعل اما ان يكون روحانيا فقط وهو الاخلاص او
شيطانيا فقط وهو الريا او مركبا منهما (رحمانيا) وهو على ثلاثة اقسام
لان الطرفين اما ان يكونا على السوية او يكون الروحاني اقوى او
يكون النفساني اقوى (الرحماني) القسم الاول من ان يكون الباعث روحانيا
فقط وهذا لا يتصور الا من محب لله مستغرق الهم به بحيث لم
يبق لحب الدنيا في قلبه مقر حتى لا يحب الاكل والشرب بل يكون
رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة
فكذلك لا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله
فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل
في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا لتستريح نفسه
فيقوى على العبادة كان نومه ايضا عبادة واما القسم الثاني
وهو ان يكون الباعث نفسانيا وهذا لا يتصور الا في محب
للنفس والدنيا مستغرق الهم بهما بحيث لم يبق لحب الله في قلبه
مقر وكما ان في القسم الاول لما غلب حب الله وحب الاخرة على قلبه
اكتسبت حركاته الاختيارية هذه الصفة كذلك من غلب حب
النفس والدنيا على قلبه اكتسبت جميع افعاله تلك الصفة
فلا يسلم له شي من عباداته وهذان القسمان لا يخفى حكمهما في الثواب

او رحمانيا

والعقا

والعقاب واما القسم الثالث فنقول اما الذي يستوى فيه الباعثان
فالاظهر انهما يتعارضان ويتناقضان فيصير ذلك العمل لا له
ولا عليه واما الذي يكون احد الطرفين فيه اغلب فيحبط منه
منه ما يساوى الطرف الاخر وتبقى الزيادة موجبة اثرها
اللايق بها وذلك هو المراد بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وتمام التحقيق فيه
ان الاعمال لها تاثيرات في القلب وان خلا المؤثر عن المعارض خلا
الاثر عن الضعف وان كان المؤثر مقرونا بالمعارض فان تساويا
تساقطا وان كان احدهما اغلب فلا بد وان يحصل في الزايد بمقدار
الناقص فيحصل التساوى بينهما او يحصل التساقط ويبقى
القدر الزايد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محالة اثرا ما وكما لا يخلو
مثقال ذرة من الطعام والشراب او الدواء عن اثر في الجسد
فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن اثر في التقريب
من باب الله والتبعيد منه فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده
شبرا فقد عاد الى ما كان لا عليه ولا له وان كان احد الفعلين مما
يقربه شبرين والفعل الثاني مما يبعده شبرا واحدا فضل لا محالة
شبر واحتج من زعم ان المشوب لا ثواب عليه لوجهين الحجة
الاولى ما روى ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن من
يصطنع المعروف ثم يحب ان يحمد عليه ويوجر فلم يدر ما يقول
حتى نزل قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا الحجة الثانية ما روى ابو هريرة رضي الله عنه
انه عليه الصلاة والسلام قال لمن اشرك في عمله احدا خذ اجرك
ممن عملت له وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول
انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيرى تركت
نصيبي لشريكي والجواب عن الحجة الاولى انها محمولة على ما اذا
اتى بالعمل لغرض الدنيا فقط والجواب عن الحجة الثانية ان لفظ
الشرك محمول على تساوى الداعيين وقد بينا ان عند التساوى

نسقط

يخبط كل واحد منهما بالاخر واذا عرفت هذه المقدمة فنقول
كلمة لا اله الا الله مسماة بكلمة الاخلاص وذلك لان الاصل
فى هذه الكلمة عمل القلب وهو كون الانسان عارفا بقلبه وحدانية
الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل ان يوتى بها
لغرض اخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته فهذه المعرفة ان طلبت
طلبت لوجه الله تعالى لا لغرض اخر البتة بخلاف ساير الطاعات الدينية
فانها كما يوتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يوتى بها لساير الاغراض العاجلة
من الرياء والمدح والثناء فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الاخلاص
الاسم الثالث لهذه الكلمة كلمة الاحسان ويدل على صحة هذه
التسمية القران والخبر والمعقول اما القران فايات احدها قوله
هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال المفسرون المراد من قوله
هل جزاء الاحسان اى هل جزاء الايمان والتحقيق فيه ان عليك
عهد العبودية وعلى كرمه عهد الربوبية كما قال تعالى واوفوا بعهدى
اوف بعهدكم وعهد ربوبيتك ان تكون عبد الله لا لغيره ثم قال
هذه الدرجة ان تعرف ان كلما سوى الله فهو عبد لله كما قال تعالى
ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ومن ياتى
بالفعل على احسن الوجوه كان محسنا فيه وقول لا اله الا الله
احسان من العبد يدل على اعترافه بان كل ما سواه فهو عبده ومربوبه
فثبت ان قول لا اله الا الله احسان من العبد فقوله تعالى هل جزاء
الاحسان الا الاحسان اى هل جزاء من اتى بقول لا اله الا الله
الا ان اجعله فى حماية لا اله الا الله وثانيها قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة والمراد من قوله احسنوا هو قول لا اله الا الله
باتفاق ايمة التفسير بدليل انه لو قال ذلك ومات ولم يتفرغ لعمل
اخر دخل الجنة وثالثها قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا واتفقوا على ان هذه الاية نزلت فى فضيلة الاذان
وما ذاك الا لاشتمال الاذان على كلمة لا اله الا الله وايضا فلانه
تعالى قال فى صفة الكافرين ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فكما انه

لا

لا قبيح اقبح من كلمة الكفر فكذلك لا احسن احسن من كلمة
التوحيد ولهذا قال فى اول سورة المومنين قد افلح المومنون وقال
فى اخر هذه السورة انه لا يفلح الكافرون ثم انه لما كان قول
الموحد حسنا كان مقيله ايضا حسنا كما قال تعالى اصحاب
الجنة يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا ولما كان قول
الكافرين قبيحا مظلما كان مقيله ايضا مظلما قال الله تعالى والذين
كفروا اوليا وهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات
ورابعها قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
ولا شك ان احسن الاقوال هو قول لا اله الا الله خامسها
قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قيل العدل الاعراض
عما سوى الله والاحسان الاقبال على الله وسادسها قوله
تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولا شك ان اول هذا هو
قول لا اله الا الله واما الخبر فما روى ابو موسى الاشعرى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة اى للذين قالوا لا اله الا الله الحسنى هى الجنة
والزيادة هى النظر الى وجهه الكريم واما المعقول فهو ان الفعل
كلما كان اشد حسنا كان فاعله اكثر احسانا ولا شك ان احسن
الاذكار ذكر لا اله الا الله واحسن المعارف معرفة لا اله
الا الله واذا كان كذلك كانت هذه المعرفة وهذا الذكر احسانا
الاسم الرابع دعوة الحق قال الله تعالى فى سورة الرعد له
دعوة الحق قال ابن عباس رضى الله عنه هو قول لا اله الا الله
واعلم ان قوله تعالى له دعوة الحق يفيد الحصر معناه له هذه
الدعوة لا لغيره كما ان قوله لكم دينكم ولى دين معناه لكم دينكم
لا لغيركم وتحقيق الكلام فى اثبات هذا الحصر ان الحق نقيض
الباطل فالحق هو الموجود والباطل هو المعدوم فلما كان الحق سبحانه
وتعالى حقا فى ذاته ولذاته ولصفاته وكان ممتنع التغير وحقيقة
كانت معرفته هى المعرفة الحقة وذكره هو الذكر الحق والدعوة

اليه هي الدعوة الحقة اما كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن
لذاته لا يكون حقا لذاته ولا يكون معرفته واجبة التحقيق
ولا ذكره ولا الدعوة اليه واذا ثبت هذا ظهر تحقيق قوله
تعالى له دعوة الحق واعلم ان دعوة الحق تارة يكون من الحق للحق
الى الحق وتارة يكون من الخلق الى الخلق اما الاول فنقول اما
ان دعوة الحق يكون من الحق فلانه تعالى هو الذي دعا القلوب الى
حضرته فلولا دعوته الى تلك الحضرة وتوفيقه لها في ذلك
الوصول والا فمن اين يتمكن العقل البشري من الوصول الى جلال
حضرة الله تعالى وايضا فلان مبادي الحركات واوايل المحدثات
تنتهي الى قدرة الله تعالى وقضايه وقدره ولهذا المعنى قال الله
تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واما ان تلك الدعوة من الحق
فلقوله لمن الملك اليوم واما الانتهاء الى الحق فلقوله وان الى
ربك المنتهى واما ان دعوة الحق تارة من الخلق فلقوله ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله ولقوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان الاسم الخامس كلمة العدل قال الله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان قال عثمن بن مظعون الجمحي ما اسلمت يوم
اسلمت الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
انه كان كثير العرض الاسلام علي فاستحييت منه واسلمت
ولكن الاسلام ما كان مستقرا في قلبي ثم انه عليه الصلوة
والسلام دعاني يوما فجلست اليه فبينما هو يحدثني اذ رايت
بصره يشخص الى السما فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله
يامر بالعدل والاحسان العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان
القيام بالعبودية قال عثمن فوقع الايمان في قلبي وقال ابن عباس
العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيه وقال
اخرون العدل مع الناس والاحسان مع نفسك بالطاعة كما قال
تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال اخرون يامر بالعدل مع الاعضا
وبالاحسان مع القلب بان يربيه بغذاء التوحيد وشراب المحبة

وقع بصري على شخص نزل من السلام فاذا هو جبريل عليه السلام

وقال

وقال اخرون العدل روية الافتقار الى الحق والاحسان مشاهدة
احسان الحق على كل شي في الخلق اعلم ان السبب في تسمية هذه الكلمة
بكلمة العدل وجوه • السبب الاول ان العدل في كل شي تحصيل
ما هو سبب اعتداله وكمال حاله ومن المعلوم ان كمال حال القوى
الحساسة في ادراك المحسوسات وكمال حال القوى الشهوانية
في جلب الاشياء النافعة للجسمانية واما القوة العقلية
فكمال حالها وغاية سعادتها ان ترتسم فيها صور الحقايق واشباه
المعقولات كما هي حتى تصير القوة العقلية كالمراة التي تجلت
فيها صور الوجود بتمامها ولا شك ان اشرف المعقولات
واعلاها معرفة جلال الله وقدسه وعظمته وعزته فكان
غاية العدل والاعتدال للارواح البشرية والقوى العقلية
كونها مقبلة على هذه الحالة مستغرقة فيها فلهذا السبب سميت
كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل • السبب الثاني ان هذه
الكلمة انما سميت بكلمة العدل لان معرفة الله تعالى متوسطة
بين الافراط الذي هو التشبيه وبين التفريط الذي هو التعطيل
فمن بالغ في الاثبات وقع في التشبيه ومن بالغ في النفي وقع
في التعطيل والحق هو طريق الاعتدال بين هذين الطريقين
المتباينين • السبب الثالث من ترك النظر والاستدلال في معرفة
الله تعالى وعول على الطريقة التي الفها بحسه وخياله وقع
في الضلالات واما ان توغل في البحث واراد الوصول الى كنه
العظمة وهوية الجلال تحير وتردد بل عمي فان نور جلال الالهية
يعمي احداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومان
والطريق المستقيم هو ان يخوض الانسان في البحث المعتدل
ويترك التعميق والى هذا الكلام الاشارة بقوله عليه الصلوة
والسلام تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فهذه هي
التي لاجلها سميت كلمة لا اله الا الله كلمة العدل فان قيل كيف
امر الله تعالى بالعدل في بحر التوحيد وقد قال ولن تستطيعوا ان

تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فمن عجز عن العدل فى حق النساء
كيف يقدر على العدل فى معرفة الاحد الصمد • الجواب اظهر
عجزك على الضعيف واقدرك على الشريف لتعرف ان الكل منه
الاسم السادس قال الله تعالى وهدوا الى الطيب من القول
وهدوا الى صراط الحميد واى كلمة توحيد اطهر واطيب من هذه
الكلمة وقد قال تعالى انما المشركون نجس ثم ان النجاسة بسبب
كفر سبعين سنة يزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة
وتحقيق القول فيه ان الطيب هو اللذيذ واللذيذ هو ادراك
الملايم وقد بينا ان الملايم للقوى الحساسة ادراك المحسوسات
والملايم للقوى العقلية ادراك جلال الله وقدسه وعزته
اذا عرفت هذا فنقول ادراك القوة العاقلة اقوى من قوة الحساسة
وسياتى شرح هذا فيما بعد ان شاء الله تعالى واما مدركات
القوى الحساسة فهى الاعراض القايمة بالاجسام الكاينة
الفاسدة ومدرك القوة العاقلة هو ذات الله تعالى وعظمته
وجلاله وظاهر انه كلما كان الادراك اقوى والمدرك اشرف
كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الادراك اشرف واعلى
فعلى هذا نسبة اللذة العقلية الى الحسية فى الشرف والقوة
كنسبة الادراك العقلى الى الادراك الحسى وكنسبة ذات
الله تعالى وصفاته فى الشرف والتعالى الى الاعراض القايمة
بالاجسام وكما انه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين
الادراكين وبين هذين المدركين فكذلك لا نهاية للنسبة
الحاصلة بين اللذات العقلية وبين ادراك جلال الله وبين اللذات
الحاصلة بسبب ادراك الطعوم والروايح وساير الحواس واذا عرفت
هنا ظهر ان الطيب المطلق هو معرفة لا اله الا الله والاستغراق
فى انوار جلال لا اله الا الله فلهذا السبب قال الله تعالى وهدوا
الى الطيب من القول والمراد منه كلمة لا اله الا الله والالف
واللام فى لفظ الطيب للاستغراق فكانه تعالى نسبه انه لا لذيذ و

طيب الا هذا وذلك هو الحق لانا بينا ان طيب المحسوسات بالنسبة
الى طيب هذه الحالة عدم محض فلذلك بين بحرف الاستغراق ان
كل الطيب ليس الا ذلك الاسم السابع الكلمة الطيبة قال الله
تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السما
اختلفوا فى انه تعالى سماها كلمة طيبة على وجوه الاول
انها طيبة بمعنى انها طاهرة عن التشبيه والتعطيل ولانها
طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل واحد منهما كما ان اللبن خارج
من بين الفرث والدم وهو مبرا عنهما مصفى عن شايبة كل واحد
منهما الثانى انها طيبة بمعنى ان صاحبها يكون طيب الاسم
فى الدنيا طيب السكنى فى العقبى اما طيب اسمه فلقوله تعالى
الطيبات للطيبين واراد به المومنين والمومنات واما طيب
السكن فقوله تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن الثالث
انها طيبة بمعنى انها مقبولة يقبلها الله تعالى ويصعد اليه
كما قال اليه يصعد الكلم الطيب قال اهل الاشارة والسبب
فى ان هذه الكلمة تصعد الى الله تعالى بذاتها لان هذه الكلمة
طيبة وقال عليه الصلوة والسلام ان الطيب لا يقبل الا الطيب
وتمام التحقيق فيه ان الروح والعقل عاشقان على التجلى والمعرفة
والمكاشفة على ما سبق تقريره بالبرهان والمعرفة منجذبة الى
المعروف واذا تصاعد العرفان الى المعروف والعارف ملازم
العرفان انجذب العارف الى المعروف وصعد اليه فذلك
هو المراد من قوله اليه يصعد الكلم الطيب سوال قال المفسرون
الشجرة الطيبة هى النخلة فما السبب فى تشبيه الكلمة الطيبة
بالنخلة والجواب عنه من وجوه الاول ان شجرة النخلة لا تنبت فى
جميع البلدان بل فى البعض دون البعض فكذلك كلمة التوحيد
لا تجرى على كل لسان ومعرفة التوحيد لا تحصل فى كل قلب والثانى
ان النخلة اطول الاشجار وكذا كلمة التوحيد على الكلمات والثالث
ان النخل نابتة من الارض وفرعها فى السماء كذا اصل الكلمة الطيبة

ثابت فى القلب وهو المعرفة وفرعها فى السماء اليه يصعد الكلم
الطيب والرابع ان ثمرة النخلة تحمل كل سنة مرتين وكذا الايمان
تحمل فى الدنيا مرة تثاب لاجل ايمانه وهو اهلية الشهادة
والولاية والامامة ومرة اخرى فى الاخرة وهى الجنة الباقية
والنعمة الدائمة والخامس ان النخلة وان حصل فى وسط ثمرها
نواة لاخير فيها ولا منفعة فان قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب
تلك النواة وكذا كلمة التوحيد وان كان يحصل معها شى من المعاصى
الا ان قيمتها لا تنقص بسبب ذلك يا عبادى الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
والسادس ان النخلة الذى يقرب من الناس كله شوك والثمرة أسفل ى
والمنفعة تحصل فى اعلاها فكذا الدين اوله التكاليف الشاقة
التى هى كالشوك وفى اعلاها الثمرة الحلوة اللذيذة وهى المعرفة والمحبة
الاسم الثامن الكلمة الثابتة قال الله تعالى يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة وفى علة هذه التسمية
وجوه الاول اعلم ان المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته
ممتنع العدم لذاته والقول والاعتقاد يتبعان المقول والمعتقد
فلما كان المقول والمعتقد واجب الثبوت لذاته كالقول والاعتقاد
كذلك فلهذا سماه الله بالقول الثابت الثانى ان هذا القول ثابت لا
توثر فيه الاعمال وذلك اشارة الى ان الايمان لا يزداد بالطاعة
ولا ينقص بالمعصية الثالث ان هذا القول ثابت لا يوثر الذنب
فيه بل هو موثر فى ازالة الذنب لان الموحد وان عظمت ذنوبه
الا انه ترجا له المغفرة قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والكافر وان عظم كفره اذا رجع
الى التوحيد هدم التوحيد كفره الرابع ان هذه الكلمة ثابتة فى الاخرة
لا ترتفع عن العبيد وذلك لان اهل الجنة مشتغلون فى الجنة
بذكر التوحيد الا ترى ان الله تعالى اخبر عنهم وقالوا الحمد لله الذى اذهب
عنا الحزن وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى هدانا

لهذا

لهذا الخامسة انها ثابتة لان لها اصلا محكما وذلك ان اول من شهد
هذه الشهادة هو الله تعالى بدليل قوله تعالى شهد الله فشهادة
جميع الشاهدين بتوحيد الله فرع على شهادة الله وشهادة الله هى
الاصل فكل شهادة اصلها شهادة الله فهى ثابتة فى الدنيا والاخرة
السادس ان الانسان بدون هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار ومع
هذه الكلمة لا يعمل فيه الماء والنار اما بيان ان الانسان بدون
هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار ان فرعون اغرق فى الماء ولا ثم نقل
من الماء الى النار لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعجل السامرى
احرق بالنار ولا ثم نقل من النار الى الماء لنحرقنه ثم لننسفنه فى
اليم نسفا اما ابرهيم وموسى عليهما السلام فقد كانا مع حقيقة
هذه الكلمة فلم تعمل النار فى ابرهيم قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على
ابرهيم ولم يعمل الماء فى موسى عليه السلام فالقيه فى اليم ولا تخاف
ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين الاسم التاسع
كلمة التقوى قال الله تعالى والزمهم كلمة التقوى وفى سبب هذه
التسميه وجوه الاول انه لما اتقى صاحب هذه الكلمة ان يصف
ربه بما وصفه المشركون وصف هذه الكلمة بانها كلمة التقوى
وراس التقوى اتقاء كلمة الكفر ثم فى هذه الاية اشارة وبشارة اما
الاشارة فهى انه تعالى سمى نفسه اهل التقوى فقال اهل التقوى
واهل المغفرة وسمى الموحدين اهل كلمة التقوى فقال والزمهم
كلمة التقوى الاية فكانه تعالى يقول انا اهل التقوى ان اكون مذكورا
بهذه الكلمة وانت اهل ان تكون ذاكرا لهذه الكلمة فما اعظم هذا
الشرف واما البشارة فهو انه تعالى قال والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها فاثبت ان الموحدين احق الخلق بهذه الكلمة
وهم اهل هذه الكلمة وانه كريم لا ينزع الحق عن مستحقه فهذا
يدل على انه لا ينزع الايمان عن المؤمن الموحد الثانى فى بيان انه
لم سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى هو ان هذه الكلمة واقية
لبدنك من السيف ولمالك من الاستغنام ولذمتك عن الجزية

ولا ولا ذلك عن الاسترقاق فان انضاف القلب الى اللسان
صارت واقية لقلبك عن الكفر وان انضم التوفيق اليه صارت
واقيه لجوارحك عن المعاصى ثم قال والزمهم كلمة التقوى اى عن
الزمنا هم هذه الكلمة التى هى المفتاح لباب الجنة فنحن اردناهم
اولا وهم ما ارادونا فلنا المنة عليهم فى فتح هذا الباب وتقريره
بقوله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هدكم للايمان الاسم العاشر الكلمة الباقية روى عن كثير
من المفسرين انهم قالوا فى تفسير قوله وجعلها كلمة باقية
فى عقبه انها قول لا اله الا الله ويدل عليه وجوه الاول
مقدمة هذه الاية وهى قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه
اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين فكان معنى اننى
براء نفى الالهية عن الاشياء التى كانوا يعبدونها ثم قال الا
الذى فطرنى فكان فيه اثبات الالهية للذى فطره فاذا حصل
هذان المعنيان كان مجموعهما هو قول لا اله الا الله ثم قال وجعلها
كلمة باقية فى عقبه فثبت ان المراد من الكلمة الباقيه هو
قول لا اله الا الله الثانى انه تعالى قال فى اخر سورة القصص
ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شى هالك الا وجهه
فبين ان كل شى هالك الا هو فانه واجب الدوام والبقاء والسرمدية
وقد عرفت ان القول يتبع المقول والاعتقاد يتبع المعتقد فكان
صدق لا اله الا الله واجب الثبوت والبقاء والدوام
وذلك هو المراد بكونها كلمة باقية الثالث انا بينا ان
التوحيد لا يزول بسبب المعصية والمعصية تزول بسبب
التوحيد وايضا التوحيد يبقى مع اهل الجنة وسائر الطاعات
لا تبقى روى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عليه السلام يقول الله يوم القيمة مالى ارى فلانا فى صفوف
اهل النار فيقول يا رب انا لم نجد له حسنة فيقول الله تعالى
انى سمعته فى الدنيا يقول يا حنان يا منان فاذهب اليه فسله

فياتيه

فياتيه فيجده فى زاوية من زوايا جهنم يقول يا حنان يا منان
فيسله جبريل عن هذه الكلمة فيقول وهل حنان منان غير الله
قال جبريل فاخذ بيده من صفوف اهل النار فادخله فى صفوف
اهل الجنة الحادى عشر كلمة الله العليا قال الله تعالى وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا واعلم ان
السبب فى علو هذه الكلمة وجوه الاول هو ان القلب انما
تجلى فيه نور هذه الكلمة كان ذلك التجلى نور الربوبية ونور
الربوبية اذا تجلى فى القلب استعقب حصول قوة الهيبة ل
بالله ولهذا السبب صار العارفون المستغرقون فى انوار جلال
الله يستحقرون الاحوال الدنيوية ويستحقرون عظماء الملوك
ولا يبالون بالقتل ولا يقيمون بشى من طيبات الدنيا وزنا
البتة وكل ذلك يدل على استعلاء قوة هذه الكلمة على جميع
الاشيا فان سلطان كل شى يضمحل فى سلطان جلال هذه الكلمة
انظر الى استغراق سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمة
كيف لم يلتفتوا الى قطع الايدى والارجل وان محمدا صلى الله
عليه وسلم لما استغرق فى هذا النور لم يلتفت الى الملكوت كما
قال ما زاغ البصر وما طغى وروى ان ابرهيم الخواص كان بالبادية
فظهر عليه شى من هذه الاحوال فاضطجع وجاءته السباع
واحاطوا به وما كان يبالى بها فخاف صاحبه الذى كان معه
فصعد بعض تلك الاشجار وبقى هناك خايفا ولما كان فى الليلة
الثانيه زال ذلك الوجد فوقعت بعوضة على يده فتالم واظهر
الجزع فقال صاحبه ما جزعت فى البارحة من حضور السباع
واظهرت الجزع فى الليلة من البعوضة فقال ابرهيم كان
فى البارحة نزل فى القلب سلطان فبقوة ذلك السلطان ما
كنت ابالى بجميع الملكوت واما الان فقد غاب ذلك السلطان
فظهر العجز كما ترى السبب الثانى فى كون هذه الكلمة عالية
استعلاها فى الدنيا على ساير الاديان كما قال تعالى ليظهره

على الدين كله الثالث فى استعلا ها كونها مستعلية على جميع
الذنوب وشى من الذنوب لا يزيل نور هذه الكلمة الاسم
الثانى عشر المثل الاعلى قال قتادة فى قوله تعالى ولله المثل
الاعلى قال معناه قول لا اله الا الله واعلم ان معنى المثل هاهنا
الصفة قال اهل اللغة ونظيره قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون
اى صفتها فصار المراد من قوله وكلمة الله هى العليا الاسم
الثالث عشر كلمة السواء قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم قال ابو العالية الرياحى هى كلمة لا اله الا الله والدليل
عليه انه تعالى قال بعده الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا الاية
ولا معنى لهذه الاية الا ما هو المراد من قولنا لا اله الا الله فثبت
ان المراد من كلمة السواء هى لا اله الا الله ومما يقرر ذلك ان جميع
العقول معترفة بصحة لا اله الا الله وجميع الالسنة ناطقة
بها وجميع الرقاب خاضعة لها قال الله تعالى ولين سالتهم من خلق
السموات والارض وايضا يحتمل انها سميت بكلمة السوا انها
تفيد الاستواء فى الدين والعقل والروح وتوجب الاستقامة
وترك الاعوجاج فى كل الامور الاسم الرابع عشر انها كلمة
النجاة والذى يدل عليه القران والحديث والمعقول اما القران فمن
وجهين الاول قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فهذه صريحة فى ان النجاة لا تحصل بدون الايمان
بلا اله الا الله وتحصل مع الايمان بلا اله الا الله والثانى قوله
تعالى ويا قوم مالى ادعوكم الى النجوة الى قول لا اله الا الله واما الخبر
فيدل عليه الاخبار التى ذكرناها فى الفصل الثانى ونزيدها هنا
اخبارا اخر احدها ما روى جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الموحدين فقال عليه السلام من لقى الله
لا يشرك به شيا دخل الجنة ومن لقى الله يشرك به شيا دخل
النار وثانيها عن ابى سعيد الخدرى قال قال عليه السلام لقنوا
موتاكم شهادة ان لا اله الا الله وثالثها راى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

طلحة

طلحة بن عبيد الله ثقيلا مغموما بعد موت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مالك فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا ما منعنى ان اسئله الا القدرة عليه حتى مات سمعته
يقول انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته الا اشرق لها لونه
ونفس الله بسببها كربته فقال عمر انى لاعلم ما هى قال وما هى قال
الكلمة التى امر بها عمه عند الموت وهى لا اله الا الله فقال طلحة
صدقت هى والله هى ورابعها روى ابو امامة قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر ينادى فى الناس من شهد ان لا اله الا الله
دخل الجنة • وخامسها قال معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة
اكشفوا عن سجف القبة حتى احدثكم حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يمنعنى ان احدثكموه الا ان تتكلوا وتتركوا
العمل سمعته يقول من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة
ولم تمسه النار • وسادسها عن عبيد الله بن ابى قتادة عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله يجرى بها لسانه ويطمين بها
قلبه حرمت عليه النار وسابعها روى ابو هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر ناد فى الناس من
شهد ان لا اله الا الله وجبت له الجنة قال ابو ذر وان زنا وان سرق
قال وان زنا وان سرق حتى قالها ثلاث مرات فقال فى الثالث وان
زنا وان سرق على رغم ابى ذر وثامنها روى معاذ بن جبل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من كان اخر كلامه لا اله الا الله وفاضت
نفسه بعده دخل الجنة الاسم الخامس عشر العهد قال
ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى يومئذ لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا العهد هو قول لا اله الا الله واقول
الذى يدل على صحة هذا القول وجوه الاول ان قوله الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا نكرة فى طرف الثبوت وذلك لا يفيد الا عهدا واحدا فهذه
الاية تدل على ان تلك الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد ثم اجمعنا

لابى الدردا
ابو الدردا
ابى الدردا

على ان ما سوى الايمان فان الواحد منه بل مجموعه لا يفيد تلك
الشفاعة البتة فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذى يفيد
تلك الشفاعة هو الايمان وقول لا اله الا الله والثانى ان جماعة
من المفسرين قالوا فى تفسير قوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم انه
انه هو عهد الايمان بدليل ان لفظ العهد مجمل فلما اعقبه بقوله وامنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم علمنا ان المراد من ذلك العهد هو الايمان
وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله. والثالث ان اول ما وقع من
العهد قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وذلك فى الحقيقة قول لا اله الا
الله فكان لفظ العهد محمولا عليه والرابع انه تعالى قال ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية الى قوله ومن اوفى بعهده
من الله فكان العهد من جانبك عهد الاقرار بالعبودية ومن جانب الحق
سبحانه وتعالى عهد الكرم والربوبية فثبت بهذه الوجوه ان المراد من
قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا هو عهد قول لا اله الا الله الخامس
قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا اى قلتم لا اله الا الله الاسم
السادس عشر كلمة الاستقامة قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا قال ابن مسعود والمراد من قوله استقاموا هو قول
لا اله الا الله وذلك لان قولهم ربنا الله اقرار بوجود الرب ثم ان المقرين
بذلك من اثبت له ندا وشريكا فالذين نفوا الشركاء والاضداد هم الذين
استقاموا على المنهج القويم والطريق المستقيم واعلم ان السلامة
فى القيمة بقدر الاستقامة فى نفى الشركاء فمن الناس من اثبت الشريك ظاهرا
وهو الشرك الظاهر فالاستقامة فى الدين لا تحصل الا بنفى الشركاء
كما قال تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون ومنهم من اقر بالوحدانية فى الظاهر
الا انه يقول قولا يهدم ذلك التوحيد مثل ان يضيف السعادة والنحوسة
الى الكواكب ويضيف الصحة والمرض الى الدواء والغذاء او يضيف الفعل
الى العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك يبطل الاستقامة فى معرفة
الحق سبحانه ومنهم من ترك كل ذلك ولكنه قد يطيع النفس والشهوة
فى بعض الافعال واليه الاشارة بقوله افرايت من اتخذ الهه هويه وهذا

النوع

النوع هو المسمى من الشرك بالشرك الخفى وهو المراد من قوله تعالى حكاية
عن ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين
لك وقول يوسف عليه السلام توفنى مسلما فان الانبياء عليهم
السلام مبرون عن الشرك الجلى اما الحالة المسماة بالشرك الخفى
وهو الالتفات الى غير الله فالبشر لا ينفك عنه فى جميع الاوقات
ولهذا السبب تضرع الانبياء والرسل عليهم السلام الى الله تعالى فى ان
يصرفه عنهم الاسم السابع عشر مقاليد السموات والارض
قال الله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس هو قول
لا اله الا الله واقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى
بين انه لو كان فى الوجود الهان لحصل الفساد فى العالم ولاختلت
المصالح قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت ان الشرك
سبب لفساد العالم وان التوحيد سبب لانتظام العالم فثبت ان
مقاليد السموات والارض هو قول لا اله الا الله. والثانى انا بينا ان
ان الشرك سبب لفساد العالم بدليل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا كان كذلك
كان التوحيد سببا لعمارة العالم. الثالث ان ابواب السماء لا تفتح عند
الدعاء الا بقول لا اله الا الله وابواب الجنان لا تفتح الا بهذا القول
وابواب النيران لا تغلق الا بهذا القول وابواب النيران لا تغلق
الا بهذا القول وباب القلب لا يفتح الا بهذه الكلمة وانواع الوساوس
لا تندفع الا بهذا القول فكانت هذه الكلمة اشرف مقاليد السموات
والارض واعز مفاتيح الارواح والنفوس والاجسام والعقول
الاسم الثامن عشر السديد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا فقيل فى تفسيره الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل
كالسميع بمعنى السامع وقد يكون بمعنى المفعول كالقتيل بمعنى المقتول
والجريح بمعنى المجروح واذا جعلته بمعنى الفاعل كان معناه انه يسد
على صاحبه ابواب جهنم واذا حملته على معنى المفعول كان معناه ان
يسد عن ان يضره شى من الذنب وايضا ان ذا القرنين بنى السد دفعا

لضر ياجوج وماجوج والله تعالى جعل الايمان سد الضرر
الشياطين من الجن والانس الاسم التاسع عشر البر قال الله
تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر والاشارة فى الاية انه من كان مشتغلا بجميع
الجوانب والجهات لم يكن صاحب البر وانما صاحب البر هو الذى
يتوجه الى الكعبة وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقوله
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب اشارة الى الكفر
والقول بالشركاء وقوله ولكن البر من امن بالله اشارة الى التوحيد
فصار معناه هو المفهوم من قولنا لا اله الا الله الاسم العشرون
الدين قال الله تعالى الا لله الدين الخالص واعلم ان الدين هو الانقياد
والخضوع قال عليه الصلاة والسلام فى دعواته من دانت له الرقاب
اى خضعت فقوله الا لله الدين الخالص اى له الخضوع والخشوع.
لا لغيره وانما يكون كذلك اذا كان واحدا فى الالهية اذ لو وجد الهان
لكان كما ان الخضوع حاصل لاحدهما كان ايضا حاصلا للثانى فحينئذ
لا يمكن حصر ثبوت الخضوع لله فقط والحصر دل على انه لا اله
سواه ولا معبود الا اياه الاسم الحادى والعشرون الصراط قال الله
تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقال الله تعالى حكاية عن رسوله
وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه وقال وانك لتهدى الى صراط
مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض واعلم
ان هذا الصراط المستقيم هو قول لا اله الا الله باعتبار ان حدوث
كل محدث وامكان كل ممكن يحوجه الى المؤثر الذى يوجده وينقله من
العدم الى الوجود واذا كان الموجد والمؤثر واحدا فمتى نسبت حدوث
المحدثات ووجود الممكنات الى قدرته كان ذلك صراطا مستقيما وطريقا
قويما ومتى نسبت حدوث محدث ووجود ممكن الى غير قدرته كان
ذلك طريقا معوجا وسبيلا منحرفا فثبت ان الصراط المستقيم
لا يحصل الا باسناد كل الحوادث والممكنات الى تخليق الله وتكوينه
واسناد الكل اليه فهو التوحيد فثبت ان الصراط المستقيم هو

قولنا

قولنا لا اله الا الله الاسم الثانى والعشرون كلمة الحق لقوله تعالى
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق
يعنى قول لا اله الا الله الاسم الثالث والعشرون العروة الوثقى
قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى يعنى بلا اله الا الله الاسم الرابع والعشرون
كلمة الصدق لقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به فهذا
جملة الكلام فى اسما لا اله الا الله اللهم بحق اسمائك الطاهرة
المطهرة المقدسة احفظ بحفظك معرفة هذه الكلمة فى قلوبنا
وذكرها على السنتنا الفصل الرابع فى الاسماء التى شبه الله تعالى
بها كلمة التوحيد فالاول ان الله تعالى شبه الايمان بالنار فقال
مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقال فى اية اخرى ومما توقدون
عليه فى النار وفيه اشارات ثلاث الاولى كما ان النار اذا عرضت
عليها الذهب المغشوش احرقت كلما فيه من الغش وبقى جوهر الذهب
سليما عن الاحتراق يوم الجمعة اذا عرض المذنب على نار جهنم
احترقت ذنوبه ومعاصيه وبقى ايمانه سليما عن الاحتراق الثانى
ان النار تحرق كل شى فكذا الايمان اذا قوى نوره احرق ما سوى الله
عن القلب قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون. النوع الثالث من الامور
التى شبه الله الايمان بها النور قال الله تعالى مثل نوره والسبب فى
انه تعالى اضاف المعرفة الى نفسه وجوه الاول انه تعالى اضاف المعرفة
الى نفسه قطعا للاطماع عنها وذلك انها جوهرة نفيسة وقيمتها
رفيعة وصاحبها غافل والشيطان محتال مكار وجل مقصوده
ان ياخذ المعرفة من العارف ويحول بينه وبينها والله تعالى برحمته
جعل المعرفة فى حمايته حتى ينقطع طمع ابليس عنها وتحققه انه تعالى
قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فاضاف العباد الى نفسه
انقطع طمع ابليس عنهم فقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين فهاهنا لما اضاف الايمان الى نفسه بقوله مثل
نوره فلا جرم كان طمع ابليس منقطعا عنه الثانى ان كل ما للعبد فهو لمحو

فكذلك يوم القيمه صح

فانه حصل بتخليقه وايجاده فاذا بلغ العبد فی درجات المكاشفات
الی ان يشاهد هذه الحالة فقد كملت حالته وعظمت درجته
فعند ذلك قيل كل ما له فهو لنا وما لنا فهو له والمعرفة التی
هی له فهی لنا فلا جرم اضافها الی نفسه فقال مثل نوره الثالث
ان تخصيص الشی باضافته الی الله تعالی سبب لتشريفه كما فی
قوله وطهر بيتی وكما فی قوله هذه ناقة الله وقوله وانه لما قام
عبد الله فكذا هاهنا اضافة المعرفة الی نفسه تدل علی انها اشرف
الخلع والتشريفات ثم ههنا سوالات السوال الاول ما الحكمة
فی ان الله تعالی شبه نور المعرفة بنور السراج فقال مثل نوره كمشكوة
فيها مصباح فالجواب من وجوه الاول ان البيت اذا كان فيها سراج
لم يتجاسر اللص علی دخوله مخافة ان يفتضح واهتدی صاحبه الی
طلب الامتعة وكذلك القلب اذا كان فيه سراج المعرفة اهتدی صاحبه
الی الشروع فی الطاعات الثانی اذا كان فی البيت سراج انتفع بضيائه
كل احد من غير ان ينقص من استضاءة صاحبه بنوره شی فكذا
كل قلب كان فيه سراج المعرفة انتفع بنوره غير صاحبه من غير
ان ينقص من نور صاحبه شی الثالث ان السراج اذا كان فی البيت
وكان موضوعا فی كوة مسدودة بزجاجة اضاء داخل البيت
وخارجه وكذلك سراج المعرفة يضیء فی القلب وخارج القلب
حتی يظهر نوره علی الاذنين والعينين واللسان فتظهر فنون الطاعات
فی هذه الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام
اللهم اجعل فی قلبی نورا وفی سمعی نورا وفی بصری نورا وفی عظمی نورا
وفی لحمی نورا الرابع ان البيت الذی فيه سراج كان صاحبه
مستانسا مسرورا فاذا اطفی صار مستوحشا فكذا القلب
ما دام فيه سراج المعرفة صار صاحبه مستانسا مسرورا
فان فارقه والعياذ بالله صار حزينا مغموما قال الله تعالی فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فی السماء الخامس ان جرم السراج

صغير وضوءه منتشر من كل جانب فكذلك ضوء المعرفة
ينتشر من القلب الی جميع الجوانب كما قال الله تعالی ولله
المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وخصوصا
من جانب العلوی قال الله تعالی اليه يصعد الكلم الطيب
السوال الثانی ما الفرق بين سراج الدنيا الذی هو الشمس
وبين سراج المعرفة الجواب الفرق من وجوه الاول ان الشمس
يحجبها غمامة والمعرفة لا تحجبها سبع سموات الثانی ان
الشمس تغيب بالليل والمعرفة لا تغيب لا ليلا ولا نهارا
بل هی وفی الليل اكد قال الله تعالی ان ناشئة الليل هی اشد
وطا واقوم قيلا وقال تعالی سبحان الذی اسری بعبده ليلا
وقال ليلة القدر خير من الف شهر الثالث ان الشمس تفنی
قال الله تعالی اذا الشمس كورت واما المعرفة فلا تفنی قال الله
تعالی كل شی هالك الا وجهه ای الا ما حصل برضاه الرابع
الشمس تنكسف والمعرفة لا تنكسف الخامس تسود الاشيا
والمعرفة تبيضها السادس الشمس تحرق والمعرفة تنجی من الحرق
السابع الشمس تارة تضر وتارة تنفع والمعرفة تنفع ولا تضر
الثامن الشمس منفعتها فی الدنيا والمعرفة منفعتها فی الدنيا
والاخرة التاسع الشمس فی السماء زينة لاهل الارض
والمعرفة فی الارض زينة لاهل السماء العاشر الشمس
فی الفوق وهی تضیء ما تحتها والمعرفة فی قلب المومن وهی فی
التحت وتضیء ما فوقها الحادی عشر بالشمس ينكشف وجود
الخلق وبالمعرفة ينكشف وجود الخالق والدليل عليه فی قول
امير المومنين علی حين قيل له هل رايت ربك قال لا اعبد ربا لم
اره الثانی عشر الشمس تقع علی الولی والعدو والمعرفة
ليست الا للولی الثالث عشر ولاية الشمس فی الدنيا دون الاخرة
واما المعرفة فانها فی الدنيا ذات بداية وفی الاخرة ذات ولاية
وايضا فان الكواكب مصباح الخلق والمعرفة مصباح الحق

وَايضا فان شعاع الكواكب الى الاسفل وشعاع المعرفة
يصعد الى العلو وايضا فان الكواكب تطلع من خزانة الفلك
والمعرفة تطلع من خزانة الملك وايضا فان الكواكب علامة
والمعرفة كرامة وايضا فان الكواكب موضع نظر المخلوقين
والمعرفة موضع نظر رب العالمين قال عليه الصلوة والسلام
ان الله لا ينظر الى صوركم ولا اقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم السوال الثالث ما الفرق بين السراج والمعرفة
الجواب من وجوه • الاول ان سراج الدنيا مشوب نوره بالظلمة
وهي الدخان الذي يعلوه وسراج المعرفة نوره صاف لا ظلمة
معه • الثاني ان سراج الدنيا يحرق نفسه لينتفع به غيره وسراج
المعرفة يحرق الذنب ويروح السر وينور الصدر • الثالث ان
سراج الدنيا يضمحل من نور الشمس واما سراج المعرفة فيضمحل
والتوحيد نور الشمس في نوره • الرابع ان سراج الدنيا لا وفا له
يحرق من اوقده ومن امده بالفتيله كما يحرق من لم يوقده ولم
يمده بشي وسراج المعرفة ذو وفاء لا يحرق صاحبه بل ينجيه
من الحرق فشتان ما بين السراجين • السوال الرابع ما الحكمة
في تشبيه المعرفة بالمصباح والجواب من وجوه الاول المصباح
تضره الرياح والمعرفة تضرها الوسواس والشبهات الثاني
ان المصباح لا يبقى بغير الدهن والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق
الثالث لابد للمصباح من حافظ يتعهده ولابد لمصباح المعرفة
من متعهد وهو فضل الله ورحمته • السوال الخامس ما الحكمة
في تشبيه القلب بالزجاجة وهلا شبه بالذهب والفضة
فانها اعز من الزجاجة والجواب من وجوه • الاول ان الذهب والفضة
وان كانا نفيسين رفيعين الا انهما كثيفان يوقعان الحجاب والزجاجة
وان كانت قليلة القيمة الا انها لطيفة صافية لا ترفع الحجاب
فانه يرى باطنها من ظاهرها وبالضد والله تعالى ذكر هذا المثل
لرفع الحجاب لا لوضعه • الثاني انه ليس لانية الزجاجة خطر انما الخطر

لما في الانية فكذا ليس لقلبك خطر انما الخطر للايمان الثالث
اذا انكسرت الزجاجة لم تصلح الا بادخال النار والاذابة
فكذا القلب اذا فسد لا يصلح الا بادخال النار والاذابة وان
منكم الا واردها • الرابع ان صاحب الذهب والفضة لا
يخاف كسرهما لعلمه ان قيمتهما لا تبطل بسبب الانكسار اما
صاحب القلب فانه يكون على حذر ووجل كصاحب الزجاجة
ولا يكون على امن وسكون كصاحب الذهب والفضة •
الخامس شبهه بالزجاجة لان النور من الزجاجة احسن واتم
ضياء منه في الذهب والفضة والزجاجة لقلة قيمتها
واستعدادها للانكسار والبطلان صار النور فيها احسن وهو احسن
اشارة الى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم • السوال السادس
ما الحكمة في تشبيه الزجاجة بالكوكب الدري الجواب من وجوه
الاول ان الكوكب الدري فيه لاهل الارض هداية كما قال تعالى
وعلامات وبالنجم هم يهتدون ولاهل السماء زينة قال تعالى
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وكذا قلب المومن سبب
لهداية صاحب القلب الى الخيرات وايضا نزهة لاهل السماء فانه
روي ان معرفة العارف تضي لاهل السماء كما تضي الكوكب الدري
لاهل الارض الثاني ان الكوكب لا قدرة للشياطين عليه بل الكواكب
تحرق الشياطين قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين فكذا
ها هنا قلب المؤمن لا سبيل للشياطين عليه بل نور قلبه وايمانه
يحرق الشياطين ولذا قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال
الذي يوسوس في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس وقال
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون اشارة الى احتراق وسواس الشياطين السوال السابع
ما الحكمة في انه شبه القلب بالكوكب لا بالشمس والقمر الجواب من
وجوه الاول ان الكوكب يستتر بالنهار ويظهر بالليل والعارف مستور
بالنهار ويظهر بالليل اذا اظلم بالخدمة والتضرع الثاني ان الكوكب زينة

السماء والقلب زينة العارف الثالث ان الكواكب مصابيح السما
ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح والقلب مصباح العارف قال
تعالى كمشكوة فيها مصباح • السوال الثامن هل في تشبيه الايمان
بالسراج بشارة لاهل الايمان الجواب نعم من وجوه الاول ان
الشمس سراج استوقده تعالى للفناء ثم لا يقدر احد على اطفايه والمعرفة
سراج استوقده للبقاء فكيف يقدر ابليس على اطفايه • الثاني استوقد الله
سراج الشمس في السماء فهي تزيل الظلمة عن بيتك مع غاية البعد فاذا
استوقد شمس المعرفة في قلبك الا تزيل ظلمة المعصية عنك مع شدة
القرب • الثالث من استوقد سراجا فعليه تعهده والله هو الموقد
لسراج المعرفة قال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان فلا جرم امداد
رحمته وعواطف تعهده حافظة له كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون • الرابع اللص اذا راى السراج في البيت مستوقدا لا
يقصد ذلك البيت بالسرقة والله تعالى اوقد سراج المعرفة في قلبك
فكيف يقدر لص الشيطان من القرب منك • الخامس المجوس اوقدوا
نارا لا يريدون اطفاءها والملك القدوس اوقد نار المعرفة والمحبة
في قلبك فكيف يرضى بابطالها واطفائها • السادس من اراد ان
يستوقد سراجا يحتاج الى سبعة اشيا زناد وحجر وحراق وكبريت
ومسرجة وفتيله ودهن فالعبد اذا طلب ان يوقد سراج المعرفة
فلا بد من زناد الجهد والذين جاهدوا فينا وحجر التضرع ادعوا ربكم
تضرعا وخفية واما الحراق فهو احراق النفس بمنعها من شهواتها
قال تعالى ونهى النفس عن الهوى والرابع كبريت الانابة وانيبوا الى
ربكم واسلموا له والخامس مسرجة الصبر واصبروا ان الله مع
الصابرين • والسادس فتيله الشكر واشكروا نعمة الله والسابع
دهن الرضى بقضاء الله قال الله تعالى فاصبر لحكم ربك وقال عليه
السلام الرضى بالقضاء باب الله الاعظم فهذه الحرفة متعلقة
بك في حفظ عهد العبودية فاذا وفيت بعهد العبودية فهو اولى ان يفي
بعهد الربوبية كما قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فبحفظ

هذه

هذه المعرفة في قلبك وهذا الذكر في لسانك ويجعلها نورا باقيا
معك في القبر والظلمات في القيمة **النوع الثالث** من الامور التي
شبه الله الايمان بها التراب قال الله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه ووجه المشابهة ان التراب ذو امانة فمن اودع فيه شيا سلم
اليه اضعافه قال الله تعالى في كل سنبلة ماية حبة وكذلك المؤمن اذا
عمل عملا سلم الله اليه اضعاف ذلك العمل يوم القيمة قال الله تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب الثاني في خاصية الارض انها
يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح فكذا ارض الايمان يطرح عليها
قبايح الكفر والذنوب ثم يخرج منها ثمرات المغفرة والرحمة والرضوان
فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات الثالث من خاصية الارض
انها كالام الحاضنة لك فهي كالمهد قال الله تعالى جعل لكم الارض مهادا
وكالخزانة لك خلق لكم ما في الارض جميعا وكالام المشفقة عليك
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فكذا الايمان
منه تحصل جميع منافعك في الدنيا والعقبى **النوع الرابع** من
الاشياء التي شبه الايمان بها والقران الماء قال الله تعالى انزل من السما
ماء فسالت اودية بقدرها الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل
اي الايمان والكفر فالزبد الكفر والايمان الماء في تقرير وجه المشابهة
وجوه الاول ان الماء يزيل النجاسة عن الثوب وانزلنا من السما ماء
طهورا وثيابك فطهر فكذلك الايمان يزيل نجاسة الكفر والمعصية
عن القلب قال عليه الصلوة والسلام الاسلام يجب ما قبله الثاني
ان الله تعالى سمى الماء المنزل من السماء رحمة فقال وهو الذي يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته وسمى القران رحمة فقال وهدى ورحمة
لقوم يومنون وجعل الايمان رحمة وسببا للرحمة فقال كتب في قلوبهم
الايمان وقال كتب ربكم على نفسه الرحمة فلا جرم شبه القران والايمان
بالما لهذا السبب الثالث ان الله تعالى سمى القران مباركا فلا جرم شبه
القران بالماء لكون كل واحد منهما مباركا الرابع ان الماء شفاء للنفوس
فالقران شفاء للقلوب قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء

ورحمة للمومنين هو شفاء لقلوبهم ورحمة لذنوبهم • الخامس
كما انه تعالى هو الذى تولى انزال الماء من السماء ولا يقدر عليه احد
سواه فكذلك هو الذى انزل القران ولا يقدر عليه احد غيره •
السادس كما ان الله تعالى اذا انزل المطر من السماء لم يقدر احد على
دفعه فكذلك لما انزل القران من السماء لم يقدر احد على دفعه وادخال
الباطل عليه وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه الاية • السابع ان المطر لا يقدر مخلوق على ان يحصى عدد
قطراته فكذلك القران لا يحيط احد بكمال اسراره ولطايف
حقايقه • الثامن كما ان المطر ينزل من السماء قطرة قطرة ثم يسيل
فى الارض نهرا نهرا وبحرا بحرا فكذلك القران ينزل من السماء اية اية
نجما نجما ثم صار المجموع انهارا وبحارا وفى الخبر ان القران بحر عميق
لا يدرك قعره • التاسع ان المطر لو نزل من السماء دفعة واحدة
لقلع الاشجار وخرب الديار وكان الفساد فيه اكثر من الصلاح
فكذلك القران لو نزل جملة واحدة لضلت فيه الافهام وتاهت فيه
الاوهام قال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله • العاشر كما ان الله تعالى يحيي الارض بعد
موتها بالمطر فكذلك يحيي القلوب الميتة بالقران قال الله تعالى
او من كان ميتا فاحييناه • الحادى عشر ان المطر واحد ثم انه يقع
على الارض ويخرج منه الورد والريحان وعلى ارض اخرى
فيخرج منه الشوك والسم فكذلك القران يقع على قلب المومن
فيخرج منه ورد العبودية وريحان الطاعة يقع فى قلب الكافر
فيخرج منه سم الكفر وشوك المعصية قال الله تعالى يضل
به كثيرا ويهدى به كثيرا • الثانى عشر ان الماء النازل من السماء
غنية عن جميع المياه فكذلك القران فيه غنية عن جميع الكتب
والعلوم • الثالث عشر ان الماء الكثير اذا انغمس فيه من لا يحسن
السباحة هلك فكذلك القران اذا تكلم فيه احد بغير العلم هلك
قال عليه الصلوة والسلام من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار

الرابع عشر كما ان الشرب فوق الكفاية يضر ولا ينفع فكذلك الكلام فى القران
فوق الفهم والفطنة يضر ولا ينفع قال عليه الصلاة والسلام
امرت ان اكلم الناس على قدر عقولهم الخامس عشر اذا انزل المطر زال
القحط وظهر النبات والغذا والفواكه وكذلك القران اذا انزل زال
الكفر وظهر الاسلام والغذاء للروح وهو بيان التوحيد والنبوة
والشرايع السادس عشر كما ان الماء يطفى النار كذلك الايمان والقران
يطفيان عن المومن الذى هو حامل القران والايمان نار جهنم النوع
الخامس من الاشياء التى تشبه الايمان بها الحبل قال الله
تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ووجه المشابهة من وجوه الاول ان
من اراد ان يصعد من السفل الى العلو وخاف من الانزلاق فاذا تمسك
بالحبل امن من ذلك الخوف فالعبد اذا اراد ان يصعد من سفل البشرية
الى عالم الجلال والكبرياء وخاف ان ينزلق قدم عقله فاذا تمسك
بالقران امن منه الثانى الاعمى اذا اراد الذهاب الى موضع فان كان
بين مكانه وبين ذلك الموضع حبل مسدود تمسك بذلك الحبل
وذهب امنا من غير خوف فكذلك العقول البشرية كالاعمى فى سلوك
سبل التوحيد والمعرفة فاذا تمسكوا بالقران امنوا من الخوف
الثالث ان من سقط فى البير فطريق تخليصه ان يرسل اليه حبل حتى
يتعلق به ويصعد وينجو من الهلاك والارواح البشرية وقعت
فى هاوية عالم الاجسام والملك الرحيم ارسل اليهم حبل القران
فمن تعلق به صعد ونجا ومن لم يتعلق به فبقى فى بير الظلمات وقع وكان
من الهالكين النوع السادس من الاشياء التى شبه الله الايمان
بها شجرة الزيتون قال الله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء
تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وذكروا فى وجه التشبيه امرين
الاول انه تعالى انما شبه الايمان بهذه الشجرة لان هذه الشجرة
فى اكثر الامر انما تنبت فى الامكنة المطهرة فكذلك المعرفة لا
تستقر فى كل قلب بل فى القلوب المطهرة الثانى ان شجرة الزيتون يتولد
من ثمرتها ذلك الدهن الذى هو فى غاية الصفا فكذلك قلب المومن

بقى فى بير الظلمات

يتولد منه الايمان والمعرفة وهما اصفى الانوار واشرفها واعلم ان الله
تعالى وعد المومنين بعشرة كرامات الاولى المغفرة قال الله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمعنى ان قبلوا الايمان
وتركوا الكفر • وثانيها الامن قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اوليك لهم الامن وهم مهتدون • وثالثها الهداية قال ان الذين امنوا وعملوا
الصلحات يهديهم ربهم بايمانهم • ورابعها الزيادة قال الله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة • وخامسها الفلاح قال الله تعالى اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وقال قد افلح المومنون • وسادسها
الثبات قال الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية • وسابعها
الشفاعة قال الله تعالى يوميذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضى له قولا يعنى قول لا اله الا الله • وثامنها اصلاح العمل قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم • وتاسعها
البشرى قال الله تعالى وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون • وعاشرها أبشارة
كلام الله ورويته قال الله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال وجوه
يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة اما الخاتمة ففى وجوه الاول قال
بعضهم عجبا لمن عرفك كيف يخلو قلبه عن ذكرك وكيف يكون همّ نفسه
وولده اكثر من همّ مناجاتك وكيف يفرح بغير احسانك وكيف
لم يطلب الغنى بالتعززبك وكيف لم يطلب الكفاية فى صدق التوكل
عليك وكيف لم يعد البلا فى طاعتك اعظم انواع السعادات
وكيف لم تشغله معرفتك عن معرفة غيرك وكيف لم تهن على قلبه
مصايب الدنيا وكيف لم يطلب راحته وروحه بتفويض اموره
اليك وكيف يطلب لذة العيش فى وقت المعرفة وكيف يستلذ
بما يشغله عنك وكيف يؤثر شهوة الدنيا مع سرعة فنائها على
محبتك وكيف يغفل عنك وهو يعلم انك لا تغفل عنه الثانى قال
بندار بن الحسن من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعنى الحرص فصار
رمادا ومن اقبل على الاخرة احرقته نيرانها يعنى الخوف فصار سبيكة
ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله احرقه نار التوحيد والمحبة فصار

جوهرة

جوهرة نفيسة لا قيمة لها • الثالث قيل لا يستكمل عبد حقيقة
الايمان حتى يكون خيره مامولا وشره مامونا وحتى يكون الضعة
احب اليه من الرفعة والفقر احب اليه من الغنى والذل احب اليه
من العز فيما سواه ويستكثر القليل من عمل غيره ويستقل الكثير من عمل
نفسه فلا يرى احدا الا ظن انه خير منه • الرابع قال لقمان لابنه
يا بنى للايمان سبع حقايق لكل حقيقة منها حقيقة فالحقايق
السبع اليقين والمخافة والمعرفة والهدى والعمل والتفكر
والورع فحقيقة اليقين الصبر وحقيقة الخوف الطاعة
وحقيقة المعرفة الايمان وحقيقة الهدى البصيرة وحقيقة
العمل النية وحقيقة التفكر الفطنة وحقيقة الورع العزلة •
الخامس قيل اركان الايمان اربعة توحيد بلا حد وذكر بلا
لبث وحال بلا نعت ووجد بلا وقت ومعنى قولنا حال بلا نعت
يصير بحيث لا يصف حالا من الاحوال الرفيعة الا ويكون
حاصلا له لانه لو لم يكن حاصلا لكان غايبا وقيل ذكر الغايب
غيبة • السادس قال على رضى الله عنه اربع خصال من كن فيه
فهو مومن من اذا قال صدق واذا وعد وفا واذا ايتمن ادى
واذا عاهد لم يغدر • السابع قال الجنيد رحمه الله المومن كالارض
يطيق حمل كل شى وكالقطر اذا سقط سقى كل شى والتحقيق فيه انه
فى جميع احواله ناظر الى الله تعالى ولا ينظر مع من يعامل ولكنه هو
ينظر لاجل من يعامل فلا جرم يستوى الكل عنده الثامن قال يحيى
ابن معاذ الايمان نقى فلا تدنسه باثامك والليل طويل فلا
تقصره بمنامك والايام قصيرة فلا تخلها عن صيامك
وقال ايضا اذا لم يكن الايمان هادما للسيات كما ان الكفر هادم
للحسنات فما فضل الايمان • التاسع قال سهل بن عبد الله للمومن
ستة اعدا نفس تنازعه ومنافق يبغضه وشيطان يغويه
ومومن يحسده وكافر يقاتله العاشر قال ابو بكر الوراق للمومن
اربع علامات كلامه ذكر وصمته فكر ونظره عبرة وعمله طاعه

الحادى عشر قال ابو بكر الواسطى فى معنى قول معاذ تعالوا نؤمن ساعة
اى حتى نخرج من الارادات والمنازعات لان كل ارادة ارادها الانسان
على خلاف ارادة الحق فهى منازعة مع الربوبية الثانى عشر قال
ابو زيد الهى انك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم امانة بغير علمهم
وارادتهم فان لم تعنهم فمن يعينهم الثالث عشر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المومن من يكون نفسه منه فى عناء والناس منه فى
راحة **الفصل الخامس** فى شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا اله
الا الله وهى من وجوه البحث الاول زعم جماعة من النحويين ان هذا
الكلام فيه حذف واضمار ثم ذكروا فيه وجهين احدهما التقدير
لا اله لنا الا الله والثانى لا اله فى الوجود الا الله واعلم ان هذا
الكلام غير سديد اما الاول فلانه لو كان التقدير لا اله لنا الا
الله لم يكن هذا الكلام مفيدا لتوحيد الحق اذ يحتمل ان يقال هب انه
لا اله لنا الا الله فلم قلتم انه لا اله لجميع المحدثات والممكنات
الا الله ولهذا السبب انه تعالى لما قال والهكم اله واحد قال بعده
لا اله الا هو الرحمن الرحيم لانه لما قال والهكم اله واحد بقى لسائل
ان يسئل ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم ان اله الكل واحد فلاجل
ازالة هذا السوال قال الله تعالى بعده لا اله الا هو ولو كان المراد
من قوله لا اله الا هو لا اله لنا الا هو كان هذا مكررا محضا والثانى
وهو قولهم التقدير لا اله فى الوجود الا الله فنقول واى حامل يحملكم
على التزام هذا الاضمار بل نقول حمل الكلام على ظاهره اولى من ذلك
الاضمار الذى ذكرتم وذلك انا لو التزمنا ذلك الاضمار كان معناه لا اله
فى الوجود الا هو فكان هذا نفيا لوجود الاله الثانى ولو اجرينا
الكلام على ظاهره كان هذا نفيا لماهية الاله الثانى ومعلوم
ان نفى الماهية اقوى فى اثبات التوحيد من نفى الوجود فثبت
ان اجراء هذا الكلام على ظاهره اولى فان قيل ان نفى الماهية غير
معقول فانك اذا قلت السواد ليس بسواد كنت قد حكمت
بان السواد انقلب الى نقيضه وصيرورة الشيء عين نقيضه

لو

غير

غير معقول اما اذا قلت السواد غير موجود كان هذا كلاما معقولا
فلهذا السبب اضمرنا فيه هذا الاضمار الجواب قولكم نفى الماهية
غير معقول قلنا هذا باطل فانك اذا قلت السواد ليس بموجود فقد
نفيت الوجود لكن الوجود من حيث هو هو وجود ماهية فاذا نفيت
الماهية المطلقة نفيت الماهية المسماة بالوجود واذا كان كذلك
صار نفى الماهية امرا معقولا واذا عقل ذلك فلم لا يجوز اجراء هذه
الكلمة على ظاهرها فاذا قلت انك اذا قلت السواد ليس بموجود فانك
ما نفيت الماهية وما نفيت الوجود ايضا وانما نفيت موصوفية
الماهية بالوجود فنقول موصوفية الماهية بالوجود هل هى امر مغاير
للماهية وللوجود ام لا فان كانت مغايرة لهما كان لذلك المغايرة ماهية
فكان قولنا السواد ليس بموجود نفيا لذلك الماهية المسماة بالموصوفية
وحينئذ يعود الكلام المذكور واما ان قلنا ان موصوفية الماهية
بالوجود ليست امرا مغايرا للماهية وللوجود امتنع توجيه النفى
اليهما واذا امتنع ذلك بقى النفى متوجها اما الى الماهية واما الى
الوجود وحينئذ يحصل غرضنا من ان الماهية يمكن نفيها وان
كان الامر كذلك صح قولنا لا اله الا الله حق وصدق من غير حاجة
الى الاضمار والبحث الثانى قال النحويون قولنا لا اله الا هو ارتفع
لانه بدل على موضع لا مع الاسم وبيانه انك اذا قلت ما جاءنى الا
زيد فزيد مرفوع بالبدلية لان البدل هو الاعراض عن الاول
والاخذ بالثانى فصار التقدير ما جاءنى الا زيد وهذا معقول لانه
يفيد نفى المجىء عن الكل الا عن زيد واما قوله جاءنى القوم الا زيدا
فها هنا البدلية غير ممكنة لانه يصير التقدير جاءنى الا زيدا وذلك
يقتضى انه جاءه كل احد الا زيدا وذلك محال فظهر الفرق والبحث
الثالث اتفق النحويون ان محل الا فى هذه الكلمة محل غير والتقدير
لا اله غير الله ويؤيده قول الشاعر
وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان
المعنى كل اخ غير الفرقدين فانه يفارقه اخوه قال الله تعالى لو كان

اخر

ومنه

فيهما الهة الا الله لفسدتا فان التقدير لوكان فيهما الهة غير الله
لفسدتا والذى يدل على صحة ما قلناه انا لو حملنا الا على الاستثنا
لم يكن لا اله الا الله توحيدا محضا لانه يصير تقديرا لكلام
لا الهة يستثنى عنهم الله فيكون هذا نفيا للالهة لا يستثنى
عنهم الله بل عند من يقول بدليل الخطاب يكون اثباتا لذلك وهو
كفر فثبت انه لو كانت كلمة الا محمولة على الاستثنا لم يكن قولنا
لا اله الا الله توحيدا محضا ولما اجمعت العقلا على انه يفيد
التوحيد المحض وجب حمل الا على معنى غير حتى يكون معنى الكلام
لا اله غير الله • البحث الرابع قال جماعة من الاصوليين الاستثنا
من النفى لا يكون اثباتا واحتجوا عليه بوجهين الاول ان الاستثنا
ماخوذ من قولك ثنيت الشئ عن جهته اذا صرفته عنها فاذا قلت
لا عالم فها هنا امران احدهما الحكم بهذا العدم والثانى نفس هذا
العدم ثم اذا قلت عقيبه الا زيدا فهذا الاستثناء يحتمل ان
يكون عايدا الى الحكم بالعدم فحينئذ لم يلزم تحقق الثبوت لان
سبب الاستثناء يزيل الحكم بالعدم وعند زوال الحكم بالعدم
يبقى المستثنى مسكوتا عنه غير محكوم عليه لا بالنفى ولا بالاثبات
وحينئذ لا يلزم الثبوت اما ان كان تاثير الاستثنا فى صرف
العدم ومنعه فحينئذ يلزم تحقق الثبوت لانه لما ارتفع
العدم وجب حصول الوجود ضرورة انه لا واسطة بين
النقيضين واذا ثبت هذا فنقول عود الاستثنا الى الحكم
بالعدم اولى من عوده الى نفس العدم ويدل عليه وجهان
الاول ان الالفاظ وضعت دالة على الاحكام الذهنية
لا على الموجودات الخارجية فانك اذا قلت العالم قديم فهذا
يدل على كون العالم قديما فى نفسه ولكنا اذا قلنا العالم حادث
لزم كون العالم قديما وحادثا وذلك محال بل هذا الكلام يدل
على حكمك بقدم العالم واذا كانت الالفاظ وضعت دالة
على الاحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية كان صرف

ذلك

ظ الخلاف

ذلك الاستثنا الى الحكم بالعدم اولى من صرفه الى نفس ذلك
العدم الوجه الثانى فى بيان عود الاستثناء الى الحكم بالعدم
اولى من عوده الى نفس ذلك العدم وذلك لان عدم الشئ فى نفسه
ووجوده لا يقبل تصرف هذا القايل بل القابل لتصرفه هو حكمه
بذلك الوجود والعدم واذا كان كذلك كان عود الاستثنا الى
الحكم اولى من عوده الى المحكوم به الحجة الثانية فى بيان ان الاستثنا
من النفى ليس باثبات هو انه جا فى الحديث والعرف صور كثيرة فى
الاستثنا من النفى مع انه لا يقتضى الثبوت قال عليه السلام
لا نكاح الا بولى ولا صلوة الا بطهور ويقال فى العرف لا عز الا
بالمال ولا مال الا بالرجال ومرادهم من الكل مجرد الاشتراط فهو
ما فى الباب ان يقال قد ورد هذا اللفظ فى صورة اخرى وكان المراد
ان يكون المستثنى من النفى اثباتا الا انا نقول انه لا بد وان يكون مجازا
فى احد الصورتين فنقول انه لا يقتضى ان يكون الخارج من النفى اثباتا
فحيث افاد ذلك احتمل ان يكون الزيادة مستفادة من دليل اخر
ولا يكون ذلك تركا لما دل اللفظ عليه وان قلنا انه يقتضى ان
يكون الخارج من اللفظ اثباتا فحيث لا يفيد ذلك لزمنا ترك
العمل بما يكون اللفظ دليلا عليه ومعلوم ان الاول اولى لان اثبات
الامر الزايد بدليل زايد ليس فيه مخالفة الدليل اما ترك ما دل
الدليل عليه يكون مخالفا للدليل فثبت بما ذكرنا ان الاستثنا
من النفى لا يكون اثباتا فاذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله تصريحا
بنفى سائر الالهة ولا يكون اعترافا بوجود الله واذا كان كذلك لم يكن
مجرد هذا القول كافيا فى صحة الايمان وها هنا اشكال اخر وهو
انا قد دللنا على ان كلمة الا بمعنى غير فى هذا الموضع واذا كان كذلك
كان قولنا لا اله الا الله معناه لا اله غير الله فيصير المعنى نفى اله
يغاير الله ولا يلزم من نفى ما يغاير الشئ اثبات هذا وحينئذ يعود
الاشكال والجواب من وجهين الاول ان اثبات الاله سبحانه متفقا
عليه بين كل العقلاء بدليل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات

٤١

والارض ليقولن الله فكان ذلك مفروغا عنه متفقا عليه
الا انهم كانوا يثبتون الشركاء والانداد فكان المقصود من هذه
الكلمة نفى الاضداد والانداد فاما القول باثبات الاله للعالم
فذلك من لوازم العقول الثانى ان سلمنا ان هذه الكلمة كما دلت على نفى
سائر الالهة دلت على اثبات الهية الله تعالى الا انا نقول هذه الدلالة
تكون حاصلة بموضوع الشرع لا بالمفهوم من اصل اللغة فهذا تمام
القول فى هذا المقام • البحث الخامس اعلم انه يجوز ان يقال لا رجل
فى الدار وان يقال لا رجل الا فى الدار اما على الوجه الاول فانه يوجب
نفى الرجال بالكلية والدليل عليه ان قولنا لا رجل يقتضى نفى
ماهية الرجل ونفى الماهية يقتضى انتفاء كل افراد الماهية
لانه لو ثبت فرد من افراد الماهية لثبتت الماهية ضرورة انه متى
ثبت فرد من افراد الماهية ثبتت الماهية لا محالة واما قولنا
لا رجل فى الدار فهو نقيض قولنا لا رجل فى الدار ولكن قولنا رجل ٢
الا فى الدار يفيد ثبوت رجل واحد فى الدار فقولنا لا رجل فى الدار
وجب ان يفيد عموم النفى حتى يتحقق التناقض بين القولين والحاصل
ان قولنا لا رجل فى الدار اقوى فى الدلالة على عموم النفى من قولنا
لا رجل الا فى الدار مع ان كل واحد منهما يفيد عموم النفى ولاجل كون
كل واحد منهما يفيد العموم قرئ لا ريب فيه بالقرائتين وكذا قوله
لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج فلاجل ان البناء على الفتح
اقوى فى الدلالة على العموم اتفقوا عليه فى قولنا لا اله الا الله
البحث السادس من الناس من يقول ان تصور الاثبات مقدم على
تصور النفى بدليل ان الواحد هنا يمكنه ان يتصور الاثبات وان لم
يخطر بباله معنى النفى والعدم ويمتنع عليه ان يتصور العدم والنفى
الا وقد يتصور ولا الاثبات وذلك لان العدم المطلق غير معقول
بل العدم لا يعقل الا اذا اضيف الى امر معين فيقال عدم الدار وعدم
الغلام فثبت ان تصور الاثبات اصل ومتقدم وتصور النفى متأخر
وفرع واذا ثبت هذا فما السبب فى ان جعل النفى الذى هو الفرع

متقدما

متقدما والاثبات الذى هو الاصل موخرا الجواب ان فى تقديم النفى
هاهنا على الاثبات اغراضا الاول ان نفى الربوبية عن غيره ثم اثباتها
له آكد فى الاثبات من اثباتها له من غير نفيها عن غيره كما ان قول القائل
ليس فى البلد عالم غير فلان اقوى فى باب المدح من قولنا فلان
عالم البلد الثانى ان لكل انسان قلبا واحدا والقلب الواحد لا
يتسع باشتغال شيئين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولا
باحد الشيئين يبقى محروما عن الشئ الثانى فقوله لا اله الا الله
اخراج لكل ما سوى الله عن القلب حتى اذا صار القلب خاليا عن
كل ما سوى الله ثم خطر فيه سلطان الله اشرق نوره اشراقا تاما
وكمل استيلاؤه عليه كما لا قويا الثالث ان النفى الحاصل بكلمة لا
يجرى مجرى الطهارة والاثبات الحاصل بالا يجرى مجرى الطهارة
والصلوة فكما ان الطهارة مقدمة على الصلوة فكذا وجب تقديم
لا اله على قولنا الا الله ويجرى مجرى تقديم الاستعاذة على القراءة
فكما ان الاستعاذة مقدمة على قراءة القران فكذا هذا وايضا من
اراد ان يحضر الملك فى بيته وجب عليه ان يقدم تطهير البيت
عن الاقذار فكذا هاهنا ومن هذا قال المحققون النصف الاول اشراق م
من هذه الكلمة تنظيف الاسرار والنصف الثانى تجلية الانوار
عن حضرة الملك الجبار والنصف الاول انفصال والثانى اتصال
والنصف الاول اشارة الى قوله ففروا الى الله والنصف الثانى
اشارة الى قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون البحث
السابع ان يقول لقائل ان من عرف للعالم صانعا قادرا عالما موصوفا
بجميع الصفات المعتبرة فى الالهية من الصفات السلبية والثبوتية
فقد عرف الله تعالى معرفة تامة ثم ان علمه بعدم الاله الثانى لا
يزيده علما بحقيقة ذات الاله وصفاته لان عدم الاله الثانى
ليس عبارة عن وجود الاله الاول ولا صفة من صفاته ثم انا
اجمعنا على ان علمه بذات الاله وصفاته لا يكفى فى تحقيق النجاة
بل ما لم يعلم عدم الاله الثانى لا يحصل العلم المعتبر فى النجاة فما

المتسبب في ان معرفة ذات الله وصفاته غير كافية في تحقيق النجاة
بل العلم بعدم الثاني معتبراً في تحقيق النجاة والجواب ان بتقدير ان يكون
للعالم الهان فالعبد لا يعلم انه عبد لهذا الاله او عبد لذلك الاله
او عبد لهما معا فحينئذ لا يكون جازما بكونه مشتغلا بشكر
مولاه وخالقه بل يجوز ان يكون عابدا لغير خالقه ومتى كان الامر
كذلك لم يكن جازما في تلك العبودية وتلك الطاعة اما اذا عرف
انه لا اله للعالم الا اله واحد فحينئذ يكون جازما بكونه مشتغلا
بعبودية مولاه وخالقه فلهذا السبب لم تحصل النجاة والفوز
بالدرجات الا بمعرفة التوحيد **البحث الثامن** ان المكلف
اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى ثم لما تمم مات
ولم يجد من الوقت ما امكنه ان يقول لا اله الا الله فهاهنا الاشك
انه يموت مومنا لانه ادى ما وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ
بهذه الكلمة اما اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة الله ووجد من
الوقت ما امكنه ان يقول فيه لا اله الا الله ثم انه لم يقل ثم مات
فهذا الشخص هل مات مومنا ام لا من الناس من قال انه مات كافرا
لان صحة الايمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة عند القدرة
عليها ومن الناس من قال انه مومن لاجل انه حصل له العرفان
التام وفاسق لانه كان مامورا بذكر هذه الكلمة وما ذكرها والدليل
على انه مومن قوله عليه الصلاة والسلام يخرج من النار من في
قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا الشخص مملوء قلبه من الايمان
فكيف لا يخرج من النار **البحث التاسع** من الناس من قال تطويل
المدة في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن
لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد
والانداد وينفيها ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقوله الا الله
فيكون ذلك اقرب الى الاخلاص والكمال ومنهم من قال بل ترك
التمديد اولى لانه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال الى
كلمة الا الله والذي عندي ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ

بها

بها لينتقل بها من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل
الانتقال من الكفر الى الايمان على اسرع الوجوه وان كان المتلفظ
بها مومنا وانما يذكرها لتجديد هذه الكلمة فالتمديد اولى حتى
يحصل في زمان التمديد صور الاضداد والانداد على التفصيل
في الخاطر وينفيها ثم يعقبها بقوله الا الله فيكون الاقرار
بالالهية اصفى واكمل **البحث العاشر** اعلم ان الناس في قول
هذه الكلمة على مذاهب وطبقات وادناها طبقة من قالها
ليحقن دمه ويحرز ماله على ما اقتضاه موجب قوله عليه
الصلوة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وهذه درجة يستوي فيها المخلصون والمنافقون فكل من
تعلق بهذه الكلمة نال من بركتها واحرز حظا من فوائدها وان
طلب بها الدنيا نال الامن فيها والسلامة من افاتها وان قصد
بها الاخرة جمع بين الحظين واحرز بها السعادة في الدارين
والطبقة الثانية الذين ضموا الى القول باللسان الاعتقاد بالقلب
على سبيل التقليد واعلم ان الاعتقاد التقليدي لا يكون علما لان
العقد ضد الانحلال والانشراح والعالم عبارة عن منشرح
الصدر قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فثبت
ان صاحب التقليد لا يكون عالما ولا عارفا وهل يكون مسلما
فيه الخلاف المشهور بين الايمة والله اعلم **والطبقة الثالثة**
الذين ضموا الى الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الاقناعية
المقوية لذلك الاعتقاد الا ان تلك الدلائل لا تكون برهانية
يقينية بل اقناعية ظنية **والطبقة الرابعة** الذين اثبتوا
تلك العقايد بالدلايل القطعية والبراهين اليقينية الا
انهم لا يكونون من ارباب المشاهدات والمكاشفات ولا من
اصحاب التجلي وارباب مطالعة الانوار الالهية ثم اعلم ان الاقرار
باللسان له درجة واحدة واما الاعتقاد بالقلب فله درجات

مختلفه بحسب قوة الاعتقاد وضعفه وعدمه وعدم دوام
وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها فان المقلد ربما كان مقلداً في
في مجرد ان الله تعالى احد وربما زاد عليه فكان مقلدا في ذلك و
ان صانع العالم عالم وقادر واعلم انه كلما كان وقوف الانسان
على هذه المطالب اكثر كان تشويش امر التقليد عليه اكثر وذلك
لان الطالب اذا حصل له شعور بهذه المطالب وحصل له وقوف
على هذه المباحث مال الى العلم وكره التقليد فيعسر عليه التقليد
واما المرتبة الثالثة وهي تقوية الاعتقاد بالدلائل الاقناعية
فمراتب الخلق فيها متفاوتة وغير مضبوطة واما المرتبة الرابعة
وهي الترقي من الدلايل الاقناعية الى البرهانية القطعية
فالاشخاص الذين يكونون واصلين هذه الدرجة يكونون في
غاية القلة ونهاية الندرة لان ذلك يتوقف على معرفة شرايط
البراهين واستعمالها في المطالب وذلك في غاية العزة. واما
الخامسة وهم اصحاب المشاهدات والمكاشفات فنسبتهم
في القلة الى اصحاب البراهين القطعية كنسبة اصحاب البراهين
القطعية الى عوام الخلق اعلم ان علوم المكاشفات لانهاية لها لانها
عبارة عن سفر العقل في مقامات جلال الله ومدارج عظمته
ومنازل كبريائه وقدسه واذا كان لانهاية لهذه المقامات
فكذلك لانهاية للسفر في تلك المقامات واعلم ان الانسان
اذا انكشف له اسرار لا اله الا الله اقبل على الله واخلص
في عبادته ولم يلتفت الى احد سواه فلا يرجو غيره ولا يخاف
سواه ولا يرى الضر والنفع الا منه فانقطع عن من دونه وتبرا
من شرك الباطن كما قد تبرا من شرك الظاهر وذلك كله موجب
كلمة التوحيد ولهذا السبب لما قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك والمعنى والله اعلم
ان الامر بالاستغفار في تقصير وقع في موجب كلمة لا اله الا
الله اما لغفلة تحول دونه او لعارض شغل يعوقه عنه وهو معنى

قوله

قوله عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة وقد روى ماية مرة وفي الحديث وجوه
الاول ان المراد بالغين ما يغشى قلبه من غفلة او يعترضه
من فترة بحكم الطبع البشري فعند ذلك يفزع الى الاستغفار
والثاني انه عليه السلام ابتدا في الترقي واذا انتقل الى الدرجة
المتصل عنها وكان يستخرجها في العبودية فكان يستغفر الله
منها الثالث انه ربما لاح له شي من تجلي عالم الغيب فيستعظم
تلك الدرجة ويستبهج بها ثم يصير استعظامه لها
واستبهاجه بها شاغلا عن الاستغراق في المتبهج به فكان
يستغفر الله عن ذلك. الرابع انما لاح بقدر قوته وطاقته
وكان يعلم ان قدر عقله وطاقته بالنسبة الى جلال الله تعالى
وعلو كبريايه كالعدم فحينيذ يعلم ان الذات لاح له من كمال عالم
الغيب بالنسبة الى ما لم يلح كالعدم بالنسبة الى الوجود
فكان يستغفر الله من ان يقنع بما يصل اليه قلبه وعقله
وفكره وذكره وخاطره الفصل السادس في فضل المومنين
اعلم ان الله تعالى سمى المومنين ثالث نفسه في عشر مواضع
في المراقبة والولاية والموالاة والصلوة والعزة والطاعة
والمشاقة والاذى والالتجا والشهادة المقام الاول
في المراقبة ويدل عليه قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمومنون هددا المذنبين برويتهم كما هددهم برويه
نفسه وفيه لطائف الاولى روى ان عمر رضي الله عنه خرج
ليلة فسمع امراة تقول لابنتها يا بنتاه قومي وامزجي الماء باللبن
فقالت ابنتها او ليس قد نهانا عن ذلك امير المومنين قالت لا يرانا
امير المومنين فقالت بلى ولكن يرانا رب العالمين فلما سمع عمر
رضي الله عنه خطبها في الغد لابنه وكان عمر بن عبد العزيز من
خير حفدتها الثانية كانت امراة شاعرة بمكة قالت لا ابرح
حتى افتن طاوس اليماني وكان رجلا جميلا فعرضت نفسها عليه

انه كلما لاح له شي من عالم الغيب كان يعلم ان الذي لاح له صح

اشيا

لعله فقال طاوس اضطجعي ههنا

مرارا حتى ظننت انها تعجبه فقال لها طاوس احضري الليلة
فجائتها الى المقام فقال اضطجعي طاوس اضطجعوا ههنا فقالت
سبحان الله الا يرينا الناس فقال طاوس اوليس قد يرانا الله
في كل موضع فتابت الثالثة قال ابو عبد الرحمن العتبي خرجت
ليلة فاذا انا بجارية جميلة فاردتها فقالت ويلك اما لك
زاجر من عقل ان لم يكن لك ناه من الدين فقلت انه لا يرانا الا
الكوكب قالت فاين مكوكبها • الرابعة قال حاتم الاصم راع
نفسك في ثلاثة اوقات اذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله
اليك واذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله اليك واذا كنت
ساكتا فاذكر علم الله فيك لانه تعالى قال انني معكما اسمع وارى •
الخامسة ثلاثة نفر حضروا عند بعض الزهاد وقالوا اوصنا
فقال للواحد الست تقول انه عالم قال بلى قال اياك ان يعلم منك
شيا يفضحك به غدا وقال للثاني اليس هو بصيرا قال بلى قال
اياك وان يراك على عمل تستحي منه يوم القيمة وقال للثالث
اليس هو سميع فقال بلى قال احذر ان يسمع منك شيا يرد ذلك عن
باب رحمته بسببه • السادسة قال سفيان من وجد في نفسه
ثلاثة اشيا فليحكم عليه بالسعادة الهيبة للعزيز الجبار
والحرمة للنبي المختار والحياء من الابرار والاخيار • المقام
الثاني الولاية وانه تعالى جعل المومنين ثالث نفسه فقال انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا قيل نزلت في عبد الله بن سلام
حين شكى من عداوة اليهود له بعد اسلامه فنزلت وقال محمد
ابن اسحق نزلت في عبادة بن الصامت قال يا رسول الله تبرأت
من حلف اليهود وتوليت الله ورسوله والمومنين عامة وفيه
نكت • الاولى ان يوسف عليه السلام قال انت ولي في الدنيا
والاخرة فوجد الملك والعز بسبب ذلك القول الذي هو قايله
قال الله تعالى قل للمومنين انما وليكم الله ورسوله فاولى ان يرجو
المومنين ملك الجنة والمغفرة • الثانية قوله انما وليكم الله

يعني حافظكم وناصركم ورسوله والمومنون ثم قال عليه
الصلاة والسلام المرء مع من احب ثم ان كل مسلم يحب الله
تعالى فوجب بحكم ذلك الخبر ان يكون المسلم ابدا مع حفظ الله
تعالى فاذا حفظ الله تعالى لا يفارقني بسبب اني احب الله فكيف
يفارقني حفظ الله تعالى مع ان الله وليي وحافظي وناصري الثالثة
هذه الاية دلت على ان الصحابة يحبوننا لان الله تعالى جعل المومنين
اوليانا وهو قوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ثم اكد بقوله
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ثم امرنا ان نحب
الصحابة بدليل قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وقوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فثبت بمجموع هاتين
الايتين المحبة بيننا وبين الصحابة والحبيب لا يرضى بعذاب
الحبيب فدل ذلك على ان جمهور الصحابة والتابعين وسلف المومنين
كلهم يكونون شفعاء ذنوب المومنين المقام الثالث الموالاة
قوله تعالى فان الله هو موليه وجبريل وصالح المومنين ثم اسقط
شركة جبريل والمومنين فقال واعتصموا بالله هو موليكم فنعم
المولى ونعم النصير ثم قال في حق الكافرين النار هي موليكم ثم قال
فلبيس المولى ولبيس العشير فمن كان الله موليه فلا بد لو لا
يخزى ومن كان المومن مولاه فلا يضيع ولا يشقى وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يوم احد للكفار حيث قالوا لنا عزى وليس لكم عزى
وقال عمر رضي الله عنه لنا مولى وليس لكم مولى فنزل على وفق قوله
ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم الثانية
ان الله تعالى سمى النار مولى للكافرين فقال ماويكم النار هي موليكم
وانما سمى النار موليهم لانها لا تتركهم فلما سمى نفسه مولى المومنين
فنرجوا ان لا يترك اعانتهم الثالثة قال بعضهم من كان ربه موليه لا
يغلب ومن كان ربه ناصره لا يغلب ومن كان ربه هاديه لا يضل
ومن كان ربه معينه لا يشقى ومن كان ربه موليه لا يضيع ولا
يحتاج الى احد المقام الرابع الصلوة قال الله تعالى ان الله

وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما فجعل المومنين ثالثه فى الصلوة على الرسول
عليه الصلوة والسلام وهاهنا نكت الاولى فى الخبر
انه لما نزلت هذه الاية قال عليه الصلوة والسلام هنيوُنى
هنيوُنى فقلنا هنيا لك يارسول الله فما حظنا فنزل قوله
تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته والاشارة انه صلى على
الرسول عليه الصلوة والسلام فى الدنيا فما ترك المومنين المذنبين
حتى صلى ايضا عليهم فيوم القيمة كيف يترك المومنين محرومين
عن المغفرة والرحمة الثانية الصلوة من الله على ثلاثة اوجه عام
وخاص وخاص الخاص فالعام قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم
وملائكته والخاص قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وخاص الخاص قوله ان الله وملائكته يصلون على
النبى الثالثة فى الحديث ان لله تعالى ملائكة بايديهم قراطيس
من فضة واقلام من ذهب لا يكتبون شيا الا الصلاة على
وعلى اهل بيتى والسبب فى هذه الصلوة ان روح الانسان
لضعفه لا تستعد لقبول انوار الالهية فاذا استحكمت العلاقة
بين روحه وارواح الانبيا عليهم السلام فالانوار الفائضة من
عالم الغيب على ارواح الانبيا عليهم السلام تنعكس الى ارواح
هولاء المصلين بسبب الانعكاس مثال الشمس والطست
المملؤ من الماء والسقف معلوم الرابعة جعل الله تعالى اهل
بيته مساوين له فى خمسة اشيا الاول فى الجنة قال الله تعالى
فاتبعونى يحببكم الله وقال لاهل بيته قل لا اسئلكم عليه اجرا
الا المودة فى القربى والثانى فى تحريم الصدقة قال عليه الصلاة
والسلام حرمت الصدقة على وعلى اهل بيتى والثالث فى الطهارة
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن
يخشى وقال لاهل بيته ويطهركم تطهيرا والرابع فى السلام
قال الله تعالى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وقال فى اهل بيته

سلام

سلام على الياسين والخامس فى الصلوة على الرسول وعلى
اله كما فى اخر التشهد **المقام الخامس** العزة قال الله
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وهنا نكت الاولى ان عزة
الله عزة الربوبية وعزة الرسول عزة النبوة وعزة المومنين
عزة التلفظ بكلمة لا اله الا الله ثم كما ان عز الله وعز الرسول
لا يقبلان الذل فكذا عز المومنين لا يقبل الذل الثانية لله
عز الانشا والتكوين قال الله تعالى كن فيكون وللرسول عز الدعا حين وللرسول
اشار الى القمر فانشق ببركة دعائه وللمومنين عز الايمان والتشهد
ثم ان الاشيا تكونت عند قوله كن فيكون والقمر انشق عند
دعاء الرسول فنرجوا ان يحصل الغفران والرحمة للمومنين عند
كلمة الشهادة الثالثة عز المومنين فى ان قيده المعرفة وصيد
الجنة ووعده الروية فاذا كان للعبد المومن رب كاف وكتاب
شاف ورسول واف اسمه اسم عبد الله ولسانه شاهد الله
ونفسه طالبة لمرضات الله وقلبه محل نظر الله وسراجه
معرفة الله وشهادته محبة الله وروحه نور الله وبصيرته
مشتاقة الى روية الله فحقيق به ان يكون عزه متصلا بعز الله
الرابعة لله العزة سوا اوجد او اعدم وللرسول العز سواء بلغ
او سكت فكذلك المومن له العزة سوا اطاع او عصى الخامسة
لله العزة بالولاية لقوله ان وليى الله الذى نزل الكتاب وللرسول
ايضا بالولاية لقوله النبى اولى بالمومنين من انفسهم وللمومنين
ايضا العزة بالولاية لقوله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض السادسة لله العزة بالعلو والعظمة لقوله وهو
العلى العظيم وللرسول بالرفعة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
وللمومنين بالقبول والرحمة لقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا
السابعة لله عز المعبودية لقوله وانا ربكم فاعبدون وللرسول
عز المتبوعية لقوله فاتبعونى يحببكم الله وللمومنين عز العبودية
لقوله يا عبادى الذين اسرفوا الثامنة لله عزة الاستغناء لقوله صح

والله الغني وانتم الفقراء وللرسول عز الاغنياء ووجدك عائلا
فاغنى وللمومنين عز الاغناء وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
التاسعة قال علي رضي الله عنه من اراد عزة بغير ذل وهيبة
بغير سلطان وغنى بلا مال وحسبا بلا نسب فليخرج نفسه
من ذل المعصية الى عز الطاعة العاشرة قال هرون الرشيد
لمنصور بن عمار من اعقل الناس واجهلهم واغناهم واعزهم فقال
اعقلهم محسن خائف واجهلهم مسيء مطمئن واغناهم
القانع واعزهم الاتقياء المقام السادس الطاعة قال الله
تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفيه
نكت الاول روي في الخبر اني ملك لا ازول فاطعني حتى اجعلك
ملكا لا تزول واني حي لا اموت فاطعني حتى اجعلك حيا لا تموت
واني اذا اردت شيا قلت له كن فيكون فاطعني حتى انزلك
دارا اذا قلت لشي كن فانه يكون • الثانية في الخبر ما راه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون قبيحا فهو عند الله
قبيح وقال عليه السلام لا تجتمع امتي على الضلالة • وقال
عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من
بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال اقتدوا بالذين من بعدي
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكل ذلك يدل على انه كما يجب طاعة الله
وطاعة الرسول كذلك يجب طاعة اولي الامر من المومنين •
الثالثة قيل بقاء الدنيا بسيوف الامراء والسنة العلماء فعليك
بطاعتهما الا في معصية الله تعالى المقام السابع المشاقة
قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المومنين وفيه نكت الاولى لله ثلاث ابحر عظيمة
مهلك العبد فيها ان لم يكن معتصما متمسكا بها فجعل التوحيد
سببا للنجاة من الكفر قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
وجعل القران سببا للنجاة من البدعة لقوله تعالى واعتصموا
بحبل الله جميعا وجعل الاجماع سببا للنجاة عن الفتن لقوله ويتبع

غير

غير سبيل المومنين ثم قال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
الثالثة قال عليه الصلوة والسلام سبع من الهدى وفيهن
الجماعة ومن خرج منهن فقد خرج من الجماعة لا تشهدوا على
اهل قبلتكم بكفر ولا بشرك واتركوا سرايرهم الى الله وصلوا
على من مات منهم من اهل القبلة وصلوا الصلوات الخمس
في الجماعة خلف كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل خليفة ولا تخرجوا
على ايمتكم بالسيف وادعوا لهم بالصلاح ولا تدعوا عليهم
وجانبوا الاهواء كلها فان اولها واخرها باطل الثالثة سئل
عن القلب السليم فقال هو الذي دينه بلا شك ومذهبه بلا
هواء وعمله بلا ريا وبدنه بلا خصم المقام الثامن في الاذى
يدل عليه قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الى قوله
والذين يوذون المومنين والمومنات اعلم ان الله تعالى نهى عن اذى
المومن كما نهى عن اذاء نفسه واذاء رسوله ثم اكد ذلك بقوله
وقولوا للناس حسنا وقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وقال عليه الصلاة والسلام المومنون قوم بررة وهم المتحابون
المتباذلون والمنافقون قوم فجرة وهم المتقاطعون المتدابرون
وقال عليه الصلوة والسلام لعايشة رضي الله عنها ان الله
يبغض الفاحش والمتفحش وفيه نكت الاولى في الملايكة
قال الله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ولم يقل يلعنونهم
ويوذونهم الثانية قال عليه الصلوة والسلام ان الله رفيق
يحب الرفق الثالثة عاتب الله نوحا حين دعا على قومه بالهلاك
قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ولم يقل
اعداء وقال عليه السلام من اذى مومنا بغير حق فكانما هدم
مكة والبيت المعمور عشر مرات وكانما قتل الف ملك من
المقربين وقال عمر رضي الله عنه اذا لعن العبد دابة تقول الدابة
لعن الله اعصانا لربه الرابعة قال الله تعالى لرسوله فبما رحمة
من الله لنت لهم الى قوله فاعف عنهم واستغفر لهم وقال تعالى

خذ العفو وامر بالعرف ونهى عن الهمز واللمز فقال ويل لكل همزة
لمزة وقال فلا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقال تعالى
لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وقال تعالى هل لك الى ان تزكى
المقام التاسع في الالتجاء قال الله تعالى ولم يتخذوا من دون
الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة فمدح المومنين على الجهاد
وعلى التولى في ذلك بالمومنين لان المنافقين كانوا يتولون
اليهود ويتخذونهم وليجة وبطانة فعليك ان تتولى الله ورسوله
وتتخذ المومنين وليجة وبطانة وفيه نكت الاولى انه تعالى
مدح ابرهيم عليه السلام حيث تبرا من ابيه وشكى عن حاطب
ابن ابي بلتعة حيث كاتب الكفار فقال لا تتخذوا عدوى وعدوكم اوليا
وقال لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
وقال ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
فسمى من يتول الله ورسوله حزب الله ثم قال الا ان اوليا الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الثانية قال الواسطى علامة الولى اربعة
لا يشكوا من المصايب ولا يتخذ عمله ريا ويحتمل اذى خلقه ولا
يكافيهم ويدارى عباده على تفاوت اخلاقهم وقال الشبلى احوال
الاوليا ثلاثة ترك الاختيار وترك الشكوى عند الاضرار والافتقار
الى الملك الجبار المقام العاشر في الشهادة على التوحيد قال الله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملكية واولوا العلم وفى الاية سوالات
السوال الاول هو ان الله شهد لنفسه بالوحدانية ومن شهد لنفسه
في شهادة فان تلك الشهادة لا تقبل الجواب من وجوه الاول ان هذه
في الظاهر شهادة وفى المعنى اقرار واقرار المقر على نفسه مقبول وانما
قلنا ان هذا اقرار وذلك لانه لما ادعى الوحدانية في الالهية فقد اقر
بان الخلق كلهم عبيده ورزق العبيد على المولى لازم فكانه تعالى اقر
على نفسه للخلق كلهم بالرزق والتربية والحفظ والنصرة
الا ترى انه قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الثاني ان
الشهادة عبارة عن قول يدل على شي دلالة ظاهرة ثم ان ذلك

القول لا يراد لكونه قولا بل لكونه دالا على ذلك المطلوب
فلا جرم كل فعل قام مقام القول في ذلك التعريف كان شهادة
ثم ان القول الدال لو كانت دلالته قطعية غير محتملة كان اولى
بان يكون شهادة وان ثبت ذلك فجميع مخلوقات الله تعالى
دالة على وحدانيته والهيته دلالة يقينية قطعية فكانت
اولى بان تكون شهادة فاذن شهادة الله على التوحيد لاجل انه
خلق الدلايل الدالة على الوحدانية قطعا واما شهادة الملايكة
واولوا العلم فمعناها شهادة الاقرار والاعتراف فكانت
شهادة الله على ذلك اقوى واتم الثالث وهو ان كل مسلة
لا يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم بصحتها فانه يمكن
اثباتها بالدلايل السمعية ومسلة الوحدانية كذلك فلا جرم
ذكر العلما انه يمكن اثبات ان لا اله واحد بالدلايل السمعية ومسلة
الوحدانية كذلك واذا كان الامر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة
ان يستدل بها على وحدانية الله تعالى السوال الثاني انه
تعالى نهى العباد ان يمدحوا انفسهم لقوله فلا تزكوا انفسكم ثم انه
مدح نفسه واثنى على نفسه فما السبب الجواب من وجوه الاول
انه اذا حصل للواحد منا نوع فضيلة فذلك من فضل الله
وكرمه والمستحق للثناء هو الله حيث اعطى تلك الفضيلة
فلا جرم قبيح من الواحد منا ان يثنى على نفسه اما الحق سبحانه وتعالى
فانه قد حصلت له صفات الكمال ونعوت الجلال على وجه يمتنع
زواله وتغييره فظهر الفرق الوجه الثاني في الفرق ان ما فينا
من الخصال الممدوحة لا ينفك عن اضدادها فان علمنا مشوب
بالجهل وقدرتنا مشوبة بالضعف وملكنا بعرض الهلاك وبقانا
بعرض الفنا وحياتنا بعرض الموت واما صفات الله تعالى فانها
خالية عن اضدادها فانه عالم بلا جهل وقادر بلا عجز وملكه
بلا زوال وبقاؤه بلا فناء وحياته بلا موت وعز بلا ذل فظهر
الفرق الوجه الثالث ان الله تعالى انما نهى عبده عن تزكية نفسه لان

العبد يقدم الدعوى على اظهار المعنى فاما الحق سبحانه فانه كان قد اظهر المعنى قبل الدعوى لانه خلقك واعطاك الحيوة والعقل وانواع المنافع فاظهار الدعوى بعد اقامة البرهان على المعنى يكون مستحبا بخلاف حال العبد فان اكثر احواله يكون اظهار الدعوى متقدما على اظهار المعنى والله اعلم • الوجه الرابع ان من اوله نطفة قذرة واخره جيفة قذرة وفيما بينهما حمال عذرة لا يليق به ان يمدح نفسه انما يحق مدح النفس لمن هو الاول والاخر والظاهر والباطن • الوجه الخامس ان حب الانسان لنفسه غالب فاذا شرع فى مدح النفس استولى حب ذلك عليه ثم ان ذلك يعميه ويصمه عن التنبيه لما فيه من المعايب فيصير ذلك سببا لبقائه فى ظلمات الحماقات والجهالات بخلاف الحق سبحانه وتعالى فانه منزه عن النقائص والافات فلا يصير مدحه لنفسه سببا لشى من المعايب والنقايص **السوال الثالث** لما شهد لنفسه بالوحدانية فاى حاجة مع حصول شهادته الى شهادة الملائكة واولوا العلم الجواب من وجهين • الاول روى انه عليه الصلوة والسلام كان يمشى خلف جنازة فقال واحد هذا الميت كان رجلا صالحا فقال عليه الصلوة والسلام واحد وقال الثانى والثالث كذلك فقال عليه الصلوة والسلام اثنان ثلاثة فلما قال الرابع مثل ذلك قال عليه الصلوة والسلام وجبت فقيل يا رسول الله وما الذى وجبت قال وجبت مغفرته فى كرم الله تعالى وذلك لان المومنين شهود الله على وحدانيته فلو لم تقبل شهادتهم ها هنا لصارت شهادتهم فى الوحدانية غير مقبولة وهو حكيم لا يغفل هذا اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما جعل المومنين شهود الوحدانية فلو اظهر ذنبهم ومعصيتهم يوم القيمة صارت شهادتهم مردودة وذلك لا يليق بحكمة الحكيم فلما جعلهم فى هذه الاية شهودا على وحدانيته دل ذلك على انه لا يظهر ذنبهم وقبيح فعلهم يوم القيمة اللهم حقق رجاءنا بكرمك وفضلك

الثانى ليس المقصود من ذكر شهادة الملائكة والمومنين توقيف هذا المطلوب على شهادتهم بل المقصود فيه شهادة الله لهم بانهم يوافقون الله فى كل ما وصل اليهم من نهيه وامره وخبره والمقصود اظهار شرفهم فى كونهم موافقين لله فى هذه الشهادة لا توقيف المطلوب على شهادتهم **السوال الرابع** ما الحكمة فى تكرير لا اله الا هو فى قوله سبحانه شهد الله انه لا اله الا هو الجواب من وجوه الاول ان المقصود من التكرار التنبيه على ان الانسان يجب ان يكون مواظبا على ذكر هذه الكلمة فى اكثر اوقات عمره • الثانى لما جعلت هذه الكلمة اول هذه الاية واخرها صار ذلك تنبيها على انه يجب على العاقل ان يجعل هذه الكلمة مذكورة فى اول عمره وفى اخره حتى يكون فى الدنيا سعيدا وفى الاخرة حميدا • الثالث ان احدى الشهادتين كانت قبل خلق الخلايق والثانية بعد خلقهم • الرابع انه تعالى ذكر احدى الشهادتين عن نفسه والاخرى عن خلقه

الفصل السابع فى اقامة الدلائل على ان الله تعالى واحد لا شريك له قد بينا ان هذا المطلوب يمكن اثباته بالدلائل العقلية وبالدلائل النقلية فلنذكر الكل اما الدلائل العقلية فمن وجوه الاول القول بوجود الهين يفضى الى المحال فيكون القول به محالا وانما قلنا انه يفضى الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون كل منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه فانا فرضنا ان احدهما حاول تحريكه والاخر حاول تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو محال ايضا لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما حصول مراد الاخر ولا يمتنع وجود هذا المراد الا عند وجود مراد ذاك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال او يقع مراد واحد منهما وذلك محال لوجهين الاول انه لما كان كل واحد

منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الاخر بل
لابد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحال
ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع من الاخر والا لزم ترجيح
احد المتساويين على الاخر من غير مرجح وهو محال الثاني انه اذا
وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي يحصل مراده الله قادر والذي
لا يقع مراده يكون عاجزا والعاجز لا يكون الها للخلق فان قيل
لا نسلم صحة المخالفة في الارادة ويدل عليه وجهان الاول انه
لابد وان يكون كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات وان كان
كذلك كان كل واحد منهما عالما بان اي احد الضدين يقع وايهما لا
يقع وما علم الله تعالى انه لا يقع كان ممتنع الوقوع وما كان ممتنع
الوقوع فان العالم بامتناعه لا يريده واذا كان كذلك كان كل واحد
منهما لا يريد الا ايقاع شي واحد والثاني ان كل واحد منهما لابد وان
يكون حكيما فيكون كل واحد منهما عالما بان ايهما هو الاصلح وايهما
ليس هو الاصلح فيكونان متوافقين في ارادة ما علما انه هو الاصلح
وبهذا الطريق يمتنع وقوع المخالفة سلمنا انه يصح المخالفة ولكن
المحال انما يلزم من وقوع المخالفة لا من جواز المخالفة فلا جرم
نقول المخالفة لا تقع وان كانت ممكنة الوقوع الجواب انه لو كان
العلم بايهما يقع وايهما لا يقع يوجب ارادة ما علم وقوعه ويمتنع
ارادة ما علم عدم وقوعه يلزم ان يكون الله موجبا لافعاله لا موجدا
لها على سبيل الاختيار والكلام والوحدانية فرع على الكلام في
اثبات القادر المختار **الحجة الثانية** لو فرضنا الهين لكان كل واحد
منهما قادرا على جميع المقدورات وذلك يفضي الى وقوع مقدور
واحد بين قادرين مستقلين وهو محال فالقول بوجود الهين
محال بيان الملازمة انه اذا كان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
كان مقدور كل واحد منهما مقدورا للاخر ثم اذا اتفقا على انه لابد
من دخول احد تلك المقدورات في الوجود فحينئذ لا يكون وقوع
ذلك المقدور باحدهما اولى من وقوعه بالثاني لان كل واحد منهما

مستقل بايجاده وكل واحد منهما مريد وجوده ولا رجحان لاحدهما
على الاخر وذلك عن كل واحد منهما فلزم وقوع المقدور الواحد بالقادرين
المستقلين وانما قلنا ان ذلك محال لان ذلك الفعل مستغن بكل واحد
منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما معا ومستغنيا عنهما معا وذلك
جمع بين النقيضين **الحجة الثالثة** اذا قدرنا الهين فاما ان يصح عليهما
ان يختلفا او لا يصح فان صح الاختلاف افضى ذلك الى عجز احدهما على ما بيناه
في الحجة الاولى وان لم يصح عليهما الاختلاف كان كل واحد منهما عاجزا
عن اظهار مخالفة صاحبه فيعود الامر الى كون كل منهما عاجزا
والعاجز لا يكون الها واعلم انك متى وقفت على تقرير هذه
الوجوه الثلاثة علمت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي
من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى
لانه لو اراد احدهما ان يكون صيفا والاخر ان يكون شتاء وصحيحا
يعود ومريضا وسعيدا وتجيسا فحينئذ يكون التقسيم المذكور
الحجة الرابعة لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما فلابد
وان يكون كل واحد منهما مشاركا للاخر في الوجود ومباينا له
في نفسه وما به المشاركة غير ما به المباينة وكل واحد منهما مركب
عن الوجود الذي به يشارك الاخر وعن التباين الذي به يباين الاخر
وكل مركب فانه محتاج الى كل واحد من اجزائه واجزاؤه غيره فكل مركب
محتاج الى غيره وكل ما كان محتاجا الى غيره فهو ممكن لذاته فلو وجد
شيئان كل واحد منهما واجب الوجود لذاته لكان كل واحد منهما
ممكن الوجود لذاته وذلك محال فالقول بان واجب الوجود لذاته
اكثر من واحد محال **الحجة الخامسة** لو فرضنا موجودين كل واحد
منهما واجب الوجود لذاته فلابد وان يتميز كل واحد منهما على
الاخر بامور والا لم يحصل التعدد ثم نقول ما به الممايزة اما ان
يكون صفة كمال او لا يكون فان كان صفة كمال فالخالي عنها يكون
خاليا عن صفة الكمال فيكون ناقصا والناقص لا يكون الها
وان لم يكن صفة كمال فالموصوف به يكون موصوفا بما لا يكون

صفة كمال وما لا يكون صفة كمال كان صفة نقصان والموصوف
به ناقص والناقص لا يكون الها الحجة السادسة ان يقال
ما به امتياز احدهما عن الاخر اما ان يكون معتبرا في تحقيق الالهية
واما ان لا يكون معتبرا فيه فان كان معتبرا فيه كان الخالي عنه لا يكون
الها وان لم يكن معتبرا في الالهية لم يكن الاتصاف به واجبا
فيفتقر الى المخصص فالوصف به مفتقر ومحتاج فلا يكون الها
محتاجا الحجة السابعة لو فرضنا الهين لا بد وان يكون كل واحد
منهما بحيث يتمكن العبد من التمييز بينهما لكن الامتياز في عقولنا
لا يحصل الا بالتباين في المكان او في الزمان او في الوجوب
والامكان وكل ذلك على الاله محال فيمتنع حصول الامتياز
الحجة الثامنة احد الالهين اما ان يكون كافيا في تدبير العالم وتخليقه
او لا يكون فان كان كافيا كان الثاني ضايعا غير محتاج اليه وذلك
نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص والناقص
لا يكون الها الحجة التاسعة العقل يقتضي احتياج الفعل
الى الفاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء ذلك فليس عدد الواحد
اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذلك
محال فالقول بوجود الهين محال الحجة العاشرة احد الالهين اما
ان يقدر على تحقيق نفسه بدليل يدل على التعيين او لا يقدر والاول
محال لان دليل اثبات الصانع ليس الا على حدوث المحدثات وامكانها
وليس في الحدوث والامكان ما يدل على تعيين احدهما والثاني
ايضا باطل لانه يفضي الى كون كل واحد عاجزا عن تعريف نفسه
والعاجز لا يكون الها الحجة الحادية عشر احد الالهين اما ان
يقدر على ان يستر شيا من افعاله او لا يقدر فان قدر لزم
كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا الحجة
الثانية عشر لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتهما اقوى من
قدرة كل واحد منهما والاولى من الغير متناه فقدرة
كل واحد منهما متناهية فكل واحد منهما عاجز الحجة الثالثة

الثالثة

عشر العدد ناقص لاحتياجه الى الواحد والواحد الذي
يوجد في نفسه ونوعه وغيره ايضا ناقص لان مجموع العدد
ازيد منه والناقص لا يكون الها الحجة الرابعة عشر لو
فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم لو قدرنا الهين فان لم يقدر كل
واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا
يكون الها وان قدر احدهما دون الاخر فهذا الاخر لا يكون الها
وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما
مفتقرا الى اعانة الاخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل
واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما
ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال
وان لم يبق فحينئذ يكون الاول قد ازال قدرة الثاني واظهر عجزه
فيكون مقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قيل الواحد اذا
اوجد مقدوره فقد زالت قدرته فيلزمك ان يكون هذا
الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدور
نفسه فقد نفذت قدرته فنفاذ القدرة لا يكون تعجيزا
واما الشريك فانه ما نفذت قدرته البتة بل زالت قدرته بسبب
قدرة الاول فيكون ذلك تعجيزا الحجة الخامسة عشر انا نعين
جسما ونقول هل يقدر كل واحد منهما على خلق الحركة فيه بدلا
عن السكون وبالعكس او لا يقدر فان لم يقدر كان عاجزا وان قدر
فنسوق الدلائل المتقدمة فنقول اذا خلق احدهما فيه حركة
امتنع على الثاني خلق السكون فالاول ازال قدرة الثاني وجعله
عاجزا فلا يكون الها الحجة السادسة عشر انا لو قدرنا الهين لكان
كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات وكان كل واحد منهما متعلقا
بعين معلوم الاخر فوجب تماثل علمهما والذات القابلة لاحد المثلين
قابلة للمثل الاخر فاختصاص الذوات بهذا العلم مع جواز
اتصافها بذلك العلم الثاني بدلا عن هذا العلم يكون امرا جائزا
فليستدع مخصصا يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته

فيكون كل واحد منهما عبدا ناقصا مفتقرا الى الاله وهو محال
الحجة السابعة عشر ان الشركة فى الملك عيب فى الشاهد
والفردانية والتوحيد بالملك والاستقلال به صفة كمال
وترى الملوك يكرهون الشركة فى الملك الحقير المختصر اشد
الكراهية وترى انه كلما كانت المملكة اعظم كانت النفرة عن الشركة
اشد فما ظنك بملك الله وملكوته فاذا اراد احدهما استخلاص
الملك لنفسه فان لم تنفذ قدرته عليه كان كالمغلوب عاجزا فقيرا
فلا يكون الها الحجة الثامنة عشر انا لو قدرنا الهين لكان اما ان
يحتاج كل واحد منهما الى الاخر او يستغنى كل واحد منهما
عن الاخر او يحتاج احدهما الى الاخر ويستغنى الاخر فان كان
الاول لكان كل واحد منهما محتاجا وكل محتاج ناقص والناقص
لا يكون الها وان كان الثانى كان كل واحد منهما مستغنى عنه
والمستغنى عنه ناقص الا ترى البلد اذا كان له رئيس والناس
يحصلون مصالح البلد من غير رجوع منهم ومن غير التفات
منهم اليه عد ذلك الرئيس فى غاية الذلة والاهانة فالاله هو الذى
يستغنى به ولا يستغنى عنه وان احتاج احدهما الى الاخر
من غير عكس كان المحتاج ناقصا والمستغنى هو الاله واعلم
ان هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها اقناعية واما
الدلايل السمعية فالاولى قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله
الا هو وقال الله تعالى قل هو الله احد وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين انما هو اله واحد الحجة الثانية قوله تعالى
هو الاول والاخر فالاول هو الفرد السابق ولذلك لو قال
اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يحنث
لان الاول يجب ان يكون فردا وهذا ليس بفرد ثم لو اشترى
بعد ذلك عبدا لم يحنث ايضا لان الاول يجب ان يكون سابقا
وهذا ليس بسابق فثبت ان الاول هو الفرد السابق فلما
وصف الله سبحانه بكونه اولا لزم ان يكون فردا سابقا وذلك

واحدا

يقتضى ان لا يكون له شريك الحجة الثالثة قوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فالنص يقتضى ان لا يعلم
احد سواه تلك المغيبات ولو كان له شريك لكان عالما بالغيب
وهو على خلاف هذا النص الحجة الرابعة ان الله تعالى
صرح بكلمة لا اله الا الله فى سبعة وثلاثين موضعا فى
كتابه وكل ذلك يدل على المقصود والغرض الحجة الخامسة
قوله تعالى كل شىء هالك الا وجهه حكم بان كل ما سواه فهو هالك
وكلما جاز عليه العدم بعد وجوده لا يكون قديما لان ما ثبت
قدمه امتنع عدمه وما لا يكون قديما لا يكون الها الحجة
السادسة قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير ولو كان له شريك
لكان ذلك الشريك قادرا على النفع والضر وذلك خلاف قوله
تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الحجة السابعة
انه تعالى استدل فى كتابه على صحة توحيده بثلاثة اوجه احدها
قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والثانية قوله تعالى
ولعلا بعضهم على بعض والثالثة قوله تعالى اذا لابتغوا الى ذى
العرش سبيلا واعلم انه تعالى لما ذكر قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا قال بعده فسبحان الله رب العرش عما يصفون وفيه
لطايف الاولى لما اقام الدلالة القاطعة على صحة التوحيد قال
فسبحان الله رب العرش عما يصفون وذلك تنبيه على ان الاشتغال
بالتسبيح انما ينفع بعد اقامة الدليل على كونه تعالى منزها الثانية
لم يقل سبحان الله عما يصفون بل قال فسبحان الله رب العرش عما
يصفون والسبب فى ان هذه المناظرة انما وقعت مع عبدة
الاوثان لا لان الدليل الذى ذكره الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا يفيد الرد على من اثبت لله شريكا ثم انه تعالى بعد ان ذكر
هذا الدليل العام نبه على نكتة خاصة بعبدة الاوثان وهو انه
كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذى لا يحس ولا يعقل شريكا

في الالهية لخالق العرش وموجد السموات والارضين
واما قوله تعالى لا يسل عما يفعل وهم يسلون فاعلم ان الله تعالى
علق هذه الاية بما قبلها وان عمدة من اثبت لله شريكا ليست
الا طلب الكمية في افعال الله تعالى وذلك لان الثنوية والمجوس
وهم الذين اثبتوا لله شريكا عولوا في تقرير مذهبهم على نكتة
واحدة وهي انا نرى في العالم خيرا وشرا ولذة والما وصحة وسقما
وحيوة وموتا وغنى وفقرا وقد ثبت في العقول ان فاعل الخير خير
وفاعل الشر شر ويستحيل ان يكون الفاعل الواحد خيرا وشرا
معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر فاعلا
للشر ويرجع حاصل هذه الشبهة الى ان الفاعل الحكيم لا يجوز
ان يخص بعض عبيده بالفقر والالم والموت فيرجع حاصل
الكلام الى طلب الكمية في افعال الله تعالى والجواب الاصلي
لهذه الشبهة ان افعال الله لا تعلل وله ان يفعل ما يشاء فلما
كان مدار كلام المثبتين لله شريكا على طلب الكمية في افعال الله
لا جرم بعد ان ذكر الدليل الدال على التوحيد ذكر ما هو النكتة
الاصلية في الجواب عن شبهة القائلين بالشريك لان الترتيب
الحسن في المناظرة ان يقع الابتداء بذكر الدليل المثبت للمطلوب
ثم يذكر بعد ما هو الجواب المعتمد عن شبهة الخصم فان قال قائل
ما الدليل العقلي على انه تعالى لا يسل عما يفعل وهم يسلون
وانه لا يجوز تعليل افعاله واحكامه برعاية المصالح قلنا
اما اصحاب اهل السنة فقد استدلوا عليه من وجوه الاول
انه لو كان كل شي معللا بعلة لكانت عليته تلك العلة لعلة اخرى
ويلزم التسلسل والدور وهما محالان فلا بد في قطع التسلسل
من الانتهاء الى ما يكون غنيا عن العلة واولى الاشياء بذلك
ذات الله وصفاته فكما ان ذاته منزهة عن الافتقار الى المؤثر
والعلة وصفاته مبراة عن الافتقار الى المبدع والمخصص
فلذلك فاعليته وجب ان يكون مقدسا عن الافتقار الى الموجب

الظاهر اللمية بدل الكمية هنا وفي امثالها في هذه الورقة

والموثر

والموثر الحجة الثانية فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت
تلك العلة اما ان تكون واجبة او ممكنة فان كانت واجبة
لزم من وجوبها وجوب كونه تعالى فاعلا وحينئذ يكون موجبا
بالذات فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة
ايضا فعلا لله تعالى فيفتقر كونه تعالى فاعلا لها الى علة اخرى
ولزم التسلسل الحجة الثالثة ان من فعل فعلا لغرض فاما
ان يكون قادرا على تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة
او لا يكون قادرا عليه فان كان الاول كان توسيط تلك الواسطة
عبثا وان لم يكن قادرا عليه كان عاجزا وذلك على الله تعالى محال
بخلاف الواحد منا فان العجز علينا جائز فلا جرم افعالنا كانت
معللة بالاغراض الحجة الرابعة لو كان فعله تعالى معللا بغرض
لكان ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله تعالى او الى العباد
والاول محال لانه منزه عن النفع والضر واذا بطل هذا تعين ان
الغرض لا بد وان يكون عايدا الى العباد ولا غرض للعباد الا
حصول اللذات وعدم حصول الالام والله تعالى قادر
على تحصيل ابتداء من غير شي من الوسايط واذا كان كذلك
استحال ان يفعل شيا لاجل شي الحجة الخامسة لو
فعل فعلا لاجل غرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه
بالنسبة اليه اما ان يكون على السوية او لا يكون فان كان
على السوية استحال ان يكون غرضا وان لم يكن على السوية
لزم كونه سبحانه ناقصا بذاته مستكملا لغيره وهو محال فان
قيل وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السواء
اما بالنسبة الى عباده فالوجود اولى من العدم • فنقول
تحصيل تلك الاولوية للعبد وعدم تحصيلها اما ان يكون
بالنسبة الى الله تعالى على السوية او لا على السوية وحينئذ
يكون التقسيم الاول الحجة السادسة ان الموجودات باسرها
مملوكة ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت

خ لزم وجب

خ تعود

الحجة السابعة من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السوال
انما يحتمل حيث يقدر السائل على منع المسئول عنه عن فعله
وذلك من العبد فى حق الله تعالى محال لانه لو فعل اى فعل شاء
فالعبد كيف يمنعه عن ذلك فان المنع انما يحصل بان يهدده
بالعقاب والايلام وذلك على الله تعالى محال او بان يهدده
باستحقاق الذم والجرح فى الحكمة والاتصاف بالسفه على
ما يقول المعتزلة وذلك ايضا محال لان استحقاقه بالمدح
واتصافه بصفة الحكمة امور ذاتية له وما ثبت لشى لذاته
مستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات العرضية فثبت
بهذه الوجوه ان يقال انه لا يجوز ان يقال لله تعالى فى افعاله
لم فعلت وظهر صدق قول مشايخنا رحمهم الله تعالى ان كل
شى صنعه لا علة لصنعه اما المعتزلة فانهم سلموا انه لا يجوز ان
يقال لله تعالى لم فعلت لكنهم بنوا الجواب عن شبهه الثنوية
على اصل اخر وهو انه تعالى بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا
عنها ومن كان كذلك فهو يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا
ذلك عرفنا اجمالا ان كلما يفعله الله فهو حكمة وصواب
واذا كان كذلك لم يجز للعبد ان يقول لله تعالى لم فعلت هذا
فظهر بما ذكرنا على اختلاف المذهبين صدق قوله تعالى لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون واذا ثبت ذلك سقطت شبهة الثنوية
فى اثبات الشريك والله الموفق للصواب الفصل الثامن
فى الاحكام الفقهية المتفرعة على قولنا لا اله الا الله اعلم
ان الايمان من امرين احدهما وهو ان الاصل حصول المعرفة فى القلب
واليه الاشارة بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وثانيهما الاقرار
باللسان بالتوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى قل هو الله احد
وذلك لان قوله قل امر للمكلف بان يقول بلسانه ما يدل على
التوحيد ثم تاكدت هذه الدلالة بالسنة الغراء وهى قوله
عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

والسبب فى انه لا بد من هذا القول هو ان الايمان احكام بعضها
يتعلق بالباطن وبعضها يتعلق بالظاهر فما يتعلق بالباطن
فهو احكام الاخرة وذلك متفرع على العلم الذى هو باطن
عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو احكام الدنيا ولا يمكن اقامتها
الا بعد معرفتنا انه مسلم ولا معرفة الا بالقول باللسان فصارت
المعرفة ركنا اصليا فى حق الله تعالى والقول ركنا شرعيا فى حق
الخلق واليه الاشارة بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن وقال عليه الصلوة والسلام من قال لا اله الا الله مخلصا
من قلبه دخل الجنة وقال الشيخ ابو على الدقاق من قالها مخلصا بقلبه
فى مقالته دخل الجنة فى حالته قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
جنة فى الوقت وهى جنة المعرفة وجنة فى العقبى وهى جنة
الاخرة اختلف المحققون فقال الاكثرون الاولى ان يكون
الذكر فى الابتدا قول لا اله الا الله وفى الانتها الاختصار على
ذكر كلمة الله ومنهم من واظب فى الابتداء والانتهاء على ذكر لا اله
الا الله وحجة هولاء ان عالم القلب مشحون بغير الله فلا بد من كلمة
النفى لنفى الاغيار واذا صار خاليا فحينئذ يوضع منبر التوحيد
ويجلس عليه سلطان المعرفة واما الذين اكتفوا فى النهايات
بكلمة الله فلهم فيه وجوه الحجة الاولى ان نفى العيب عمن يستحيل
عليه العيب عيب الحجة الثانية ان كل من قال لا اله الا الله فلعله
حين ذكر كلمة النفى لا يجد من المهلة ما يصل فيه الى الاثبات
وحينئذ يبقى فى النفى غير منتقل الى الاقرار الحجة الثالثة ان المواظبة
على هذه الكلمة مشعرة بتعظيم الحق بنفى الاغيار الا ان نفى
الاغيار يرجع فى الحقيقة الى شغل القلب بالاغيار وذلك
يمنع من الاستغراق فى نور التوحيد فمن قال لا اله الا الله
فهو مشغول بغير الحق ومن قال الله فهو مشتغل بالحق فاين
احد المقامين من الاخر الحجة الرابعة ان نفى الشى انما يحتاج
اليه عند خطران ذلك الشى بالبال وخطران ذلك الشى بالبال

شريك الله تعالى

لايكون الا عند نقصان الحالة فاما الكاملون الذين لايخطر
ببالهم وجود الشريك امتنع ان يكلفوا نفي الشريك بل هو لايخطر
ببالهم ولا يخطر في خيالهم الا ذكر الله فلاجرم يكفيهم ان يقولوا
الله الحجة الخامسة قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون فامره بذكر الله ومنعه من الخوض معهم في اباطيلهم
ولعبهم والقول بالشريك من الاباطيل ففيه خوض في ذلك
الكلام فكان الاختصار على قولنا الله اولى فهذا ما في هذا
المقام وهاهنا انواع من التضرعات احداها ان نقول الهنا
ان موسى عليه السلام سال اجل الاشياء فقال رب ارني انظر
اليك وسال اقل الاشياء فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
فنحن ايضا نسئلك اجل الاشياء وهو خيرات الاخرة واقلها
وهو خيرات الدنيا فنقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة الهنا يحكى ان رجلا باع جارية ثم ندم واستحيا ان يظهر
هذه الحالة للمشتري ولساير الناس فكتب في كفه حاجته
ورفعها الى السماء ولم يقل بلسانه شيا فراى المشتري في المنام
ان فلانا من اوليائي وقلبه مشتغل بهذه الجارية فردها عليه
واجرك علي فلما اصبح الرجل حمل الجارية اليه وردها عليه فلما
اراد البايع ان يرد الذهب قال المشتري ان هذا الثمن صار منا
وهو خير منك الهنا ان كان ذلك البايع ندم على بيع تلك الجارية
فنحن ندمنا على بيع الاخرة بالدنيا وان كان ذلك البايع قد استحيا
من العود فنحن من كثرة ذنوبنا نستحي منك وان كان ذلك البايع
قد كتب في كفه شيا من حاجته ورفعها الى السما فجميع اعضائنا
مكتوب عليها احتياجنا الى رحمتك وذلنا بين يديك واسقط
عنا تبعات اعمالنا وافعل بنا ما انت اهل ولا تفعل بنا ما نحن
اهله يا من لا يشغله شان عن شان الهنا يروى ان علي بن ابي
طالب رضي الله عنه كان له موذن وكانت له جارية فقالت الجارية
يا مولاي كان الموذن يقول لي اني احبك فقال علي رضي الله عنه

هاهنا كما قلت دين الغير فاقبل ديننا صح

فقولى

فقولي له وانا ايضا احبك وانظري ماذا يقول فلما قالت
الجارية ذلك قال الموذن فصبر حتى يحكم الله بيننا فحكت لعلي
رضي الله عنه فسكت الموذن ولم ير نفسه اهلا للطلب قال علي
فنحن نسلمها اليه فدعى به وزوجها منه الهنا ان الموذن لما
استحقر نفسه ولم يرها اهلا لذلك الطلب فاكرمه علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لها فانت العلي الاعلى وانت اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين فنحن لا نرى انفسنا اهلا لطلب رحمتك
لحقارة انفسنا في اعيننا فلا تحرمنا فيض رحمتك وانا رجوك
يا من لا يبرمه الحاح الملحين وصلى على محمد واله اجمعين الهنا يروى
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخافت في صلاة الليل
فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر عن فعله فقال
من اناجيه يسمع كلامي وسال عمر رضي الله عنه فقال اوقظ الوسنان
واطرد الشيطان وارضي الرحمن فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا بكر رضي الله عنه برفع صوته قليلا وامر عمر بوضعه
قليلا الهنا الايمان فينا كالرسول والقلب مثل ابي بكر واللسان
مثل عمر فالقلب يخافت بالذكر مثل ابي بكر واللسان يظهر الذكر
مثل عمر فامر القلب يخافت بالذكر مثل ابي بكر والايمان يامر القلب
بالزيادة في الفكر ويامر اللسان باخفاء الذكر فوفقنا لما تحب
وترضى برحمتك يا اكرم الاكرمين وارحم الراحمين فصل ومن
العارفين من اختار السكوت على الذكر في النهاية قال صلى الله عليه وسلم
من عرف الله كل لسانه ويروى ان الجنيد كان في الكلام فزعق الشبلي
وقال الله فقال الجنيد الغيبة حرام معناه انك ان كنت غايبا
فذكر الغايب غيبة وان كنت حاضرا فذكر الاسم في الحضرة سوء ادب
وتمام التحقيق في هذا المقام سياتي ان شا الله تعالى فصل الامام
محمد بن الحكيم الترمذي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من نفس تموت فتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
يرجع ذلك الى قلب موقن الا غفر الله له قال الشيخ فهذه شهادة

ولا يرفع صوته بالقراءة وكان عمر رضي الله عنه يجهر في صلاة الليل صح

روى

شهد بها عند الموت وقدمات منه الشهوات ولانت نفسه
المتمردة من هول الموت وذهب حرصه والقى نفسه بين يدي
قدرة رب العالمين واستوى منه الظاهر والباطن فلقى الله
مخلصا بتلك الشهادة فغفر له بتلك الشهادة الصادقة
التى وافق ظاهرها باطنها اما الذى يقوله ايام الصحة فقول
مع التخليط لانه يشهد هذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهو
ونفسه اشره بطره فهذا هو التفاوت بين ذكر الشهادة فى حالة
الصحة وذكرها فى اخر زمان الحيوة وتمام القول فيه ان الانسان
يكون قلبه مفتون بدنياه ماسور فى الشهوات سكران عن الاخرة
حيران عن الله لم يحصل فيه اليقين البتة لان قلبه مملو بالميل
الى غير الله فلا يحصل فيه الميل الى الله اما اذا حصل فى القلب اليقين
بالله كان الامر بخلاف ذلك لان اليقين سمى يقينا لاستقراره
فى القلب وهو النور يقال تيقن الما فى الحضرة اذا استقر فيها فاذا
استقر النور دام واذا دام صارت النفس صاحبة بصيرة
فاطمان القلب بجمال الله ثم انقطع عن غير الله فوقف هناك
عاجزا فاستغاث بالله صارخا مضطرا فاجابه الحق فانه يجيب
دعوة المضطرين فيشرق ذلك النور المتلالى فى القلب فينفلق
به ظلمات الاشتغال بغير الله فيصير امر الملكوت مشاهدا
له وهو وفق لحارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
كانى انظر الى عرش ربى بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ذلك نور الله الايمان فى قلبه وقد جا فى الاخبار ان ادريس
وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه كل واحد منهم كان
فى زمانه مواظبا على هذا الدعاء يا نور كل شى انت الذى فلق الظلمات
نوره ومما يحقق ما قلناه قوله عليه الصلوة والسلام من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت
وهو على كل شى قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه
فتقت له السموات فتقا حتى ينظر الرب الى قائلها من اهل الدنيا

وعن

وعن زيد بن ارقم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها
قال ان تحجزه عن المحارم وقال عليه الصلوة والسلام لمعاذ اخلص
العمل يكفيك القليل وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى عهد الى ان لا يايتنى احد من امتى بلا اله
الا الله لا يخلط بها شيئا الا وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله
وما الذى يخلط بها قال حرصا على الدنيا وجمعا لها ومنعا يقول
بقول الانبياء ويعمل عمل الجبابرة والحاصل انه لابد من اليقين
عند التكلم بهذه الكلمة حتى تكون نافعة ولا يحصل اليقين
بها الا بموت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات الا باحد
طرفين احدهما ان يروض نفسه حتى يموت شهوته حال الحياة
والثانى انه اذا ماتت شهوته عند وفاته وعظم رجاؤه وخوفه
من ربه وانقطع نظره بالكلية اضطرارا فاذا نطق بهذه الكلمة
فى تلك الحالة استوجب المغفرة فلهذا السبب استحب
السلف ان يلقنوا المحتضر هذه الكلمة وقال عليه الصلاة
والسلام لقنوا موتاكم فالانسان عند القرب من الموت
فنيت شهوته فحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة مقبولة
منه فاما الاول وهو الذى يروض نفسه قد فتح الله له روزنة
الى الغيب وركبته اهوال سلطان الجلال فنطق بها عن القلب
الصافى فهو بالمغفرة اولى وعن عبد الله بن جعفر عن ابيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقنوا موتاكم لا اله
الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش
العظيم الحمد لله رب العالمين قالوا يا رسول الله فكيف هى للحى
قال هى اجود واجود وكان اهل البيت يسمون هذه الكلمات
كلمات الفرج فيتكلمون بها فى النوائب والشدائد فيجيهم
الفرج وفيها زيادة كلمة لا اله الا الله العلى العظيم
وعن مكحول ان كلمات الفرج لا اله الا الله العلى العظيم

قف على كلمات الفرج

لا اله الا الله الحليم الكريم رب السموات ورب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين • وقال علي بن ابي طالب قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اعلمك كلمات اذا قلتها غفرت
لك ذنوبك ولو كانت مثل عدد الذر لا اله الا الله الحليم
الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب
السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين
فصل يروى انه كان صفان يتقاتلان من المسلمين
والكفار والكفار كانوا نصارى فقال الكافر من يقاتل
فقال المسلم عن الواحد وقال النصراني بل انا اقاتل عن ثالث
ثلاثة فلما تقاتلا صرع المسلم الكافر وجلس على صدره
وقال نَصَرَنِي الوَاحِدُ وَضَيَّعَكَ الثلاثة • وقال جعفر
ابن محمد الصادق عجبت ممن بمني باربع كيف يغفل عن اربع
عجبت لمن ابتلي بامر كيف لا يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله
وعجبت لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبي الله ونعم
الوكيل والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقيه الله سيات ما مكروا
وعجبت لمن اصابه هم او كرب كيف لا يقول ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم
وقال سفيان بن عيينة انه تعالى لما قال وكذلك ننجي المومنين
فقد وعد كل مومن يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين ان ينجيه من كل غم بالضرورة ان الله لا يخلف
الميعاد فصل اعلم ان الله تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله
في القران في سبعة وثلاثين موضعا اثنان في سورة البقرة
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم • الله لا اله الا

وأربعة

هو الحي القيوم واثنان في ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله الا هو
العزيز الحكيم • شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولو
العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وواحدة
في سورة النسا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب
فيه ومن اصدق من الله حديثا واثنان في الانعام ذلكم الله
ربكم لا اله الا هو فاعبدوه وهو على كل شي وكيل • اتبع ما اوحي
اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين واثنان
في الاعراف قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له
ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون واثنان في التوبة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون • فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وواحدة
في يونس وجاوزنا ببني اسرائل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده
بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا
الذي امنت به بنوا اسرائل وانا من المسلمين وواحدة في هود
فالم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو
فهل انتم مسلمون وواحدة في الرعد قل هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب وواحدة في النحل ان انذروا انه لا اله الا
انا فاتقون وثلاثة في طه الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى اني
انا الله الذي لا اله الا انا فاعبدني انما الهكم الله الذي لا اله الا
هو وسع كل شي علما واثنان في الانبيا وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وذا النون اذ
ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وواحدة في المومنين

وواحدة

فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وواحد
فى النمل الله لا اله الا هو رب العرش العظيم واثنان فى القصص
وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه
ترجعون • ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شى هالك
الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وواحدة فى فاطر يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وواحدة فى الصافات انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وواحدة فى الزمر
يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث
ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون وثلاثة فى المومن
ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير • ذلكم الله ربكم خالق كل شى
لا اله الا هو فانى تؤفكون • هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين وواحدة فى الدخان لا اله الا هو يحيى
ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين وواحدة فى سورة محمد صلى الله
عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات • وفى الحشر اثنان هو الله لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا اله الا هو
الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
سبحان الله عما يشركون • وفى سورة التغابن واحدة الله لا اله الا
هو وعلى الله فليتوكل المومنون • وفى سورة المزمل واحدة رب
المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فهذا مجموع سبعة
وثلاثين موضعا من كلمة لا اله الا الله وردت فى القرآن العظيم ربنا
آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا **فصل** فى ان عقول
الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى اتفق مشايخ الطريقة رضى الله
عنهم على هذا نقل الاستاذ ابو القاسم القشيرى فى كتاب الرسالة
فى باب التوحيد عن يوسف بن الحسين انه قال سمعت ذا النون المصرى
وقد سئل عن التوحيد فقال ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء

بلا مزاج وصنعه فى الاشياء بلا علاج وعلة كل شى صنعه
ولا علة لصنعه ومهما تصور فى نفسك شى فالله تعالى بخلافه
واقول لما كان كلما تتصوره النفس فالله بخلافه فلم تتمكن العقل
والنفس من الاشارة الى حقيقة معلومة فان حقيقة الاله
هذه الحقيقة وقال ايضا اعرف الناس اشدهم تحيرا فيه ويروى
عن سهل بن عبد الله انه سئل عن ذات الله تعالى فقال ذات الله
تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة وقد حجب الخلق
عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه باياته فالقلوب تعرفه
والعقول لا تدركه ينظر اليه المومنون بالابصار من غير احاطة
ولا ادراك نهاية ويروى عنه ايضا انه قال المعرفة الدهشة
والحيرة وقال يوسف بن الحسين من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد
على ممر الزمان الا ظمأ ووقف رجل على حسين بن منصور الحلاج فقال
من الحق الذى يشيرون اليه فقال تعفل الانام ولا تعطل وقيل
للشبلى اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال من اشار
اليه فهو ثنوى ومن كيفه فهو حشوى ومن نطق فيه فهو غافل
ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهم انه واصل فليس له حاصل
ومن ظن انه قريب فهو بعيد ومن توهم انه واجد فهو فاقد وكلما
ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم فى اتم معانيكم فهو
مصروف مردود اليكم مصنوع مثلكم وقال الشبلى ايضا
ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد وقال ابن عطا
العقل خلق آلة للعبودية لا للاشراف على الربوبية وقال
آخر العقل يحول حول الكون فاذا نظر الى المكون ذاب واعلم ان
من الناس من احتج فى هذه المسئلة بايات الاولى قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره قال اهل التفسير ما عرفوه حق معرفته
من قدر الثواب اذا حرزه واراد معرفة قدره واعلم ان هذا الاستدلال
ضعيف لان هذه الاية وردت فى ثلاثة مواضع اولها فى سورة
الانعام قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله

على بشر من شى فهولاء الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شى كانوا
ينكرون النبوة ومن كان كذلك كان كافرا فقوله وما قدروا الله
عايد على هولاء وثانيها فى سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ولما كان
الكلام مع عبدة الاوثان كان الكلام عايدا عليهم وثالثها
فى سورة الزمر قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون
الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ثم قال بعدها وما قدروا
الله حق قدره فيكون الكلام عايدا الى الذين اشار اليهم قبل هذه
الكلمة بقوله افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون واذا ثبت
هذا فنقول وما قدروا الله حق قدره عايد فى الاية الاولى على من انكر
نبوة كل الانبياء وفى الاية الثانية والثالثة الى عبدة الاوثان
فهذه الضماير فى الايات الثلاث عايدة الى الكفار ولا يلزم
من وصف الكفار بهذا الوصف ان يكون المومنون ايضا
كذلك وهذا سوال حسن بل لمن يدعى كمال المعرفة ان يتمسك
بهذه الاية لانه تعالى لما جعل قوله تعالى وما قدروا الله حق
قدره عيبا على الكفار وطعنا فيهم وجب ان يكون حال المومنين
بخلاف ذلك ومما اشتهر التمسك به فى هذه المسلة قوله
تعالى فى سورة طه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به
علما اجيب عنه بان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الايه انه
تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما بما
بين ايديهم وما خلفهم فلا يكون الضمير فى قوله به لا يكون
عايدا الى الله بل على ما بين ايديهم وما خلفهم لان عود الضمير
الى اقرب المذكورين اولى واعلم ان العمدة فى هذه
المسلة ان الله سبحانه غير متناه فى الذات والصفات
والعقل متناه فى الذات والصفات والمتناه

لا

لا سبيل الى ادراك غير المتناه وهذه هى النكتة ونحن نشرحها
ليظهر فوتها ان شا الله تعالى فنقول العقل عاجز عن معرفة
كونه قديما ازليا وذلك لان كل ما يستحضره العقل استحضارا
على سبيل التفصيل من مقادير الازمنة فذلك متناه مثلا يفرض
قبل هذا الوقت الف الف سنة ونفرض بحسب كل لمحة من هذه
المدة الف الف سنة وهكذا الى اقصى ما يقدر الوهم والخيال
على استحضاره ثم اذا تامل العاقل عرف ان كل ذلك متناه الاول وهو
تعالى انما كان قديما ازليا لانه كان موجودا قبل هذه المدة التى احاط
العقل والخيال بها فثبت ان كل مقدار يصل العقل والخيال اليه
فهو متناه والحق سبحانه ليس قديما باعتبار انه كان موجودا
فى ذلك الوقت بل باعتبار انه كان موجودا فيما وراء ذلك الوقت
فاذا لا سبيل للعقل البتة الى معرفة القدم والازلية
واذا عرفت هذا فى كونه ازليا قديما فاعرف مثله فى كونه دايما
ابديا على سبيل التفصيل وانما يشير اليه العقل فازليته
وابديته خارج عن ذلك المقصود وايضا اذا قلنا انه موجود
ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا محل ولا حال فانه يناقض
معرفة ذات الحق لانا اردنا بقولنا موجود ما يناقض العدم
وهذا المفهوم المناقض للعدم امر يصدق على جميع الموجودات
وحقيقة الحق لا توجد فى شى سواه فالعلم بكونه موجودا ليس علما
بحقيقة المخصوصة واما العلم بانه ليس بجوهر ولا عرض
ولا جسم فهذا علم بعدم هذه الاشياء وليس علما بحقيقته
لان حقيقته ثابتة والسلب لا يكون نفس الثبوت فيمتنع ان
يكون حقيقته هى نفس انها ليست بجوهر ولا عرض فثبت بمجموع
ما ذكرناه انه لا سبيل للعقول الى معرفة حقيقته ومما يحقق
ما ذكرناه ان العقلاء اتفقوا على ان كل صفة شاهدها الحس
وادركها العقل فى المكونات فلو وصف الحق بها صار مجهلا
فاذا لا سبيل فى معرفة الحق الا بنفى كل ما عرفه ولهذا اتفقوا على

احسن كلمة قيلت فى التوحيد ما قاله على بن ابى طالب رضى الله
عنه هو ان المعرفة ان تعرف ان كل ما تصوّر فى وهمك فالله بخلافه
ثم قال المحققون لما كان كلما تصور فى ذهنك فالله بخلافه فلو
تصوّر فى ذهنك من ذلك الخلاف شى فالله تعالى ايضا بخلافه
ثم لو تصوّر فى هذه المرتبة الثانية امرًا اخر لزم نفيه فلم يبق
للعقل فى طريق معرفة الله تعالى الا ان ينفى كل شى وقع فى
خاطره ثم اذا وقع شى من هذا النفى فى ذهنه اشتغل بنفيه
ايضا وهكذا فى النفى الثالث والرابع الى غير النهاية ولو نفى
العبد ابد الابدين ودهر الداهرين لكان مشغولا بنفى شغل
القلب عن هذه الواردات وازالة هذه التصورات فاذا كان
الامر كذلك بقى الحق سبحانه وعز كبرياؤه منزها عن لوحق فكره
واشارات عقله وعلايق ضميره وذكره الحجة الثانية وهى ان
الانسان عاجز عن معرفة نفسه فانه ان قيل ان نفسه هو هذا
الهيكل المشاهد فهو باطل من وجهين الاول ان الانسان قد
يعرف ذاته حال ما يكون غافلا عن جميع اعضايه الظاهرة والباطنة
والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم والثانى ان ذاته من اول عمره الى
اخره شى واحد واجزا بدنه غير باقية والباقى مغاير لغير الباقى
فثبت انه ليس عبارة عن هذا الهيكل المحسوس ثم بعد هذا يحتمل
ان يقال انه جسم فى داخل هذا الهيكل اما فى القلب فقط
واما فى الدماغ فقط او يكون ساريا فى كل البدن ثم ذلك الجسم
اهو من جنس الاجسام التى تولد البدن عنها او هو جسم مخالف
لهذه الاجسام فى الماهية والحقيقة ويحتمل ايضا ان يقال
انه ليس بمتحيز ولا حال فى المتحيز بل هو مدبر لهذا البدن على ما يقوله
الفلاسفة واعلم ان هذه الاحتمالات بقيت من الزمان الاقدم
الى الان وبعدُ ما زالت الشكوك والشبهات ولا شك ان اعرف
المعارف فى الشى المشار اليه بقوله انا فاذا كان حاله فى معرفة اظهر
الاشيا كذلك فكيف يكون حاله فى معرفة ابعد الاشيا مناسبة عن

علايق العقول وروابط الخيالات وتحقيق الكلام فيه
ان العقل كالشمع ولا شك ان كلما كان اقرب الى الشمع كان
ضوؤه اكثر مما بعد عنه واقرب الاشياء الى الشى نفسه فاذا
كان نور العقل اضعف من ان يصير ذاته مضيا لحضرة الجلال
مع بعده عنه بغير نهاية كيف يصير مضيًا به ولهذا قال
السنائى الشاعر رحمه الله تعالى •
اى شده در شناس خود عاجز • كى شناسى خداى را هر گز
چون تو در علم خود زبون باشى • عارف كردگار چون باشى
واعلم انه كلما وقعت الشبهات المذكورة فى معرفة النفس فقد وقعت
فى معرفة حقيقة الزمان وحقيقة المكان وتحير الخلق فى ان
قوة الباصرة كيف تبصر بخروج الشعاع وحصول الشبح
وكذا القول فى البحث عن القوة السامعة والذايقة وتحيروا
ايضا فى البحث عن كيفية التخيلات فان هذه الصورة المتخيلة
ان لم يكن لها وجود اصلا فكيف حصل لها التميز والتعين
واذا كان لها وجود فهى قائمة بنفسها ومحلها شى مجرد او جسم
والكل محال ممتنع ولما كانت معرفة الخلق بهذه الامور الظاهرة
الجلية بلغت فى الصعوبة الى هذا الحد فما ظنك بمعرفتهم بمن
تقدس عن مناسبة العقول والافكار وتنزه عن مشتبهات
الخيالات والانظار الحجة الثالثة قد ثبت فى العلوم الحقيقية
انه سبحانه وتعالى هو النور المطلق وهو نور الانوار وكان من وضع
السراج فى مقابلة الشمس انطفى ولم يظهر له البتة اثر فكذلك
اذا وقع نور العقل فى مقابلة نور جلال الله فنى وتلاشى واضمحل
ولذلك قال ان العقل يدور على المكونات فاذا وصل الى حضرة مكون
الاكوان ذاب واعلم ان القطرة اذا وقعت فى البحر اضمحلت والشعلة نسبة م
الى الشمس اعظم من نسبة نور العقل الى نور الجلال بل لا نسبة لاحد
البابين الى الاخر لان القطرة متناهية والبحر متناه وللمتناهى الى
المتناهى نسبة وهكذا الشعلة والشمس واما نور العقل فانه فى

غاية القصور والقلة ونور جلال الله في غاية العظمة وعدم التناهي
فلما اضمحلت القطرة في البحر والشعلة في الشمس فكيف يعقل بقا
صورة العقل ونور جلال الله وشروق اعلام كبريائه الحجة الرابعة ان
نسبة نور العقل الى منبع الانوار الروحانية كنسبة نور البصر
الى منبع الانوار الجسمانية وكما ان الشمس اظهر الاشيا من وجه
واخفاها من وجه اخر فكذلك منبع الانوار الروحانية بالنسبة الى
عين البصيرة يكون اظهر الاشيا من وجه واخفاها من وجه اخر
الحجة الخامسة العقل اضعف من العاقل لان العقل صفة والعاقل
موصوف والصفة اضعف من الموصوف فاذا عجز العاقل عن
المعرفة فلان يعجز العقل مع غاية ضعفه اولى الحجة السادسة من
امكنه ادراك الشي بتمامه وكماله فله قدرة ما بوجه ما عليه وقدرة
المحدث ممزوجة بالعجز ومتناهية والحق سبحانه واجب الوجود
غالب لا يغلب قاهر لا يقهر فالمحدث الموصوف فيما يكون بالقصور
والتناهي لا يمكنه معرفة القديم الذي لا نهاية له الحجة السابعة
العقل لا يتصرف الا فيما يكون في مكان او زمان لان كل ما ادركه
فانه يدركه اما في الماضي واما في المستقبل او الحال وكل ذلك
تحت الزمان وكلما يتصوره فانه انما يتصوره اما هاهنا واما
هناك وكل ذلك تحت المكان واذا قلت الحق سبحانه بخلاف هذه الاشيا
فمعرفتك في هذه المعرفة ليست الا نفي ما عرفته وتصورته
فالحاصل فيه نفي غير الحق ونفي غير الحق لا يكون عين وجدان الحق
الحجة الثامنة اشتهر في اقوال الخلق قولهم انما يعرف ذا الفضل من الناس
ذووه فلما لم يكن الانسان اعلم من غيره لا يمكنه ان يعرف مقدار
الا ترى ان الناس يقولون لا يقدر على التمييز بين فلان وفلان
الا من كان اعلم منهما لانه لا بد وان يعرف معلومات ذلك ومعلومات
هذا ومقدار ما به ازداد احدهما على الاخر وانتقص منه وهذا
لا يتيسر الا لمن كان اعلم من كل واحد منهما فاذا كان لا يتيسر للناقص
ان يحيط بما هو اكمل منه في العرف والشاهد فكيف يتيسر

في اقوال الخلق قولهم انما يعرف ذا الفضل

للعقول

للعقول الناقصة الاحاطة بجلال من جلاله غير متناه الحجة
التاسعة العقل كالانثى والفكر كالذكر فاذا حصل الازدواج
بينهما تولدت المعرفة ولا شك ان الولد يكون على قدر قوة الابوين
والعقل ناقص فكيف وهو عاجز عن معرفة نفسه والفكر
ناقص ولا يمكنه ان يصون نفسه عن العجز في النظر فاذا كان
كان الابوان في غاية النقصان فكيف يعقل ان يكون الولد في
غاية الكمال فامتنع تولد مثل هذه المعرفة على غاية شرفها من
هذين الابوين الحجة العاشرة اذا ادرك العقل وقف عند مدركه
وانتهى اليه وكل مدرك هذا شانه فهو متناه والحق لا نهاية له
فهذا يوجب ان ذلك المدرك ليس هو الحق بل كان شيا غير الحق
الحجة الحادية عشر قال عليه الصلوة والسلام قلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن وهذا عبارة عن كونه مقهورا
محدودا مقصورا مغلوبا متناهيا وكلما كان كذلك امتنع ان
يكون له احاطة بما لا نهاية له ومن النكت في هذا الباب
الاولى اخبر سبحانه عن ضعف البشر فقال وان يسلبهم الذباب
شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
فمن بلغ عجزه الى حيث لا يقوى على مقاومته الذباب فكيف
يمكنه الوصول الى كنه صمدية رب الارباب الثاني قالوا الرجل
اذا كان في مفازة عظيمة واشتد الحر ولم يكن هناك ما اصلا
واشتد عطشه وغلبه خوف الفقدان فالى اي جهة نظر
ظنه ما او راه سرابا فاذا جاءه ولم يجده شيا كما قال تعالى
حتى اذا جاءه لم يجده شيا فكذلك العقول البشرية والارواح
الانسانية وقعت في بيدا كبريا الله تعالى فعظمت الانوار
وتعاكست الاشعة وغلب حرارة الاشتياق الى الوصول
الى حضرة الله تعالى فكلما نظر الى جانب ظنه ما المعرفة
فالمعطلة نظروا الى جانب النفي فظنوا ان الما هناك والمشبهة
نظروا الى الاثبات فظنوا ان ما العرفان هناك وكذلك

وكذلك القدرية والجبرية والروافض والخوارج ثم ان كل
واحد توجه الى مقصده وصار الى مطلبه فوصلوا الى مطالبهم
يوم القيمة فلم يجدوا هناك من هذا الحديث شيا كما قال تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم الاقوياء
لما عرفوا عظم المفازة وعجز البشرية وحيرة العقل فروا
عن انفسهم واستغاثوا بارشاده وهدايته فقال الخليل
عليه السلام رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين وقال
الكليم رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى وقال سليمن وادخلنى
برحمتك فى عبادك الصالحين وقال عيسى ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام
الغيوب وقال الحبيب عليه السلام ارنا الاشيا كما هى الثالث
قال الصبى ينظر فى المرآة فيرى فيها صورة فيشتاق الى ان
يتقرب من تلك الصورة فيقرب من الصورة فيرى تلك
الصورة ايضا تقرب منه فاذا راى قرب الصورة منه حال
قربه منها يشتد طمعه فى اخذها فيمد يده اليها لياخذها فاذا
مد يده راى حجابا من الحديد وراى الصورة مخفية بحجب العزة
وسرادقات القوة وهكذا القوة العقلية ينظر فى المرآة
من عرف نفسه فيلوح له تجلى انوار معرفة ربه فكلما كان
نظر العين الى هذه المرآة اشد كان هذا التجلى اعظم فيشتاق
العقل الى الوصول الى كنه الصمدية فيمد يد الطلب فيرى بين
نفسه وبين المطلوب سدا من الازلية والقدم والاستغناء
فيبقى وراء هذا السد عاجزا مسكينا وبسبب مد يد التصرف
يزول ذلك التجلى بسرادقات الكبرياء والعظمة والجبروت
الرابع كان سوداني يحمل حملا من القوارير وكان يذهب لاجل
الفائدة الى بلد فلما وصل الى باب البلد وضع ذلك الحمل ثم
قال انى اذا دخلت هذا البلد ابيع هذه القوارير فاشترى
باثمانها غنما فيحصل لى من نتاجها واولادها مال عظيم اشترى

به الات المملكة واذا حصل لى الملك اتزوج بابنة الملك
الفلانى يحصل لى منها اولاد ثم احضر الادباء والعلماء لتعليمهم
وتاديبهم ففى اثناء ذلك ضرب يده على الحمل فسقط وانكسر الكل
فهذا مثال لاكثر توهمات الخلق فان كل احد يظن ان ما معه من
العلوم والاعمال يكون وسيلة الى وجدان ملك الجنة والوصول
الى عتبة حضرة الله تعالى فاذا جاء وقت الموت بطلت تلك
الاوهام وزالت تلك الافكار وبقى المسكين على تراب الحرمان
وموضع الذلة والمحن الخامسة من اسمائه تعالى الجبار وهو
ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا لم تصل اليها الايدى فكذا ههنا
الافهام لا تصل الى صمديته فالعبد له اليوم عرفان وجوده
وغدا طلب وجوده وحقيقة الصمدية منزهة عن الاحاطة
والادراك السادسة للسائرين الى الله تعالى ثلاث مقامات
الحكم والحق والامر ثم ان كل ما دخل فى الوجود ان عرضته على
نفاذ الحكم كان حسنا لان الكل بتقديره وحكمه حصل وان عرضته
على نفاذ الحق كان الكل قبيحا لان المعارف بالنسبة الى حضرة
جلاله وجهل العبادات بالنسبة الى عتبة عزته تقصير اما
ان عرضته على نفاذ الامر كان البعض حسنا والبعض قبيحا
فالحكم فضل محض والحق عدل محض والامر تارة مع الفضل
وتارة مع العدل فان عرضت على الحكم اعمال كل الخلق لم يكن
شى منها مردودا وان عرضت على الحق اعمال الانبياء والملئكة
لم يكن شى منها مقبولا واما الامر فعلى ما عرفت بالفارسية
هر بار كه در اينه امر نكرى سودائى در سرت بديد ايد كه من كسى ام
لكن هم در عقب ان اينه حق نكرى تا خود را از عدم كم بينى
انبيا امروز بنبوت ورساله مى نكريد ملائكه بطاعت وعصمت
مى نكرند موحدان باخلاص وايمان مى نكرند فردا چون سرادقات
جلال باز كشند وسراپرده عزت بر بند واعلام جلال حقيقة
ظاهر كنند همه فرياد عجز فرا پيش دارند كى كويند ما عبدناك حق

معرفتك السابعة دراره الهيت او هر كه خواست كه پيش
روو فرو ماند نور عقل خواست كه پيرامن جلال او كرد دهباء
منثور كشت سرجان خواست كه قدر كمال او بداند خيره كشت
معرفت خواست كه بحضرت قدس او محيط شود عاجز ماند
اكر هزار هزار دلايل وحدانيت بخوانى وانچه بنقل امده است
نقل كنى ودر بحار معقول ومنقول خوض كنى ودرر غرر جواهر
زواهر درسلك تحصيل كشى چون سك نظر كنى خود را خود را
در بلهٔ زيرين ولا يحيطون بشى من علمه الا بما شاء . يعنى ودون
الغيب استار والاستار محجوبة عن الاغيار فسبحانه من عزيز
ضلت العقول فى بحار عظمته وحارت الالباب دون ادراك
عزته وكلت الالسن عن وصف جلاله ومدح جماله وكل من
اغرق فى نعته اصبح منسوبا الى العى الثامنة اى بساديه
عقول كه در ادراك جلال او خيره ودر مقابلهٔ نور شرق
او تيره افكار ارباب حكمت در تيار بحار عظمت او غرق شده
نتايج ونتايج اصحاب فطنت در انوار اسرار جلال او محترق
كشته زبانهاى اهل فصاحت از شرح مدح جمال ووصف
جلال او كليل ودر هر كوشهٔ هزار طريح وجريح وشهيد
وقتيل المناجاة اى انكه ترا جستن محال وار تو عبارت كردن
وبال چون با منى ترا چكونه جويم وچون هيچ خبر نمانى از تو عبارت
چكونه كنم نى تو ايمان نه با تو بتوان لا منك قرار ولا معك قرار
المستغاث منك اليك اى عز تو همه عزها را نعت ذل بركشيده
واى جلال تو همه جلالها را داغ اختلال بر نهاده اى كمال تو همه
كمالها را رقم نقصان بر زده اى الهيت تو همه عالم را طراز عبوديت
لازم كرداينده اى ذات تو بى اين واى صفات تو بى كيف اى بطش
تو بى جارحه اى بصر تو بى حدقه اى صفات تو عقول را متحير
كرده اى صمديت تو جانها را سرسيمه كرداينده اى اراده ومشيت
واحكام الهيت تو از الايش دهم خلق پاك اى غيب غيب وازل

ازل تو از هواجس خواطر وضمائر اب وكل منزه اى همه
جانها بر من يزيد عشق تو نهاده وجز حسرت سود نا كرده
وجز نوميدى بدست نا اورده اى همه احباب با دل كباب
قدم در راه تو نهاده ومال وعيال وجاه وجهرى وسرور
بر باد داره وجز باك بدست ايشان نا امده بفضل لى علت
تو ما را از شر نفس خلاص ده برحمتك يا ارحم الراحمين
تقرير اخر فى انه لا سبيل الى معرفته لا شك ان كل من كان
انقطاع نظره الى ما سوى الحق اكمل وكان استغراق قلبه فى
معرفته اتم كانت معرفته اكمل ولا شك ان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج بلغ الغاية القصوى فى هذا الباب
وكانت معرفته اكمل المعارف ثم انه مع ذلك اعترف بعدم
المعرفة لانه قال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
فاذا كان مع كمال القرب لم يعرف فكيف بمن كان فى غاية البعد
كيف يمكنه المعرفة والله يعلم الصواب النوع الثانى فى علوم هذا
الكتاب فى تقرير الدلايل الدالة على اثبات الصانع سبحانه
وهذا النوع مشتمل على مقدمة وابواب اما المقدمة فاعلم
انه تعالى رتب دليل اثبات الصانع فى القران العظيم على وجوه
الاول انه تعالى ابتدا من الاعرف فالاعرف نازلا الى الاخفى
فالاخفى فى الدلايل وهذا هو المرتب الذى اختاره فى سورة
البقرة وذلك لانه ابتدا باستدلال كل احد على وجود الصانع
بنفسه وذاته فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
ثم ذكر عقيبه استدلالهم باباءهم واجدادهم فقال والذين
من قبلكم ثم ذكر عقيب استدلالهم باحوال الارض فقال
الذى جعل لكم الارض فراشا ثم ذكر عقيبه الاستدلال
باحوال السماء فقال والسماء بناء ثم ذكر عقيبه الاستدلال
بالاحوال المتولدة فيما بين السماء والارض والسبب فى هذا
الترتيب ان اظهر الاشياء لكل احد نفسه ثم ابوه واجداده

ثم الارض التى هى مسكنه ثم السماء التى هى فى غاية البعد عنه
ثم الاحوال التى لا تتولد الا بمجموع الارض والسماء والمراد
بقوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم •
الوجه الثانى فى ترتيب الدلائل على ما ذكره الله تعالى فى اول
سورة النحل فانه ابتدا من الاشرف فالاشرف نازلا الى الادون
فالادون وذلك انه تعالى ذكر المطلوب اولا فقال ينزل الملئكة
بالروح من امره على من يشا من عباده ان انذروا انه لا اله الا
انا فاتقون ثم انه ابتدا بذكر دلائل الصانع بالسموات فقال خلق
السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم ذكر الاستدلال
بالانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
ثم ذكر بعده احوال الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم فيها
دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم ذكر بعد هذا احوال النبات
فقال هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر
فيه تسيمون ثم ذكر انواع العناصر فذكر الماء فقال وهو الذى
سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا ثم ذكر الارض فقال والقى فى الارض
رواسى ان تميد بكم وانهارا ثم لما ذكر هذه الدلائل اعاد المطلوب
الذى ذكره اولا فقال افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون والمطلوب
منه اثبات التوحيد ونفى الشركا والانداد ثم قال بعده وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعنى ان هذه الاشيا التى ذكرناها استدل
بها على اثبات الصانع وعلى وحدانيته وهى ايضا نعم جليلة
ومنافع عظيمة فى حقكم والانسان وان استقصى فى تعديد
نعم الله عليه فانه يعجز بالاخرة واكثر دلائل القران هكذا فانها
تكون دلائل من وجه ونعما من وجه اخر ومثل هذه الدلائل الحقيقية
فى القلب انجع وتكون اشد تاثيرا فى الروح لانها من حيث انها
دلائل تفيد المعرفة ومن حيث انها نعم تفيد الانقياد للمنعم
والاشتغال بشكره والخضوع لعز جلاله فاذا تعاون هذان
الوجهان كان كمال حصول المقصود من الاعتراف بالخالق المنعم

والانقياد

والانقياد لعز وجهه وكمال صمديته **واذا عرفت** هذين
النوعين من الترتيب فى الدلائل فنحن فى هذا الكتاب نرتب
الدلايل على الوجه الثانى فنبتدى بشرح دليل السموات
ثم نذكر دلائل الشمس والقمر ثم نذكر دلائل النجوم ثم نذكر
دلائل الانسان ثم نذكر دلائل الحيوان ثم نذكر دلايل النبات
ثم نذكر دلايل الاثار العلوية من الرعد والبرق والصاعقة
والسحاب ثم نذكر احوال البحار ثم نذكر دلائل الجبال وذلك
هو تمام المقصود من هذا النوع والله الموفق للصواب

الباب الاول فى تقرير كيفية دلالة السموات على اثبات
الصانع تعالى اعلم انه تعالى ذكر فى الكتاب الكريم مبدا تكون
السموات واحوال اوسطها واحوال معادها وفيه فصول

الفصل الاول فى شرح مبدا تكون السموات واعلم
ان الله سبحانه وتعالى ذكر فى هذا المعنى ايتين الاولى قوله تعالى فى
سورة الانبياء اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا
رتقا ففتقناهما وفى الاية سوالان **السوال الاول** ان المراد من قوله
اولم ير اما الروية واما العلم فلا يجوز ان يكون المراد هو الروية
لان القوم ما راوا كيفية تخليق السموات لانه تعالى قال ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا يجوز ان يكون المراد هو العلم لان
الفتق والرتق عبارتان عن الاجماع والافتراق ولا شك
ان الاجسام قابلة لكل واحد منهما بدلا عن الاخر واذا كان
كذلك فلا سبيل الى العلم بتقديم الرتق على الفتق الا بقول
الرسول وهذه المناظرة كانت مع الكفار المنكرين للرسالة
فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال فهذا احد السوالين فى الاية
السوال الثانى انه ما معنى الفتق والرتق فى الاية واعلم انا نخوض
فى معنى الفتق والرتق وفى اثنا الكلام يظهر الجواب عن السوال
الاول فنقول لفظ الرتق والفتق يحتمل معانى الاول ان الرتق
اشارة الى العدم والفتق اشارة الى الوجود وتقديره بحسب اللفظ

وجوها

ان الاجسام اذا كانت مرتقة لا يكون لبعضها تميز عن البعض
واذا كانت مفتقة تميز بعضها عن البعض اذا عرفت هذا فنقول
ان العدم نفي محض فليس فيه ذوات متميزة واعيان متباينة
فصح تسمية المعدوم بالرتق من حيث انه ليس فيه امتياز و
تباين بوجه ما واذا وجدت فقد تميز كل واحد من الجواهر على
غيره وكل واحدة من الصفات عن غيرها فصح تسمية الموجود
بالفتق من هذا الوجه وبهذا التاويل سمى الله تعالى خلق النور
في وسط الظلمة بالفلق فقال فالق الاصباح بل سمى نفس الايجاد
والتكوين بالفلق فقال قل اعوذ برب الفلق فكذا لا يبعد ان
يريد بالفتق بعد الرتق الوجود بعد العدم فاذا عرفت هذا فنكون
المراد من هذه الاية هو المراد من قوله الحمد لله الذي خلق السموات
والارض ومن قوله الحمد لله فاطر السموات والارض ومن قوله
في سورة النحل خلق السموات والارض بالحق وتمام وجه الاستدلال
ان كل من في السموات والارضين مختص بحيز معين وصفة
معينة وخاصية معينة وبمقدار معين مع انه لا يمتنع
وقوعه في العقل على خلاف تلك الخاصية والصفة والحيز واذا
كان كذلك فاختصاص كل منهما بحيزه وشكله لا بد وان يكون
بتخصيص مخصص وتدبير مدبر وتقدير مقدر فدل وجود السموات
من هذه الجهة ووجودها بعد ان لم تكن على افتقارها الى وجود
القادر المختار واذا حملنا الرتق والفتق على هذا الوجه
كان المراد من قوله اولم ير الذين كفروا اولم يعلم وذلك لان
دلائل الحدوث في ذات السموات وفي صفاتها جلية قوية
ظاهرة والعلم اذا قوى وبعد عن مواقع الشكوك والشبهات
جاز ان يسمى بالروية لقوته وجلائه وكثرة دلائله وشواهده
الوجه الثاني في تفسير الرتق والفتق وذلك ان الظلمة سابقة
على النور ويدل عليه النقل والعقل اما النقل فوجوه الاول
قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فقدم الظلمات في الذكر على النور

الثاني هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فظاهر اللفظ
يدل على انه جعلها ضياء بعد ان لم تكن كذلك الثالث قوله تعالى
واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون الرابع قوله تعالى
الله نور السموات والارض اى منور السموات والارض وهذا يشعر بان
النور متاخر عن الظلمة فان قيل فهذا يشكل بقوله تعالى ولا الليل
سابق النهار وهذا يدل على ان السابق هو النهار قلنا لا بد من التوفيق
بين هذه والايات التي قدمناها فالمعنى ولا الليل المتاخر بسبق
النهار المتقدم واما المعقول فهو ان الليل ظلمة والظلمة عدم والنور
وجود وعدم المحدثات متقدم على وجودها فدل ذلك على ان
ظلمة العدم كانت سابقة على نور وجود هذه المحدثات اذا
عرفت هذه القاعدة فنقول كانت السموات والارض مظلمة
اولا فاظهر الله الانوار فيها فعبر عن الظلمة السابقة بالرتق
وعن الانوار اللاحقة بالفتق فلهذا قال عز وجل كانتا رتقا ففتقناهما
ويتاكد هذا بما روى انه عليه الصلوة والسلام قال حاكيا عن
رب العزة جل جلاله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وعلى
هذا التفسير تكون الروية المذكورة في الاية بمعنى العلم ~~الثابت~~ في التفسير
الرتق والفتق ان السموات والارض كانتا شيا واحدا ملتصقا
بعضها بالبعض ثم فصل الله بينهما واقر الارض حيث هي ورفع السما
الى العلو وهذا القول يدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الله الذي
رفع السموات بغير عمد ترونها فوصف السموات بانها مرفوعة
وذلك يطابق ما قلنا ان السموات والارض كان بعضها ملتصقا
ببعض ثم انه سبحانه اقر الارض في مكانها واصعد اجزا السموات
ورفعها الى الجو العالي الثاني قوله تعالى ثم استوى الى السما وهي
دخان يروى انه تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت
الجوهرة ثم سلط عليها الحرارة فارتفع على وجه الارض زبد وعلاه
دخان فخلق الارض من الزبد وخلق السما من الدخان وهذا يدل
على ان اجزا السموات والارض كان بعضها مختلطا بالبعض وملتصقا

الوجه الثالث في تفسير الرتق

ثم انه تعالى ميز البعض عن البعض وصير البعض زبدا واسكنه
حيث هو واصعد الباقى الى الجزء العالى وخلق منه السموات
الثالث قوله تعالى فى صفة السماء رفع سمكها فسويها وذلك
يدل على انه تعالى اصعد الاجزا التى منها خلق السموات عن السفل
الى العلو وذلك هو المراد من الرتق والفتق واعلم ان وجوه
الاستدلال بالرتق والفتق على وجود الصانع بناء على هذا
القول ان نقول لا شك ان كرة الارض محفوفة بالما والما بالهوى
والهوى بالنار والنار بالافلاك وكل فلك بفلك اخر الى اخر
الافلاك فنقول هذه الافلاك والعناصر متساوية فى
الجسمية فانه لا معنى للجسم الا الطويل العريض العميق والكل
متشاركة فى هذا المعنى ثم ان كل واحد من هذه الاجسام يخالف
الاخر فى الصفات والاعراض وهى كون بعضها عالية والبعض
سافلة والبعض لطيفا والبعض كثيفا والبعض حارا والبعض
باردا فنقول اختصاص كل واحد من هذه الاجرام الفلكية
والعنصرية بصفته المعينة وحيزه المعين اما ان يكون لذاته
او لشى من لوازم ذاته او لشى غير لازم لذاته والاول والثانى
موجبان استواء الاجسام فى كل الصفات وهو محال والثالث
يقتضى ان يكون اتصاف كل واحد من هذه الاجسام بما اتصف
به امرا جايزا واذا كان الامر كذلك استحال اختصاصه بتلك
الصفة الا لمرجح ومخصص ثم المخصص اما ان يكون جسما واما
ان لا يكون جسما فان كان جسما كان ذلك الجسم متميزا عن ساير
الاجسام بتلك المؤثرية فيفتقر ذلك الاختصاص الى مخصص
ومرجح ويلزم التسلسل وهو محال وان لم يكن جسما فاما ان يكون
موجبا او مختارا لا جايز ان يكون موجبا لان نسبته الى الكل
على السوية فوجب ان يكون قادرا مختارا فثبت افتقار جميع
الاجسام من العرش الى ما تحت الثرى الى مؤثر فاعل بالاختيار قادر
على جميع الممكنات ليس بجسم ولا بجسمانى وذلك هو الله تعالى

واذا عرفت هذا فنقول المراد من الرتق كون تلك الذوات
متشابهة فى الماهية والحقيقة والمراد من الفتق اختصاص
كل واحد منها بطبع معين وشكل معين وصفة معينة
وحيز معين وعلى هذا التقدير تكون الروية بمعنى العلم
الوجه الرابع فى تفسير الرتق والفتق ان السموات كلها
كانت سماء واحدة ثم انه تعالى جعلها سبع سموات والذى
يدل عليه قوله تعالى فى اول سورة البقرة ثم استوى الى السما
فسويهن سبع سموات وهذه الاية دالة على ما قلناه من
وجهين الاول انه تعالى قال ثم استوى الى السما ولفظ السما
دال على الوحدة والثانى انه قال فسويهن والفا تدل على التعقيب
فهذا يدل على ان السما كانت واحدة ثم انه جعلها تعالى سبعة بعد
ان كانت واحدة فان قيل فعلى هذا القول ما معنى فتق الارضين
بعد رتقها قلنا انه تعالى قال فى سورة الطلاق الله الذى خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن فلهذا السبب اختلفوا
فى تفسير الارضين السبعة فقال بعضهم هى طبقات
سبعة بعضها اسفل من بعض كالسموات وقال اخرون
~~وقال اخرون~~ هذه الارضون اشارة الى الاقاليم السبعة
فانه تعالى جعل لكل واحد من هذه الاقاليم السبعة خاصية
ومنفعة الوجه الخامس فى تفسير الرتق والفتق قال الغزالى
رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى بالمضنون به على غير اهله الرتق
عبارة عن انطباق دايرة البروج على دايرة معدل النهار
وفى ذلك الوقت ما كانت الارض معمورة على ما عرف تحقيق
ذلك فى علم الهيئة والفتق عبارة عن انفراج ما بين الدايرتين
على الاخرى وحدوث ميل فلك البروج من معدل النهار
ولما حدث هذا الانفراج حدث الفصول الاربعة فى الارض
وحصل بسبب ذلك اختلاف الاهواء والبلدان والمساكن
وهذا هو المراد من حدوث الفتق فى الارض واعلم ان وجه

الاستدلال على وجود الصانع القديم الحكيم سبحانه بناء
على هذين القولين ظاهر ايضا وذلك لان القول الاول انه سبحانه
فضل بعض الافلاك على بعض وخص كل واحد منها بقدر
معين وسير معين وجهة معينة بحكمة ظاهرة في عالم
الغيب مستورة عن عقول الخلق فلابد وان يكون ذلك
لقدرة غالبة ومشيئة نافذة على ما حققنا القول فيه
واما على القول الذي ذكره الغزالي انار الله برهانه فاعلم ان
منافع الرتق والفتق بهذا المعنى كثيرة ونحن نذكر منها
مهمة فنقول لو لم يكن للكواكب حركة في هذا المثل لكانت
التاثير مخصوصا بمنفعة واحدة وكان ساير يخلو عن
المنافع الحاصلة منه وكان الذي يقرب منه متساوية
الاحوال وكانت القوة لكيفية هناك واحدة فان كانت
حارة فنيت الرطوبات واحالتها كلها الى النارية ولم
تتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي لممر الكواكب
على كيفية وخط ما لا يحاذيه على كيفية اخرى وخط المتوسط
بينهما كيفية متوسطة فيكون في موضع شتاء دايما يكون
فيه النهوة والعجاجة وفي موضع اخر صيفا دايما يوجب
الاحتراق وفي موضع اخر ربيعا او خريفا لا يتم فيه النضج
ولو لم يكن عودات متتالية وكانت الكواكب تتحرك
بطيئا لكان الميل قليل المنفعة وكان التاثير شديد الافراط
وكان يعرض قريبا مما لو لم تكن سيارة واما لو كانت الكواكب
اسرع حركة من هذه لما كملت المنافع وما تمت واما اذا
كان هناك ميل يحفظ الحركة في جهة ثم ينتقل الى جهة
اخرى بمقدار الحاجة فيه يبقى في كل جهة برهة من الدهر
ثم يميل الى تلك الجهة عظم تاثيره وكثرت منفعته فسبحان
الله الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقدرة الغير المتناهية

القول السادس في معنى الرتق والفتق ان السموات والارض

كانتا

كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق السما بالمطر والارض
للنبات والشجر ونظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع واكثر المفسرين اختار هذا القول واحتجوا
على ترجيحه على سائر الاقوال بقوله تعالى عقيبه وجعلنا من
الماء كل شيء حي وهذا الكلام لا يليق ذكره بهذا الموضع الا وهو
المراد ما ذكرناه فان قيل هذا الوجه ضعيف لوجهين الاول
المطر لا ينزل من السماء بل ينزل من السحاب الثاني ان بتقدير ان
يكون المطر نازلا من السما لكنه ينزل من سما الدنيا لا من كل السموات
فالجواب عن الاول ان السماء مشتق من السمو فكل من سماك
فهو سما وعن الثاني ان ما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة
منها سما كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار واعلم ان على
هذا التاويل يجوز حمل قوله تعالى ولم ير الذين كفروا ان
السموات على الابصار فان الناس يشاهدون اتصاف
السحاب بالمطر والارض بالشجر ثم وجه الاستدلال على
وجود الصانع بناء على هذا التفسير انك ترى الهوى في
غاية الصحو ثم انه ينعقد الغيم دفعة وينزل من المطر ما يسيل
منه الاودية العظيمة وتقلع الجبال العظيمة من شدة
سيلانها ثم ان نزول ذلك المطر يصير سببا لخروج الانواع
المختلفة من النبات من الارض وكل ذلك يدل على قدرة الصانع
المختار والحكيم جل جلاله فهذه الاقوال الستة المذكورة
وان كنا قد بالغنا في تقريرها ولكن ها هنا وجوه اخر يمكن
حمل الاية عليها فالاول ان السموات لو كانت رتقا ما كان احد
ينزل من السماء الى الارض وما كان احد يصعد من الارض
الى السماء ثم انه تعالى فتقها فصارت الملائكة ينزلون من السموات
الى الارض وصار البشر يصعدون من الارض الى السماء
فاما نزول الملائكة فقال الله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك
وقال ينزل الروح من امره وقال تنزل الملئكة والروح فيها

باذن ربهم وقال نزل به الروح الامين على قلبك واما صعود
البشر الى السموات ففوله تعالى فى ادريس عليه السلام
ورفعناه مكانا عليا وقال فى عيسى عليه السلام انى متوفيك
ورافعك الى وقال فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان
قاب قوسين او ادنى الثانى كانتا رتقا ففتقناهما بانزال انوار
الكواكب من السموات العليه الى الارضين السفلية
كما قال النجم الثاقب قيل انه زحل لانه يثقب بنوره سمك
سبع سموات وتارة بصعود الدعوات والتضرعات
من الارضين الى اعلى السموات كما قال تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه الثالث ان يحمل هذا الفتق
على نزول القضا والقدر من معاقد عزه الى اركان عرشه ومن
اركان عرشه الى اركان السموات ثم الى الارضين ثم قال
تعرج الملئكه والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف
سنة ثم يعرج اليه وتمام الكلام فى تحقيق نزول القضا
والقدر وخروجه سياتى ان شا الله تعالى فى تحقيق القضاء
والقدر الفصل الثانى فى تفسير اية اخرى دالة على حدوث
السموات قال سبحانه ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال
لها وللارض ايتيا طوعا او كرها الى قوله واوحى فى كل سما امرها
ونظير هذه الاية قوله تعالى فى سورة البقره هو الذى خلق
لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السما فسويهن سبع سموات
وهو بكل شى عليم وفى هذه الاية ابحاث الاول فى قوله ثم استوى
الى السماء وهى دخان واعلم ان قوله ثم استوى الى السماء يدل على
امرين الاول انه يدل على انه حين استوى الحق سبحانه الى السماء
كانت سماء واحدة ثم قوله فقضيهن سبع سموات فى يومين
يدل على انها انما صارت سبع سموات بعد ذلك لان الفاء
للتعقيب فصار قوله ثم استوى الى السماء وهى دخان نظير
قوله فى سورة البقرة ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات

فصار الفا فى قوله فقضاهن سبع سموات فى دلالته على ان
هذا العدد انما حصل بعد ان كان الكل واحد وهو الرتق والفتق
الذى شرحناه فى الفصل الاول الوجه الاول ان الاية دالة
على ان السموات مخلوقة من الدخان واعلم ان تخليق السماء
من الدخان دال على كمال القدرة ونهاية الحكمة وذلك من
وجوه الاول ان الدخان فى غاية الكدورة والظلمة والسموات
فى غاية الصفا والنقا والشفافية فاظهار اعظم الاشياء
لطافة وصفا من اشد الاشيا كدورة وظلمة من ادل الدليل
على كمال القدرة ونهاية الحكمة ثم الذى يزيد الكلام تقريرا
وايضاحا ما روى فى الخبر انه سبحانه خلق جوهرة ثم نظر
اليها بعين الهيبة فصارت ماء فسلط الحرارة على ذلك
الماء فارتفع منه زبد وعلاه دخان فخلق الارض من الزبد
والسموات من الدخان ثم ان الزبد فى غاية البياض والصفاء
والدخان فى غاية الظلمة والكدورة فخلق الارض الكدرة المظلمة
من الزبد الابيض الشفاف وخلق السموات الشفافة الصافية
من الدخان الكدر المظلم استدلالا باخراج الضد من الضد على
كمال القدرة ونهاية الحكمة ونظيره قوله تعالى الذى جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون والنظر الثانى
لهذا المعنى ان النار نورانية صافية والتراب ظلمانى كدر ثم خلق
ابليس من النار واغواه فى ظلمات الكفر والضلال وخلق ادم
من التراب ورباه بانوار الهداية والارشاد حتى يعرف الانسان
ان الكل من الله وبتقدير الله الوجه الثانى ان الدخان مما يعمى العين
ويبطل البصر ثم انه تعالى زين السما بزينة الكواكب وجعلها بحيث
ان النظر الى السما والى الكواكب يزيد البصر قوة وكمالا وجعل لون
السما الزرقة وهى انفع الالوان ليعلم الانسان انه هو الذى
يقلب الشى من صفة الى ضدها فيعرف به كمال قدرته وحكمته
الوجه الثالث ان الدخان يكون سريع التفرق والتلاشى ثم انه

تعالی وصف السموات باضداد هذه الصفات فقال تعالی
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنینا فوقکم سبعا شدادا
وقال افلم ینظروا الی السما فوقهم کیف بنیناها الوجه الرابع
ان الدخان اذا توسط بین الناظر والمنظور الیه صار حجابا
بینهما ثم انه تعالی خلق الکواکب المنیرة فی اجرام الافلاک وعمق تحتها
مع انه لم یصیر شیا من اجرام الافلاک حاجبا بین تلک الانوار
وبینا وکل هذه الاحوال تدل علی انه سبحانه هو القادر الذی
یقلب الشی من الضد الی الضد فلما قدر علی ان یخلق من الدخان
الکثیف هذه الاجرام النورانیة الربانیة الباقیة المحفوظة
فای عجب فی اعادة الحیوة الی اجزاء البدن بغیر صیرورتها ترابا
رمیما والیه الاشارة بقوله او لیس الذی خلق السموات
والارض بقادر علی ان یخلق مثلهم بلی وهو الخلاق العلیم فالخلاق
اشارة الی کمال القدرة وهی القدرة النافذة فی جمیع اجزاء
الممکنات والمبتدعات المستولیة علی کل احوال المحدثات
والکاینات وقوله العلیم اشارة الی کمال العلم المتعلق
بجمیع الکلیات والجزئیات والحاضرات والغایبات والذوات
والصفات والموجودات والمعدومات ولاشک ان موثر
العالم متی کان موصوفا بهاتین الصفتین کان کل عسیر بالنسبة
الی کمال قدرته یسیرا وکل صعب بالنسبة الی عظمة قهاریته
وخلاقیته هینا فتبارک الله رب العالمین الموضع الثانی من
المواضع التی اشتملت هذه الایة علیها فی ابتداء تخلیق العالم
قوله تعالی فقال لها وللارض ایتیا طوعا او کرها قالتا اتینا
طائعین وللناس فی هذه الایة قولان احدهما ان هذا الامر
والاجابة محمولان علی لسان الحال لا علی ظاهر المقال ویدل علیه
وجوه الاول ان السموات والارضین جمادات وامر الجمادات
لا یلیق بالحکمة والثانی بتقدیر ان تکونا احیا عاقلة فاهمة
لکنهما لا تقدر علی التصرف فی نفسها وفی ذاتها لان المتصرف

المتصرف فی الشی متقدم بذاته وصفاته علی ذلک التصرف
وتقدم الشی علی نفسه محال فثبت انه یمتنع کونها قادرة علی
التصرف فی نفسها الثالث انه تعالی نص فی محکم التنزیل
علی انه سبحانه هو الخالق لذوات السموات فقال الحمد لله الذی
خلق السموات والارض ثم بین فی ایة اخری انه سبحانه خلقها
من العدم المحض والنفی الصرف فقال الحمد لله فاطر السموات
والارض ثم بین فی ایة اخری انه جعلها سبعا شدادا فقال وبنینا
فوقکم سبعا شدادا وبین انه جعلها سقفا محفوظا فقال
وجعلنا السماء سقفا محفوظا ثم بین انه رفعها بغیر علاقة
ولا دعامة فقال الله الذی رفع السموات بغیر عمد ترونها ثم ذکر
انه سبحانه هو الذی وصف اجرام السموات بجمیع صفاتها واحوالها
فقال رفع سمکها فسویها واغطش لیلها واخرج ضحیها واذا ثبت
هذه الایات المتاکدة بالبراهین العقلیة ان المدبر والمقدر والمتصرف
والخالق والموجد لذوات هذه السموات ولصفاتها هو الله سبحانه لم
یکن فی امرها فایدة ثم قال ایتیا طوعا او کرها قالتا اتینا طایعین
والامر والاجابة هاهنا عبارة عن سرعة نفوذ قدرته ومشیته
بلا مانع ولا معارض ولا منازع ونظیره قول العرب قال
الجدار للوتد لم تشقنی قال سل من یدقنی فان الذی ورای ما خلانی
ورانی وقال سبحانه انما قولنا لشی اذا اردناه ان نقول له کن فیکون
فیکون المراد من هذا الامر سرعة التکوین وذلک لانه ان امره
وهو معدوم فذاک محال وان امره بعد الوجود فلا یمکن ان یقال
للموجود کن موجودا وایضا قال سبحانه وان من شی الا یسبح بحمده
والمراد منه التسبیح بلسان الحال لا التسبیح بلسان المقال
فان الجمادات لا قدرة لها علی النطق وایضا قال تعالی الم تر ان الله
یسجد له من فی السموات ومن فی الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب وقال والنجم والشجر یسجدان ومعلوم
ان سجود الشجر والدواب لا یکون الا بلسان الحال فکذا هاهنا

الكلام فى تقرير هذا القول **الوجه الثانى** انه لايبعد فى قدرة الله
ان يخلق فيها الفهم والعقل ثم امرها وخاطبها فقال للسموات
والارض ايتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طايعين والذى يدل عليه
وجوه الاول الدلايل التى ذكرناها من القران والمعقولات على
ان الحيوانات عارفة بربها واذا لم يبعد خلق العقل ومعرفة الله
تعالى فى الحيوانات فاى بعد فى خلق الفهم والحيوة فى اجرام الافلاك
الثانى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل والتجلى لايمكن الابعد خلق
الفهم والادراك الثالث قوله تعالى ياجبال اوبى معه والطير
الرابع قوله تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم الخامس
قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
وبالجملة فهذا الاستبعاد زايل عند الاعتراف بكونه تعالى قادرا
على كل الممكنات عالما بكل المعلومات ومما يدل على صحة هذا الوجه
قوله تعالى قالتا اتينا طايعين ولو كانت السموات جمادات لكان
حق اللغة ان يقال اتينا طايعات فدل قوله تعالى اتينا طايعين على
انه تعالى خلق فيها الفهم والعقل فى ذلك الوقت واعلم انه سواء
ان حملنا هذا الامر والاجابة على لسان الحال او على لسان المقال
فذلك يدل على كمال عظمة الله ونهاية كبريايه وقدسه وعزته
وذلك ان كل ما كان غايبا عن الحس والخيال والعقل فانه لاسبيل
الى معرفة جلالته وعظمته الا بمعرفة اثار مخلوقاته ولاشك
ان السموات والارض اجسام فى غاية العظم والشدة والاتساع
ثم انها مع ذلك منقادة لامر الله تعالى وتسخيره وقهره وقدرته
وتكوينه وتخليقه وذلك يدل على قدرة لانهاية لكماله وحكمة
لاغاية لجلالها ودليل اجابة السموات والارضين مسخرة فى قبضة
قدرته وتصريف حكمته الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
الموضع الثالث فى ذكر هذه الاية قوله تعالى فقضاهن سبع
سموات فى يومين وفيه سوالان السوال الاول القضاء هو
الالزام وذلك مشعر بسبق منازعة وقد دلت الاية على انه

ما كان فيهما منازعة ولا مدافعة حيث قال مخبرا عنهما قالتا اتينا
طايعين الجواب لانزاع ان القضاء عبارة عن الالزام لكن يجب
ان يعلم ان ما سوى الله تعالى ممكن الوجود لذاته والممكن هو الذى
نسبة الوجود والعدم اليه على السوية واذا استوى الطرفان
لم يكن فى ذاته اقتضاء ولا استلزام لا للوجود ولا للعدم ثم ان الممكن
لذاته ما لم يجب وجوده لاجل ترجيح موثره لم يوجد فقوله سبحانه
فقضاهن اشارة الى ذلك الترجيح والتاثير الحاصل بسبب
تخليقه وتكوينه وذلك الترجيح هو الالزام لاحد الطرفين
لا محالة وعند هذه الدقيقة يظهر ان كل ما سوى الله تعالى من حيث
هو هو غير موجود بل وجوده من ايجاد الحق وعدمه من اعدام
الحق فاذا تاملت علمت انه لاموجود بالحقيقة الا الحق كما قال تعالى
ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شى هالك الا وجهه
السوال الثانى قال تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين واليوم
عبارة عن مدة حركة الشمس بحسب الطلوع والغروب فقبل
خلق الفلك يمتنع حصول اليوم والجواب المراد مرور دائرة الفلك
وذلك لان الحق سبحانه قديم والعالم محدث فتقدم البارى
على العالم ليس بسبب دور الفلك وحركة الشمس والقمر
وايضا فالزمان اما ان يكون قديما او حادثا فان كان قديما كان
مستمرا من الازل الى الابد فذلك الاستمرار لايكون لاجل
الزمان والا لزم افتقار كل زمان الى زمان اخر الى ما لانهاية له
وذلك محال فثبت ان الاستمرار والدوام لايتوقف على وجود
الزمان وان كان الزمان محدثا كان عدمه مستمرا فى الازل الى الابد
ولا يكون ذلك الاستمرار موقوفا على وجود الفلك وحركة
الشمس والقمر واذا ثبت هذا فنقول هذا الاستمرار هو
الذى يسميه المتكلمون بالزمان المقدر والمدة المفروضة
وتلك المدة المقدرة المفروضة هى المشار اليها بقوله تعالى
فقضاهن سبع سموات فى يومين وهذا الكلام دقيق لايتم

قف
تامل هذا التقرير لتعلم به كلام القوم فى قولهم ان هذا العالم لم يشم رائحة الوجود

المقصود منه الا بالكشف عن حقيقة الدهر والزمان وذلك عن مجازات العقول **السوال الثالث** قال الله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فتبين ان تخليقه وتكوينه لا يكون الا على هذا الوجه وهذا يناقض قوله فى هذه الاية فقضاهن سبع سموات فى يومين فالجواب انه سبحانه قادر على الايجاد دفعه واحدة وهو المراد بقوله كن فيكون وقادر ايضا على الايجاد جزا فجزا على سبيل التدريج وانه سبحانه فاعل مختار وفى كل احد من الوجهين حكمة واسرار اما الحكمة فى الايجاد على سبيل التدريج هو انه لو حصلت مخلوقاته كلها دفعة واحدة بحيث لا يخلق شيا اصلا بعدها اشبه ذلك تاثر ما يكون بالطبع وبالغلبة لا بالقدرة والاختيار فان الشمس اذا طلعت حصلت الاضاءة دفعة والنار اذا حضرت حصل التسخين والاحراق فلو حصلت افعاله تعالى دفعة واحدة لما تميزت فاعليته فى عقولنا وافكارنا عن تاثيرات العلل والموجبات بالطبع واما الحكمة فى عدم الايجاد دفعة واحدة هو انه سبحانه وتعالى لو حصلت مخلوقاته ابدا على سبيل التدريج ولم يحصل منها شى دفعة واحدة لكان ذلك يوهم العجز والحاجة والاحتياج فى الخالقية الى مدة قليلة ولما كان الامر كذلك فلاجرم تارة يفعل ويخلق دفعة ليلا يبقى شبهة العجز والحاجة وتارة على سبيل التدريج ليلا يبقى شبهة انه موجب بالذات وموثر بالطبع فهذا ما وصل اليه العقل المختصر ولله تعالى تحت كل فعل حكمة واسرار لا يعلمها الا هو **السوال الرابع** لاشك ان العالم الاكبر هو هذا العالم بما فيه من السموات والارضين والعالم الاصغر هو الانسان ولاشك ان العالم الاكبر اعلى واعظم من العالم الاصغر فان العقل يدل عليه وكذا القران قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم انه تعالى خلق العالم الاكبر فى ستة ايام وخلق

العالم

العالم الاصغر فى ستة اشهر بدليل انه قال قوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ثم قال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا مدة الرضاعة وهى اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين شهرا بقى الباقى مدة الحمل ستة اشهر فما الحكمة فى ان جعل مدة تخليق العالم الاكبر ستة ايام ومدة تخليق العالم الاصغر ستة اشهر فالجواب من وجوه الاول انا بينا ان الحكمة قد تقتضى تخليق بعض الاشيا على سبيل التدريج الا انا بينا ان التخليق على سبيل التدريج يوهم العجز والحاجة الى المادة والمدة فالحق سبحانه ازال هذا الاشكال بان خلق العالم الاكبر فى ستة ايام وخلق الاصغر فى مدة ستة اشهر ليعلم الخلق ان التخليق على سبيل التدريج ليس لاجل العجز والحاجة اذ لو كان الامر كذلك لكان تخليق العالم الاكبر فى مدة اطول اولى فسبحان من له تحت كل شى حكمة قدسية الهية والثانى قال بعضهم انه تعالى لما اراد ان يخلق السماء والارض كان جبريل وميكايل وساير اكابر الملئكة عقلاء مكلفين فخلق الله تعالى العالم على مهل حتى يمكنهم الوقوف على دقايق الحكمة فى ذلك التخليق فى قدرة الله تعالى والثالث لا يبعد ان يقال ان الله تعالى خلق العالم على التدريج واخبر عن ذلك حتى يصير ذلك شبهة فى تخيل العجز والحاجة فى قدرة الله تعالى وهذا نوع ابتلا وامتحان كما قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا حتى ان المومن يعلم ان ذلك التدريج ليس للعجز ولا للحاجة بل للعبرة والحكمة فكان ذلك الابتلا سببا لمزيد الثواب فى حق الموفقين ونظهر بسبب هذا المعنى ان هذه الدار دار الابتلاء والامتحان والرابع انه سبحانه بين فى هذه الاية انه خلق الارض فى يومين ثم خلق كل ما فى الارض من الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان فى يومين اخرين ثم خلق السموات السبع وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والعجايب والايات فى يومين اخرين والحكمة فيه

انه لا نسبة للارض وما فيها الى السموات وما فيها فان
الارض في جنب السماء كالقطرة في جنب البحر فلما خلق الارض
على صغرها في يومين وخلق السموات على كبرها وغاية عظمها
في يومين عرف ان هذا التدريج ما كان لاجل العجز والحاجة
بل الحكمة بالغة واسرار خفية تعجز عقول الخلق عن الوقوف
عليها **النوع الخامس** ان قوله ثم استوى الى السما يدل على ان
تخليق السموات متاخر عن تخليق الارض وقوله في سورة
النازعات والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان تخليق الارض
وقع بعد تخليق السماء وحينئذ يقع التناقض بين الايتين فالجواب
فيه قولان الاول ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السما ثانيا
ثم دحى الارض بعد تخليق السما لان التدحية عبارة عن
البسط وحينئذ يزول التناقض بين الايتين واعلم ان على هذا
القول اشكالين الاول ان الارض جسم عظيم فيمتنع انفكاك
تخليقها عن التدحية فاذا كانت التدحية عن لوازم تخليق
ذات الارض ثم ثبت بالنص ان التدحية متاخرة عن تخليق
السماء لزم ان يكون تخليق الارض متاخرا عن تخليق السماء
وحينئذ يعود الاشكال الثاني الدلائل الاعتبارية دلت
على ان الان كرة وايضا انه تعالى قال في سورة البقرة هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء وهذا يدل
على ان خلق الارض وخلق كل ما فيها مقدم على خلق السما لكن
من المعلوم ان خلق الاشيا في الارض لا يمكن الا اذا كانت
مدحوة فهذه الاية تقتضي تقدم كون الارض مدحوة مقدمة
على خلق السماء وحينئذ يعود السؤال ومما يوكد هذا قوله
تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم
استوى الى السماء وهي دخان فهذه الاية تقتضي انه سبحانه جعل

فيها رواسي من فوقها وبارك فيها بخلق البحار والاشجار والثمار
وقدر فيها اقواتها فيها بخلق الزرع منها وكل ذلك حصل قبل خلق
السموات ومعلوم ان خلق الرواسي والاشجار والثمار لا يمكن
الا بعد تدحية الارض فصارت هذه الاية مع الاية المذكورة
في سورة البقرة يدلان على ان تدحية الارض حصلت قبل
تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال وايضا فقوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها
يدل على ان اخراج الماء وارسا الجبال وتخليق المرعى كل ذلك
وقع متاخرا عن تخليق السماء والاية الواردة في السجدة صريحة
في ان كل ذلك قبل تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال **القول
الثاني** في هذه المسئلة قول من قال السما مخلوقة قبل
الارض واحتجوا عليه بالنقل والعقل اما النقل فالحجة الاولى
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها وقد بينا فيما تقدم ان كون
الارض مدحوة من لوازم وجود الارض لانها جسم عظيم والجسم
العظيم وان كان كرة الا ان كل قوس منها يكون في المنظر على الشكل
المستقيم فتكون مدحوة لا محالة **الحجة الثانية** قوله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان سماها سماء حال الاستواء
اليها ثم انه تعالى جعلها بعد ذلك سبعا وهو المراد من قوله
فقضاهن سبع سموات وهذا صريح في انها كانت سما قبل
ذلك ثم انه تعالى صيرها سبعا بعد ذلك **الحجة الثالثة** قوله
تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض قدم السما في الذكر
واما المعقول فمن وجوه ان السما كالزوج والارض كالزوجة
والسما كالغني والارض كالفقير فكان تخليق السماء قبل تخليق
الارض الثانية ان السما مسكن الملئكة والارض مسكن
البشر والملئكة قبل البشر فكان تخليق مسكنهم قبل تخليق
مسكن البشر اولى .بقي ان يقال ما معنى قوله تعالى ثم استوى
الى السما في سورة البقرة وفي سورة السجدة فنقول فيه وجهان

الاول ان لا يكون المراد من كلمة ثم الترتيب في الوجود بل المراد الترتيب في الذكر كقول الرجل انت كذا وكذا ثم انت بعده كذا فيكون المراد الترتيب في الذكر قال الله تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا والمراد من الترتيب في الذكر الوجه الثاني لعل السبب في تقديم ذكر الارض على السما هو ان الارض اقرب الينا من السما ولاجل ان السما اعظم من الارض واياتها اعظم من ايات الارض والانتقال من الحجة الى الحجة انما يحسن من الادنى الى الاعلى كما انتقل ابرهيم عليه السلام من قوله يحيي ويميت الى قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب والله اعلم **السوال السادس** انه تعالى قال قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فيكون المجموع ثمانية وظاهر هذه الاية يقتضي انه تعالى خلق السموات والارض في ثمانية ايام فيكون هذا مناقضا لقوله خلق السموات والارض في ستة ايام فالجواب ان تخليق الارض حصل في يومين وتخليق الجبال بعدها حصل في يومين اخرين فكان المجموع اربعة ايام وهو المراد بقوله في اربعة ايام سوا للسايلين ثم حصل تخليق السموات في يومين اخرين فكان المجموع ستة ايام فقد زال الاشكال في هذه الاية وقوله تعالى واوحى في كل سما امرها سنذكره ان شا الله تعالى في باب الملكة

الفصل الثالث في الاستدلال بصفات السموات واحوالها الموجودة في هذا الوقت على ان لها صانعا ومدبرا قال الله سبحانه ان في خلق السموات والارض واختلاف اليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون وقال في ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف اليل والنهار لايات لاولي الالباب وقال في اول سورة الانعام الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقال في هذه السورة حكاية

عن الخليل اني وجهت وجهي للذي خلق السموات والارض وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اول النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقال في اول سورة سبا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وقال في اول سورة الملكة الحمد لله فاطر السموات والارض وفي القران من هذا الجنس ايات كثيرة واقول هذا البحث لا يتخلص الا بذكر مسايل

المسلة الاولى في تفسير لفظ الخلق بحسب اللغة فنقول المشهور في اللغة ان الخلق عبارة عن التقدير واحتجوا عليه بالقران والشعر اما القران فايات احدها قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين اي المقدرين الثانية قوله تعالى لعيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تقدر الثالثة ان يسمى الكذب خلقا واختلاقا يقال هذا حديث مخلوق ومختلق اي كذب لا اصل له قال الله تعالى وتخلقون افكا اي تقدرون كذبا وقال حكاية عن الكفار ان هذا الا خلق الاولين وان هذا الا اختلاق والسبب في تسمية الكذب بالخلق ان الكذاب يضمر ذلك الكذب في ذهنه ويقدره في خاطره الرابعة قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فقدم التخليق على التكوين فدل ان التخليق ليس عبارة عن التكوين لان الشي لا يتقدم على نفسه بل التخليق عبارة عن التقدير وهو مقدم على التكوين **واما الشعر** **فكقوله** ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري **وقال** ولا ينط بايدي الخالقين ولا بدا الخوالق الا حد الاجدم **واما الاستعمال** يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس ومنه قول العرب للمقدار المعين من الخلق خلايق ويقولون وهو خليق بكذا اي جدير بكذا اي هذا الشي على قدر استحقاقه والصخرة الخلقا الملسا لان الملاسة عبارة عن صيرورة

جميع اجزا الشئ بقدر واحد ومنه اخلق الثوب اذا بلي وصار
املس واستوى جميع اجزايه فثبت بجميع هذه الوجوه ان
الخلق عبارة عن التقدير وهذا القول الذي قلناه هو قول
جمهور المعتزلة ثم القايلون اختلفوا قال عبد الله البصري
منهم اطلاق اسم الخلق على الله محال في الحقيقة اذ التقدير
عبارة عن الفكر والظن والحساب وذلك في حق الله تعالى
محال وقال تلميذه القاضي عبد الجبار بن احمد التقدير عبارة عن
العلم بالعواقب وهذا المعنى حاصل في حق العبد وفي حق الله
تعالى اما في حق العبد فانه قد يحصل له هذا العلم بنا على الامارات
اللايحة الواضحه وبسبب الفكر والروية واما في حق الله
تعالى فلا شك في حصوله واذا كان الامر كذلك كان اطلاق
لفظ الخالق على الله تعالى وعلى العبد على سبيل الحقيقة واما
اصحابنا من اهل السنة والجماعة فقالوا الخلق حقيقه
في الايجاد والابداع والاختراع والذي يدل على هذا حجج
الاولى قوله تعالى في سورة الفرقان وخلق كل شي فقدره
تقديرًا ولو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار تقدير الاية
وقدر كل شي فقدره تقديرا ومعلوم انه تكرير من غير فايدة اما
اذا حملنا الخلق على الايجاد لم يحصل التكرار وانتظم الكلام
الثانية قوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر ولو كان الخلق هو
التقدير لكان خلقناه بقدر تكريرًا من غير فايدة الثالثة اجماع
سلف الامة على انه لا خالق الا الله وايضا فقوله تعالى
هو الله الخالق المصور تقتضي ان لا تحصل هذه الصفات
الا له تعالى كما اذا قلت زيد هو العالم يقتضي حصر هذا الوصف
فيه فاذا ثبت انه لا خالق الا الله وثبت ان غير الله مصور فقد
علمنا ان الخلق ليس عبارة عن التقدير واما الجواب عن الوجوه
التي تمسكوا بها فنقول الوجوه التي ذكرتم تدل على استعمال
لفظ الخلق في معنى التقدير وما ذكرنا يدل في غير معنى التقدير

بل

بل في معنى الايجاد والابداع فنقول لا بد من جعله حقيقة
في احدهما مجازا في الاخر فنقول من فرض شيا وقدره مع ان
ذلك معدوم فكانه يريد ان يجريه مجرى الموجود فكان
هذا شبيها بالايجاد والابداع فلاجل هذه المشابهة
اطلق لفظ الخلق على التقدير المسلة الثانية اختلفوا في ان
الخلق نفس المخلوق او غيره فقال جميع المتكلمين الخلق غير
المخلوق ويدل عليه حجج الاولى اجتمعت الامة على انه سبحانه
خالق والخالق من كان موصوفا بالخلق والله سبحانه موصوف
بالخلق وغيره موصوف بالمخلوق باتفاق العقلا فعلمنا
ان الخلق غير المخلوق الثانية اذا خطر ببال احدان هذا
الشي يمكن ان يوجد ويمكن ان يبقى على العدم يقضي العقل انه
لا يمكن حصوله في الموجود الا بايجاد موجد وتخليق خالق
فاذا علمنا وجود المخلوق بالتخليق وحصول المكون بالتكوين
والايجاد فلو كان الخلق والايجاد والتكوين عبارات عن
وجود المخلوق لكان قولنا المخلوق انما وجد لان الخالق خلقه
عايدا على ان المخلوق انما وجد لذاته لانه مخلوق وذلك يوجب
استغناه عن الخالق ووقوعه بذاته كله وذلك محال الثالثة
انا قد نعقل وجود هذا المخلوق وذاته ونعقل وجود ذلك
الخالق وذاته مع الشك في كون ذلك الشئ خالقا لهذا الشي
وكون هذا الشي مخلوقا لذلك الشي والمشكوك فيه مغاير للمعلوم
وكون هذا الشئ خالقا لذلك الشئ لا بد وان يكون لامر زايد
على ذات الخالق وذات المخلوق وهذا يفيد القطع بان الخلق
غير المخلوق ثم قال جمهور المتكلمين الخلق يمتنع ان يكون
مغايرًا للقدرة ويدل عليه وجوه الاول ان الخلق ان كان قديما
لزم من قدمه قدم المخلوق وان كان حادثا افتقر الى خلق اخر
ولزم التسلسل الثاني ان الخلق ان كان مخلوقا افتقر الى خالق
وان كان قديما لزم من لوازم ذات الباري تعالى فلا يكون ثبوته

واقعا بقدرة البارى واختياره ثم ان الخلق مستلزم لوجود
المخلوق لانه لا يتصور فى العقل حصول الخلق مع انه لا يترتب
عليه وجود المخلوق اصلا اذا ثبت هذا فنقول ذاته تعالى
مستلزم الخلق والخلق مستلزم المخلوق ومستلزم المستلزم مستلزم
فذات الله تعالى مستلزمة لوجود المخلوق فلا يكون وقوع
المخلوق باختيار الله تعالى ومشيئته بل يكون ذات الله تعالى
موجبة لوقوع المخلوقات وحينئذ تكون ذاته تعالى موجبة
بالذات لا فاعلة بالاختيار وهو باطل الثالثة ان المراد من القدرة
الصفة المؤثرة ومن الارادة الصفة المرجحة فاذا حصل
مجموع القدرة والارادة فقد حصل تمام المؤثر واما وقوع
المخلوق فهو الاثر ويمتنع ان يحصل بين المؤثر المستقل التام
وبين الاثر واسطة هنا مجموع الارادة والقدرة وهاهنا
الامر الحاصل منهما واذا كان الامر كذلك بطل القول بان الخلق
صفة زايدة على القدرة والارادة وهو المطلوب الرابعة
ان قوله ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولى الالباب والذى يمكن جعله ايات ودلايل على
انه سبحانه هو خالق هذه المخلوقات لا للصفة القايمة بذات
الله تعالى فعلمنا ان المراد من قوله ان فى خلق السموات هذه المخلوقات
وكيفية تقديرها بالصفات المخصوصة والاحوال المخصوصة
المسئلة الثانية اعلم ان الاستدلال بالسموات على وجود الصانع
سبحانه يقع على وجوه الاول الاستدلال بمقادير هذه الافلاك
فانها مع اشتراكها فى طبيعة الفلكية اختص كل واحد منها
بثخن معين وضخامة معينة مع انه لا يمتنع فى العقل وقوعه
ازيد عن ذلك المقدار وانقص منه بذرة فلما اختص كل واحد
منها بمقداره الخاص مع ان المقادير باسرها على السوية فقضى
العقل بافتقار هذا المقدار المعين الى مخصص ومرجح وذلك
هو سبحانه واعلم ان اليق الوجوه بقوله تعالى ان فى خلق السموات

والارض

والارض هذا الوجه لانا ذكرنا ان اطلاق لفظ الخلق على
المقدار اطلاق مشهور متعارف واعلم انا لو ساعدنا على ان
لفظ الخلق فى اللغة عبارة عن التقدير لكنا نقول انما صار
لفظ الخلق مخصوصا بفعل الله لان افعاله تعالى واقعة
على وفق علمه ومشيته من غير زيادة ولا نقصان فلما
كان هذا المعنى لا يحصل فى فعل غير الله لا جرم لا يصلح استعمال
لفظ الخلق الا فى فعل الله تعالى النوع الثانى فى الاستدلال
على كون بعض الافلاك اعلى وبعضها اسفل وهذا فى الجملة
معلوم الا ان اهل الهيئة قالوا اقرب الكواكب الينا القمر
ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل
ثم الكواكب الثابتة وذكروا فى معرفة هذا الترتيب ثلاثة
اوجه الاول الستر وذلك لان الكوكب الاسفل اذا مر بين
ابصارنا وبين الكوكب الاعلى فانهما يصيران مثل كوكب واحد
فى الروية فيتميز الساتر عن المستور بكونه الغالب عليه
كصفرة عطارد وبياض الزهرة وحمرة المريخ ودرية المشترى
وكمودة زحل ثم ان القدما وجدوا القمر يكسف الكواكب
الثابتة وكثيرا من الثوابت التى فى طريقه فى ممر البروج وكوكب
عطارد يكسف الزهرة والزهرة تكسف المريخ والمريخ
يكسف المشترى والمشترى يكسف زحل وزحل يكسف
الكواكب الثابتة التى يكون ممره فعرفوا هذا الترتيب بهذا
الطريق الا انه بقى اشكال من وجوه الاول ان الشمس لا يحجب
فى نورها ما هو اعلا منها وما هو اسفل منها وحينئذ لا يمكن
ان يعلم بهذا الطريق موضع الشمس الثانى هب ان هذه السيارات
تكسف الثوابت التى تكون على ممرها لكنها لا تكسف الثوابت
التى لا تكون فى جانبى القطبين فلم لا يجوز وجود كرة اخرى تحت
كرة القمر تكون هذه الثوابت مركوزة فيها فتكون حركة هذه
الكرة مشابهة لحركة كرة الثوابت وعلى هذا الطريق لا تختلف

اوضاع الثوابت البتة وهذه الاعتراضات تظهر ضعف
عقولهم فى معرفة هذا الترتيب الا ان وجه الاستدلال
بها على الصانع المختار على جميع الاحتمالات لا يختلف
وذلك لان كل فلك فانه يماس بمحدبه فلكا اخر فوقه وبمقعره
فلكا اخر تحته وذلك الفلك متشابه الاجزا متشابه الجوانب
وكلما يصح على احد جانبيه وجب ان يصح على الجانب الاخر
منه فالفلك الفوقانى الذى لقيه بمحدبه يصح ان يلاقيه
بمقعره والفلك التحتانى الذى لقيه بمقعره صح ان يلاقيه
بمحدبه ومتى كان الامر كذلك ثبت انه يصح ان يحصل الفلك
الاعلى فى الاسفل والاسفل فى الاعلى ومتى كانت هذه
الاحتمالات جايزة امتنع اختصاص كل واحد من الافلاك
بحيزه الذى هو فيه وبموضعه الذى هو فيه الا بتخصيص
مخصص وتقدير مقدر وتكوين مكون قادر حكيم عالم وهو
وهو الله سبحانه النوع الثالث من الاستدلال باحوال
الفلك ان كل كوكب حصل فى فلك فانه حصل فى هوة معينة
وحصلت فى جانب معين من ذلك الفلك ثم ان القوم اتفقوا
على ان الفلك بسيط غير مركب والجسم البسيط هو الذى
يكون على طبيعة واحدة متشابهة فلما امكن حصول تلك
النقرة فى ذلك الجانب من الفلك تمكن حصوله فى سائر
جوانب ذلك الفلك وكما امكن حصول الاتصال فى
سائر جوانب الفلك امكن حصوله فى ذلك الموضع الذى
حصلت النقرة فيه واذا ثبت ذلك ظهر ان الاجتماع
والافتراق والاتصال والانفصال جائز على جميع اجزا
الفلك كل واحد منها بدلا عن الاخر واذا كان الامر كذلك
كان حصول النقرة فى جوانب الفلك وحصول الاتصال
فى سائر جوانب ذلك الفلك امرا جايزا فلا يمكن حصوله
الا بمرجح ومخصص ومدبر قادر مختار وذلك هو المطلوب

النوع

النوع الرابع من الاستدلال باحوال الافلاك هو ان كل كرة
من كرات الافلاك فانها تدور على قطبين معينين فاذا كان
الفلك متشابه الاجزا كان جميع النقط المفروضة عليها
متساوية وجميع الدواير المفروضة عليها ايضا متساوية
واختصاص النقطتين المعينتين بالقطب دون ساير النقط
مع استوائها فى جميع الماهية الحقيقية يكون امرا ائنا
فيقتضى العقل بافتقاره الى المرجح المريد القادر المختار
النوع الخامس من الاستدلال ان الاجرام الفلكية مع تشابهها
فى الجسمية وقبول الاعراض اختص كل واحد منها بنوع معين
من الحركة من البطو والسرعة فانظر الى الفلك التاسع مع نهاية
اتساعه وعظمه يدور فى كل يوم وليلة دورة تامة الا فى ستة
وثلثين الف سنة على قول القدماء وفى اربعة وعشرين الف
سنة على راى المتاخرين ثم الفلك السابع الذى تحته يدور فى
ثلاثين سنة دورة تامة واختصاص الفلك الاعظم بتلك
السرعة الشديدة والفلك الثامن بذلك البطو العظيم امر
على خلاف العقل فانه كان ينبغى ان يكون الاوسع ابطا حركة
والاصغر اسرع حركة فوقوعه على هذا الوجه يدل على انه بسبب
تقدير العزيز العليم القادر الحكيم النوع السادس من
الاستدلال ان الفلك الذى يسمونه بالممثل اذا انفصل عنه الخارج
المركز يبقى على مذهبهم منه متمان احدهما من الخارج والاخر من
الداخل وانه جسم متشابه الطبيعة ثم اختص احد جوانب
هذا الجسم بغاية الثخن والاخر بغاية الدقة واذا كان كذلك
وجب ان يكون ذلك الثخن والدقة بالنسبة الى طبيعة ذلك
الجسم على السوية فاختصاص احد الجانبين بالدقة والاخر
بالثخن يدل على القادر المختار ومن الاستدلال انها مختلفة فى
جهات الحركات فبعضها من المشرق وبعضها من المغرب وبعضها
شمالية وبعضها جنوبية مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها

والى الفلك الثامن انه
لايتم دورته صح

على السوية فاختصاص كل واحد منها بجهته المعينة لابد
وان يكون بتخصيص القادر المختار واليه الاشارة بقوله
تعالى وكل في فلك يسبحون **النوع السابع** من الاستدلال
انا نشاهد هذه الافلاك الان متحركة اما لانها ما كانت
موجودة في الازل ولانها وان كانت موجودة في الازل الا
انها ما كانت متحركة في الازل والقسم الاول محال لان ماهية
الحركة عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة اخرى وهذا
الانتقال لا محالة يكون مسبوقا بالمنتقل عنه فحقيقة
الحركة يقتضي بماهيتها ان تكون مسبوقة بالغير وحقيقة
الازل تنافي المسبوقية بالغير فالجمع بين الحركة والازل
محال ولما بطل هذا التقسيم ثبت انه لا حركة في الازل سوا
قلنا ذوات الافلاك كانت موجودة في الازل ساكنة او
قلنا بانها كانت معدومة في الازل وعلى القولين لابد من
الاعتراف بالفاعل المختار الحكيم لانا وان قلنا انها كانت
موجودة وكانت ساكنة ثم تحركت فيما لا يزال فلابد
من قادر وحكيم مختار يحركها بعد ان كانت ساكنة وان قلنا
بانها كانت معدومة في الازل فلابد ايضا من قادر حكيم مختار
يوجدها فيما لا يزال بعد ان كانت معدومة في الازل فثبت
على كلا القسمين انه لابد من الاعتراف باثبات الله قادر عالم
مختار وهذا الماخذ احسن الماخذ واقواها واحلاها والله
اعلم **النوع الثامن** من الاستدلال ان حركات هذه الافلاك
اما ان تكون من لوازم جسميتها او لا تكون كذلك والاول باطل
لان كل ما كان من لوازم الشي امتنع زواله مع بقاء ذلك الشي
لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم لكنا نرى جسمية كل
واحد من الافلاك قد تنفك عن كل واحد من الاجزا المفروضة
في الحركات فاذا كل واحد من تلك الحركات ليس من لوازم جسميته
وليس ايضا من لوازم صورته المعينة وطبيعته المعينة والا

عاد المحال المذكور لان تلك الطبيعة والصورة باقية
في كل واحد من اجزا تلك الحركة وكل واحد من اجزا تلك الحركة
غير باق فاذا الكل واحد من الاجزا المفروضة في تلك الحركات
مدبر ومقدر يحرك الافلاك والثوابت والسيارات وهو
الله سبحانه **النوع التاسع** ان هذا الترتيب العجيب في تركيب
هذه الافلاك وايتلاف اجزائها واتساق حركاتها انظم
موافق لمصلحة هذا العالم لا يتاتى بالعبث ولا يتاتى من الطبيعة
الجاهلة بل صرايح الاذهان وبداية الافكار ناطقة بان ذلك
لا يتاتى الا من القادر الحكيم اما لانه لا يعقل اسنادها الى
العبث والجزاف ولان من جوز في بناء رفيع وقصر منيع ان
التراب وانضم احدهما الى الاخر ثم تولد منها لبنات ثم ركبت
اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد وبناء عال وكل ذلك
حصل من غير تدبير مدبر وتقدير مقدر فانه يقضي على مجوز هذا
بالجنون ونحن نعلم ان تركيب الافلاك وما فيها من الكواكب
النيرة والحركات المختلفة وما حصل لها من النقاء والصفاء
ليس اقل من ذلك البنا فثبت ان القول بوقوع هذه السموات
وهذه الافلاك على وجه العبث والجزاف محال ثم عند هذا
لا يخلو اما ان يقال انها متحركة بانفسها على الطبيعة او على
سبيل الاختيار او لاجل ان محركا يحركها والاول باطل لان كل
جسم متحرك بالطبع عن الشي فانه لا يتحرك بغير تلك الطبيعة
الى غير ذلك الشي لان المهروب بالطبع لا يكون مطلوبا بالطبع
والحركة المستديرة وكل حركة وقعت هربت من نقطة فان عين
ذلك الهرب لا يكون عين طلب تلك النقطة فعلمنا ان حركات
الافلاك ليست طبيعية وهي ايضا ليست ارادية وذلك
ان حركاتها اما ان تكون لغرض يمكن حصوله او ليس كذلك فان كان
الاول لزم وقوف هذه الحركات وانتهايها الى السكون لان كل حركة
كانت لطلب مقصود فعند حصول ذلك المقصود وجب

انقطاع تلك الحركة وان كانت تلك الحركة لغرض غير ممكن الحصول
كانت تلك الحركة عبثا والعبث لا يكون دايما ولما بطل القسمان
علمنا ان حركاتها ليس الا لاجل ان المدبر والمقدر القاهر القادر
العالم بالاسرار والخفيات المطلع على الكليات والجزئيات
يحركها على وفق مشيئته ومقتضى قدرته وارادته وليس عندنا
الا الايمان لها على سبيل الاجمال كما قال ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار **النوع العاشر** من الاستدلال باحوال السموات
انا نراها مختلفة في الالوان مثل تحز القمر وصفرة عطارد
وبياض الزهرة وضوء الشمس وحمرة المريخ ودرية المشتري
وكدورة زحل ولمعان الثوابت وايضا كل كوكب من الكواكب
الثابته مختص بعظم خاص وهواء خاص وجانب خاص من الفلك
وايضا عند المنجمين مختلفا السعادة والنحوسة والذكورة
والانوثة والنهارية والليلية فنرى ان زحلا الذي هو ارفع
السيارات وتحتا المشتري وهو ادونه سعدا والشمس هو
سلطان الكواكب سعيد في بعض الاتصالات نحس في بعضها
ونراها مختلفة في الثبوت والحدود والوجوه والمثلثات
والرجوع والاستقامة والصعود والهبوط مع كونها
باسرها مشتركه في كونها اجساما فلكية شفافة نورانية
مصونة عن الكون والفساد والتغير والانحلال فقضى
صريح العقل بافتقارها الى مدبر يدبرها وقادر يخصص كل واحد
منها بصفته المعينة **النوع الحادي عشر** ان هذه الكواكب ان
كان لها تاثير في هذا العالم فهي اما ان تكون متدافعة او متعاونة
او لا متدافعة ولا متعاونة فان كانت متدافعة فاما ان يكون
بعضها اقوى من بعض او متساوية في القوة فان كان بعضها
اقوى من البعض كان القوي غالبا والضعيف مغلوبا فوجب
ان يستمر احوال هذا العالم على طبيعة ذلك الكوكب ومعلوم

ان الامر ليس كذلك فان قيل لم لا يجوز ان يختلف اثار
الكواكب بسبب اختلاف طبايع البروج قلنا لو كانت
طبايع الحروف مختلفة لكان الفلك جسما مركبا لا بسيطا
وقد ثبت عندهم فساد ذلك واما ان كانت متساوية في القوة
مع انها متدافعة فحينئذ لا يحصل الفعل عن شي منها اصلا
فتكون الافعال الظاهرة في هذا العالم مستندة الى شيء
غيرها فيكون مدبر هذا العالم ذلك الغير لا هذه الكواكب واما
ان قيل لهذه الكواكب متعاونة لزم ايضا ابقاء هذا العالم على نسق
واحد من غير تغير اصلا واما ان قيل انها تارة متعاونة وتارة
متدافعة فيكون انتقالها من الحب الى البغض ومن الممانعة
الى المعاونة تغير يحصل لها في صفاتها ولا بد لذلك التغير من مغير
ومدبر فتكون الكواكب باسرها مفتقره في حصول صفاتها
وحدوث احوالها الى مدبر قادر مقتدر وذلك هو الله سبحانه
وتعالى **النوع الثالث عشر** ان هذه السموات والكواكب اجسام
وكل جسم مركب عن الاجزا لان كل جسم فهو قابل للقسمة
الوهمية وكلما قبل القسمة الوهمية كانت ذاته مركبة من
تلك الاجزا التي كل واحد منها مميز عن الاخر في الاشارة الحسية
فكل ما كان مركبا فانه مفتقر الى غيره في تحققه الى كل واحد من اجزايه وكل
واحد من اجزا الشي غيره فكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر
الى غيره فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محتاج وكلما احتاج
في وجوده الى المؤثر فاحتياجه اليه اما ان يكون حال بقايه او
حال حدوثه ويمتنع ان يحتاج الى المؤثر الموجد حال بقائه لان كل
ذلك يفضي الى ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وهو محال
فلم يبق الا ان يكون الحاجة اما زمان الحدوث او زمان العدم
وعلى التقديرين كان كل محتاجين الى المؤثر محدثا فثبت ان هذه
الكواكب والسموات باسرها ممكنة الوجود لذاتها محتاجة
في وجودها الى المؤثر محدثة مسبوقة بالعدم **النوع الرابع عشر**

في الاستدلال بحركة هذه الكواكب مع غاية عظمها وذلك
لان اصغر كوكب يرى مثل الارض ثماني مرات واكبرها
ينتهي الى قرب من مائة وعشرين مرة مثل الارض
واما الشمس فهي مثل الارض مائة واربعة وستين مرة
ثم انك ترى الكواكب تطلع في لحظة يسيرة وذلك لان
الزمان بين طلوع اول جزء من الكوكب الى تمامه يسير وذلك
الكوكب مثل الارض مائة وعشرين مرة فقطع ذلك الفلك في تلك
اللحظة اللطيفة مثل الارض مائة وعشرين مره فانظر كيف
عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال النبي صلى الله
عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال الرسول
عليه السلام كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى
ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى
عظم جرمها ثم الى خفة حركتها ثم انتقل منها الى قدرة
فاطرها وباريها كيف خلقها على عظم جرمها ثم حركتها
بهذه الحركة الخفيفة السريعة ثم امسكها في الهوى
بغير عمد ترونها النوع الخامس عشر في الاستدلال بهذه [على ان صح]
الاجسام متساوية في الجسمية بدليل انه يصح تقسيم الجسم
الى الفلكي والعنصري والى الكثيف والى اللطيف والى البارد
والحار والى الرطب واليابس ومورد التقسيم مشترك
بين كل الاقسام فالجسمية قدر مشترك بين هذه الاقسام
والامور المماثلة في تمام الماهية تكون متساوية في قبول
الصفات والاعراض فاذا ثبت ان كل ما صح على جسم فهو
صحيح على ساير الاجسام فاذن اختصاص كل جرم بما هو مختص
به في المقدار والوضع والشكل والطبع فلا بد وان يكون
من الجايزات وذلك يقتضي عليها بالافتقار الى الصانع القديم
المختار جل جلاله وتقدست اسماوه ولا اله غيره فهذه
هي الوجوه التي وصلت عقولنا الضعيفة اليها وهي باسرها

داخلة

داخلة تحت قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب الفصل الرابع في تقرير
صفات السموات والاستدلال بكل واحد من تلك الصفات
على الاله القادر الحكيم الصفة الاولى بقاوها في الهوى معلقة
قال الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا اخبر الله
تعالى في هذه الاية انه هو الذي يمسك السموات والارض عن
الزوال والانتقال فيحتاج اولا الى بيان ان السموات والارض
غير زايلة عن مواضعها ومقارها ثم الى بيان ان ذلك الممسك
هو الله سبحانه فلنبين ذلك في الارض ثم في السماء اما في الارض
من قال انها هاوية ابدا بطبعها في الخلا الذي لا نهاية له من جهة
السفل ومنهم من قال الفلك واقف والارض هي التي تتحرك
كل يوم وليلة دورة تامة وسبب طلوع الشمس والقمر والكواكب
هو استدارة الارض والذي يدل على انها غير هابطة انها لو
كانت كذلك لكان من هبط من موضع عال الى الارض وجب ان لا
يصل اليها لان كل شيئين ينزلان من الاعلى الى الاسفل واحدهما
اخف من الاخر فان الاخف لا يدرك الاثقل وانما قلنا انها
غير مستديرة لانها لو كانت كذلك فان حركتها في غاية السرعة
فكان يتموج الهوى المحيط بها تموجا شديدا فكان يجب ان يكون
تموج ذلك الهوى مانعا للانسان من ان يتحرك الى خلاف تلك
الجهة ومعلوم ان ذلك باطل ولما بطل هذان القسمان ثبت ان الارض
واقفة واما السموات فهي ايضا مستقرة في احيازها غير
خارجة منها والدليل عليه انها لو خرجت عن موضعها فاما ان تنزل
او تصعد فان نزلت مع ان الارض واقفة صارت السما كل
يوم اقرب الينا وكان يجب ان يرى كل يوم فلك الكواكب اعظم
وان يرى من في السما اقل مما رايناه بالامس وان قلنا ان السماء
تصعد لزم ضد ما ذكرناه ولما كان كل ذلك باطلا علمنا ان السموات

والارض مستقرة في مواضعها مستمرة في احيازها اذا ثبت هذا فنقول ممسكها هو الله تعالى اما الارض فنقول للناس في سكونها اقوال الاول ان الارض لانهاية لها من جانب السفل واذا كان كذلك لم يكن لها مهبط فلا جرم لا يزول وهذا فاسد من وجهين الاول ثبت بالدليل ان الاجسام متناهية الثاني ان الارض طبيعتها واحدة واختصاص احد وجهيها بالتناهي والاخر بعدم التناهي لابد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر قادر القول الثاني قول من سلم ان الارض متناهية من جميع الجوانب والقايلون بهذا القول ذكروا في سبب سكون الارض وجوها الاول قالوا الارض كنصف كرة وحدبتها على الجانب الذي يلينا واما سطحها الاسفل فهو سطح مستقيم موضوع على الماء والهوى ومن شان الثقيل المنبسط ان لا يغوص في الماء بل يبقى واقفا عليه وهذا باطل من وجهين الاول ان البحث يعود في علة وقوف الماء والهوى تحت الارض الثاني لم صار احد وجهي الارض محدبا والاخر مستقيما مع تساوي الماهية بل لا يعقل هذا الا بسبب الفاعل المختار القول الثالث قالوا ان سبب وقوف الارض جذب الفلك لها من كل جانب فبقيت في الوسط وهذا باطل من وجهين الاول ان المدرة التي على وجه الارض اقرب الى هذا الجانب من الفلك فوجب ان ينجذب الى هذا الجانب من الفلك الثاني ان المدرة المقذوفة الى فوق وجب ان تنجذب الى الفلك والا تعود القول الرابع سبب وقوف الارض دفع الفلك لها من كل جانب كما اذا جعل كفا من التراب في قنينة ثم اديرت على قطبها ادارة سريعة وقف التراب في وسط القارورة بتساوي الدفع من كل جانب وهذا باطل من وجوه خمسة الاول لو بلغ قوة الدفع الى هذا الحد فلم لا يحس به الواحد منا الثاني ما بال هذا الدفع ما يحصل حركة السحاب والرياح في جهة بعينها الثالث ما بال هذا الدفع لم يحصل انتقالها الى الجهة

الموافقة

الموافقة بحركة الفلك اسهل وضد تلك الحركة اصعب الرابع يجب ان يكون الثقيل كلما كان اعظم يجب ان يكون حركته ابطا لان اندفاع المدفوع الاعظم من اندفاع الاصغر الخامس يجب ان يكون حركة الثقيل النازل من الابتدا اسرع منها عند الانتها لبعد من الفلك وابعد من تاثيره القول الخامس الارض تطلب الوسط من الفلك بالطبع وهو قول ارسطاطاليس وهو ضعيف لان الاجسام متساوية فاختصاص بعضها بالصفة التي لاجلها تطلب وسط العالم يكون امرا جايزا فيحتاج الى مخصص مختار القول السادس الفلك كرة فاذا استدار على ما في حشوه عرض لما هو في غاية القرب من الفلك ان يسخن فيصير نارا ولما هو في غاية البعد عن الفلك ان يبقى على البرد والكثافة واليبس فيكون ارضا ثم الذي يقرب من الماكون لا محالة الطف مما يقرب من الارض فصار الملاصق للنار هواء والملاصق للارض ماء فلهذا السبب حصلت العناصر على هذا الترتيب وهذا ايضا ضعيف لان الكلام يعود في انه لم حصل بعض الاجسام ملاصقا للفلك وبعضها في غاية البعد عن الفلك حتى صار القريب نارا والبعيد ارضا ايضا القول السابع قالت المعتزلة النصف الاسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة والنصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع بين الاعتمادين المتضادين فلزم الوقوف وهذا ايضا ضعيف من وجهين لانا نقول ولما اختص ذلك الوجه بالاعتماد الصاعد وهذا الوجه بالاعتماد النازل ولا يمكن ان يذكر فيه سبب الا الفاعل القادر ولما بطلت هذه الاقاويل لم يبق الا ان يقال بقاء الارض والسموات في مواضعها ومقارها واحيازها ليس الا بالله سبحانه فثبت ان ممسك السموات والارض هو الله سبحانه وتقرير الكلام على الوجه البرهاني يعود الى ما تقدم من ان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها بحيز مخصوص لا يمكن ان يكون لذواتها ولا لشي من لوازم ذاتها والا لزم التشابه

بل لابد وان يكون امرا جايزا فيكون تخصيص المخصص الذى
هو القادر المختار فصل قوله سبحانه ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا موكدا بهذه البراهين العقلية القطعية
اذا عرفت هذا البرهان فلنرجع الى البيان الاقناعى الذى يصل
اليه كل فهم فنقول لاشك ان السماء فوق الهوى وهو المحسوس
ولاشك ان الارض فوق الماء بدليل انك لا تحفر موضعا الا
خرج منه الما والطف الاجسام المشاهدة هو الهوى وبعده
الما ثم ان الارض مع ما فيها من الاجسام الثقيلة كالبحار
والجبال موضوعة على الما وايضا ولاشك ان كل واحد من النجوم
اعظم من الارض بدرجات واثقل منها بكثير فاذا شاهدنا
ان اصغر جزء من الارض لا يستقر على الما ثم علمنا ان كل الارض
مستقرة على وجه الما علمنا ان ذلك لا يكون الا بامساك الله
تعالى ثم ان الهوى الطف من الما ولا يستقر فيه اصغر الاجزا
الثقيلة ثم ان السموات والكواكب مع ما فيه من الثقل العظيم
والعظمة العظيمة استقرت فى الهوى علمنا ان ذلك لا يكون
الا بامساك الله تعالى فظهر انه ليس استقرار الارض فى حيزها
واستقرار السموات فى موضعها الا بتقدير قادر وعلم عالم
حكيم هو اقدر القادرين واحكم الحاكمين تنزهت عظمته فى
علائق العقول البشرية وتقدس جلاله وكبرياوه عن حوادث
الافكار الانسانية بقى ها هنا سوالان السوال الاول ما معنى
قوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وهى كقوله ان انت
الا نذير ما انت الا نذير السوال الثانى ما الفائدة فى قوله ولئن
زالتا وهما لا يزولان الى يوم القيمة فالجواب من وجوه الاول
عدم الوقوع لا ينافى صدق قولنا لو وقع كيف يكون كقوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الثانى المعنى لو زالتا حين
حكمت بالزوال يوم القيمة فمن ذا الذى يمسكها عن ذلك الزوال
الثالث لو زالتا سبب كفرهم وقولهم اتخذ الرحمن ولدا على ما قال

تكاد

تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا السوال الثالث ما الحكمة فى ختم
هذه الاية بقوله انه كان حليما غفورا فالجواب يحتمل ان يكون
تقدير الاية ولئن زالتا وحل العذاب باستعجالكم فمن المانع لولا
ان الله غفور رحيم الصفة الثانية للسموات الرفعة
قال الله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وتقرير
هذا المعنى ان جميع العالمين عاجزون عن رفع شى ثقيل فى الهوى
الا باحد طرفين اما ان يكون تحته شى ليستقر عليه او يكون
فوقه شى يكون هو معلقا به ولاشك ان العالم متناه من فوقه
ومن تحته فليس لجميع الاجسام شى فوقه حتى يكون شيا معلقا
وليس تحت جميع الاجسام جسم حتى يستقر هو عليه فاذا
عجز كل الخلايق عن رفع شى ثقيل الا باحد هذين الطرفين فثبت
ان جميع العالم بما فيه من العرش والكرسى والسموات والكواكب
والبحار والجبال معلقة من غير علاقة فوقها ولا قرار تحتها
واذا كان كذلك لم يكن بد من الاقرار بان لها ممسكا اقوى من
جميع هذه الاجسام واقدر منها حتى يمسكها بقدرته ويحفظها
بالهمه له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وفى الاية
سوالان الاول انه تعالى قال خلقها بغير عمد ترونها هذا يوهم ان
هناك عمدا لا يرونها فالجواب من وجوه الاول لو قال لغير عمد
لكان خطا بل لذلك عمد وهو امساك الله تعالى كما قال يمسك
السموات والارض ان تزولا الا ان امساك الله تعالى
وحفظه عمد لا يرى فلهذا السبب قال بغير عمد ترونها
الثانى قال الحسن وقتادة معنى الاية الله الذى رفع السموات
بغير عمد وانتم ترون انها رفعها بغير عمد الثالث قال فى صفة
العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فها هنا يحتمل
ان يكون للسموات ملايكة يحملونها فاذا كان هذا محتملا فلا
جرم ما نفى العمد مطلقا بل نفى عمدا تشاهد وترى الان

الى حمل العرش والسموات والمليكه فمن الذى يحمل الملىكه مع
هذا الحمل العظيم الا قدرة الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد السؤال الثانى لو رفع يشعر بانها كانت موضوعة
فى السفل فنقلها الله تعالى فهذا الامر ليس كذلك فالجواب
فى لفظ الرفع فى الاية قولان احدهما انه عبارة عن الانشاء
على صفة الارتفاع لا لانها كانت موضوعة فرفعها نظيره
قوله تعالى والارض وضعها للانام اى خلقها موضوعة للانام
لا انها كانت مرفوعة فوضعها القول الثانى ان السموات
والارض كانتا رتقا شيا واحدا ففتق الله سبحانه بينهما ورفع
السما على ما شرحناه والله اعلم الصفة الثالثة للسموات
قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه ولما ال الامر الى ادم عليه السلام قال تعالى
لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى فالسموات فى اخر
الامر تكون فى يمين الله تعالى وادم فى اخر الامر كان مخلوقا بيديه
وهذا يشير الى ما هو نهاية احوال السموات فهو بداية احوال
البشر والله اعلم الصفة الرابعة كون هذه السموات مخلوقة
بالحق لا بالباطل قال الله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ايضا وما خلقنا
السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وقال فى
خلق البشر افحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم بين ان الحكمة فى خلق
السموات والارض اكبر واعظم من الحكمة فى خلق الناس فقال
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس
لا يعلمون واعلم انه ليس المراد من هذا الكبر الكبر فى الجثة
لان ذلك معلوم لكل احد فى الحس والضرورة ولكن المراد
من ذلك الكبر فى اسرار الالهية والحكمة الربانية التى لا
يعرفها احد غيره الصفة الخامسة قوله تعالى انتم اشد خلقا
ام السما بنيها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها

واعلم

واعلم انه سبحانه وتعالى وصف السما فى هذه الاية بصفات
كثيرة واحدها شدة الخلق ونظيره قوله تعالى فى سورة عم
يتسالون وبنينا فوقكم سبعا شدادا والشداد جمع شديد
يعنى محكمة قوية الخلق لا يوثر فيها مرور الزمان ولا يحصل
فيها فطور ولا فروج فان قيل فالمليكه كيف ينزلون من
السموات مع شدة خلقها وكيف يعرجون فيها قلنا كما ينزل
الانوار منها مع شدتها بل نزول الملىكة اولى لان ذوات
الملىكة بالنسبة الى هذه الانوار المحسوسة تجرى
مجرى هذه الانوار المحسوسة بالنسبة الى هذه الاجسام
وفى لفظ الاية اشكال قال الكسائى والفرا والزجاج تم
الكلام عند قوله انتم اشد خلقا ام السما بناها ثم قوله
بناها ابتدا كلام اخر وعند غيرهم الوقوف على قوله بناها
لانه من صلة السما والتقدير السما الذى بناها فحذف التى
ومثل هذا الحذف جائز يقال الرجل الذى جاك عاقل اى
الرجل الذى جاك عاقل واذا ثبت ان هذا جايز فى اللغة
فنقول الدليل على ان قوله بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة
لكان صفة ثم قوله رفع سمكها صفة ايضا فقد توالت
صفتان لا تتعلق احدهما بالاخرى فكان يجب ادخال العطف
فيما بينهما كما فى قوله تعالى واغطش ليلها فلما لم يكن كذلك
علمنا ان قوله بناها صلة للسما ثم قوله رفع سمكها ابتدا
بذكر الصفة واعلم ان قوله فى السما انه بناها نظيره قوله
تعالى الم يروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وقوله فى اول
البقرة الذى جعل لكم الارض فراشا والسما بنا فان قيل
انما يسمى الشى بناء اذا كان مستقرا على الارض والسما قد
امسكها الله تعالى معلقة فى الجو فكيف سماها بنا قلنا
هذا مذكور على سبيل التشبيه وذلك لان اعظم
الاجسام احكاما فى البنية والتركيب هو الذى يكون موضوعا

على الارض فكانه قال هو الذى امسكته فى الهوى اكثر احكاما
وشدة مما بنيته على الارض والمستقر فلشدة احكامه
سماه بناء واعلم انه سبحانه لما بين فى السما انه بناها بين بعد
ذلك انه تعالى جعل السماء علة المكان وعلة الزمان اما ان
السماء سبب المكان فهو قوله تعالى رفع سمكها فسويها واعلم
ان امتداد الشى اذا اخذ من اسفله الى اعلاه يسمى عمقا وان اخذ
من اعلاه الى اسفله يسمى سمكا فالمراد برفع السمك شدة علوها
حتى ذكروا مسيرة ما بين السموات والارض خمسماية عام
واما قوله فسواها فقيل المراد به تسوية تاليفها وقيل المراد
نفى التفاوت منها كقوله ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت
واعلم ان كل هذه الوجوه تدل على كمال العلم والقدرة لمدبرها
وخالقها لان وقوع التفاوت تارة يكون لجهل المدبر وتارة
يكون لعجزه فمن كان عالما بالكل وقادرا على الكل امتنع وقوع
التفاوت فى مخلوقاته فبهذا الطريق عرفنا انه صادق فى وعده
حكيم لا يقع السفه فى فعله لان صدور الكذب والسفه
اما للعجز او لسهو او لبخل والكل محال عليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا فامتنع الكذب فى وعده والسفه فى فعله واما ان تخليق
السموات سبب لحدوث الزمان فهو المراد من قوله واغطش
ليلها واخرج ضحيها واعلم ان اغطش قد يجى لازما يقال اغطش
الليل اذا صار مظلما ويجى متعديا يقال اغطشه الليل اذا جعله
مظلما والغطش الظلمة والاغطش منه مثل الاعمش وههنا
سوال وهو ان الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب
الشمس فقوله اغطش ليلها يرجع معناه الى انه سبحانه جعل
المظلم مظلما وهذا الكلام بعيد فالجواب معناه ان الظلمة
الحاصلة فى ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره
واما قوله واخرج ضحيها فالمراد هو النهار الا انه سبحانه عبر عن
النهار بالضحى لان الضحى اضوا وقات النهار ونظير هذه الاية

قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى وذلك لان اضوا وقات
النهار هو الضحى وذلك الضوء التام بعد الظلمة التامة مما
لا يقدر عليه احد الا الله تعالى واعلم ان فى الاية فوائد
احداها انه سبحانه قدم ذكر الظلمة على ذكر النور وهذا يدل على
تقديم الظلمة على النور وهو نظير قوله تعالى وجعل الظلمات
والنور والثانية انه تعالى انما اضاف الليل والنهار الى السماء
لانهما انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها والغروب
والطلوع لا يحصلان الا بسبب حركة الفلك فلهذا السبب
اضاف الليل والنهار الى السما الثالثة فى هذه الاية ان المقصود
فيها الاستدلال بها على وجود الخالق سبحانه والتقدير
ان السما اشد خلقا من الادمى وقد اقررتم ان خالق السماء
هو الله فكيف انكرتم ان مدبركم هو الله الرابعة ان
اثبات المعاد ايضا مقصود من هذه الاية وسياق الاية
يدل عليه قال تعالى فيما قبل هذه الاية يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة الى قوله االنتم اشد خلقا ام السما والمعنى
انكم انكرتم البعث واستبعدتم اعادة خلقكم بعد موتكم
والاعادة ايسر من الابتدا وابتدا خلقكم ايسر من ابتداء
خلق السما فلما اقررتم بانه تعالى هو الذى خلق السما فلان تعترفوا
بكونه قادرا على الاعادة والبعث كان اولى الخامسة كانه قال
السماء مع شدة خلقها وعظمها وكذلك الارض بجبالها
وبحارها مطيعة لحكمى وامرى فكيف عصيتم حكمى وامرى
مع انكم فى غاية الضعف بل نقول انتم والسما مشتركون فكل
واحد منكم حصل بايجادى وابداعى وانتم انما فارقتم السماء
والارض بالمعرفة والتميز والاقرار لحصول الثواب والعقاب
فانتم بسبب هذه المعرفة اولى بالانقياد لطاعتى السادسة
انه لما رفعت السماء عن الارض خلقت المكان لان المكان هو
الفرجة الحاصلة بين السماء والارض واليه الاشارة بقوله

تعالى رفع سمكها فسويها فلما حركت جرم السموات اظهرت
الزمان واليه الاشارة بقوله تعالى واغطش ليلها واخرج
ضحيها فالمكان والمكانيات ملكى والزمان والزمانيات
ملكى ونظيره قوله تعالى فى سورة الانعام قل لمن ما فى السموات
والارض قل لله وهو الاشارة الى ان المكان والمكانيات
ملكه ثم قال وله ما سكن فى اليل والنهار وهو اشارة الى ان
الزمان والزمانيات ملكه وهو خالق المكان والمكانيات
ومدبر الزمان والزمانيات وذلك يدل على كونه منزها عن
المكان والزمان وعلايق الحدوث والامكان الصفة السادسة
للسموات قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن
اياتها معرضون وايضا سماها الله بالسقف المرفوع قال
الله تعالى والبيت المعمور والسقف المرفوع واعلم ان من
تامل فى هذا العالم وجده كالبيت الذى اعد فيه كلما يحتاج اليه
فالسما مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم
منصوبة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه
بضروب البنا ومهيه لمنافعه وضروب الحيوانات مصروفة
فى مصالحه وهذه احوال واضحة ودلايل باهرة على ان العالم
مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير
متناهية ومما يشبه هذا الوصف انه تعالى سماها سبعا
طباقا وسبعا شدادا الصفة السابعة للسموات انه تعالى
جعلها قبلة للدعا قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السما
فلنولينك قبلة ترضيها فقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك
فى السما اشارة الى تضرعه حال اشتغاله بالدعا والمجسمة تمسكوا
بذلك على انه تعالى فى جهة فوق وهذا باطل على ما سيجى برهانه
ان شا الله تعالى بل السبب لذلك وجوه الاول انه تعالى جعل
احوال الافلاك اسبابا لمصالح احوال هذا العالم قال تعالى
حكاية عن فرعون لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات وقال

ايضا

ايضا فليمدد بسبب الى السما ومن الدعوات المشهورة
قولهم يا مسبب الاسباب ويويد ذلك قوله تعالى فى
صفة الملكة فالمدبرات امرا وفى اية اخرى فالمقسمات امرا
ولا شك ان مسكن الملايكة هو السموات فلهذه الوجوه
صارت احوال السموات اسبابا لمصالح هذا العالم والثانى
ان الارزاق انما تنزل من السما قال تعالى وفى السما رزقكم وما
توعدون والثالث ان الملايكة ينزلون بالسلام والرحمة من
الله من السما قال تعالى تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم
والرابع ان الانوار انما تنزل من السموات قال تعالى هو الذى جعل
الشمس ضيا والقمر نورا فلما كانت المصالح للعالم لا تتم الا
من السموات لاجرم كانت الاعين ممتدة اليها والايدى مرفوعة
اليها والقلوب متعلقة بها والله اعلم الفصل الخامس فى
تفسير كونه تعالى فاطر السموات والارض حكى سبحانه وتعالى
عن ابرهيم الخليل انه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
حكى عن يوسف الصديق انه قال فاطر السموات والارض انت
وليى فى الدنيا والاخرة وقال سبحانه فى اول سورة الملكة الحمد لله
فاطر السموات والارض وقال تعالى فى خلق البشر فطرت الله
التى فطر الناس عليها اعلم ان الفاطر هو الذى يحدث الشى ابتداء
وتحقيقه ان الفطور هو الشق فمن احدث الشى ابتداء فهو الذى
شق ظلمة العدم واعلم ان فعل الله تعالى وتكوينه مغاير فعل
غيره من وجوه الاول ان الانسان لا يمكنه ان يفعل الا فى
محل مخصوص ومادة معينة فالحداد لا بد له من حديد والصايغ
لا بد له من ذهب والحايك لا بد له من غزل فالحق سبحانه غنى
فى فعله عن المادة وذلك لان تلك المادة لما كانت قابلة للاحوال
المتغيرة والحوادث المتعاقبة كانت محدثة فلا بد لها من محدث
فلو افتقر احداث الله وايجاده الى سبق مادة لزم افتقار المادة
الى مادة اخرى لا الى نهاية وهو محال فلما كان سبحانه هو الفاعل

للمواد والموجد لها دل ذلك على ان فاعليته غنية عن سبق
المواد الثاني ان العباد اذا تصرفوا في مادة فهم لا يتصرفون
في ذات تلك المادة فالنجار يتصرف في الخشب ولكن الخشب
باق في حال التصرف في ذات تلك المادة والصايغ يتصرف
في الذهب ولكن الذهب باق في تلك الحالة اما الحق سبحانه
وتعالى فانه متصرف في المواد بتغييرها في نفسها الا ترى ان
الله سبحانه يقلب الطين غذاء ويقلب الغذاء نطفة ويقلب
النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وايضا
خلق البشر من التراب كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب وركب من التراب لحما ودما وصورة التراب
غير باقية وخلق ناقة صالح من الاحجار وصورة الحجرية غير
باقية وخلق الثعبان من عصى موسى وصورة الخشبية غير
باقية وخلق حواء من ضلع ادم عليه السلام وصورة العظمية
ما كانت باقية فثبت انه سبحانه يقلب المواد في ذواتها من
حالة الى حالة وساير الفاعلين ليسوا كذلك فظهر الفرق
الفرق الثالث ان كل الفاعلين مفتقرون في فاعليتهم الى
توسط الالات فالنجار لا بد له من المنشار والقدوم والخياط
لا بد له من ابرة ومقراض والحق سبحانه غني في فعله عن الالات
والادوات لانه فاعل الالات والادوات فلو افتقرت
فاعليته الى الالة لزم التسلسل الفرق الرابع ان ساير
الفاعلين لا يمكنهم ان يفعلوا فعلا الا بمماسة وملاقاة
بين الفاعلين وبين محل الفعل فان لم تحصل المماسة اصلا
عجز عن الفعل فيه والحق سبحانه هو المتصرف في العرش
الى ما تحت الثرى من غير مماسة ولا مجاورة ولا مقارنة الفرق
الخامس ان كل من فعل فعلا فانه لا يفعله الا بمهلة وتدريج
وزمان بعد زمان والحق سبحانه غني عن المهلة والزمان كما قال
تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال

ايضا

ايضا وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والمعنى انه
اميتهم عند النفخة الاولى في اقل من لمحة البصر واحييهم عند النفخة
الثانية في اقل من لمحة البصر وارد في هذه اللحظة اللطيفة جميع
الارواح لاشباحها الاصلية من غير غلط ولا خلل وانما امكن ضلال
ذلك لكونه سبحانه قادرا على جميع المقدورات عالما بجميع
المعلومات غني عن جميع الحاجات وخالق لجميع المخلوقات الفرق
السادس ان كل من فعل فعلا فانه يتعب بسبب ذلك ويشق عليه
ذلك والحق سبحانه يدبر من العرش الى ما تحت الثرى في تخليق
ذواتها وايجاد صفاتها من غير تعب ولا نصب قال تعالى ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من
لغوب وقال افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد فان قيل
اليس الله تعالى قال في الاعادة وهو اهون عليه وهذا يقتضي حصول
نوع من التعب في الخلق الاول قلنا هذا انما ذكره على حسب عادة
للعباد فان في العادة الابتدا اصعب من الاعادة فلما سلموا انه
لا تعب في الابتدا فبان لا تمتنع عليه الاعادة اولى الفرق السابع
ان كل فاعل فعل فعلا فانه يتغير اولا في نفسه ثم لسبب تغيره يحصل
الفعل خارج ذاته كالكاتب فانه ما لم يحرك اصابعه لا يمكنه ان
يكتب والحق سبحانه منزه عن ذلك ولو توقفت فاعليته على حدوث
تغير في ذاته لكان المحدث لتلك الحالة المتغيرة هو الله سبحانه
وكان يفتقر احداث تلك الحالة الى حدوث حالة اخرى ولزم
التسلسل فهو سبحانه يفقر ويغني ويمرض ويبرى ويحيي ويميت
ويطعم ويسقي ويدبر السموات والارض والبحار والدواب
والصفات مع انه منزه في ذاته وصفاته عن انواع التغير والزوال
والتحرك والانتقال ومن عجايب هذه المواضع ان كل ما سوى
رب العالمين فانه يتغير علمه بتغير المعلومات ويكثر علمه
بتكثير المعلومات وهو سبحانه يعلم بعلم واحد ما لا نهاية له
من المعلومات وبعلم واحد وبعلم باق دايم جميع التغيرات

الفرق الثامن ان كل ما سواه من الفاعلين فانه لا يمكنه ان يجمع
بين الافعال الكثيرة فالكاتب لا يمكنه ان يكتب الكلمات الكثيرة
على الجمع بل على التعاقب وبالجملة ما لم يفرغ من احد الفعلين
لا يمكنه الاشتغال بالفعل الاخر اما الحق سبحانه فهو القادر
الذى لا يشغله شان عن شان فهو مدبر العرش والكرسى
واللوح والقلم والانوار والظلم والسموات والارضين
والبحار والجبال والحيوان والنبات دفعة واحدة يخلق ذواتها
ويدبر صفاتها ويرى حاجاتها ويسمع نداها ويجيب دعاها فسبحان
من لا يشغله شان عن شان الفرق التاسع ان كل من فعل فعلا فانه
انما يفعله لجر نفع او لدفع ضر والحق سبحانه منزه من جر المنافع
ودفع المضار وكل شى صنعه ولا علة لصنعه وقد قدمنا دلايل
هذا الفصل فى باب دلايل التوحيد فى تفسير قوله لا يسال عما يفعل
الفرق العاشر ان كل من فعل فعلا فانه يحصل بعضه على وفق مراده
وبعضه لا على وفق مراده فالكافر مجتهد ليجد الحجة والمعرفة
ولا يحصل مراده بل يقع فى الشبهة والضلالة وكل احد فانما
يتحرك ويسعى لطلب الخيرات ثم قد يحصل وقد لا يحصل
وقيل كل احد يخرج بكرة يومه من داره قدريا ويعود اليها
بالمسا جبريا يقول بالبكرة افعل كذا وبالمسا يقول اجتهدت
فما كان التقدير مطابقا للتدبير والحق سبحانه لا يقع فعله
الا على وفق مراده ومشيته فان كل الممكنات فى قدرة الله
وقبضته وربقة ارادته لا دافع لما قضى ولا مانع لما ابدع
وابدا وقال الله سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شى قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله ولكن
اكثرهم يجهلون الفرق الحادى عشر كلما سواه من الفاعلين
فانه يبقى المفعول بعد فنا الفاعل والحق سبحانه هو الباقى بعد فنا
مخلوقاته كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الفرق الثانى
عشر ان كل ما سواه من الفاعلين فانه لا ينفك فعله عن الخلل

والنقصان

والنقصان اما الحق سبحانه ففعله غنى عن الخلل والنقصان
كما قال سبحانه وتعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر
هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب ولو انه جعل
عقول جميع العقلاء عقلا واحدا ثم بذلك العقل تفكر فى
جناح بعوضة حتى يختار او تركيب احسن منه واكمل لكلت
تلك العقول وانقطعت تلك الافكار ولا يتصير ذرة من ذرات
حكمة الله فى خلقة تلك البعوضة معلومة على سبيل التمام
والتمام فهذا مجموع الفروق بين فاعلية العبد وفاعلية الحق
ولما كانت فاعليته غنية عن المادة والمدة والالة والعدة
والزمان والمكان وجلب الاغراض وتغير الاحوال والاعراض
كان الحق سبحانه هو الفاطر للاشيا فلهذا قال الحمد لله فاطر
السموات والارض والله اعلم بحقايق الاشيا وبالله التوفيق
الفصل السادس فى شرح كون السموات خالية عن العيب والنقصان
والتفاوت قال الله تعالى فى سورة الملك ما ترى فى خلق الرحمن من
تفاوت واعلم ان المقصود من هذه الاية لا يظهر الا بعد تفسيرها
من اولها قال الله تعالى تبارك الذى بيده الملك واعلم انه تعالى
جعل لفظ تبارك مطلقا بسورتين احدهما سورة الفرقان
وهى قوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده والثانية فى هذه السورة
فنقول اما لفظ تبارك فقال الزجاج تفاعل من البركة والبركة كثرة
الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره وهو المراد
وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها والثانى معناه تزايد كل موجود
وتعالى عن كل شى فى ذاته وصفاته وافعاله وهو المراد من قوله ليس
كمثله شى اما تعاليه عن كل شى فى ذاته فيحتمل ان يكون المعنى جل وجوب
وجوده ودوام قدمه عن جواز الفقر والغنى ويحتمل ان يكون
المعنى جلت قدرته وفردانيته ووحدانيته عن مشابهة الاضداد
ومشاكلة الانداد ومنازعة الاكفا اما تعاليه عن كل شى فى
صفاته فيحتمل ان يكون المعنى جل فى قدرته وفى علمه عن ان يخرج

منها شي من المقدورات والمعلومات ويحتمل ان يكون المعنى
جل علمه ان يكون ضروريا واستدلاليا او تصورا او تصديقا
وجلت قدرته عن ان يحتاج في فاعليته الى مادة ومدة وآلة
وجر نفع ودفع ضر واما تعاليه في افعاله فهو الملك الحي
مطلقا اي هو الغني عن كل شي سواه وكلما سواه فهو محتاج في ذاته وصفاته واحواله صح
اليه في ذواتها وفي صفاتها وفي احوالها حال حدوثها وبقائها
وتجددها واستمرارها ولا ينقطع الحاجات اليه ولا يزول
الافتقارات اليه فكل موجود فبايجاده وكل باق فبابقائه
شهدت الحاجات في غيره على تقدسه من الحاجات ودلت
التغيرات في غيره على كونه منزها عن التغيرات وقال آخرون
اصل الكلمة تدل على البقاء وهو ماخوذ من بروك البعير
ومن بروك الطائر على الماء وسميت البركة بركة لثبوت
الماء فيها والمعنى انه سبحانه باق في ذاته ازلا وابدا فممتنع
التغيرات في صفات جلاله ونعوت جماله ممتنع التبدل
ولما كان الحق سبحانه هو المعطي لجميع جهات المنافع والمصالح
والميسر لكل المطالب والمناجح وجب وصفه بانه تبارك
اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى ذكر في سورة الفرقان تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال
في سورة الملك تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير
ونحن نفسر كل واحد منهما بقدر عقولنا القاصرة وافهامنا
الناقصة ونكل اسرارها الى علمه الكامل وحكمته المحيطة
فنقول الفايدة الاولى ان الفرقان هو القران وصف بذلك من
حيث انه فرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة في دلايل
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد او لانه فرق في النزول كما
قال وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث وهذا التاويل
اقرب لانه قال نزل الفرقان ولفظ نزل يدل على التفريق او
لانه فرق بين الشرايع والاحكام والحلال والحرام فخص بعضها

بالايجاب

بالايجاب وبعضها بالاستحباب وبعضها بالتحريم وبعضها
بالاحلال وبعضها بالتنزيه فقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما
نهيكم عنه فانتهوا فهذه وجوه ثلاثة في ان القران لم سماه الله
تعالى فرقانا الفايدة الثانية انه سبحانه لما قال في اول السورة تبارك
ومعناه كثرة الخير والبركة ثم ذكر عقيبه اسم القران دل ذلك
على ان القران منشا اعظم الخيرات واكمل البركات لكن المستفاد
من القران هو العلم والمعرفة والحكمة فدل هذا على ان العلم هو
اشرف المخلوقات وانفع المحدثات واكثرها خيرا وبركة
الفايدة الثالثة لا نزاع بالاجماع ان المراد بالعبد هاهنا محمد
صلى الله عليه وسلم وسمعت بعض المشايخ يقول لما اسرى
بالنبي صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين اوحى الله تعالى
اليه وقال بم تريد ان اشرفك فقال الهي اريد ان تشرفني بان
تكون عبدا لك فاوحى الله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده فانظر
الى هذه الدقيقة ووصف نفسه في هذه السورة بالتسبيح
والقربة حتى سماه عبدا او في سورة الفرقان بكونه متباركا
ومتعاليا سماه عبدا وهذا يدل على ان كل من كان اشد عرفانا بعبوديته
وذلته وخضوعه وافتقاره كان تجلي انوار قدس جلال الله في
عقله اتم وظهور نور كبريائه على روحه اجلى واعظم الفايدة الرابعة
اختلفوا في المراد بقوله ليكون للعالمين نذيرا فمنهم من قال المعنى ليكون
هذا القران نذيرا واضاف اليه الانذار كما اضاف الهداية اليه
في قوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم الا ان هنا وان كان محتملا
لكن جعل النذير محمد صلى الله عليه وسلم اولى من جعله صفة
للقران ويدل عليه وجهان الاول ان نص القران دل على ان النذير
صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الثاني ان جعل النذير صفة لمحمد صلى الله عليه
وسلم حقيقة وجعله للقران مجازا وحمل الكلام على الحقيقة
اولى من حمله على المجاز الفايدة الخامسة قوله تعالى ليكون للعالمين

نذيرا يدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل العالمين
وذلك لان لفظ العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى
فيدخل فيه جميع المكلفين من الجن والانس والملئكة لكنا
اجمعنا على انه عليه السلام ما كان رسولا الى الملئكة فبقى
كونه رسولا الى الجن والانس جميعا وتاكد هذه الايات
بايات اخر احدها قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
الثانية قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله وهذا يدل على كونه مبعوثا الى كل الجن
والانس الثالثة سورة الجن وهو قوله تعالى قل اوحى الى انه
استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا
به ولن نشرك بربنا احدا الفايدة السادسة ان لفظ العالمين
يتناول جميع المخلوقات فهذه الاية تدل على انه صلى الله عليه
وسلم رسولا الى الخلق الى يوم القيمة وهذه الاية تتاكد بقوله
ولكن رسول الله وخاتم النبيين واعلم انه تعالى وصف ذاته
باربعة انواع من صفات الكبريا والجلال والقدس والعظمة
اولها الذى له ملك السموات والارض واعلم ان تعلق هذه الاية
بما قبلها من وجهين الاول ان لله تعالى على العباد نوعين من الملك
احدهما ملك التكليف وذلك لانه سبحانه ملك مطاع فى المخلوقات
لانه مالكهم وخالقهم ومدبرهم والمتصرف فيهم والمستولى
عليهم فكان ملكا مطاعا والملك المطاع من له الامر والنهى الثانى
ملك التخليق بقوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده الاية اشارة
الى تقرير ملك التكليف ثم قال بعده الذى له ملك السموات
والارض وهو اشارة الى ملك التخليق فان ملك التخليق معلل
بملك التكليف فلما قال نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا ثبت بهذه الاية ملك التكليف لنفسه كانه قيل ولم
يحسن منك التكليف والامر والنهى مع انك منزه عن النفع
والضر والمكلف لا ينتفع بهذا التكليف فاجاب الحق سبحانه

وقال

وقال انما يحسن منى ملك التكليف. لانه حصل لى ملك التخليق
فالكل عبيدى وللمالك ان يتصرف فى ملكه وملكه كيف شاء
واراد ولا اعتراض للعبد على مالكه البتة ولهذا قال تعالى
بعد اية الذى له ملك السموات والارض الوجه الثانى فى
بيان النظم انه تعالى لما وصف نفسه بكونه مرسلا للرسل وذلك
يتوقف على ثبوت ذاته وثبوت صفاته لا جرم اردفه بما يدل
على كل ذلك فقال الذى له ملك السموات والارض فاستدل
على وجوده وعلى كمال قدرته وكبريائه والهيته بملك السموات
والارض ووجه الاستدلال على وجود الصانع وصفات
جلاله قد شرحناه فيما قبل ثم فى هذه الاية فايدتان الاولى
ان الملك اشارة الى القدرة والمتكلمون بينوا ان اول العلم بالله
هو العلم بكونه قادرا ولهذا السبب قدم ذكر هذه الصفة الفايدة
الثانية ان قوله له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج
جميع المخلوقات اليه حالتى حدوثها وبقايها لان علة الحاجة
هى الامكان والامكان من لوازم هذه الماهيات فهى ممكنة
حالتى حدوثها وبقايها وهى محتاجة الى الموثر والمدبر حالتى حدوثها
وبقائها فى ماهيتها وفى وجود ذاتها وصفاتها فلا جرم كان الحق
سبحانه مالك الملك لجميع الممكنات على الاطلاق ازلا وابدا
فهو المتصرف فيها كيف شاء واراد لا راد لما حكم ولا ناقض لما
ابرم له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين الصفة الثانية
قوله تعالى ولم يكن له ولد واعلم ان صفات الله على قسمين صفات
الجلال وصفات الاكرام اما صفات الجلال فهى عبارة عن
تنزيه الله عما لا يليق به فى ذاته وصفاته ووصف الله تعالى
بالصفات التى يمكن كونه خالقا للعالم على نعت الاحكام
والاتقان فقوله تعالى له ملك السموات والارض من قسم
صفات الجلال واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بملك السموات
والارض قال بعده ولم يكن له ولد وهو اشارة الى انه هو المدبر

للعالم والمعبود للخلق ولا يصح ان يصير غيره وارثا للملك
فيكون نفى الولد كالموكد لقوله تبارك الذى ولقوله له
ملك السموات والارض كانه قيل المفتقر للولد هو الذى
ينقضى ويموت حتى يقام ولده مقامه واما من كان مباركا
دايم الوجود ممتنع التغير فكيف يليق به الولد **الصفة الثالثة**
قوله ولم يكن له شريك فى الملك والمراد انه سبحانه هو منفرد
بهذه الصفات فانه هو الواجب لذاته وماسواه ممكن لذاته
وهو الموجد للممكنات وماسواه فعن صفة الموجدية الجلاله
معزول واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاوه وخوفه عن
الخلق ولا يبقى مشغول القلب ملتفت الخاطر الا به وبفضله
وبرحمته وباحسانه وهذه الاية رد على الثنوية والقايلين
بالهية النجوم وعبادة الاوثان **الصفة الرابعة** قوله تعالى
وخلق كل شى فقدره تقديرا وفيه فوايد **الفايدة الاولى** قوله
له ملك السموات والارض اشارة الى صفة من صفات الاكرام
ثم قوله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك اشارة
الى ذكر صفتين من صفات الجلال ثم قوله وخلق كل شى فقدره
تقديرا اشارة الى ما يترتب من صفات الجلال وصفات
الاكرام لانه اشارة الى انه هو الخالق والى ان غيره ليس بخالق
فان قيل ان صفات الجلال اولى بالتقديم من صفات الاكرام
ويدل عليه القران والبرهان اما القران فهو انه تعالى
ذكر الجلال والاكرام فى ايتين فقال ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام وقال تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام
وفى كل واحدة من هاتين الايتين قدم الجلال على الاكرام واما
البرهان فلان صفات الجلال عبارة عن السلوب ويكفى
فى تحقق هذا السلوب الذات المخصوصة من حيث هى هى
واما صفات الاكرام فانها لا تظهر الا عند وجود الممكنات
وما يكفى ذاته من حيث هو هو مقدم فى الرتبة على ما لا بد معه

من

من غيره فالجواب هاهنا مرتبتان الاولى ان نتوسل بمعرفة
غير الله الى معرفة الله وهذا هو مقام عروج المتبادرين
الى الله تعالى والمسافرين الى حضرة جلال الله الثانية ان نتوسل
بمعرفة ذات الله الى معرفة غير الله وهذا مقام نزول خواص
حضرة الله عن تلك الحضرة المقدسة الى الالتفات الى
غيرها فان اعتبرنا المرتبة الاولى كانت معرفة صفات
الاكرام مقدمة على صفات الجلال لانها فى هذه المرتبة يستدل
بها المخلوقات على الخالق ثم يستدل بعدم افتقار الخالق
الى خالق اخر على كونه منزها عن مشابهة المخلوقات واما
اذا اعتبرنا المرتبة الثانية وهى مرتبة النزول كان تحقق
صفات الجلال مقدما بالمرتبة على تحقق صفات الاكرام
فان تلك السلوب يكفى فى تحققها الذات اما الاضافات
فلا يكفى فيها الذات الواحدة بل لا بد فى تحققها من حصول
المضاف فاذا عرفت هذا فنقول انه قال تبارك الذى نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فكانه قبل كونه مرسلا
للرسل انما يثبت لو ثبت كونه موجودا فما الدليل على وجوده
وقدرته فقال الدليل عليه له ملك السموات والارض وهذا
هو مرتبة العروج من الخلق الى الخالق فلا جرم قدم هاهنا
صفات الاكرام على صفات الجلال واما قوله ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام وقوله تبارك اسم ربك ذى
الجلال والاكرام فليس المقصود هاهنا ذكر الاستدلال
بل المقصود ذكر الاخبار عن نعوت قدسه وعظمته وكبريائه
فكانت صفات الجلال فى هذا المقام مقدمة على صفات
الاكرام فسبحان من اودع هذا الكتاب الكريم اسرارا
تعجز العقول عن ادراكها فقد ظهر بما ذكرنا ان الترتيب
الصحيح فى هذا المقام هو انه تعالى قدم الاثبات فقال الذى
له ملك السموات والارض ثم ذكر بعد ذلك صفتين من الجلال

اولهما نفي الولد والثاني نفي الشريك ثم ذكر بعدهما ما تركب
عن صفة الجلال وصفة الاكرام فقال وخلق كل شي وذلك
وذلك يدل على كونه خالقا للاشيا وهي صفة للاكرام وعلى
ان غيره لا يشاركه في هذه الصفة وهي صفة الجلال ومعلوم
ان تقديم المفرد على المركب واجب فهذا هو الاشارة الى
ترتيب الصفات المذكورة في هذه الاية الفايدة الساسة من
اسرار هذه الاية انها دالة على انه سبحانه خالق اعمال العباد
وذلك لان قوله وخلق كل شي نظير لقوله الله خالق كل شي
وقد دللنا على ان الخلق عبارة عن الايجاد وها هنا لطيفة
توكد هذا المقصود وهي انه تعالى نفى الشريك بقوله ولم يكن
له شريك في الملك فكان قايلا قال ها هنا اقوام يعترفون
بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون انهم يخلقون افعال
انفسهم وذكر الله تعالى هذه الاية لتكون نصا صريحا في الرد
عليهم فان قيل هذه الاية لا تدل على المطلوب ويدل عليه
وجوه الاول انه تعالى صرح بكون العبد خالقا فقال واذ
تخلق من الطين كهيئة الطير وقال وتخلقون افكا وقال
فتبارك الله احسن الخالقين الثاني انه تعالى ذكر ذلك
في معرض المدح ولا يجوز ان يتمدح بكونه فاعلا لافعال
العباد مع ما فيها من القبايح لانه تعالى منزه عن افعال
القبايح في سائر الايات فقال وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما باطلا وقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقال
وما الله يريد ظلما للعباد الثالث انه تعالى قال فقدره
تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحكمة والصواب الا ترى
انه تعالى نفى التفاوت عن افعال نفسه فقال ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت فقالوا اثبت بهذه الوجوه انه لا بد من
تاويل لو دلت الاية بظاهرها على قولكم فكيف ولا دلالة
فيها على قولكم لان الخلق عبارة عن التقدير فيختص ذلك

بما يقبل التقدير وهو الجسم الذي يكون له حجم وامتداد فالجواب
اما الايات الدالة على كون العبد خالقا فنقول ها هنا ايات
دلت على ان العبد غير خالق وايات دلت على انه خالق ولا بد
من التوفيق بينهما فنجعل الايات الدالة على نفي الخالقية على نفي
كون العبد موجدا والايات الدالة على كونه خالقا على كونه متصورا
متفكرا مقدرا في ذهنه امورا وقوله لا يمكن المدح بخلق
العبث قلنا لا يمكن التمدح بخلقها من حيث انها عبث لكن لم
يجوز التمدح بخلقها من حيث انها اخراج الشي من العدم الى
الوجود فقط وقوله لفظ الخلق لا يتناول الا الاجسام
قلنا لو كان كذلك لكان قوله وخلق كل شي فقدره تقديرا
خطا لانه ليس كل شي جسما الفايدة الثالثة من اسرار هذه الاية
ان كثيرا من الناس زعموا ان الخلق هو التقدير فقط واصحابنا
زعموا انه حقيقة في الايجاد والابداع وهذه الاية دالة على
قولنا اذ لو كان الخلق عبارة عن التقدير لكان قوله وخلق
كل شي فقدره تقديرا مكررا من غير فائدة ونظير هذه الاية
في الدلالة على هذه المسئلة قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى فلو كان الخلق هو التقدير
لكان قوله خلق وقدر تكرارا الفايدة الرابعة انه تعالى قال
فقدره تقديرا والتقدير في حق الواحد منا يرجع الى الظن
والحسبان اما في حقه تعالى فلا معنى له الا العلم والاخبار
عنه وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزلة اذا عرفت هذا
فنقول مذهبنا ان الامر والارادة لا يتلازمان وذلك
انه سبحانه لما علم في الشي الفلاني انه لا يقع فلو وقع ذلك
الشي لزم انقلاب علمه جهلا وانقلاب خبره الصدق كذبا
وذلك محال والمفضي الى المحال محال فاذا وقوع ذلك الشي
محال والمحال غير مراد ثم انه مامور به فثبت ان الامر والارادة
لا يتلازمان فظهر ان السعيد من سعد في بطن امه واعلم ان

عندنا الامر والارادة لا يتلازمان والارادة والعلم
يتلازمان وعند المعتزلة الارادة والامر يتلازمان
والارادة والعلم لا يتلازمان وتحقيقه ما ذكرنا فهذا
ما يتعلق بهذه الاية اما قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك
فاعلم ان الفرق بين هذه الاية وبين الاية المتقدمة من وجوه
الاول ان فى سورة الفرقان اثبت لنفسه اولا ملك التكليف
والحكم والامر والنهى ثم اردفه بان اثبت لنفسه ملك السموات
والارض واما فى سورة الملك فانه اثبت لنفسه اولا الملك
على الاطلاق فقال الذى بيده الملك وهنا يتناول جميع اقسام
الملك من ملك التكليف وملك التخليق وملك الابقا وملك
الافنا كما قال قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشا وتنزع
الملك ممن تشا والفرق الثانى بين الايتين انه تعالى قال فى تلك الاية
الذى له ملك السموات والارض وقال فى سورة الملك الذى
بيده الملك فذكر لفظ اليد هاهنا والفايدة فى ذكر هذا اللفظ
انه تعالى لما اثبت لنفسه جميع انواع الملك حتى دخل فيه
ملك الاجسام ومن فوق العرش الى ما تحت الثرى وملك
الارواح المشار اليه بقوله وما يعلم جنود ربك الا هو
فكان سايلا قال المدبر الواحد كيف يمكنه الوفا بتدبير هذه
الممالك التى لا نهاية لاحوالها ولا غاية لكميتها وكيفيتها فاجاب
بان هذه الممالك فى يده وفى قبضته كما قال فى اية اخرى والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
وذلك لان كمال القدرة على الشى ان يكون الشى فى يده فجعل كونه
فى يده مجازا عن كمال القدرة فلهذا المعنى قال تبارك الذى بيده
الملك ثم قال بعده وهو على كل شى قدير الفرق الثالث ان بيده
ملك كل الموجودات وهو قادر على خلق المعدومات التى تكون
من الممكنات فقوله بيده الملك اشارة الى ملك الموجودات
بالابقا والاعدام وقوله وهو على كل شى قدير اشارة الى ملك

المعدومات

المعدومات بالايجاد والابداع فان قيل القدير مبالغة فى
القادر وقوله وهو على كل شى قدير افاد ذلك كونه تعالى قادرا
على كل واحد من الممكنات المقدورات التى لا نهاية لها فاذا كان
القدير بالمبالغة وجب ان يفيد هذا زيادة على كونه قادرا على
كل واحد من تلك المقدورات لكن الشى الواحد لا يقبل التفاوت
ولا يتطرق اليه الزيادة والنقصان فما معنى هذه المبالغة
قلنا لو انه تعالى قال وهو على كل شى قادرا افاد ذلك كونه تعالى قادرا
على كل المقدورات فلما قال تعالى وهو على كل شى قدير افاد ذلك
زيادة قدرته فى كل واحد من المقدورات وتلك الزيادة والمبالغة
راجعة الى ما بيناه فيما تقدم من ان جميع القادرين يفتقرون فى
الفعل والتقويم الى تقديم مادة ومدة وزمان ومكان والة وزمانه
ثم قد يمتنع عليهم تكوين مقدورهم لاجل انه يمنعهم عنهم مانع ومعارض
وكل ذلك على الله محال فلا صدق قولنا انه قادر على كل شى وصدق
ايضا قولنا وهو انه قدير على كل شى ثم قال الذى خلق الموت والحيوة
واعلم انه تعالى ذكرا ولا ان بيده ملك الموجودات والمعدومات
وزمام التصرف فى كل الكاينات والممكنات خصص بعده
بذكر الاحيا والاماتة فقال الذى خلق الموت والحيوة ونظيره
قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وانما قدم
الموت على الحيوة لوجوه الاول قال مقاتل يعنى بالموت نطفة
وعلقة ومضغة وبالحيوة نفخ الروح فيه والثانى انه لما ذكر
عقيب هذه الاية انه تعالى يبتلى الخلايق بالتكليف فقال ليبلوكم
أيكم احسن عملا والناس انما يقدمون على محاسن الاعمال
لخوف ما بعد الموت اقوى تاثيرا فى هذا المقصود فلاجرم قدم
ذكر الموت على الحيوة والثالث ان المراد بالموت المذكور فى هذه الاية
الموت الذى بعد الحيوة العاجلة البتة وذلك لان هذه الحيوة
حياة بعد موتين احد الموتين من الازل الى الان والموت الثانى
من الازل الى الابد فلاجرم ترك الله تعالى ذكر هذه الحيوة بخستها

وقلتها واما الحيوة فى الدار الاخرة فهى الحيوة الاصلية
لانها حياة ابدية ولهذا قال تعالى وان الدار الاخرة لهى الحيوان
لو كانوا يعلمون ثم قال بعد ذكر الموت والحيوة ليبلوكم ايكم
احسن عملا والابتلا هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه
هل يعطى او يعصى وذلك فى حق الله تعالى محال وسيجى تمام
هذه المسئلة ان شا الله تعالى فى باب التكليف والحاصل هو
ان الابتلا من الله تعالى ان يعامل عبده معاملة تشبه عمل
المحسنين واعلم انا ان فسرنا الموت والحيوة بالموت حال
كونه نطفة وعلقة ومضغة وبالحيوة حياة الدنيا فوجه
الابتلا على هذا التفسير ان يعلم العبد ان الله تعالى نقله
من الموت الى الحيوة وكلما فعل ذلك فلابد وان يكون قادرا
على ان ينقله من الحيوة الى الموت فيحذر مجى الموت الذى به
ينقطع استدراك ما فات واما ان فسرنا الموت والحيوة
بالموت فى الدنيا والحيوة فى القيمة فالابتلا فيهما اتم لان
الخوف من الموت حاصل واشد منه الخوف من الحيوة
فى القيمة واعلم ان اول هذه السورة مع اول سورة الفرقان
متشابهتان فى المقصود وذلك لانه تعالى تارة يذكر الحكم
ثم يذكر عقيبه سببه وعلته واخرى بالعكس من ذلك
وهو ان يذكر السبب والعلة اولا ثم يذكر الحكم عقيبه
ثم اذا عرفت هنا فنقول فى سورة الفرقان ذكر اية التكليف
اولا فقوله نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ثم
العلة والسبب بعده فقال الذى له ملك السموات والارض
واما فى سورة الملك فانه ذكر السبب والعلة ايضا وهو
انه مالك الملك على الاطلاق ومالك الملك فى الاحيا والاماتة
ثم انه ذكر الحكم بعد ذلك وهو احسن التكليف فقال ليبلوكم ايكم
احسن عملا فانظر الى هذه المناسبات العجيبة والاسرار
اللطيفة ثم ان المفسرين ذكروا فى تفسير احسن عملا الاول

المعنى ايكم ياتى بالاعمال على وجوه الاخلاص والصواب
لان العمل اذا كان صوابا غير خالص لم تقبل بل المقبول هو ان
يكون صوابا خالصا لوجه الله تعالى فالصواب هو ان يكون
على وفق مراد الله والخالص هو الذى يوتى به لوجه الله والثانى
قال ابو قتادة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذه الاية فقال ايكم احسن عملا فقال عليه السلام اتمكم عقلا ٢
اشدكم خوفا واحسنكم فيما امر الله ونهى عنه نظرا وانما
جاز تفسير حسن العمل بتمام العقل لان حسن العمل من نتايج
كمال العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا الثالث قال
الحسن احسن عملا ازهدكم فى الدنيا واشدكم تركا واعلم
انه تعالى لما ذكر حديث الابتلا قال بعده وهو العزيز الغفور
اى وهو الغالب الذى لا يعجزه من اساء فى الاعمال الغفور
لمن تاب واناب وانما قدم ذكر العزيز على الغفور ليظهر به كمال
الدرجة لان الانسان قد يغفر ذنب عبده اما لانه لا يقدر
على الانتقام فى الحال ولانه ان قدر عليه فى الحال لكنه تركه
لانه يخاف توابع ذلك الانتقام وعواقبه فها هنا ذكر الله
تعالى انه عزيز قادر قاهر غالب لا يمتنع عليه فعل شى من الاعمال
ولا يخاف عاقبة شى من الاشيا ثم انه مع ذلك غفور يتجاوز
عن سيات عباده ليظهر بذلك كمال كرمه ورحمته ثم فيه
دقيقة اخرى وهو ان العبد له من الظلم ثلاثة بعد ذلك
وللرب من المغفرة ثلاثة اسما احد اسما العبد الظالم قال تعالى
فمنهم ظالم لنفسه وفى مقابلته للرب سبحانه وتعالى من المغفرة
اسم الغافر قال تعالى غافر الذنب والاسم الثانى للعبد الظلوم
قال تعالى انه كان ظلوما جهولا وفى مقابلته للرب من المغفرة اسم
الغفور كما فى هذه الاية وكما فى قوله وربك الغفور ذو الرحمة
والاسم الثالث للعبد الظلام وفى مقابلته للرب من المغفرة
الغفار قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب وفى سورة نوح

عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا كانه قال
ولا تيئس فان كنت ظلاما فانا الغفار ثم اعلم انه تعالى ذكر كونه
عزيزا غفورا وكونه عزيزا غفورا لا يتم الا اذا كان قادرا على كل
الممكنات عالما بكل المعلومات اما انه لابد من القدرة فلانه
لو لم يكن قادرا لم يتمكن من ايصال جزاء كل احد اليه على سبيل
الكمال والاتمام سوا كان ثوابا او عقابا واما انه لابد من العلم
بكل المعلومات فلاجل ان يعلم ان المطيع من هو وان العاصي
من هو حتى لا يقع الخطا في ايصال الحق الى مستحقه فثبت
ان كونه عزيزا غفورا لا يمكن الاقرار بهما الا بعد الاقرار بكونه
تعالى عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات فلهذا السبب
ذكر الله تعالى عقيب هذه الاية ما يدل على كمال القدرة وعلى
كمال العلم ولما ثبت في علم الاصول ان اولى العلم بالله هو العلم
بكونه قادرا لا جرم قدم دلائل القدرة على دلائل العلم اما
دليل اثبات القدرة فقوله الذي خلق سبع سموات طباقا
قال صاحب الكشاف في قوله طباقا ثلاثة اوجه احدها طباقا
اي مطابقة بعضها فوق بعض من طبق النعل اذا خصفها
طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر والثاني ان يكون التقدير
ذات طباق والثالث ان يكون التقدير طوبقت طباقا واعلم
ان دلالات السموات بطباقها على وجود الصانع المختار
الحكيم قد قدم شرح اقسامها من هذا الكتاب فلا نعيدها
واما دليل اثبات العلم فقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت واعلم ان حقيقة التفاوت عدم التناسب اذا كان
بعض الشيء لا يشبه بعضا ولا يلايمه يقال هذا خلق متفاوت
ونقيضه متناسب وللمفسرين فيه وجوه ثلاثة قال السدي
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من اختلاف وعيب
يقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقال اخرون التفاوت
الفطور بدليل قوله فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره

قوله

قوله تعالى وما لها من فروج وقال القفال يحتمل ان يكون
المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة
صانعها وعلمه وقدرته واعلم ان وجه الاستدلال بهذا
المعنى على كمال علم الله او يقول الحس دل على ان هذه السموات
وقع تركيبها على وجه عجيب بديع موافق للمصلحة والحسن
فكل فاعل كان فعله كذلك فهو لابد وان يكون في غاية العلم
والحكمة فقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى
كونها محكمة متقنة فالاحكام والاتقان عند المتكلمين يدل
على علم الفاعل دلالة ضرورية ثم قال تعالى بعده فارجع البصر
هل ترى من فطور كانه تعالى قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى
النظر الواحد ولا تعول عليه بسبب انه قد يقع الغلط
بالنظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة
بعد اخرى حتى تتيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت
ولا عيب ولا فطور والعجب انه تعالى قال الحمد لله فاطر
السموات والارض ثم بين في هذه الاية انه ليس فيها فطور
كانه قال انا الفاطر للسموات من غير فطور وانا المدبر لها من
غير عيب ولا قصور ونظير هذه الاية قوله تعالى وما
لها من فروج وليس فيها فطور ولا فروج وليس فيها تفاوت
بل هي سبع شداد وسبع طباق وبناء مرفوع وسمك مصنوع
وفيها ايات قاهرة وبراهين باهرة تدل على وحدة صانعها
وقدس مقدرها ومدبرها ثم قال تعالى ثم ارجع البصر كرتين امر بتكرير
البصر في خلق السموات على سبيل التصفح والتدبر والتتبع
هل تجد فيها عيبا ولا خللا يعني انك وان كررت هذا النظر
مرارا واطوارا لم يرجع بصرك اليك بما تطلبه من وجدان
الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا اي مبعدا وهو ماخوذ
من قولك خسأت الكلب اذا بعدته قال المبرد الخاسي البعيد
المصغر وقال ابن عباس الخاسي الذي لا يرى ما يهوى والحسير

الكليل والمعنى انه وان كرر النظر واعاده فانه لا يجد عيبا ولا فطورا
ثم قال الله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وسنذكر تحقيق
الاية واسرارها فى باب الاستدلال باحوال الكواكب على
وجود الصانع فهذا جملة الكلام فى هذه واعلم انه بقى من
الصفات المذكورة فى القران للسموات صفاتها عند قيام
القيمة كقوله تعالى اذا السما انشقت اذا السما انفطرت
اذا السما فرجت اذا السما كشطت ويوم تشقق السما بالغمام
يوم نطوى السما كطى السجل للكتب يوم تكون السما كالمهل
يوم تمور السماء مورا فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان
والكلام فى شرح هذه الاحوال سيجى ان شا الله تعالى فى باب
كيفية قيام القيمة وبالله التوفيق تم الجزء الاول من كتاب
اسرار التنزيل وانوار التاويل وهو ثلث الكتاب يتلوه الفصل
السابع فى الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع
الحكيم والحمد لله رب العالمين • وصلواته وتسليماته على سيدنا
محمد واله وصحبه اجمعين • بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين الفصل السابع فى الاستدلال باحوال الارض
على وجود الصانع اعلم انه سبحانه نبه على الاستدلال باحوال
الارض على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وجلالته
فى ايات منها قوله تعالى فى سورة البقرة الذى جعل لكم الارض
فراشا والسما بنا واعلم انه تعالى ذكر انواع منافعها على الشرح
والتفصيل فى كتابه الكريم ما قال تعالى فى اول سورة البقرة هو
الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال فى سورة الحج الم تر ان
الله سخر لكم ما فى الارض اعلم ان الكلام فى الاية المذكورة فى
سورة البقرة لا يتم الا بتفسير ما قبلها اعلم ان الله تعالى ذكر
فى اول هذه السورة خمس ايات فى تعظيم المومنين وهى الى قوله
اوليك هم المفلحون ثم ذكر بعد ذلك ايتين فى ذم الكفار وهما
قوله ان الذين كفروا الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذكر ثلاثة عشر

النوع الاول من منافع الارض

اية

اية فى ذم المنافقين وهى من قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله الى قوله يايها الناس اعبدوا ربكم فان قيل كفر
الكافر المتظاهر بكفره اغلظ من كفر المنافق فلما ذا ذم الكافرين
فى ايتين وذم المنافق فى الايات الكثيرة قلنا لان الكافر
وان كان كافرا الا ان طبعه طبع الرجال فيما يضمره ويظهره
واما المنافق فطبعه طبع المخنثين يضمر شيا ويظهر شيا اخر فلهذا
ورد ذمه اكثر ولهذا قال ان المنافقين فى الدرك الاسفل من
النار ثم انه تعالى لما شرح احوال هذه الفرق الثلاثة شرع
بعد ذلك فى تقرير الدلايل فبدا بذكر دلايل الصانع وذكر
من الانفس دليلين ومن الافاق ثلاثة اما من الانفس فقوله
يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم واما
من الافاق فقوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسما
بنا وانزل من السما ما ثم ذكر بعده دليل نبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله ثم ذكر بعده صورة الحشر والنشر والقيمة
فقال وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم اورد سوالا
على الدليل الذى ذكر على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
لانه استدل على نبوته بعظم حال القران وكمال درجته فطعن
الكفار فيه فقالوا كيف يكون عظيم الدرجة وهو مشتمل على
شرح حال الحيوانات الخسيسة كالبعوضة والذباب
والنمل والعنكبوت فاجاب الله تعالى عن هذا السوال بقوله
ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ثم
ساق اخر هذا الجواب الى مسلة القضا والقدر وهو قوله
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا الى قوله اوليك هم الخاسرون
وعند ها تمت الدلالة على تقرير هذه الاصول بالدلايل
القاهرة والبراهين الاربعة وهى التوحيد والنبوة والمعاد
والقدر ثم بعد تقرير هذه الاصول بالدلايل القاهرة والبراهين

الباهرة شرع فى تعددا النعم ومعلوم ان النعم منها عامة ومنها
خاصة فقدم ذكر النعم العامة ومعلوم ان اصل جميع النعم
هو الحياة فانه لولا الحيوة لما كان الانتفاع بشى من النعم
ممكنا فلا جرم ان اول النعم التى ذكرها الله تعالى هى الحيوة
فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم ثم اليه ترجعون وفى هذه الاية فوايد الفايدة
الاولى ان قوله كيف تكفرون بالله وان كان فى صورة الاستخبار
الا ان المراد منه التبكيت والتعنيف لان عظم النعم يقتضى
عظم معصية المنعم بيان ذلك ان الوالد لما عظمت نعمته على الولد
بان رباه وعلمه واعطاه الاموال وعرضه للامور الجسيمة
لا جرم كانت معصيته لابيه اقبح المعاصى فقابل نعم الله
عليك بنعم ابيك عليك حتى تعرف عظم معصية الله
ونهاية قبحها ثم اعظم المعاصى هو الشرك والكفر فلما كانت
هذه المعصية متناهية الى الغاية القصوى فى القبح
لا جرم ذكر الله تعالى ان نعمه عظيمة عليهم ليصير ذلك تنبيها
على عظم جرمهم وغاية قبح طريقتهم فيصير ذلك زجرا لهم عنه
فذكر اولا امر الحيوة التى هى اصل جميع النعم وذكر ذلك
بصيغة كيف على سبيل التعجب تنبيها على غاية درجة هذه
النعمة وغاية قبح تلك المعصية الفايدة الثانية قالت المعتزلة
هذه الاية تدل على ان الكفر من العبد لا من الله وبيانه من وجوه
الاول انه تعالى لو كان الخالق للكفر فيهم لما جاز ان يقول لهم كيف
تكفرون بالله على سبيل التعريج كما لا يجوز ان يقول لهم كيف
تسودون وتبيضون وتصحون وتمسون لان ذلك انما
يحصل لان الله يخلقه فيهم والثانى انه تعالى لما خلقهم
للشقا والنار فما خلقهم الا للكفر والضلالة والبقا فى النار
فكيف يصح ان يقول كيف تكفرون الثالث انه كيف يليق بالحكيم
ان يقول كيف تكفرون حال ما يخلق الكفر فيهم ويقول وما منع

الناس

الناس ان يومنوا حال ما منعهم عن الايمان ويقول بل هم لا
يؤمنون ما لهم عن التذكرة معرضين وهو يخلق فيهم الاعراض
ويقول فانى يوفكون وانى يصرفون وهو يخلق الافك والصرف
فيهم ومثل هذا الكلام بان يعد من السخرية اولى من ان يذكر
لاجل الزام الحجة على العباد الرابع انه تعالى لما قال للعبد فهل ذكر
هذا الكلام توجيها للحجة او ليس الامر كذلك فان لم يكن لتوجيه
طلب الحجة كان ذلك عبثا ولا يكون فى انزال القران فايدة اصلا
وان كان ذلك لالزام الحجة فللعبد ان يقول بناء على مذهب الجبر
حصل فى حق امور كثيرة موجبة للكفر والبعد مانعة عن الايمان
الاول انك علمت منى الكفر وانا لا اقدر على ان اقلب علمك جهلا
والثانى انك اردت منى الكفر وهذه الارادة موجبة والثالث
انك خلقتنى للكفر وانا لا اقدر على ازالة فعلك والرابع انك
اخبرت عن وجود هذا الكفر وانا لا اقدر على جعل خبرك الصدق
كذبا الخامس انك خلقت ارادة جازمة للكفر السادس انك
زينت الكفر السابع انك سلطت على القلب الرين والطبع
والوقر والغشاوة والختم وكل ذلك اسباب موجبة للكفر
والقساوه
ثم لما خلقت هذه الاسباب الثمانية الموجبة للكفر سلبت
مجموع الاسباب الثمانية المعتبرة فى حصول الايمان فقد حصل
لعدم الايمان ستة عشر سببا كل واحد مستقل بالمنع من الايمان
ومع قيام هذه الاسباب الكثيرة فكيف يحسن التوبيخ على
الكفر والترغيب فى الايمان والثامن انه تعالى قال للرسول
صلى الله عليه وسلم قل لهولاء الكفار كيف تكفرون بالله الذى
انعم عليكم بهذه النعمة العظيمة اعنى نعمة الحيوة وعلى قول اهل الجبر
لا نعمة له تعالى على الكفار وذلك لان عندهم كلما فعل الله تعالى
بالكافر فانما فعله ليستدرجه الى الكفر ويحرقه بالنار وعلى هذا
التقدير فاى نعمة الله تعالى على العبد الكافر وهل يكون الا بمنزلة
من قدم لضيف طعاما مسموما فان ظاهره وان كان يعد نعمة

ولكن لما كان باطنه مهلكا كان احرى ان لا يعد نعمة ومعلوم
ان العذاب الدائم اكثر ضررا من ذلك السم وعلى هذا التقدير
كيف يكون لله نعمة على الكافر واذا لم يكن له نعمة فكيف يليق بان
يامر رسوله بان يقول كيف تكفرون بمن من عليكم بهذه النعمة
العظيمة فالجواب هذه الوجوه عند البحث يرجع حاصلها
الى التمسك بطريق المدح والذم والثواب والعقاب وهذه
الطريقة معارضة بوجهين الاول انه تعالى لما كان عالما من
ابى جهل بانه لا يومن والعلم بعدم الايمان مع وجود الايمان
ضدان متنافيان لذاتهما فمع قيام احد الضدين يكون التكليف
بالضد الثاني تكليف ما لا يطاق وحينيذ يلزمكم كلما اوردتموه
علينا الثاني ان قدرة العبد لما كانت صالحة للايمان والكفر
فترجح احد الطرفين على الاخر ان لم يتوقف على مرجح لزم ترجيح
الممكن من غير مرجح وهو محال وان افتقر الى مرجح فحدوث
ذلك المرجح ان لم يكن بمحدث فقد استغنى الحدوث عن المحدث
وهو نفي الصانع وان افتقر الى محدث فذلك المحدث ان كان هو
العبد لزم التسلسل وان كان هو الله فقد لزم الجبر وحينئذ
تلزمكم كلما اوردتموه علينا واعلم ان المعتزلي ذا طول وعرض
وابرق وارعد مثال الكلمات التي حكيناها عنهم فعليك ان
تعارضها بهذين الوجهين فانه لا يمكنه ان يتكلم ان كان ذكيا
فاهما الفايدة الثالثة من هذه الاية اتفقوا على قوله فاحياكم ان
المراد منه وكنتم ترابا ونطفة لان ابتدا خلق ادم من التراب
وخلق سائر اولاده من النطفة الا عيسى عليه السلام
لكنهم اختلفوا في ان اطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة
او مجاز الاكثرون على انه مجاز لانه يشبه الموات بالميت
والاقلون قالوا هو حقيقة وهو مروي عن قتادة قال كانوا
امواتا في اصلاب اباءهم فاحياهم الله ثم اخرجهم الى الدنيا
ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت وهما حياتان

وموتان واحتجوا بقوله خلق الموت والحيوة والموت مقدم على
الحيوة هو كونه ترابا والاقرب هو الاول لان يقال في الجماد انه
موات ولا يقال انه ميت لتشبيه ان يكون استعمال احدهما في
الاخر على سبيل التشبيه وقال القفال هو كقوله هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فبين سبحانه ان
الانسان كان لا شي يذكر ثم جعله حيا وسميعا وبصيرا ومجازه
من قولهم فلان ميت الذكر وهذا امر ميت وسلعة ميتة
اذا لم يكن لها طالب ولا راغب وكذا معنى الاية كنتم امواتا
فاحياكم اي خاملين لا ذكر لكم لانكم لم تكونوا شيا فاحياكم
وجعلكم سمعاء بصراء الفايدة الرابعة احتج قوم بهذه الاية
على بطلان القول بعذاب القبر قالوا لانه تعالى بين انه يحييهم
مرة في الدنيا واخرى في الاخرة ولم يذكر فيه حيوة القبر
فالجواب ان الله تعالى ذكر حيوة القبر في هذه الاية لان قوله ثم
يحييكم ليس المراد منه حياة القيمة والا لكان هنا عين قوله ثم
اليه ترجعون ويحصل التكرار بل قوله ثم يحييكم اشارة
الى حياة القبر وقوله ثم اليه ترجعون اشارة الى حياة القيمة
وقال الحسن البصري رحمه الله قوله كيف تكفرون بالله
يعني به العامة واما بعض الناس فقد اماتهم الله ثلاث مرات
نحو ما حكى قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه
وكقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله تعالى فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وكقوله فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى وكقوله وكذلك اعثرنا عليهم
ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها وكقوله
في قصة ايوب واتيناه اهله ومثلهم معهم فانه جاء في بعض
الروايات انه تعالى رد عليه اهله بعد ان اماتهم واقول ايضا

ان ثبت ان الله سبحانه احيا الذر فى صلب ادم وخاطبهم
بقوله الست بربكم لزم ان يقال ان هولا الاقوام الذين ذكرناهم
قد اماتهم الله اربع مرات الفايدة الخامسة تمسكت المجسمة
بهذه الاية وهى قوله واليه ترجعون على انه سبحانه فى مكان
وجهة وهذا ضعيف والمراد الى حكمه ترجعون لان الله تعالى
يبعث من فى القبور ويجمعهم فى المحشر وذلك هو الرجوع
وانما وصف هذا بانه رجوع الى الله لانه رجوع الى حيث لا
يتولى الحكم فيه غير الله كقولهم رجع الحكم الى الامير اى الى حيث
لا يحكم غيره الفايدة السادسة تمسك اهل التناسخ على قدم الارواح
بهذه الاية وذلك لان الرجوع الى الله لا يصح الا بعد ان يقال هذه
الارواح كانت قبل تعلقها بالابدان فى حضرة الله واكدوا هذه
الاية بقوله تعالى ارجعى الى ربك راضية مرضية فالجواب
ان الارواح لما كانت من عالم الاخرة لا جرم سميت مفارقتها عن
ابدانها بالرجوع الى الله سبحانه وتعالى السابعة هذه الاية
دلت على وجود الصانع سبحانه فان الحيوة والموت ليسا من
افعال البشر ولا بد من مدبر وتمام تقريره ما نذكره فى باب
الاستدلال على وجود الصانع بتكوين الانسان الثامنة
هذه الاية تدل على انه لا يقدر على الاحيا والاماتة الا الله هو
فبطل قول اهل الطبايع ان الموثر فى الحيوة والموت هو الطبايع
والكواكب والاركان والمزاج وفيه ابطال قول من حكى الله
عنه وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى الاية التاسعة
الاية دالة على صحة الحشر ومنبهة على الدليل العقلى الدال على
امكان الحشر والنشر لانه تعالى بين ان هذه الاشيا كانت
ميتة فاحياها فاذا جاز الاحيا بعد الموت فى المرة الاولى
فلان يجوز فى المرة الثانية اولى العاشرة الاية دالة على
التكليف والامر والنهى والترغيب والترهيب والثواب
الحادية عشر الاية دالة على مسلة الجبر والقدر وتمام الكلام

قد

قد تقدم الثانية عشر الاية دالة على وجوب الزهد فى الدنيا
لانه تعالى قال وهو الذى احياكم ثم يميتكم فبين انه لا بد من الموت
ثم ذكر انه لا بد بعد هذا الموت من سوال القبر ثم ذكر بعد ذلك من
الرجوع الى الله ونشر الى بيان هذه المراتب اما انه كان ميتا حين
كان نطفة وعلقة ومضغة فانه لا شك فيه فاما انه احيا
بعد ذلك فهو ايضا حق فانه احياه وصوره احسن صورة وجعله
بشرا سويا واكمل عقله وصيره بصيرا بانواع المنافع والمضار
وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور اما انه تعالى يميته
فالامر ظاهر واذا اماته فقد ازال عنه كل تلك النعم وصيره
بحيث لا يملك شيا ولا يبقى فى الدنيا منه خبر ولا اثر ويبقى
مدة مديدة فى اللحد كما قال ومن ورايهم برزخ ينادى فلا يجيب
ويستنطق فلا يتكلم ثم يصير بحيث لا يزوره الاقربون
وينساه الاهل والبنون قال يحيى بن معاد رحمه الله
تمر اقاربى بجذاء قبرى • كان اقاربى لم يعرفونى • التى كانى يقينى وقد
اجتمعت فى حضرتها • وتفرق المستيعون من شيعتها • وكم غريب
علمها لغربتها • وناداها شفير القبر درموتها • ورحمها المعادى عند
ضرعها • ولم يخف عن الظالمين بجرحبلها • فمن واحباى ان يقول
للملايكة انظروا الى فريد قد ناى عنه الاقربون • ووحيد قد جفا
المحبون • اصبح منى قريبا • وفى اللحد غريبا • وكان لى فى الدنيا محبا
وداعيا • ولاحسانى اليه عند وصوله الى هذا البيت راجيا
فاحسن الى هناك يا قديم الاحسان • وحقق رجاى فيك
يا واسع الغفران • واما انه لا بد من الرجوع الى الله فانه سبحانه
يامر بان ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا
من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • يخرجون
من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون • ثم تعرضون على الله
كما قال وعرضوا على ربك صفا فيقومون خاشعين خاضعين
كما قال وخشعت الاصوات للرحمن قال بعضهم الى هنا انا تممنا

من ترى الاحباث معتبرة روسنا من شدة الخوف متغيرة ووجوهنا من هول القيمة مطرقة روسنا من طول القيمة جايعة بطوننا وبقينا متحيرين فى امورنا نادمين على ذنوبنا فلا تضاعف المصايب باعراضك عنا ولا تمنع غفرانك ورحمتك ياعظيم الرحمة يا واسع المغفرة قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا اعلم انه تعالى ذكر الحيوة التى هى اصل جميع النعم ثم اتبعه بذكر المتبع به وهو المنافع المخلوقة فى الارض وما احسن هذا الترتيب فان الانتفاع بالارض والسما لا يكون الا بعد حصول الحيوة اما لفظ الخلق فقد مر تفسيره واما قوله لكم فهو يدل على ان كل ما خلقه فى الارض انما خلقه لمنفعة المكلفين اما فى الدنيا واما فى الدين فبان ليستدل المكلف بهذه الاشيا ويعتبر بها فى اثبات الصانع ومعرفة قدرته وحكمته وقوله ما فى الارض جميعا كل ما فى الارض ومنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال ومنها ما يتصل بصروف الحرف والصناعات والامور التى استنبطها العقلاء وبين بعد ان كل ذلك انما خلقه لينتفع به المكلف كما قال وسخر لكم ما فى الارض جميعا فقال كيف تكفرون بقدرة الله على اعادتكم وخلق لكم ما فى الارض فكيف يعجز عن اعادتكم فالله سبحانه ذكر تفاصيل هذه المنافع فى صور مختلفة كما قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وستستقصى الكلام فى شرح هذه التفاصيل فى باب الاستدلال على وجود الصانع باحوال الحيوان والنبات ثم ههنا فوايد الفائدة الاولى اللام فى قوله لكم لام الحكمة والغرض واعلم انه تعالى ذكر هذه اللام فى مواضع فقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الثانى ان اشرف العبادات بعد الايمان بالله الصلاة فذكر تعالى هذه اللام فيها فقال تعالى اقم الصلوة لذكرى وذكرها ايضا فى الصوم قال عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله الصوم لى

ثم

ثم ان الامة مجمعة على انه يجب على المصلى ان يقول بقلبه اصلى لله ولو قال اصلى لطلب الجنة او للهرب من النار لم تصح صلاته ثم كان سبحانه قال عبدى انك ان وفيت بموجب هذه الايات ملكتك الدنيا والاخرة بلام التمليك اما الدنيا فهو خلق لكم ما فى الارض جميعا واما الاخرة فقوله وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين والحاصل انه سبحانه خلقك لخدمته وخلق كل ما سواك لاجلك فان انت صرفت نفسك الى خدمته فهو سبحانه وتعالى يصرف الدنيا والاخرة الى جهة غرضك كما قال تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى النوع الثانى من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع المختار كون الارض مقر الحيوانات ومسكنا لها والله سبحانه وتعالى ذكر هذا المعنى فى ايات قال تعالى فى اول سورة البقرة الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وقال فى اول سورة طه حكاية عن موسى عليه السلام حين استدل بها على وجود الصانع الذى جعل لكم الارض مهادا وقال فى سورة النمل امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون وقال فى سورة الملك هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وقال فى سورة نوح عليه الصلوة والسلام والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال فى سورة المرسلات الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ما فراتا ويل يومئذ للمكذبين واعلم انه يجب علينا ان نبحث فى هذه الصفات التى ذكرها الله سبحانه للارض الصفة الاولى كون الارض فراشا اعلم انه يعتبر فى كون الارض فراشا للحيوانات شرايط الشرط الاول كونها ساكنة وذلك لانها

لوكانت متحركة الى اسفل والهبوط لكان من رفع رجله
عن الارض واراد بعد ذلك ان يضعها على الارض لم يقدر
على ذلك البتة لانا بينا انه اذا تحرك شيان الى السفل واحدهما
اخف من الاخر لم يصل الاخف الى الاثقل فعلى هذا التقدير
كان يصير المشي متعذرا للحيوانات على الارض واما ان كانت
الارض متحركة بالاستدارة تعذر المشي عليها ايضا لانها
اذا تحركت بالاستدارة كان الهوا المحيط شديد التموج
بسبب حركتها فعند ذلك يصير الانسان وغيره من
الاجسام الصغيرة متحركة نحو جهة حركة الارض بالاضطرار
وتمتنع الحركة عن خلاف تلك الجهة وعلى هذا التقدير
يصير المشي متعذرا ونقل الاقمشة من موضع الى موضع
متعذرا واما اذا كانت واقفة لاجرم كان المشي ممكنا ونقل
الاقمشة من مكان الى مكان على حسب المراد والمصلحة مهيا
فحينئذ صلح كون الارض مسكنا للحيوانات ثم قد عرفت انها
ساكنة لا بسبب علاقة فوقها ولا دعامة تحتها والا لعاد
الكلام في تلك العلاقة وتلك الدعامة ولزم التسلسل
وهو محال واذا ثبت انها ساكنة بلا علاقة ولا دعامة
ثبت ان ممسكها هو الله سبحانه وتعالى بقدرته وارادته وهو
المراد من قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
وقد تقدم الاستقصا وفي سورة الحج ويمسك السما ان تقع
على الارض الا باذنه في ذلك الشرط الثاني في كون الارض فراشا
للحيوانات ان لا يكون في غاية الصلابة ولا في غاية الرخاوة فاما
انه يجب ان لا يكون في غاية الصلابة فلانها لو كانت في غاية الصلابة
كالحجر كان النوم عليها والمشي عليها مما يولم البدن وايضا لم
ينبت منه انواع النبات والشجر وايضا كانت تسخن شديدا
في الصيف وتبرد شديدا في الشتا فما كانت تصلح لسكنى
الحيوانات وايضا كان يتعذر ايجاد الابنية والمساكن منها

وكان يتعذر حفرها وتركيبها وكما يراد ويوافق المصلحة فثبت
ان الارض لو كانت صلبة حجرية لما كانت تصلح ان تكون فراشا للانسان
من هذه الوجوه ثم تامل ان اعز الاشيا عند الانسان الذهب
والفضة والياقوت والزمرد وانا لو قدرنا ان الارض كانت مخلوقة
من هذه الاشيا فاتت المصلحة باسرها وبطلت المنافع ولهذا
يظهر انه لا نسبة للتراب في كثرة المنافع والمصالح الى كثرة هذه
التي يظن الانسان كونها في غاية الشرف والنفاسة وايضا من شرط
كون الارض فراشا لنا ان لا تكون في غاية الرخاوة كالما وسائر الاشيا
التي تغوص الاشيا فيها فثبت ان الشرط في كونها فراشا للانسان
وغيره كونها بهذه الصفة التي خلقها الله تعالى عليها الشرط
الثالث في كونها فراشا انها لا تكون في غاية الشفافة واللطافة
فان الشفاف لا يستقر عليه النور وما كان كذلك لا يقبل السخونة
من الشمس والكواكب فيبقى في غاية البرد فلا يصلح لان يكون مقر الحيوانات
وايضا ما جعلها في غاية الصقالة والبراقية والا لكان يحترق من
يقرب منها بسبب انعكاس اشعة الشمس عنها كما تحترق القطنة التي
تقرب من البلورة المخروطة اما لما جعل الارض كثيفة غبرا استقر
النور على وجهها فحصل نوع من السخونة فيها ولما كانت كثيفة لم
تنعكس الاشعة عنها فصار متوسطا في الحر والبرد فصلح ان يكون
فراشا للحيوانات الشرط الرابع ان يكون خارجا عن الما وذلك ان
الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الما فالارض
لا يمكن ان تكون مسكنا للحيوانات والانسان الا اذا كانت بارزة
من الماء ثم ان طبع الارض يقتضي ان تكون غائصة في الما فكان يجب
في الارض ان تكون البحار محيطة بها ثم انه سبحانه بكمال القدرة ونهاية
حكمته وغاية رحمته للعباد قلب طبع الارض واخرج بعض
جوانبها من الما كالجزيرة البارزة حتى صلحت لان تكون فراشا لها
فهذه جملة الشرائط المعتبرة في كون الارض فراشا لنا الصفة
الثانية من الصفات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى للارض كونها

فراشا ممهدا والمراد انه تعالى جعلها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا
فيها بالقعود والقيام والزراعة وسائر جهات المنفعة وهى
قريب من الصفة الاولى الا ان المقصود من تسميتها بالمهد
ان الارض للخلق كالمهد للصبي وهو الذى يمهد له فينام عليه
الصفة الثالثة قوله تعالى فى عم الم نجعل الارض مهادا واعلم ان
المهاد مصدر ثم فيه وجوه الاول ان يكون المراد من هذه الاية
الممهود والمعنى الم نجعل الارض ممهودا وهذا من باب تسمية المفعول
بالمصدر كقولك هذا ضرب الامير اى مضروبه الثانى ان تكون الارض
وصفها بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم كانه لكماله فى تلك
الصفة صار عين تلك الصفة والثالث ان يكون بمعنى ذات مهاد
الصفة الرابعة قوله تعالى فى سورة النمل امن جعل الارض قرارا
واعلم انه تعالى ذكر من منافع الارض فى هذه الاية امورا اربعة
المنفعة الاولى كونها قرارا وهذا ايضا قريب من كونها فراشا
والشرائط الاربعة المذكورة هناك معتبرة هاهنا ايضا ويزيد
هاهنا شرائط اخر الشرط الاول انه تعالى دحاها وسواها
بالاستقرار وقال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها
ماءها ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم وقال فى
سورة حم السجدة قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين
الى سواء للسائلين الشرط الثانى انه سبحانه جعل الشمس بسبب
ميل مدارها عن مدار منطقة الفلك الاعظم بحيث يبعد
تارة من سمت الراس ويقرب اخرى وبسبب هذا القرب والبعد
تختلف الفصول الاربعة وبسبب اختلاف هذه الفصول
صلحت البقاع لان تكون مسكنا للحيوانات على ما بينا شرح هذا
المعنى فى ذكر منافع الميل فى تفسير قوله تعالى اولم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الشرط
الثالث انه سبحانه جعل الارض كفاتا للاحيا والاموات على
ما سنذكر فى تفسير الكفات ان شا الله تعالى ولو لم تكن الارض

كذلك لما صلحت ان تكون قرارا للحيوانات المنفعة الثانية
من منافع الارض التى ذكرها الله تعالى فى هذه الاية قوله وجعل
خلالها انهارا اعلم ان اقسام المياه المنبعة عن الارض اربعة
الاول مياه العيون السيالة وهى تنبعث من ابخرة كثيرة
المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوة ثم لا يزال يتبع
جزا جزا منها الثانى ما العيون الراكدة وهى تحدث من ابخرة
بلغت قوتها الى ان اندفعت الى وجه الارض ولم تبلغ من
قوتها وكثرة مادتها ان يطرد تاليها سابقها الثالث مياه
القناه والانهار وهى متولدة من ابخرة ناقصة القوة عن
ان يشق عن الارض فاذا ازيل عن وجهها ثقل التراب وصادفت
حينئذ تلك الابخرة منفذا تندفع اليه بادنى حركة الرابع
مياه الابار وهى بعينها كمياه القنى الا انها لم يجعل لها ميل الى
موضع تسيل اليه ونسبة القنى الى الابار كنسبة السيالة
الى العيون الراكدة وقد ظهر بمجموع ما شرحناه انه لولا صلابة
الارض لما اجتمعت تلك الابخرة فى باطنها ولولا اجتماعها فى
باطنها لما حدثت هذه العيون فى ظاهرها المنفعة الثالثة
للارض قوله تعالى وجعل لها رواسى والمراد منها الجبال ونقول
اكثر العيون والسحب والمعدنيات انما تكون فى الجبال
او فيما يقرب منها اما العيون فلان الارض اذا كانت رخوة
نفذت الابخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به فاذا هذه
الابخرة لا تجتمع الا فى الارض الصلبة والجبال اصلب
الاراضى فلا جرم كانت افواهها على حبس هذه البخار حتى يجتمع
ما يصلح ان يكون مادة للعيون وسببه ان يكون مستقر
الجبال مملوا من ما ويكون الجبل فى حقنة الابخرة مثل الانبيق
الصلب المعد للتقطير لا يدع شيا من البخار يتحلل ونفس الارض
التى تحته كالبرع والعيون والانهار والبحار كالقوابل ولذلك
فان اكثر العيون انما تنفجر من الجبال واقلها فى البرارى وذلك

الاقل لا يكون الا اذا كانت الارض صلبة واما ان
السحب انما يكون في اكثر الامر في الجبال فلاسباب ثلاثة
الاول انما في بطن الارض من النداوة لا يكون في باطن
الارض من الوجوه الثلاثة التي مرت الثاني ان الجبال
بسبب ارتفاعها تكون ابرد فلا جرم يبقى على ظواهرها
من الابراد والثلوج ما لا يبقى على سائر الارض الثالث
ان الابخرة المتصاعدة من الجبال تكون محبوسة في الجبال
فلا يتفرق ولا يتحلل واذا ثبت هذا ظهر ان اسباب كثرة
السحب في الجبال اكثر لان المادة فيها ظاهرا وباطنا
اكثر والاحتقان اشد والسبب المحلل هو الحوامل فلذلك
كانت السحب في الجبال اكثر واما المعدنيات المحتاجة الى
ابخرة يكون اختلاطها بالارضية اكثر ويبقى ذلك الاختلاط
مدة طويلة لم يتم النضج فيها فلا شئ لها في هذا المقصود كالجبال
المنفعة الرابعة للارض قوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا
واعلم ان المقصود من ذلك الحاجز امور احدها ان لا يفسد
العذب بسبب اختلاطه بالملح الثاني ان ينتفع بذلك الحاجز
الثالث المومن في قلبه بحران بحر الحكمة والايمان وبحر الشهوة
والطغيان والحق سبحانه وتعالى بتوفيقه جعل بينهما حاجزا
لكيلا يفسد احدهما بالاخر وقال بعض الحكما في قوله تعالى
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال عند عدم
البغي من البحرين يخرج منهما اللولو والمرجان فلذلك عند عدم
البغي في المومن يخرج الدين والايمان واعلم ان وجه الاستدلال
بهذه الاحوال على اثبات الصانع الحكيم ظاهر وذلك لانه
سبحانه دبر اجزاء الارض على هذه الاحوال المحكمة المتقنة الموافقة
لمصالح العباد وذلك لا يمكن الا بمشيئة نافذة وقدرة
كاملة وحكمة بالغة المنفعة الخامسة للارض قوله تعالى في
سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا واعلم ان

الذلول من كل شئ المنقاد لك الذي يذل لك ومصدره الذل
وهو الانقياد واللين ومنه يقال دابة ذلول وفي وصف
الارض بالذلول وجوه الاول انه تعالى لم يجعلها صخرة خشنة يمتنع
المشي عليها كما يمتنع المشي على وجه الصخور الخشنة الثاني انه
جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبناء الابنية فيها كما يراد
ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك والثالث انك تطرح
عليها كل قبيح تطرح لك كل طعام مليح والرابع انها كانت
كفات الاحيا والاموات وهذه الوجوه قد شرحناها
ثم قال تعالى فامشوا في مناكبها والمفسرون ذكروا في مناكب
الارض وجوها الاول قال صاحب الكشاف المشي في
مناكبها مثل لفرط التذلل لان المنكبين وملتقاهما من الغارب
ارق شئ من البعير وابعده من امكان المشي عليه فاذا صار البعير
بحيث يمكن المشي على منكبيه فقد صار نهاية في الانقياد
والطاعة فظهر ان قوله فامشوا في مناكبها كناية عن كونها
نهاية في الذلولية الثاني وهو قول قتادة والضحاك وابن
عباس ان مناكب الارض جبالها واكامها وسميت الجبال
مناكب لان مناكب الانسان شاخصة والجبال ايضا
شاخصة والمعنى اني سهلت عليكم المشي في مناكب الارض
وهي ابعد اجزائها عن التذلل فكيف الجبال في سائر اجزائها
والثالث ان مناكبها هي الطرق والفجاج والاطراف والجوانب
وهو قول الحسن ومجاهد واما قوله تعالى وكلوا من رزقه
اي مما خلقه الله رزقا لكم في الارض واليه النشور يعني
وينبغي ان يكون مكثكم في الارض مكث من يعلم ان مرجعه الى الله
ولكل من تيقن ان مصيره الى الله والمراد التحذير من الكفر
والمعاصي وطول الامل الصفة السادسة للارض قوله تعالى
في سورة نوح عليه السلام والله جعل لكم الارض بساطا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة واحدها فج

وهو قريب مما تقدم الصفة السابعة للارض قوله تعالى في سورة المرسلات الم نجعل الارض كفاتا ومعنى الكفت في اللغة الجمع والضم يقال كفت الشي اى ضممته ويقال جراب كفيت اذا كان لا يضيع مما يجمع فيه شيا والكفات اسم لما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احيا واموتا كانه قال كافية احيا واموتا وبفعل المضمر يدل عليه هذا الظاهر وهو يكفت هذا هو اللغة ثم في المعنى وجوه الاول انها تكفت الاحيا على ظهرها والاموات في بطنها والمعنى ان الاحيا يسكنون في بيوتهم والاموات يدفنون في قبورهم ولهذا المعنى كانوا يسمون الارض اما لانها تضم الناس كالام التي تضم ولدها وتكفله ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم الثاني انها كفات الاحيا والاموات بمعنى انها تكفت مما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة الثالث انها كفات الاحيا بمعنى انها جامعة لما يحتاج اليه الانسان في حياته من ماكل ومشرب لان كل ذلك يخرج من الارض وايضا للمساكن الجامعة للمصالح الدافعة للمضار منها الرابع ان قوله احيا واموتا راجع الى الارض والحي ما انبت والميت ما لم ينبت بقي في الاية سوالان السوال الاول لم قيل احياء واموتا على التنكير وهي كفات الاحيا والاموات جميعا فالجواب هو من باب تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احيا لا يعدو واموتا لا يحضرون الثاني هل تدل الاية على وجوب قطع السارق الجواب قال القفال قد دلت الاية على ان الارض كفات الاموات فتكون حرزا له والسارق اذا سرق من الحرز وجب عليه القطع الصفة الثامنة للارض قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فهي لنا كالام الحاضنة التي ربتنا حالتي الحيوة والموت النوع الثالث

من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى واعلم ان الاستدلال بهذه الاحوال من وجوه الاول ان الاشيا المتولدة منها من المعادن والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية كثيرة لا يعلم تفصيلها الا الله سبحانه وتعالى الثاني من منافع الارض ان الما لرقته ورطوبته لا يحفظ الشكل والتصور واذا خلطته بالما والتراب حصل في الما نوع قوام واستمساك وحصل في التراب قبول الاشكال فيصير الطين قابلا للتشكل والتخطيط كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين وقال في حق عيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني الثالث اختلاف بقاع الارض فمنها ارض رخوة وصلبة ورملية وسبخة وحرة وهو المشار اليه بقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا الرابع اختلاف الوانها فاحمر وابيض واسود ورمادي اللون واغبر كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود الخامس انصداعها بالنبات كما قال تعالى والارض ذات الصدع السادس كونها خازنة للماء المنزل من السماء واليه الاشارة بقوله وانزلنا من السما ماء بقدر فاسكناه في الارض الاية وقال قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا الاية السابع العيون والانهار العظام والصغار التي في الارض واليه الاشارة بقوله وجعل فيها رواسي وانهارا الثامن ما فيها من المعادن والفلوات واليه الاشارة بقوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون ثم بين ذلك تمام البيان فقال وان من شي الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم التاسع الزرع والاشجار وما ينبت من الحب والنوى قال تعالى فالق الحب والنوى وقال يخرج الخب في السموات والارض ثم ان الارض

لها طبع الكروم لانها تدفع اليها حبة واحدة وهى تردها
اليك سبعماية قال الله تعالى كمثل حبة انبتت سبع سنابل
فى كل سنبلة ماية حبة العاشرة حياتها بعد موتها قال الله
تعالى اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا
وقال واية لهم الارض الميتة احييناها . الحادية عشر
ما عليها من الدواب المختلفة الالوان والصور والخلق
واليه الاشارة بقوله وبث فيها من كل دابة الثانى عشر
ما فيها من النباتات المختلفة الوانها وطباعها وانواعها
ومنافعها واليه الاشارة بقوله وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها
وطبايعها دلالة واختلاف روايحها دلالة واختلاف
منافعها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهايم كما قال
تعالى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى
ثم ان مطعوم البشر ينقسم الى اقسام فمنها الطعام ومنها
الادام ومنها الدواء ومنها الفاكهة ومنها الانواع المختلفة
قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام وايضا منها
كسوة البشر لان الكسوة اما نباتية وهى القطن والكتان
واما حيوانية وهى الشعر والصوف والابريسم والجلود وهى
من الحيوانات التى بثها الله تعالى فى الارض فالمطعوم من الارض
والملبوس من الارض والغذا من الارض والدواء من الارض
ثم قال ويخلق ما لا تعلمون وفيه اشارة الى منافع كثيرة لا نعلمها
نحن والحق سبحانه هو العالم بها ثم انه تعالى جعل الارض ساترة
لفضايحك بعد موتك فقال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احيا
وامواتا ثم انه جمع هذه المنافع العظيمة للسماء والارض سخرها
الله تعالى للادمى كما قال تعالى وهو الذى سخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض . الثالث عشر ما فيها من الاحجار المختلفة
ففى صغارها ما يصلح للزينة يجعل فصوص الخواتيم وفى كبارها

ما يتخذ للابنية وانظر الى الحجر الذى يستخرج النار منه مع كثرته
وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الى كثرة النفع بذلك
الحقير وقلة النفع بذلك الشريف . الرابع عشر ما اودع الله
فيها من المنافع الشريفة كالذهب والفضة والملح والنفط
ثم تامل فان البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنايع
الجليلة واستخرجوا السمكة من قعر البحار واستنزلوا الطير
من اوج الهوى ثم عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب
فيه انه لا فايدة فى وجودهما الا لقيمتهما وهذه الفائدة لا
تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذها تبطل هذه الحكمة
فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا اظهارا لهذه الحكمة
وابقا لهذه النعمة واما الذى لا مضرة فى اتخاذه للخلق فقد
اقدرهم عليه مثل اتخاذ الشبه من النحاس والزجاج من
الرمل فاذا تامل العاقل فى هذه اللطايف والعجايب اضطر الى
افتقار هذا التدبير الى صانع حكيم مقتدر عليم سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا الخامس عشر كثير يوجد على الاراضى
والجبال من الاشجار التى تصلح للبنا والتسقيف ثم الحطب
واشتدا الحاجة اليه فى الخبز والطبخ وقد بينه الله تعالى على
دلايل الارض ومنافعها بالفاظ لا يبلغها البلغا ولا يقدر
عليها الفصحا فقال وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى
وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين النوع
الرابع من مباحث الارض اختلفوا فى ان السما افضل ام
الارض فقال بعضهم السما افضل من وجوه الاول ان السما متعبد
الملكة وما فيها بقعة عصى الله تعالى فيها حتى ان ابليس
لما اظهر الكفر اخرج منها وقيل له اخرج منها فانك
رجيم وادم عليه السلام لما اتى بالذلة قال الله تعالى له
اهبطوا منها وقال لا يسكن فى جوارى من عصانى الحجة
الثانية انه تعالى وصف السماء بصفات دالة على العظمة

فى كيفية سر الكيمياء

ولم يذكر مثلها فى الارض فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا وهل ترى من فطور وما لها من
فروج وقال تبارك الذى جعل فى السما بروجا وجعل فيها
سراجا وقمرا منيرا ثم ذكر عاقبة امرها واذا السما فرجت
واذا السما كشطت يوم نطوى السما يوم تكون السما كالمهل
واما الموضع الذى ذكر فيه حال الارض فقد ذكر السما مما يدل
على عظم حال السما فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه ومعلوم ان اليمين اشرف
الحجة الثالثة انه تعالى جعل الارض موضع السجود والسموات
قبلة للدعا فالايدى ترفع اليها والوجوه تتوجه نحوها
والقلوب معلقة بها الحجة الرابعة انها منزل الانوار ومحل
الصفا والاضوا ومصونة عن الخلل والفساد ومحل الطهارة
والعصمة والارض ليست كذلك الحجة الخامسة السموات
موثرة غير متاثرة والارض متاثرة غير موثرة والموثر
اشرف من المتاثر ومما يدل على ان السموات موثره قوله
تعالى فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع وقوله حكاية عن
فرعون لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات الحجة
السادسة ان السموات مرتبة على ثمانية اشيا ثلاثة منها
محسوسة وهى الشمس والقمر والنجوم وخمسة منها غير
محسوسة وهى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة
وامثال هذه الاشيا غير موجودة فى الارض فلا تناسبها
ولا تشاركها الحجة السابعة انه تعالى امر السموات فى كتابه
فى كل المواضع فقدم ذكر السموات على الارض وذلك يدل
على المقصود وقال بعضهم بل الارض افضل واحتجوا عليه
بوجوه الاول انه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة فى
ايات احدها قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة
مباركا وثانيها قوله تعالى فى البقعة المباركة وثالثها قوله

تعالى الى المسجد الاقصا الذى باركنا حوله ورابعها وصف
ارض الشام بالبركة فقال مشارق الارض ومغاربها
التى باركنا فيها وخامسها وصف جملة الارض بالبركة
فقال قل اينكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين
الى قوله وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فان قيل واى بركة
فى الفلوات الخالية والجبال والفيا فى المهلكة قلنا لانها
مساكن الوحوش ومرعاها ولولاها لاختلطت السباع
بالناس فى مساكنهم ثم انها مساكن للناس اذا احتاجوا
اليها وهذه الحجة ضعيفة لان الله تعالى اثبت وصف البركة
فى السما وهو قوله لفتحنا عليهم بركات من السما الحجة الثانية
انه خلق الانبيا المكرمين من الارض على ما قال منها خلقناكم
وفيها نعيدكم الاية ولم يخلق من السما شيا لانه تعالى قال
وجعلنا السما سقفا محفوظا الحجة الثالثة انه سبحانه
اكرم نبيه بها فجعل له الارض كلها مسجدا وجعل ترابها
طهورا النوع الخامس من المباحث ما يدل على تعظيم حال
السما والارض واعلم انه سبحانه بين صفات جلاله ونعوت
كبريائه بالاضافة الى السموات والارض وهذه الايات
كثيرة فى القران اما القسم الاول الايات الدالة على الخلق
قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض ثم بين ان
هذا الخلق اعظم من خلق الناس فقال لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقال فى النازعات انتم اشد
خلقا ام السما بناها وقال فى يس اوليس الذى خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم الاية ثم بين انه تعالى
خلقها بالحق فقال فى النحل خلق السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون ثم بين فى ص انه ما خلقهما باطلا فقال وما
خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
ثم بين ان الكل تحت تقديره وتدبيره فقال الله الذى يخرج

الجن في السموات والارض ثم بين ان في خلق السموات والارض
لايات عجيبة فقال في سورة البقرة ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون
وقال في ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولى الالباب ثم بين انه ما اطلع احدا على
اسرار هذا الخلق فقال ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم فهذا ما يتعلق بصفة الخلق والقسم الثاني
ما يتعلق بصفة الربوبية قال موسى عليه السلام في سورة
الشعرا اسئلة للاعلى فرعون رب السموات والارض وما
بينهما ان كنتم موقنين وقال ايضا الله نور السموات والارض
قال بعضهم الله نور السموات والارض اي مزين اهل السموات
والارض كما يقال فلان نور هذا البلد اذا كان سببا لنظم
مصالح اهل البلد وقال بعضهم هادي اهل السموات
والارض وقال بعضهم الله منور السموات والارض
وقال بعضهم الله نور السموات والارض واحتج على هذه
القراة بقوله مثل نوره ثم بين انه تعالى غير عاجز عن التدبير
في شي منها فقال وما كان الله ليعجزه من شي في السموات
ولا في الارض ثم ذكر التفصيل فبين انه ملك الجنود فقال
ولله جنود السموات والارض وانه مالك الخزاين فقال
ولله خزاين السموات والارض وانه المالك لفتح المغاليق
فقال له مقاليد السموات والارض ثم ذكر انه المالك لكل
العقلا فقال وله من في السموات والارض ثم اكد لنفسه
كيفية هذه العبودية بقوله ولله يسجد من في السموات ومن في
الارض وقال ايضا يسجد له من في السموات ومن في الارض
ثم بين انه تعالى يجعل البعض مسخرا للبعض بل يجعل القوى
مسخرا للضعيف وقال وما خلقنا السما والارض وما بينهما
لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين

ثم

ثم بين فقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم بين انه
تعالى لا يعجزه احد فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما
وقال تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السما القسم الثالث ما يتعلق بالملك وهو قوله تعالى
ولله ملك السموات والارض واعلم ان الفرق بين الملك
والمالك موجود على ما هو معلوم في تفسير قوله تعالى ملك
يوم الدين ومالك يوم الدين ثم بين انه هو المالك ايضا مالك
الملك فقال قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشا وتنزع
الملك ممن تشا الاية ثم بين بقا الملك وكثرة بركاته فقال تعالى
وتبارك الذي له ملك السموات والارض القسم الرابع
ما يتعلق بالعلم وهو قوله تعالى ولله غيب السموات والارض
ثم بين انه تعالى يعلم الغيب والشهادة فقال يعلم ما في السموات
والارض ثم بين احاطة علمه فقال لا يعزب عنه مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء ثم بين جلاله في هذا العلم فقال تعالى
قل ربي يعلم القول في السما والارض ثم بين انه لا يخفى عليه شي
في الارض ولا في السما فقال لا يخفى عليه شي في الارض ولا في
السما القسم الخامس ما يتعلق بكيفية التدبير فقال تعالى
يدبر الامر من السما الى الارض القسم السادس ما يتعلق
بالتسبيح والتحميد قال تعالى سبح لله ما في السموات والارض وقال
يسبح لله ما في السموات وما في الارض وقال وله الحمد في السموات
والارض القسم السابع ما يتعلق بالكبريا قال وله
الكبريا في السموات والارض وقال وله المثل الاعلى في السموات
والارض وقال وسع كرسيه السموات والارض وقال وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون
وقال ففزع من في السموات ومن في الارض وقال يسئله من في
السموات والارض وقال انا عرضنا الامانة على السموات
والارض فكل ذلك يدل على نهاية الجلالة والعظمة والهيبة

وقال وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيا ونظيره
من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح والملئكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال وقيل يا ارض ابلعى
ماءك ويا سما اقلعى وغيض الماء وقال وهو الذى فى السماء اله
وفى الارض اله الثامن مايتعلق بالالهية وهو قوله وهو الله
فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم وقال وهو الذى فى
السما اله وفى الارض اله التاسع مايتعلق بالنظر والاستدلال
قال وكاين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون وقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض وقال
فى سورة الدخان فى التشبيه على الغرة فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين واعلم ان اكثار الله تعالى من ذكر السموات
والارض يدل على عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرار
عجيبة وحكمة بالغة لا تصل اليها افهام الخلق ولا عقولهم
فان قيل فما الحكمة فى انه سبحانه عرف صفات جلاله وقدسه
وعظمته بذكر السموات قلنا الحكمة ان ذات الله سبحانه
وصفاته وعزته وعظمته غير مشاهدة للخلق ابتداء
بل لا سبيل الى معرفتها الا بالدلايل والبراهين وكلما كانت
الاثار اجل واعظم كان ذلك ادل على عظمة المؤثر فلما كان
اعظم الموجودات المحسوسة هو السموات والارض
لا جرم عرف الله سبحانه كمال قدرته ونهاية علمه وحكمته
بذكر السموات والارض فهذا تمام القول فى هذه المواضع
وبالله التوفيق النوع السادس فى شرح المنافع الحاصلة
من مجموع السما والارض اعلم ان السما والارض معا بعد كل
واحد منهما عن الاخر وانهما متعاونان على تحصيل نظم العالم
ومصالحه وبيانه من وجوه الاول ان الفوق هو الذى يلى
جهة السما والتحت هو الذى يلى جهة الارض والجهات

لا توجد الا بالفوق والتحت والسما والارض متعاونان على
تحصيل وجود الجهات واذا كان تحصيل الجهات من توابع حصول
السما والارض وحصول الجهات من المناظمة كانت السما والارض
متعاونين وايضا السما والارض فهما متعاونان على حصول
النبات فالسما كالاب ينزل من صلبه القطر ويقع فى الارض
فاذا وقعت الحبة فى الطين اثرت نداوة الطين فى تلك الحبة
وكذلك السخونة المحتقنة فى باطن الارض فوصلت النداوة
الى باطن الحبة واثرت وبسبب تلك السخونة انتفخت الحبة
وربت وعظمت فانفلقت فلقة من فوقها وفلقة من تحتها
فالانفلاق الفوقانى يخرج منه ساق الشجر والانفلاق
التحتانى يخرج منه عروق الشجر اذا عرفت هذا فنقول
ولو وقعت الحبة فى الطين فى ارض يابسة لم يحصل المقصود اصلا
ولو وقعت فى الطين ولكن بحيث لا يصل اليهما تاثيرات الهوى
وشعاعات الكواكب لا يحصل المقصود اصلا الا ترى ان الاشجار
التى تكون فى ظل مانع من سروق نور الشمس والقمر عليها فانها
تكون فاسدة ناقصة والشجرة الصغيرة الواقعة فى ظل شجرة كبيرة
تكون ايضا فاسدة واذا تاملت هذا علمت ان هذا المقصود لا يحصل
الا اذا وجدت كرة الارض ووجدت كرة الما وكانا متقاربين بحيث
يمتزجان ولا بد من وصول الهوى اليه الا ان الهوى جرم ضعيف
صاعد بالطبع ولا يغوص بالطبع فى عمق الطين فدبر الحكيم الرحيم
تدبيرا لهذا وهو ان حرك الهوى حتى صار بحيث ان الريح يموج فيه
فاذا تموجت عرض لبعضها فى اثناء ذلك التموج ان ينفذه
فى عمق الارض واليه الاشارة بقوله وارسلنا الرياح لواقح
وانما القاحها فى ايقاع الازدواج بين الارض والما والهوى ثم كان
لا يفيد المقصود الا مع حرارة لطيفة سماوية فعند ذلك
لا بد من حرارة الربيع فى الانبات ومن حرارة الصيف فى الانضاج
فقد عرفت ان المقصود لا يحصل الا عند تاثيرات العناصر الاربعة

السفلية وتاثيرات الشعاعات الفلكية ثم عند اجتماع هذه
الاسباب العلوية والسفلية لا يحصل المقصود الا بقدرة
ولا يكون المطلوب الا بانفاذ مشيته وذلك لان الارض الواحدة
والماء الواحد والهوى الواحد وتاثير الشمس والقمر في الكل على
السوية يخرج انواع من النبات مختلفة في الطعم والطبع
واللون والرايحة فدل ذلك على ان العناصر والافلاك اسباب
ظاهرة والموثر في الحقيقة هو القدرة الازلية والمشية
السرمدية الوجه الثاني ان النهار عبارة عن مدة ظهور نور
الشمس والليل عبارة عن مدة اخفاء نور الشمس بسبب ظل
الارض ومنافع الليل والنهار كثيرة على ما سنذكر ان شا الله
تعالى واذا كان كذلك كان السبب القريب لحدوث الليل والنهار
هو وجود السما والارض ولهذا السبب فانه تعالى انما ذكر احوال
الليل والنهار ففي الاكثر يكون ذلك مسبوقا بذكر السما والارض
تنبيها على ان سبب الليل والنهار هو الارض والسما ثم العجب
ان السما والارض كالمتباينين المتضادين ثم انهما صارا متفقين
على تحصيل اسباب مصالح هذا العالم وان المتضادان
يوجبان الفساد فلما صارا هذان الضدان موجبين لحصول
اسباب المصالح علم ان ذلك تدبير مدبر وتقدير مقدر حكيم
عليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهذا هو اخر
الكلام في الدلايل الماخوذة من السما والارض والله ولي التوفيق
الباب الثاني في وجوه الدلايل الماخوذة من النجوم والشمس
والقمر وفيه فصول الفصل الاول في تقرير دليل الخليل عليه
الصلوة والسلام في قوله لا احب الافلين قال تعالى واذ قال
ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اريك وقومك في
ضلال مبين اعلم ان قبل الخوض في التفسير لا بد من مقدمات
المقدمة الاولى انه سبحانه وتعالى كثيرا ما يحتج على مشركي العرب
باحوال ابرهيم عليه السلام وذلك لانه رجل يعترف بفضله

جميع

جميع الطوايف والملل فالمشركون كانوا معترفين بفضله
متشرفين بانه من اولاده واليهود والنصارى والمسلمون
كلهم معظمون له معترفون بجلال قدره فلا جرم ذكر الله
تعالى حاله في معرض الاحتجاج على المشركين اعلم ان هذا
المنصب العظيم وهو اعتراف اكثر الخلق بفضله وعلو مرتبته
لم يتفق لاحد كما اتفق للخليل عليه السلام والسبب فيه
ان بين العبد والرب معاهدة كما قال واوفوا بعهدي اوف
بعهدكم وابرهيم عليه السلام وفى بعهد الربوبية
والله شهد بذلك على سبيل الاجمال تارة وعلى سبيل التفصيل
اخرى اما الاجمال ففي ايتين احدهما قوله واذ ابتلى ابرهيم
ربه بكلمات فاتمهن وهذه شهادة من الله تعالى بانه اتم عهد
العبودية الثانية قوله تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين واما التفصيل فهو انه ناظر في اثبات التوحيد
وابطال القول بالشركا والانداد مع ابيه وهو قوله يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا وناظر ايضا
في هذه المسلة مع قومه في قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخره
وناظر ايضا مع ملك زمانه في هذه المسلة فقال ربي
الذي يحيي ويميت ثم ناظر ايضا مع قومه بالفعل وهو قوله
تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ثم ان القوم قالوا حرقوه وانصروا
الهتكم ان كنتم فاعلين انه لما وضع في المنجنيق ضجت الملايكة
والسموات والارض وكل المخلوقات سوى الثقلين وقالوا
يا ربنا ليس في الارض احد يعبدك ويوحدك غير ابرهيم ثم
انه يحرق بالنار ائذن لنا في نصرته فاوحى الله الى السموات ثم
والارض والجبال والبحار اذا استغاث بكم فاغيثوه وان استنصر
فانصروه وان دعاني فانا وليه وناصره وكفى بي وكيلا فلما ارادوا
القاءه في النار قال يا احد يا صمد بك استغيث وعليك اتوكل
حسبي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل فجاء ملك المطر وعرض نفسه

عليه فلم يلتفت وجا خازن الريح وقال ان شيت اذنت للريح تفرق
النار في شرقها وغربها فلم يلتفت فرمي من المنجنيق فقبل ان يصل
الى النار قال جبريل عليه السلام الان جا وقت عرض نفسه
عليه وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل افلا
ترفع حاجتك الى الله فقال ابرهيم حسبي من سوالي علمه بحالي
فان قيل الستم رويتم انهم لما ارادوا القاه في النار دعى الله تع
واستغاث به ثم ذكرتم انه في هذه الحالة لم يذكر شيا فما الفرق بين
الحالتين قلنا الانسان قبل الوقوع في البلا يكون طمعه معلقا بالنفس
فيشتد عليه البلا فعند ذلك قد يشتغل بالدعا اما عند
الوقوع فيه ينقطع طمعه عن النفس ولا حجاب عن الرب
الا الاشتغال بالنفس فاذا زال ذلك الحجاب تجلى في قلبه
نور جلال الله فحينيذ يستنكف ان يرجع الى غير الله في خلاص
النفس وفي بعض الروايات انه لما قال له جبريل لم لا تستعين
بالرب تعالى فقال على ماذا قال على النفس فقال الخليل عليه
السلام النفس معيوبة لا خطر لها فلا اسئل من علام
الغيوب نجاة الجسم المعيوب فقال جبريل عليه السلام
استعن على القلب فقال الخليل القلب للرب فليعمل
الرب بالقلب ما شاء فقال جبريل عليه السلام استعن
على الروح فقال الخليل الروح عارية فالعارية موداة فقال
جبريل عليه السلام استعن على النار فقال الخليل من اوقد
النار قال العدو قال ومن قضى به قال الحبيب قال الخليل راض
بحكم الحبيب فلما انقطع نظر الخليل عن الوسائط والاسباب
فالحق سبحانه وتعالى ايضا رفع الوسايط والاسباب
فقال قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ثم انه عليه السلام
بعد هذه الواقعة بذل ولده فقال اني ارى في المنام اني اذبحك
فعند هذا كان ابرهيم عليه السلام من الفتيان سلم نفسه
للعرفان ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله

للضيفان فكمل عهد العبودية ثم انه بعد ذلك سال ربه
فقال واجعل لي لسان صدق في الاخرين فوجب في كرم الحق
ان يحقق مطلوبه في هذا السوال فلاجرم اجاب دعاءه وقبل
ثناه وجعله مقبولا عند جميع الفرق والطوايف الى
اخر القيمة ولما كانت العرب مقرين بفضله وعزمه لاجرم
جعل الله مناظرته احتجاجه مع قومه حجة على مشركي العرب
المقدمة الثانية اعلم انه ليس من العالم احد يثبت لله شريكا
يساويه في الوجوب والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية
يثبتون احدهما حكيم يفعل الخير والثاني سفيه يفعل الشر
اما الاشتغال بعبادة غير الله فالذاهبون اليها كثير منهم
عبدة الكواكب وهم فريقان منهم من يقول انه تعالى خلق
هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها
فهذه الكواكب هي المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا
ان نعبد هذه الكواكب لانها مشتغلة بعبادة الله وطاعته
وقوم ينكرون الصانع سبحانه ويقولون هذه الافلاك
والكواكب اجسام واجبة الوجود لذاتها ويمتنع عليها
العدم والفنا وهي المدبرة لهذا العالم وهولاء هم الدهرية
الخالصة وممن يعبد غير الله النصارى الذين يعبدون
المسيح ومنهم ايضا عبدة الاوثان والاصنام اعلم ان
ههنا بحثا مما لا بد منه وهو انه لا يرى دين اقدم من دين
عبدة الاوثان وذلك ان اول الانبيا الذين وصل الينا
تاريخهم وهو نوح عليه السلام وهو انما جا بالرد على عبدة
الاصنام على ما اخبر الله عز وجل عنه في قوله وقالوا لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
فعلمنا ان عبادة الاصنام كانت موجودة قبل نوح عليه
السلام وهي باقية الى الان بل اكثر سكان اطراف العالم
مستمرون عليها والمذهب الذي هذا شانه يمتنع ان يكون

معلوم البطلان بضرورة العقل لكن العلم بان هذا الحجر المنحوت
في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السموات والارض
علم ضروري فيستحيل اتفاق الكثير من العقلا عليه فظهر
انه ليس دين عبدة الاصنام كون الصنم خالقا للسما والارض
والعلما ذكروا فيه وجوها الاول ان الناس راوا تغيرات
احوال هذا العالم مربوطة بتغيير احوال الكواكب فان بحسب
قرب الشمس وبعدها عن سمت الراس تحدث الفصول الاربعه
وبسبب حدوث الفصول الاربعة تحدث الاحوال المختلفة
في هذا العالم ثم ان الناس رصدوا احوال الكواكب واعتقدوا
ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية وقوعها في
طوالع الناس فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثر
الخلق كون المصدر لاحوال هذا العالم ولحوادثه اتصالات
هذه الكواكب وتاثيراتها ولما اعتقدوا ذلك بالغوا في
تعظيمها ثم ان منهم من اعتقد انها واجبة الوجود ومنهم
من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للاله الاكبر الا انهم قالوا
هي مخلوقة للاله الاكبر وخالقة لاحوال هذا العالم وهولا
هم الذين اعتقدوا انها وسايط بين الاله الاكبر وبين
اصحاب هذا العالم وعلى كلا التقديرين فالقوم مشتغلون
بعبادتها وتعظيمها والخضوع لها ثم انهم لما راوا الكواكب
قد تستتر عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب
صنما من الجوهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم الشمس من
الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهي الياقوت
والالماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس
ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام وغرضهم من هذه العبادة
عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها فهذه الاصنام عندهم
كالقبلة والمعبود عندهم في الحقيقة هو تلك الكوكب
وعند هذا البحث يرجع حاصل دين عبدة الاصنام الى عبادة

الكواكب واما الانبيا عليهم السلام فلهم هاهنا مقامات
الاول اقامة الدلالة على ان هذه الكواكب لا تفعل شيا الثاني
ان بتقدير انها تفعل شيا ولكن دلايل الحدوث حاصلة فيها فلا
بد من ان تكون مخلوقة والاله قديم ازلي والاشتغال بعبادة
الاصلي اولى من الاشتغال بعبادة الفرع ومما يدل على صحة
ما روينا عن عبادة الاوثان انه تعالى لما حكى عن الخليل صلوات
الله عليه انه قال لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اريك وقومك
في ضلال مبين فافتى بهذا الكلام ان عبادة الاصنام جهل وضلال
ثم لما اشتغل بذكر الدليل اقام الدليل على ان الكواكب والشمس
لا يصلح شي منها للالهية وهذا يدل على ان عبادة الاوثان
يرجع حاصله الى القول بالهية الكواكب والشمس والقمر
والا لم يكن بين قوله اتتخذ اصناما الهة اني اريك وقومك
في ضلال مبين وبين قوله فلما جن عليه الليل را كوكبا متعلقا
ولا مناسبة اذا عرفت هذا ظهر انه لا طريق الى ابطال القول
بعبادة الاوثان الا بابطال كون الشمس والقمر والكواكب
الهها وهو الذي حكى الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام
في هذه الاية الوجه الثاني في شرح حقيقة مذهب من قال
قال بعبادة الاوثان ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد البلخي قال في
بعض مصنفاته ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون
بالله وملايكته الا انهم كانوا يعتقدون انه تعالى جسم وذو
صورة كاحسن ما يكون من الصور وهكذا ايضا الملايكة صور
حسنة الا انهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسما فلاجرم اتخذوا
صورا وتماثيل على الصور التي كانوا يعتقدونها من صور الاله
والملايكة ثم يعتكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى
الى الله سبحانه والى الملايكة فان صح ما ذكره ابو معشر فالسبب
في عبادة الاوثان اعتقاد الجسمية في الله تعالى الوجه
الثالث ان اصحاب الاحكام من المنجمين كانوا يعينون اوقاتا

فى السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان
من اتخذ طلسما فى ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع
فى احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ورفع الآفات
وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم
ينتفعون به فلما بالغوا فى ذلك التعظيم صار ذلك كالعادة
ولما طالت الازمنة والجهال نسوا مبدا الامر واشتغلوا كانت
بعبادتها ومما يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى فى اخر
هذه الاية حكاية عن ابرهيم عليه السلام وكيف اخاف
ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وذلك لانه صلى الله
عليه وسلم لما طعن فى الهية تلك الاصنام وحسن عبادتها
خوفوه بوصول البلا اليه من تلك الاصنام وقال الله تعالى
ايضا حكاية عن قوم هود انهم قالوا الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء **الوجه الرابع** انه كلما مات منهم رجل كبير فى اعتقادهم
بحيث يعتقدون انه مجاب الدعوة مقبول الشهادة عند
الله تعالى اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد ان
ذلك الانسان يصير شفيعا لهم يوم القيمة على ما حكى
الله تعالى عنهم هذه المقالة فى قوله هولاء شفعاونا عند الله
وقال ايضا ما نعبدهم الا ليقربونا اليه زلفى **الوجه الخامس**
لعل القوم اتخذوا هذه الاصنام محاريب لصلواتهم وطاعتهم
يسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ودامت
هذه الحالة حتى ظن الحمقى من القوم انما هى المعبودة **الوجه السادس** حتى
لعل القوم كانوا من المجسمة او من الحلولية اعتقدوا جواز حلول
الله تعالى فى بعض هذه الصور والاجسام على هذا التاويل
فهذه هى الوجوه التى يمكن حمل مذاهب عبدة الاصنام
عليها وبالله التوفيق اذا عرفت هذين المقدمتين فلنرجع الى
تفسير هذه الاية اما قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه ازر
ففيه مسئلتان الاولى فى ازر قولان الاول انه والد ابرهيم

عليه السلام ولهم فى ذلك دلائل وحجج **الحجة الاولى**
لفظ القران فى هذه الاية يدل على ذلك ثم ان ظاهر هذه الاية
متاكد بايات اخر منها قوله تعالى فى سورة مريم اذ قال لابيه
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقال وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله
تبرا منه وكل هذه الايات تدل على ان ابا ابرهيم كان كافرا عابدا
للوثن **الحجة الثانية** ان العرب سمعوا هذه الاية وكانوا احرص الناس
على تكذيب الرسول عليه الصلوة والسلام واعظم الناس
رغبة فى براءة شجرة النسب عن كل عيب فلو كان ازر لم يكن
والد ابرهيم لتسارعوا الى تكذيبه ولو وجدوا فى ذلك غنيمة
عظيمة فى الطعن **الحجة الثالثة** انه تعالى ذكر قصة ابرهيم
عليه السلام مع ابيه فى ايات كثيرة ولم يذكر اسم العم
فى القران فتعذر حمل لفظ الاب على العم **القول الثانى** ان
ازر لم يكن والد ابرهيم عليه السلام واحتجوا عليه بوجوه
الحجة الاولى ان ابا الانبيا عليهم السلام ما كانوا كفارا ويدل
عليه وجوه منها قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك
فى الساجدين قيل معناه انه ينقل روحه من ساجد الى ساجد
فعلى هذا التقدير الاية دالة على ان جميع ابا محمد صلى الله عليه
وسلم كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع بان والد ابرهيم
عليه السلام ما كان من الكافرين اقصى ما فى الباب ان يحمل
قوله وتقلبك فى الساجدين على وجوه اخر منها انه لما افتتح
فرض قيام الليل طاف الرسول عليه السلام تلك الليلة
على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه على
ما يظهر منهم من الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة
ما سمع من دويهم بذكر الله تعالى فقوله وتقلبك فى الساجدين
طوفه عليه السلام على الساجدين فى تلك الليلة ومنها
المراد ويراك حين تقوم لصلوة الناس جماعة وتقلبه فى الساجدين

كونه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده لانه كان اماما
لهم ومنها انه لا يخفى على الله حالك كلما قمت وتقلبك
مع الساجدين باشتغالك بامور الدين ومنها المراد
تقلب بصره في من يصلي خلفه من قوله اتموا الركوع والسجود
فاني اراكم من خلفي فهذه هي الوجوه الاربعة وان كانت
محتملة لها الا ان الوجه الذي ذكرناه ايضا محتمل والروايات
وردت بالكل ولا منافاة بين هذه الوجوه فوجب حمل الاية
على الكل ومتى صح ذلك ثبت ان والد ابرهيم عليه السلام
ما كان من عبدة الاوثان ومما يدل على ان اباء محمد صلى الله
عليه وسلم ما كانوا من المشركين قوله عليه الصلوة والسلام
لم ازل من ظهور الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى ما ازال نخ
انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداد ابائه
صلى الله عليه وسلم مشركا الحجة الثانية ان ازر لم يكن
والد ابرهيم عليه السلام لان هذه الاية دالة على
ان ابرهيم عليه السلام شافه ازر بالغلظة ومشافهته
الاب بالغلظة لا يجوز وهذا يدل على ان ازر ما كان والد
ابرهيم عليه السلام وانما قلنا ان ابرهيم شافه ازر
في هذه الاية بالغلظة لوجهين الاول انه قرئ واذ قال
ابرهيم لابيه ازرُ بالضم وهذا يكون محمولا على النداء
ومخاطبة الاب وندائه بالاسم من اعظم انواع الايذاء
فثبت انه عليه السلام شافه ازر بالغلظة وانما
قلنا ان مشافهة الاب بالغلظة لا يجوز لوجوه الاول
قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا وهذا عام في حق الكافر والمسلم وقال تعالى ولا
تقل لهما اف ولا تنهرهما وهذا ايضا عام الثاني انه تعالى
لما بعث موسى عليه السلام الى فرعون امره بالرفق معه
فقال فقولا له قولا لينا والسبب في ذلك ان يصير هذا

رعاية

رعاية لحق تربية فرعون فههنا الوالد بالرفق اولى الثاني
ان الدعوة مع الرفق اكثر تاثيرا في القلب واما التغليظ
فانه يعرض المستمع عن القبول ولهذا قال الله تعالى لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن
فكيف يليق بابرهيم عليه السلام هذه الخشونة مع
ابيه في وقت الدعوة الرابع انه تعالى حكى عن ابرهيم
عليه السلام الرفق الشديد مع هذا المسمى بالاب
وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيا ثم ان ذلك الانسان غلظ معه في القول وهو قوله
لئن لم تنته لارجمنك ثم ان ابرهيم عليه السلام ما ترك
الرفق الشديد مع هذا المسمى بالاب بل قال سا ستغفر لك
ربي واذا كان عادة ابرهيم في الرفق والقول الحسن
هذا فكيف يليق ان تظهر الخشونة والغلظة مع ابيه
فثبت بهذه الحجة ان ازر ما كان والد ابرهيم عليه السلام
الحجة الثالثة على ان ازر ما كان والد ابرهيم عليه السلام
انه جا في كتب التواريخ ان اسم اب ابرهيم كان تارخ واما
ازر فكان عم ابرهيم ثم ان القايلين بهذا القول اجابوا عن
دليل اصحاب القول الاول فقالوا القران وان دل على
تسمية ازر بالاب الا ان هذا ما يدل على القطع بكونه والدا له
وذلك لان لفظ الاب يطلق للعم وقال تعالى حكاية عن
اولاد يعقوب عليه السلام نعبد الهك واله ابائك
ابرهيم واسمعيل فسمى اسمعيل ابا ليعقوب عليهما السلام
مع ان اسمعيل كان عما ليعقوب وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ردوا على ابي يعني العباس وايضا يحتمل ان يكون
ازر كان ابا ام ابرهيم وقد يقال له الاب قال تعالى ومن
ذريته داود وسليمن الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية
ابرهيم مع انه كان جده من قبل الام وبهذا اظهر الجواب

عن الحجة الثانيه وذلك لان تسمية العم بالاب مشهوره
في اللغة فلهذا السبب ما كذبوه في هذه الاية هذا تمام
الكلام في نصرة هذا القول واعلم ان القول الاول اولى وذلك
لان ظاهر لفظ الاب يدل على الوالد فقوله تعالى وتقلبك
في الساجدين فهو محمول على سائر الوجوه وما يحمله على ان
روحه كان ينتقل من ساجد الى ساجد محافظة على ظاهر الاية
التي تمسكنا بها وهو قوله لابيه ازر واما الحجة الثانية فجوابها
انكم تمسكتم بعمومات دالة على انه لا يجوز اظهار الخشونة
مع الاب فنقول ان قلنا بما ذكرتم سلمتم تلك العمومات
عن هذا التخصيص الا انه وجب حمل لفظ الاب على المجاز وان
اجرينا لفظ الاب على حقيقته لزمنا القول بادخال التخصيص
في تلك العمومات لكن بينا في اصول الفقه انه مهما وقع التعارض
بين المجاز والتخصيص كان التزام التخصيص اولى فكان
الترجيح لجانبنا والله اعلم اذا عرفت هذه المسلة فنقول
الذين قالوا ان ازر ما كان والد ابرهيم لهم قولان منهم من قال
انه عم ابرهيم عليه السلام وقال سعيد بن المسيب ومجاهد
ان ازر اسم صنم وعلى هذا الوجه ففي الاية اقوال الاول
ان ذلك الرجل انما سمي بهذا الاسم لانه جعل نفسه مختصا
بعبادته ومن بالغ في محبة احد فقد يجعل اسم المحبوب اسما
للمحب قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم الثاني ان يكون
المراد عابد ازر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
المسلة الثانية قرئ ازر بالنصب وهو عطف بيان لابيه
وبالضم على النداء وقال بعضهم قرئ ازر بهاتين القرائتين واما
قوله وقال موسى لاخيه هرون فقد قرئ بالنصب محمولا على
البدل لان النداء بالاسم استخفاف بالمنادى والاستخفاف
بالمنادى لايق في قصة ابرهيم لان ازر كان مصرا على كفره فحسن
ان يخاطب بالغلظة زجرا على ذلك القبيح واما قصة موسى

شلت

عليه السلام

عليه السلام فقد كان موسى عليه السلام استخلف
هرون على قومه فما كان الاستخلاف لايقا بهذا الموضع فلا
جرم ما كانت القراءة بالضم جايزة اما قوله تعالى اتتخذ اصناما
الهة فالمعنى ظاهر وفيه مسايل المسلة الاولى الناس
اختلفوا في تفسير لفظ الاله والاصح انه هو المعبود وهذه
الاية تدل على هذا القول لانهم ما اثبتوا للاصنام الا وصف
المعبودية ولهذا السبب قال ابرهيم اتتخذ اصناما الهة
فدل هذا ان تفسير لفظ الاله هو المعبود المسلة الثانية
هذه الاية تدل على ان وجوب معرفة الله تعالى والاشتغال
بشكره معلوم بالعقل وذلك لان ابرهيم عليه السلام حكم
عليهم بالضلال ولولا الوجوب بالعقل والا لما صح ذلك
وهذا الاستدلال ضعيف المسلة الثالثه تشمل كلام ابرهيم
عليه السلام في هذه الاية على الحجة العقلية على فساد مذهبهم
من وجهين الاول ان قومه اتتخذ اصناما الهة يدل على انهم كانوا
يقولون بكثرة الالهة والقول بكثرة الالهة باطل على ما دل
عليه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الثاني لو كان
لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن
الواحد كافيا دل على انها وان كثرت لا منفعة فيها البتة اما قوله
اني اريك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ظاهر اما قوله وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
ففيه مسايل المسلة الاولى الكاف في كذلك للتشبيه وذلك
اشارة الى غايب جرى ذكره والذي جرى ها هنا ذكره فيما هو
قيل انه عليه السلام استقبح عبادة الاصنام بقوله اني
اريك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ومثل ما اريناه من
قبح عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض وها هنا
دقيقة عقلية وهو ان نور جلال الله لايح ظاهر غير منقطع
ولا زايل البتة والارواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك

الانوار الا لاجل الحجاب وذلك الحجاب ليس الا الاشتغال
بغير الله واذا كان الامر كذلك فبقدر ما يزول هذا الحجاب
يحصل التجلي فقول ابرهيم عليه السلام اتتخذ اصناما الهة
اشارة الى الاشتغال بغير الله فان كل ما سوى الله فهو صنم
ثم انه عليه السلام استقبح ذلك وقال انى اريك وقومك
فى ضلال مبين فلما زال ذلك الحجاب بالكلية لا جرم تجلى
له ملك السموات والارض بالتمام فقوله وكذلك نرى ابرهيم
ملكوت السموات والارض بقدر زوال تلك الظلمات
حصلت له هذه الانوار فظهر ان قوله وكذلك منشا
لهذه الفايدة الشريفة الروحانية فان قيل فهذه الاراءة
قد حصلت فيما تقدم من الزمان فكان الاولى ان يقال وكذلك
ارينا ابرهيم ملكوت السموات والارض فلم عدل عن هذه
اللفظة الى قوله وكذلك نرى قلنا الجواب عنه من وجوه
الاول ان يكون تقديرا لاية وكذلك كنا نرى ابرهيم ملكوت
السموات فيكون هذا على سبيل الحكاية عن الماضى والمعنى
انه تعالى لما حكى عنه انه شافه اباه بالكلام الخشن تعصبا
للدين الحق فكانه قيل فكيف بلغ ابرهيم هذا المبلغ العظيم
فى قوة الدين فاجيب بانا كنا نريه ملكوت السموات والارض
من وقت طفوليته لان يكون من الموقنين زمان بلوغه الوجه
الثانى فى الجواب وهو اعلى واشرف مما تقدم وهو ان يقول
انه ليس المقصود من اراءة ابرهيم ملكوت السموات والارض
هو مجرد ان يرى ابرهيم هذا الملكوت بل المقصود ان يراها
فيتوصل برويتها الى معرفة جلال الله وقدسه وعلوه
وعظمته ومعلوم ان مخلوقات الله وان كانت متناهية
فى الذوات وفى الصفات الا انها فى جهات دلالتها على
الذات والصفات غير متناهية فان اهل الاصول قالوا
الجوهر الفرد يدل على قدرة الله تعالى وحكمته وذلك لان

الجوهر

الجوهر يمكن وقوعه فى كل واحد من الاحياز الذى لا نهاية لها
بدلا عن الاخر ويمكن اتصافه بكل واحد من الصفات التى لا نهاية
لها بدلا عن الاخرى ثم ان كل واحد من هذه الاحوال التقديرية
دال على قدرة الله وحكمته لانها كلها احوال الجايزة محتاجة
الى المرجح واذا كان الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزى
كذلك فكيف القول فى ملكوت الله فثبتان دلالة
ملكوت الله على نعوت جلاله وسمات عظمته وعزته غير متناهية
وحصول العلوم التى لا نهاية لها دفعة واحدة على التفصيل
فى العقل البشرى محال فاذا لا طريق الى تحصيل تلك المعارف
الا بان يحصل بعضها عقيب البعض لا الى نهاية ولا الى اخر
وهذا يتعلق بالمستقبل لا بالماضى فلهذا السبب لم يقل
اريناه ملكوت السموات والارض بل قال وكذلك نرى وهذا
هو المراد من قول المحققين السفر الى الله له نهاية اما السفر
فى الله فانه لا نهاية له المسئلة الثانية الملكوت من الملك
والتا للمبالغة فالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة
واعلم ان فى هذه الاراءة قولين الاول ان الله تعالى اراه الملكوت
بالعين قالوا ان الله تعالى شق السموات حتى راى الى العرش
والكرسى وحيث ينتهى الى فوقية العالم وشق الارض الى
حيث ينتهى الى تحتية العالم فراى ما فى السموات من البدايع
والعجايب وراى ما فى بطن الارض من العجايب والقول الثانى
ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة والعقل لا بعين البصر
واحتج القايلون على صحة هذا القول بحجج الحجة الاولى ان ملكوت
السموات والارض عبارة عن ملك السموات والملك عبارة
عن القدرة وقدرة الله تعالى لا ترى وانما تعرف بالعقول
وهذا لازم الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض
نفس السموات والارض الا انه يصير على هذا التقدير
لفظ الملكوت عديم الفايدة وانه لا يجوز الحجة الثانية انه

تعالى ذكر هذه الاراءة فى اول الاية على سبيل الاجمال وهو
قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض ثم
فسرها بعد ذلك فلما جن عليه الليل راى كوكبا فجرى هذا
الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الاراءة فوجب
القول بان تلك الاراءة كانت عبارة عن هذا الاستدلال
الحجة الثالثة انه تعالى قال فى اخر الاية وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه والروية بالعين لا تصير حجة على قومه لانهم
كانوا غائبين عنها وكانوا يكذبون ابرهيم فيها بل ما كان يجب
لهم التصديق فى تلك الدعوى بلا اية على صدق دعواه وانما
كانت الحجة عليهم استدلاله بالنجوم من الطريق الذى نطق
به القران فان تلك الاراءة ثابتة فى حقهم كما كانت ثابتة فى حقه
الحجة الرابعة ان اراءة العالم دفعة واحدة يفيد العلم
الضرورى بان للعالم الها قادرا على كل الممكنات ومثل هذه
الحالة لا يصلح للانسان عندها استحقاق المدح والتعظيم
الا ترى ان الكفار فى الاخرة يعرفون الله بالضرورة وليس
لهم فى تلك المعرفة مدح ولا ثواب واما الاستدلال بالمخلوقات
على الصانع الحكيم القادر العليم فذلك هو الذى يفيد المدح
والتعظيم الحجة الخامسة انه تعالى كما قال فى حق ابرهيم
عليه السلام وكذلك نرى فكذلك قال فى حق هذه الامة
سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم ولما كانت هذه الاراءة
بالقلب لا بالبصر لان الاراءة بالبصر كانت حاصلة للكفار
فكذلك فى حق ابرهيم عليه السلام يجب ان يكون كذلك
الحجة السادسة انه عليه الصلوة والسلام لما تمم
الاستدلال بالنجم والقمر والشمس قال بعده انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض فحكم على السموات
والارض بكونها مخلوقة لاجل الدليل الذى ذكره فى النجم
والقمر والشمس وذلك الدليل لو لم يكن عاما فى كل السموات

والارض

والارض لكان الحكم العام بناء على الدليل الخاص خطا فثبت ان
الدليل كان عاما وكان ذكر النجم والقمر والشمس كالمثال لاراءة
الملكوت فوجب ان يكون المراد من اراءة الملكوت تعريف
كيفية دلالة تغيرها على حدوثها ودلالة حدوثها على الافتقار
الى المدبر والموثر فيكون هذه الاراءة بالقلب لا بالعين الحجة
السابعة ان اليقين عبارة عن العلم المستفاد من التامل اذا
كان مسبوقا بالشك وقوله وليكون من الموقنين كالعلة
لتلك الاراءة فيصير تقدير الاية نرى ابرهيم ملكوت السموات
والارض لاجل ان يكون من الموقنين فلما كان اليقين هو العلم
المستفاد من النظر فى الدليل وجب ان يكون تلك الاراءة
عبارة عن الاستدلال الحجة الثامنة ان جميع مخلوقات الله
دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهى انها
محدثة ممكنة وكل محدث ممكن فهو محتاج الى الصانع واذا
عرف الانسان هذا الوجه الواحد فقد كفاه ذلك الاستدلال
على وجود الصانع وكانه بمعرفة هاتين المقدمتين فقد طالع
جميع الملكوت بعين عقله وسمع شهادتها بالاحتياج والا
بسمع عقله وهذه الروية روية باقية غير زايلة البتة
ثم انها غير شاغلة عن الله تعالى بل شاغلة للقلب والروح
بالله اما روية العين فالانسان لا يمكنه ان يرى بالعين
اشيا كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال الا ترى ان
من نظر الى صفحة مكتوبة فانه لا يرى فى تلك الصفحة روية
تامة كاملة الا حرفا واحدا فان حدق نظره الى حرف اخر
وشغل بصره صار محروما عن ادراك الحرف الاول وعن
ابصاره فثبت ان روية الاشيا الكثيرة دفعة واحدة
غير ممكنة وبتقدير ان تمكن ذلك الا ان هذه الروية غير
باقية وبتقدير ان تكون باقية فانها شاغلة عن الله تعالى
الا ترى انه تعالى مدح نبينا صلى الله عليه وسلم فى تركها

فقاد

فقال ما زاغ البصر وما طغى فدلت هذه الدلائل على ان حمل
هذه الاراءة على روية القلب اولى فان قيل روية القلب
بهذا التفسير حاصلة لجميع الموحدين فاى فضيلة تحصل
لابرهيم عليه السلام بسببها قلنا جميع الموحدين
والمستدلين يشتركون فى معرفة حدوث هذا العالم
والاستدلال به على الصانع فاما الاستغراق فى هذا
الاستدلال والتامل فى كيفية دلالة كل واحد من الممكنات
والمحدثات فى عالم الاجسام والارواح وذات الارضين
والسموات ثم ترى هذه الحالة فى كل حين واوان ولحظة
وزمان على ما هو المراد بقوله نرى ابرهيم بدلا من قوله ارينا
ابرهيم فهذه الاراءة لا تحصل الا للعظما المسئلة الثالثة
اختلفوا فى الواو فى قوله وليكون من الموقنين ذكروا وجوها
الاول الواو زايدة والتقدير نرى ابرهيم ملكوت السموات
والارض ليكون من الموقنين الثانى التقدير نرى ابرهيم
ملكوت السموات والارض ليستدل بها وليكون من الموقنين
الثالث ان يكون هذا كلاما مستانفا لبيان علة الاراءة
والتقدير وليكون من الموقنين بروية ذلك الرابع ان الاراءة
قد تحصل وتصير سببا لمزيد الضلال كما فى حق فرعون
قال تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى وقد تصير
سببا لمزيد الهداية واليقين فلما احتمل هذين الاحتمالين
قال فى حق ابرهيم عليه السلام انا اريناه هذه الايات
ليراها فيكون من الموقنين لا من الجاحدين المسئلة الرابعة
اليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب
التامل ولهذا السبب لا يوصف علم الله تعالى باليقين
لان علمه غير مسبوق بالشبهة وغير مستفاد من الفكر
واعلم ان الانسان فى اول ما يستدل فانه لا ينفك عن
شبهة وشك فى بعض الوجوه فاذا كثرت الدلائل

وتوافقت

وتوافقت وتطابقت صارت سببا لحصول اليقين وذلك
لوجوه الاول انه يحصل لكل واحد من تلك الدلائل نوع تاثير
وتقوية فلا يزال القوة تتزايد حتى ينتهى الى الجزم الثانى
ان كثرة الافعال بسبب لحصول الملكات وكثرة الاستدلال
بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جار مجرى تكرار الدرس
الواحد الثالث ان القلب عند الاستدلال الاول كان مظلما
جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد بالدليل الاول امتزج
نور ذلك الاستدلال بظلمة القلب فحصل فيه حالة شبيهة
بالحالة الاولى فيصير الممزوجة من النور والظلمة فاذا حصل
الاستدلال الثانى امتزج نوره بالحالة الاولى فيصير الشروق
اتم وكما ان الشمس اذا قربت من الشروق ظهر نورها فى اول
الامر وهو الصبح فكذلك الاستدلال الاول يكون كالصبح
الاول وكما ان نور الشمس لا يزال يتزايد بسبب تزايد قربها
من سمت الراس فاذا وصلت الى وتد الراس حصل النور التام
فكذلك العبد كلما كان تدبره فى مراتب مخلوقات الله تعالى
اكثر كان شروق نور المعرفة والتوحيد اكثر الا ان الفرق
بين شمس المعرفة وبين شمس العالم ان ارتفاع شمس العالم
وتصاعدها حدا معينا منقطعا واما شمس المعرفة والتوحيد
فلا نهاية لتصاعدها ولا غاية لتزايدها فقوله وكذلك
نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض اشارة الى مراتب
الدليل وليكون من الموقنين اشارة الى درجات انوار التجلى
وشروق شمس المعرفة والتوحيد اما قوله فلما جن عليه الليل
راى كوكبا فالفاء فى قوله فلما جن عليه الليل عطف على قوله واذ قال
ابرهيم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان كان
قد راى رويا عبرها المعبرون بانه يولد له غلام وينازعه فى ملكه
فامر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابرهيم به وما
اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف فى

وكان كثرة التكرار
تفيد الحفظ المتاكد
الذى لا يزول عن
القلب فكذا هنا

جبل فوضعت ابرهيم وسدت الباب عليه بحجر فجاء
جبريل عليه السلام فوضع اصبعه فى فيه فمصه فخرج
منه رزقه وكان جبريل يتعهده وكانت امه تاتيه احيانا
وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف
ان له ربا فسال الام فقال لها من ربى فقالت انا قال ومن
ربك قالت ابوك قال ومن رب ابى قالت ملك العبد فعرف
ابرهيم جهلها بربها فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيا
يستدل به على الرب فراى النجم الذى كان اضوء النجوم فى السما
فقال هذا ربى الى اخر القصية ثم القايلون هذا القول اختلفوا
منهم من قال كان بعد البلوغ وجريان القلم عليه ومنهم من قال
ان هذا كان قبل البلوغ واتفق اكثر المحققين على فساد القول
الاول واحتجوا عليه بوجوه الاول ان القول بربوبية النجم كفر
بالاجماع والكفر عنه جائز على آبائنا بالاجماع الثانى ان ابرهيم
عليه السلام قد عرف قبل هذه الاية ربه بالدليل والدليل
على ذلك انه تعالى اخبر عنه انه قال قبل هذه الواقعة لابيه
انى اريك وقومك فى ضلال مبين الثالث حكى عنه انه دعا
اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالرفق حيث قال
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا وحكى
فى هذا الموضع انه دعا اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام
بالكلام الخشن واللفظ الموحش ومن المعلوم ان من دعا
غيره الى الله تعالى فانه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظة
ولا يخوض فى العنف والتغليظ الا بعد المدة المديدة والياس
التام فدل هذا على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان دعا
اباه الى التوحيد مرارا واطوارا ولا شك انه اشتغل بدعوة
ابيه بعد فراغه من فهم نفسه فثبت ان هذه الواقعة انما وقعت
بعد ان عرف الله الرابع ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان اراه
الله ملكوت السموات والارض حتى راى ما فوق العرش والكرسى

وما

وما تحتهما وما تحت الثرى ومن كان منصبه ومنقبته فى الدين
كذلك وعناية الله تعالى به الى هذا الحد كيف يليق به ان يقول
بربوبية الكواكب الخامسة ان دلايل الحدوث ظاهرة
فى الافلاك والكواكب من خمسة عشر وجها شرحناها
فى باب كيفية دلالة خلق السموات على الصانع القديم
ومع هذه الوجوه الظاهرة كيف يليق باقل العقلا نصابا
من العقل والفهم ان يقول بربوبية الكواكب فضلا عن
اعقل العقلا واعلم العلما السادس انه قال لين لم يهدنى
ربى لاكونن من القوم الضالين وقوله لاكونن عبارة
عن المستقبل وهذا يقتضى انه غير حاصل فى الحال والجاهل
بالله لا شك انه ضال السابع انه قال فى وصف ابرهيم عليه
السلام اذ جاء ربه بقلب سليم واول مراتب القلب السليم يكون
سالما عن الكفر وقال ايضا اذ جاء ربه بقلب منيب الثامن
ان الله تعالى مدحه فقال ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل
وكنا به عالمين اى اتيناه رشده من قبل اول زمان الكفرة
وكنا به عالمين اى بصفوته وطهارته عالمين ونظيره قوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالاته التاسع قال وكذلك نرى ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اى وليكون
لسبب تلك الاراءة من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل
والفا يقتضى التراخى فدلت الفا فى قوله تعالى فلما جن عليه
الليل على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابرهيم عليه
السلام من الموقنين العارفين بربه العاشر ان هذه الواقعة
والقصة انما حصلت بسبب مناظرة ابرهيم عليه السلام
مع قومه والدليل على ذلك انه تعالى ذكر هذه القصية قال
تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على
نفسه فعلم ان هذه المباحث انما جرت مع قومه لاجل ان
يرشدهم للايمان والتوحيد لا لاجل ان ابرهيم عليه السلام

كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه الحادى عشر ان القوم كانوا
يقولون ابرهيم عليه السلام اشتغل بالنظر فى الكواكب والقمر
والشمس حال ما كان فى الغار وهذا باطل لانه لو كان الامر كذلك
فكيف يقول يا قوم انى برى مما تشركون مع انه ما كان فى الغار
لا قوم ولا صنم الثانى عشر قال الله تعالى وحاجه قومه قال
اتحاجونى فى الله فكيف يحاجونه وهم ما راوه وهو ما راهم
وهذا يدل على انه عليه السلام انما اشتغل بالنظر فى النجم والقمر
والشمس بعد ان جاء الى قومه وراهم يعبدون الاصنام فدعوه
الى عبادتها فذكر قوله لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها لهم
على فساد قولهم الثالث عشر انه تعالى حكى عنه انه قال للقوم
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهذا
يدل على ان القوم كانوا يخوفونه بالاصنام كما حكى عن قوم هود انهم
قالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ومعلوم ان هذا
الكلام لا يليق بالغار قبل مخالفة القوم الرابع عشر ان
تلك الليلة كانت مسبوقة بالنار ولا شك ان الشمس كانت
طالعة ثم غربت فكان ينبغى ان يستدل بغروبها على انها لا
تصلح للالهية فاذا ابطلت صلاحية الشمس للالهية بطل
ذلك فى القمر والنجوم بطريق الاولى هذا اذا قلنا ان هذه
الواقعة كان المقصود منها تحصيل المنفعة والمعرفة
لنفسه اما اذا قلنا ان المقصود منها الزام القوم وافحامهم
فهذا السوال غير وارد لانه انما اتفق مكالمته مع القوم حال
طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلع القمر وطلعت
الشمس وعلى هذا التقدير فالسوال غير وارد فثبت بهذه
الدلائل الظاهرة انه لا يجوز ان يقال ابرهيم عليه السلام
قال على سبيل الاعتقاد هذا ربى واذا بطل هذا بقى هاهنا
احتمالات الاول ان يقال هذا الكلام حالة ابرهيم عليه
السلام بعد البلوغ ولكن ليس الغرض منه اثبات ربوبية

الكواكب بل الغرض منه امور الاول ان ابرهيم عليه السلام
لم يقل هذا ربى على سبيل الاخبار بل الغرض منه بمناظرة
عبدة الكواكب وكان مذهبهم ان الكواكب ربهم والههم
فذكر ابرهيم عليه السلام هذا القول الذى قالوه بلفظهم
وعبارتهم حتى يرجع اليه فيبطله كما ان الواحد منا اذا ناظر
من يقول بقدم هذا الجسم فنقول الجسم قديم فاذا كان
كذلك فلم نراه ونشاهد مركبا متغيرا فهو انما قال الجسم
قديم اعادة لكلام الخصم حتى يلزم عليه المحال فكذلك هاهنا
قال هذا ربى حكاية لكلامهم ثم عقبه بما يدل على فساده
وهو قوله لا احب الافلين وهذا الوجه هو المعتمد فى الجواب
والدليل عليه ان الله تعالى مدحه فى اخر هذه الاية على هذه
المناظرة بقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
الوجه الثانى ان قوله هذا ربى معناه هذا ربى فى زعمكم
واعتقادكم ونظيره ان يقول اخر للمجسمين على سبيل الاستهزا
ان الهه جسم محدود اى فى زعمه واعتقاده كما قال تعالى وانظر
الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا وقال تعالى ويوم يناديهم
فيقول اين شركائى وكان عليه السلام يقول يا اله الالهة تاويله
انه اله الالهة فى زعمهم الوجه الثالث المراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام استغناء
عنه لدلالة قراين الحال عليه الوجه الرابع فى الاية اختصار
والتقدير يقولون هذا ربى ونظيره قوله تعالى واذ يرفع
ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا والتقدير يقولون
ربنا الوجه الخامس ان يكون ذلك على سبيل الاستهزا كما يقال
لذليل ساد قوم هذا سيدهم على سبيل الاستهزاء الوجه
السادس انه عليه الصلاة والسلام اراد ان يبطل قولهم
بربوبية الكواكب الا انه عليه الصلاة والسلام كان قد
عرف من تقليدهم لاسلافهم ونفور طباعهم عن قبول الدليل

انه لو صرح بالدعوة الى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه
فعدل الى طريق استدراجهم الى استماع الحجة بواسطة الفلك
صادرا في الحقيقة عن الله تعالى بخلاف الواحد منا فانه
لا تاثير له في الفلك فلم يكن الاحيا والاماتة الصادرات
بواسطة الفلك الصادرين عن البشر فان قيل هذه
السوال والجواب الذين ذكرتم كيف يفهم من الاية باظهار
ضرب من المساعدة لهم في الظاهر مع طمانينه قلبه
بالايمان حتى يتمكن بعد ذلك من ابطال ما ذكروه وانما استحل
ذكر هذه الكلمة لانه لم يمكن له طريق الى الدعوة غيره وكان
ذلك بمنزلة المكره على كلمة الكفر على اللسان قال الله تعالى
الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان فاذا جاز ذكر كلمة الكفر
لمصلحة بقا شخص واحد فلا يجوز اظهار كلمة الكفر لتخلص
عالم من الناس عن الكفر والعقوبة الابدية كان اولى وايضا
المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر العظيم
ثم اذا جا وقت القتال مع الكفار وعلم انه متى اشتغل بالصلوة
انهزم عسكر الاسلام فها هنا يجب عليه ترك الصلوة ويجب
الاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم ولو ترك الصلوة
وقاتل استحق الاجر بل نقول ان من كان في الصلوة وراى طفلا
او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب عليه قطع الصلوة
لانقاذهما فكذا ها هنا ان ابرهيم عليه السلام تكلم بهذه
الكلمة ليظهر من نفسه موافقة القوم حتى اذا اورد عليهم
الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم لذلك الدليل اتم وانتفاعهم
باستماعه اكمل ومما يويد هذا الوجه انه تعالى حكى عنه مثل
هذا الطريق في موضع اخر فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
فتولوا عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم النجوم
على معرفة الحوادث مستقبلة فاستدل ابرهيم عليه السلام
بالنجوم موافقة لهم ومشيا على عادتهم في الظاهر مع انه كان

بريا

بريا في الباطن مقصوده ان يفعل بالاصنام ما فعل فاذا جازت
الموافقة في الظاهر بعلم النجوم لغرض كسر الاصنام فلم لا يجوز
اظهار كلمة الكفر باللسان لغرض ابطاله بالدليل القاطع وايضا
المتكلمون قالوا لا يقبح من الله تعالى اظهار خوارق العادات
على يد من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله مكذب
لدعواه فلا يحصل التلبيس بسبب ظهور تلك الخوارق على يده لكن
لا يجوز اظهارها على يد من يدعي النبوة لانه يفضي الى التلبيس
فكذا هنا قوله هذا ربي كلام لا يفضي الى الاضلال لان دلائل
افساده جلية وفي اظهار هذه الكلمة منفعة الوجه السابع
في الجواب ان القوم لما دعوه الى عبادة النجوم كانوا تلك المناظرة
اذ طلع النجم الدري فقال عليه السلام هذا ربي اي هذا هو الرب
الذي يدعونني اليه ثم سكت زمانا حتى افل قال لا احب الافلين
اما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان ابرهيم عليه السلام انما ذكر
هذا ربي قبل البلوغ فتقديره ان الله تعالى قد خص ابرهيم عليه السلام
بالعقل الكامل والقريحة الوقادة فخطر بباله قبل بلوغه اثبات
الصانع سبحانه ففكر فراى النجم فقال هذا ربي فلما شاهد كلية حركته أفوله
قال لا يجوز ان يكون ربا وكذا القمر والشمس ثم لما بلغه الله تعالى
في اثنا هذا التفكر والاستدلال حد التكليف فقال في الحال
اني بري مما تشركون فهذا احتمال لا باس به وان كان الاحتمال الاول
اولى بالقبول لما ذكرنا من الدلايل الكثيرة على ان هذه المناظرة
انما جرت لابرهيم عليه السلام وقت اشتغاله بدعوة القوم
القوم الى التوحيد اما قوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام
لا احب الافلين السوال الاول كيف يدل الافول على انه لا يصلح
للربوبية اقصى ما في الباب ان يقال الافول عبارة عن الحركة وكلما تصح عليه الحركة صح
فانه لا بد وان يكون اما متحركا او ساكنا وكلما يكون متحركا او ساكنا
فهو محدث الا انا نقول كونه محدثا لا يمنع من كونه ربا لابرهيم
عليه السلام وذلك ان القوم ما كانوا ينكرون وجود الله سبحانه

وتعالى بل كانوا يقولون انه تعالى خلق الشمس والقمر والنجوم وانه
تعالى فوض تدبير هذا العالم اليها والبشر عبيد الكواكب ومخلوقة
لها والكواكب مخلوقة ومحدثة للاله الاكبر واذا كان كذلك لم
يلزم من افول الكواكب صحة قوله لا احب الافلين ويصح ايضا
لاجل افول الكواكب صحة قوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات
ولا ايضا صحة قوله وما انا من المشركين الجواب من وجوه الاول
ان افول هذه الاجسام يدل على حدوثها وحدوثها يدل على انها مخلوقة
لموجد قديم لانه قادر مختار ويجب ان يكون قدرة ذلك القادر ازلية
والا افتقر حدوث قادريته الى قادر اخر ولزم التسلسل
واذا كانت قادريته ازلية وجب ان تكون متعلقه بجميع
الممكنات واذا كان كذلك امتنع وقوع شئ من الممكنات الا
بقدرته اذ لو وقع شئ من الممكنات لا بقدرته بل بقدرة غيره
لكان ذلك الغير سببا لعجزه عن ايجاده الشئ الذى كان مقدورا له
وذلك محال لانه اقدر من غيره والاضعيف يمكنه تعجيز الاقدر
واذا ثبت ان حدوث الاجسام يدل بهذه الوسائط على ان جميع
المحدثات توجد بقدرته كان المحدث والموجد للناس والحيوان
والنبات والمعادن هو الاله القديم المختار جل جلاله فحينئذ
تكون الكواكب معزولة عن ربوبية البشر وثبت عند ذلك
ان افول الكواكب يدل دلالة قاطعة على صحة قوله لا احب
الافلين وعلى صحة قوله انى برى مما تشركون وكذلك انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض واعلم ان هذا وجه لا
يمشى الا على مذهب اهل السنة والجماعة فى مسئلة خلق
الاعمال الوجه الثانى من الجواب ان افول الكواكب يدل
على حدوثه وحدوثه يدل على افتقاره وافتقاره يدل على
احتياجه الى القادر المختار ومن كان قادرا على خلق البشر
بدون شئ من الوسائط اولى واليه الاشارة بقوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ويقول واليس

الذى

الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو
الخلاق العليم فثبت بهذا الطريق كونه عالما قادرا على خلق البشر
وكونه قادرا على تدبير هذا العالم السفلى بدون واسطة
الاجرام الفلكية اما كون الافلاك والانجم قادرة على الخلق
والايجاد عالمة بمصالح هذا العالم ومفاسده فذلك غير
معلوم ولان كل شئ يسنده المنجم الى الكواكب والفلك فالعقل
لا يتبعه ويوجب استناده الى اله الفلك واذا كان الامر كذلك
فحكم العقل طرح المجهول والاخذ بالمعلوم فليسند العقل
تدبير هذا العالم السفلى الى اله الكواكب والافلاك والانجم
ولهذا السبب قال ابرهيم عليه السلام انى برى مما تشركون
الوجه الثالث ان الافول كما دل على حدوث الافلاك والانجم دل
حدوثها على افتقارها الى الاله القديم القدير الخبير الذى يكون علمه
فى غاية الكمال وحكمته فى نهاية الجلال واذا كان كذلك كان
الاشتغال بخدمته وطاعته اولى من الاشتغال بخدمة
الافلاك والانجم لان بتقدير ان يكون مدبر هذا العالم السفلى
هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعته واجبا وبتقدير
ان يكون مدبر هذا العالم هو الافلاك والانجم كان الاشتغال
بطاعة الاله الاعظم اعراضا عن الضعيف وتمسكا بالقوى
الاقوى وهذا حسن فى العقول اما اذا كان مدبر هذا العالم
هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعة الافلاك والانجم
اعراضا عن القوى وتمسكا بالضعيف وهذا قبيح فى العقول
فعلمنا ان جميع التقديرات صح قول ابرهيم صلوات الله عليه
لا احب الافلين وصح ايضا قوله انى برى مما تشركون
السوال الثانى الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة
على هذا التقدير فيكون الطلوع ايضا دليلا على الحدوث
فلم ترك ابرهيم عليه السلام الاستدلال بالطلوع على
حدوثها وعول فى ذلك على الافول الجواب لا شك ان

الطلوع والغروب يشتركان فى الدلالة على الحدوث الا ان
الدليل الذى تمسك به الانبيا عليهم السلام فى معرض الدعوة
لابد وان يكون ظاهرا جليا بحيث يشترك فى فهمه الذكى والغبى
والفطن والبليد ودليل حركة الطلوع وان كانت دلالة
يقينية على الحدوث الا انها دقيقة لا يعرفها الا الاذكيا
من الخلق اما دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة يعرفها كل
احد فان الافل يزول سلطانه وقت الافول وكانت دلالة
الافول على هذا المقصود اتم وايضا قال بعض المحققين الهوى
فى خطيرة الامكان افول واحسن الكلام ما يحصل فيه حصة
للخواص وحصة الاوساط وحصة العوام فالخواص
يفهمون من الافول الامكان وكل ممكن محتاج لا يكون منقطعا
للحاجة فلابد وان يكون الانها الى ما يكون منزها عن الامكان
حتى تنقطع الحاجات بسبب وجوده على ما قال وان الى ربك
المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول الحركة وكل
متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا
يكون المحتاج الهابل الاله هو الذى احتاج اليه ذلك الافل
واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم يشاهدون
ان كل كوكب يقرب من الافول والغروب فانه يزول نوره
ويبطل ضوؤه وسلطانه ويكون كالمعزول ومن كان كذلك
لا يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة اعنى قوله لا احب
الافلين كلمة مشتملة على نصب المقربين واصحاب اليمين
واصحاب الشمال فكانت اكمل الدلايل وافضل البراهين
السوال الثالث لاشك ان تلك الليلة كانت مسبوقة
بنهار وكانت الشمس افلت فى ذلك النهار السابق بعد
ان كانت طالعة فاذا كان الافول دليلا على انه لا يصلح
للالهية فلم يتمسك ابرهيم عليه السلام بافول
الشمس فى النهار السابق على تلك الليلة الا انها لا تصلح

للالهية ثم اذا خرجت الشمس عن صلاحية الالهية مع
كبرها وجلال ضوؤها فان يخرج النجم والقمر عن صلاحية
الالهية كان ذلك اولى لا يقال انه عليه السلام انما تربى فى
ذلك الكهف وهو اول لما نظر من ذلك الكهف الى الخارج
كان ليلا فراى الكواكب فى تلك الساعة ثم بعده راى القمر
ثم بعده راى الشمس لانا نقول انه من البعيد ان يربى الشخص
العاقل فى غار من اول طفوليته الى زمان بلوغه حد العقل
والتكليف مع انه ما نظر من ذلك الغار الى خارج ذلك
الغار فى تلك المدة الطويلة وما كان يعرف من النهار والليل
وما كان يدخل نور الشمس فى ذلك الغار من الثقب هذا محال
فى العرف الجواب ان هذا الاشكال لازم على من يقول انه
عليه السلام انما شرع فى هذه الواقعة لطلب معرفة
الله لنفسه اما على قول من يقول انه عليه السلام انما
استدل بهذه الوجوه حال اشتغاله بالدعوة الى التوحيد
ومنع القوم عن عبادة الكواكب فالسوال زايل لانه
من المحتمل انه اتفق انه عليه الصلوة والسلام كان جالسا
مع قومه ليلة من الليالى ثم انه زجرهم عن عبادة الكواكب
لانه بين لهم ان ذلك ضلال وجهل فبينما هم فى ذلك الكلام
اذ وقع بصرهم على كوكب مضئ فوقعوا فى تلك المناظرة
ثم لما افل ذلك الكوكب وطلع القمر وعاد عليهم ذلك
الكلام ونقول فيه الى ان طلعت الشمس فاعاد ابرهيم
عليه السلام ذلك الكلام فهذا جملة ما يتعلق بتقرير
دلالة ابرهيم عليه السلام اما قوله تعالى فلما راى القمر
بازغا الى قوله انى برى مما تشركون فلا اشكال فيه البتة
الا فى موضع واحد وهو ان لقايل ان يقول الاية مشعرة بان
فى الليلة الواحدة طلع الكوكب ثم افل وبعده طلع القمر

ثم افل وهذا غير ممكن فى الليلة الواحدة الجواب فيه
قولان احدهما ان الكوكب كان فى الربع الغربى من الفلك
فافل وبعده طلع القمر وطلع الى نصف السما فانحدر الى
الربع الغربى من الفلك فسمى توجهه الى الافول بالافول
وهذه الاحوال ممكن حصولها فى الليلة الواحدة القول
الثانى فى الجواب ان طلوع الكوكب وافوله كان فى ليلة وطلوع
القمر وافوله كان فى ليلة اخرى واعلم ان القوم كانوا على
مذهب المفوضة ومعنى هذا المذهب انهم كانوا يقولون
البشر عبيد الكواكب والكواكب عبيد الله سبحانه والدليل
عليه ان ابرهيم عليه السلام قال يا قوم انى برى مما تشركون
وكونهم مشركين يدل على انهم كانوا مقرين باثبات الاله وانما
كانوا مشركين لانهم اثبتوا للشمس والقمر والنجوم نصيبا
من العبودية وتدبير العالم فلما ابطل ابرهيم عليه السلام
هذا المذهب تبرا منه ثم اقبل على التوحيد المحض فقال
وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وكان قوله انى
برى مما تشركون عبارة عن كلمة لا اله وقوله انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض عبارة عن كلمة الا الله
فصار معنى كلمة لا اله الا الله مكشوفا فى هذا المقام وهذا
اخر الكلام فى هذه الاية والله تعالى اعلم الفصل الثانى
فى شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام مع ملك زمانه وهو
قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه ان اتيه الله
الملك اما قوله تعالى الم تر فهى كلمة توقف بها المخاطب
على امر تعجب منه ولفظه لفظ الاستفهام ونظيره
قولهم اما ترى الى فلان كيف يصنع ومعناه هل رايت
لفلان فى صنعه كذا اما قوله الى الذى حاج ابرهيم فى ربه
فقال مجاهد هو نمرود وهو اول من تجبر فى الارض وادعى

الربوبية

الربوبية والمحاجة المغالبة يقال حاججته فحججته
اى غالبته فغلبته والضمير فى قوله فى ربه يحتمل ان يرجع
الى ابرهيم عليه السلام وان يرجع الى الطاغى والاول
هو الاظهر بدليل قوله تعالى وحاجه قومه قال اتحاجونى
فى الله والمعنى وحاجه قومه فى ربه اما قوله ان اتيه الله الملك
ففيه قولان احدهما ان الهاء فى قوله ان اتيه عائدة الى ابرهيم
عليه السلام والمعنى ان الله اتى ابرهيم الملك واحتج اهل
هذا القول بوجوه الاول قوله تعالى فقد اتينا ال ابرهيم
الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما اى سلطانا بالنبوة
والقيام بدين الله الثانى لا يجوز ان يوتى الله الملك للكفار
ومن يدعى الربوبية لنفسه الثالث ان عود الضمير الى
اقرب المذكورين واجب وهو اقرب المذكورين الى هذا الضمير
فوجب ان يكون هذا الضمير عايدا اليه القول الثانى وهو
قول جمهور المفسرين ان الضمير عايدا الى الملك الذى حاج ابرهيم
واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى ان قوله اتيه الله الملك
يحتمل ثلاث تاويلات وكل واحد منها انما يصح اذا قلنا الضمير
عايدا الى الملك لا الى ابرهيم واحد تلك التاويلات ان يكون
المعنى حاج ابرهيم فى ربه لاجل ان اتاه الملك على معنى ان اتيه الله
الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج كذلك ومعلوم ان
هذا انما يتعلق بالملك الاتى التاويل الثانى ان يكون المعنى انه
جعل المحاجة فى ربه شكرا على ان اتاه ربه الملك كما يقال عادانى
فلان يريد انه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونظيره قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وهذا
التاويل ايضا لا يليق الا بالكافر التاويل الثالث انه كان
وقت ان اتيه الله الملك وهذا غير لايق بالنبى المعصوم فانه
يجب عليه اظهار المحاجة قبل حصول الملك وبعده واما
الملك الاتى فانه لا يليق به اظهار هذا العتو الشديد الابعد

ان يحصل له الملك العظيم فثبت انه لا يستقيم لقوله تعالى
ان اتيه الله الملك معنى وتاويل الا اذا حملناه على الملك الاتى
الحجة الثانية ان المقصود من هذه الاية بيان كمال حال ابرهيم
عليه السلام واظهار الدعوة الحق الى الدين الحق ومتى كان
الكافر سلطانا مهيبا حال ما كان ابرهيم ملكا كان هذا المعنى اتم
مما اذا كان ابرهيم ملكا وما كان الكافر كذلك فوجب المصير الى
ما ذكرناه الحجة الثالثة ما ذكره ابو بكر الاصم وهو ان ابرهيم
عليه السلام لو كان ملكا لما قدر هذا الكافر ان يقتل احد الرجلين
ويستبقى الاخر بل كان ابرهيم عليه السلام يمنعه منه اشد
المنع وهذا الاستدلال ضعيف لان من المحتمل ان يقال ان ابرهيم
كان ملكا وسلطانا فى الدين والتمكن من اظهار المعجزات وذلك
الكافر كان قادرا على الظلم فلهذا السبب امكنه قتل احد الرجلين
وايضا فيمكن ان يقال انما قتل احد الرجلين قودا وكان الاختيار
اليه واستبقى الاخر اما لانه لا قتل عليه او بدل الدية فاستبقاه
وايضا ففقوله انا احيى واميت خبر ووعد ولا دليل فى القران
على انه فعله ثم القائلون هذا القول اجابوا عن دلائل العاملين
بالقول الاول اما الحجة الاولى وهى التمسك بقوله تعالى فقد
اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فجوابه
ان هذه الاية دالة على حصول الملك لال ابرهيم وليس فيها
دلالة على حصول الملك لابرهيم واما الحجة الثانية وهو
قولهم لا يليق بحكمة الله ان يوتى الكفار الملك فجوابه ان المراد
من الملك التمكن والقدرة والبسطة فى الدنيا والحس يدل
عليه انه تعالى قد يعطى الكافر هذا المعنى وايضا فلم لا يجوز ان
يقال ان الله تعالى اعطاه الملك حال ما كان مومنا ثم بعد ذلك
كفر بالله تعالى والحجة الثانية هى قولهم عود الضمير الى اقرب
المذكورين واجب فجوابها ان هذا معارض بما ذكرنا ان الروايات
الكثيرة وردت بان الملك هو الذى حاج ابرهيم والله اعلم

اما قوله اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت ففيه مسايل
المسلة الاولى الظاهر ان هذا الكلام جواب عن سوال سابق غير
مذكور وذلك لان المعلوم ان الانبيا عليهم السلام انما بعثوا
للدعوة والظاهر انه اذا ادعى الرسالة فان المدعو يطالبه
اولا بالاثبات ان للعالم الها الا ترى ان موسى عليه السلام
لما قال انى رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين
فاحتج موسى عليه السلام على اثبات الصانع بقوله
رب السموات والارض فكذا هاهنا الظاهر ان ابرهيم
عليه السلام ادعى الرسالة فقال نمرود ومن ربك قال
ربى الذى يحيى ويميت وهذا المقدمة حذفت لان الواقعة
دلت عليه ويحتمل ان يكون ابرهيم قد ذهب اليه ودعاه
اولا الى التوحيد من غير ذكر النبوة المسلة الثانية اعلم
ان دلايل ابرهيم عليه السلام كانت فى غاية الصحة
وذلك انه لا سبيل الى معرفة الله الا بواسطة افعاله
التى لا يشاركه فيها احد من القادرين من الاحيا والامانة
وذلك لان الخلق عاجزون عنهما والعلم بذلك بعد الاختيار
ضرورى ولا بد من موثر اخر غير هولاء القادرين الذين
نراهم ونشاهدهم حتى يكون موثرا فى الاحيا والامانة
وذلك الموثر اما ان يكون موجبا بالذات او مختارا
والاول باطل لانه يلزم من دوامه وعدم تغيره دوام
الاثر فكان يجب ان لا يبدل الموت بالحيوة ولا بالعكس
وذلك محال وايضا فانك ترى فى الحيوانات اعضا
مختلفة الشكل والصفة والطبيعة والخاصية
وتاثير الموجب بالذات لا يكون كذلك فعلمنا انه لا بد
فى الاحيا والامانة من موجد قادر مختار موثر بالقدرة
والاختيار دون ذلك وهو الله سبحانه وتعالى وهذا دليل
متقن فى غاية القوة وذكره الله تعالى فى مواضع من كتابه

لقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وسوق
لتقريره فضلا مفردا فان قيل انه تعالى قدم الموت على الحيوة
فى ايات منها كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم وقال الذى خلق الموت والحيوة وقال ابرهيم عليه
السلام فى الثنا على الله والذى يميتنى ثم يحيين فلم قدم
فى هذه الاية ذكر الحيوة على الموت قلنا لانه اذا كان المقصود
من ذكر الدليل هو الدعوة الى الله تعالى فوجب ان يكون
الدليل اظهر واوضح ولا شك ان عجايب الخلقة حال
الحيوة اكثر واطلاع الانسان عليها اتم فلا جرم وجب
تقديم الحيوة ههنا فى الذكر واما قوله فى تلك الايات
فالمقصود بيان تعديد الاحوال الماضية فلا جرم وجب
فيها تقديم الموت على الحيوة واما قوله تعالى انا احيى واميت
فاعلم ان المشهور فى كتب التفسير ان ابرهيم عليه السلام
لما احتج بهذه الحجة دعا ذلك الكافر بشخصين وقتل احدهما
واستبقى الاخر وقال انا ايضا احيى واميت هذا هو المنقول
فى الكتب وهو عندى فى غاية البعد ويدل عليه وجوه
الاول ان الظاهر من حاله عليه السلام انه شرح حقيقة
الاحيا والاماتة وعلى الوجه المحض فان ايراد الكلام
المبهم عندنا يكون الغرض هو التفهيم والتعليم والزجر
عن الباطل والدعوة الى الحق لا يليق باقل الناس علما عن فضلا
اعقل العقلا واعلم العلما ومتى لخص الانسان حقيقة
الاحيا امتنع ان يشتبه على السامع هذا الاحيا
والاماتة التى اوردها الكافر فى معرض المعارضة ويبعد
فى الجمع العظيم ان يكونوا فى الجهالة بحيث لا يعرفون هذا
القدر من الفرق الحجة الثانية ان من بلغ فى الجهالة والحماقة
الى هذا الحد فاى فضيلة تحصل للانسان بسبب الزامه
وافحامه لكنه تعالى جعل الحامه سببا للفضيلة العظيمة

حيث

حيث قال فبهت الذى كفر واعلم ان القايلين بهذا القول
قالوا ان الكافر لما اورد هذا السوال عدل ابرهيم عليه
السلام من ذكر الدليل الاول الى دليل اخر فقال فان الله
ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى
كفر وهذا ايضا فى غاية البعيد ويدل عليه وجوه الحجة الاولى
ان الانتقال من الدليل الاول الى الدليل الثانى يوهم
العجز والجهل وذلك يقتضى صيرورته حقيرا فى
الاعين بحيث لا يلتفت الى قوله ولا يبالى بكلامه
والانبيا عليهم السلام يجب عليهم ان يصونوا انفسهم
عن هذه الحالة لان هذه الحالة تخل بما هو المقصود من
تبليغهم ورسالتهم وتقتضى ان لا يلتفت القوم اليهم
وان لا يقيموا لهم وزنا فثبت انه لا يجوز عليهم الانتقال
من دليل الى دليل اخر الحجة الثانية ان هذا السوال كان فى غاية
الركاكة والجواب عنه حاصل بادنى تنبيه فان كان القوم
قد بلغوا فى الحماقة والجهالة الى حيث لا ينتفعون بذكر الفرق
بين هاتين الصورتين لم ينتفعوا ايضا بذكر هذا الدليل الثانى
اليه وان كانوا بحيث يدركون الفرق بين الصورتين كان
التنبيه على الفرق اولى من الانتقال الى الدليل الثانى الحجة
الثالثة ان ذلك السوال وان كان فى غاية الركاكة الا انه وقع
فى اسماع الحاضرين فالسكوت عن الجواب يقتضى بقا
تلك الشبهة فى القلوب وذلك غير جايز لان ازالة
الشبهة على من يقدر على ازالتها فرض مضيق فكيف يجوز
الاخلال به وليس لاحد ان يقول انه عليه السلام انما ترك
عن ذلك الجواب لانه كان خايفا من ذلك الملك لانا نقول
لما لم يمنع الخوف من الملك عن ذكر الدليل الثانى فلان لا يمنع
عن ذكر الفرق الذى هو اوضح واجلى اولى الحجة الرابعة
انه انما يحسن الانتقال من دليل الى دليل اخر ان لو كان

الدليل الثاني اوضح واقوى وها هنا ليس الامر كذلك
لان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك
الاصنام فللخلق قدرة عليه ولا يبعد في الخلق وجود
ملك عظيم الجثة من السموات وانه يحرك السما والدليل
على ان الاحتمال قايم قوله تعالى ويحمل عرش ربك يوميذ
ثمانية والعرش اعظم من السموات بكثير فان لم يبعد
ان يكون الملك حاملا للعرش فاى بعد في ان يكون محركا
للسموات والارض فثبت ان الاحيا لا يصح الا من الله
تعالى واما تحريك السموات فانه يصح ان يكون من غير الله
واذا كان كذلك كانت دلالة الاحيا والاماتة على وجود
الله اقوى واظهر من دلالة طلوع الشمس على وجود
الصانع واذا ثبت هذا فيقول انه لا يليق بالنبي المعصوم
ان يترك التمسك بالدليل القوي ويلزم العجز والانقطاع
ويتمسك بعده بدليل ضعيف لا يقبل التمشية ويكون
الداعي الى ذلك سوال ركيك في غاية السقوط فان مثل
هذا العمل لا يليق الا بالاغبيا الحجة الخامسة ان دلالة الاحيا
والاماتة على وجود الصانع الحكيم اقوى من دلالة طلوع
الشمس على وجود الصانع من وجه اخر وذلك لانا نشاهد
في ذات الانسان وصفاته من التبدلات واختلاف
الحالات وتعاقب الصفات وكل ذلك ظاهر الدلالة
على وجود الصانع اما الشمس فلا نرى في ذاتها ولا
صفاتها ولا مجارى حركاتها شيا من التبدلات بل القايلون
بان الموثر في وجود العالم علة بالايجاب لا فاعل باختيار
تعظم شبهتهم في هذه الاية بان تقولوا نرى احوال الصوره نخ
الشمس في الطلوع والغروب باقية على نهج واحد وطريقة
واحدة وذلك يوهم ان حركة الشمس والقمر والكواكب
بالطبع لا بتحريك القادر المختار فثبت ان دلالة الاحيا

والاماتة على وجود القادر المختار اقوى من دلالة طلوع
الشمس وغروبها عليه فكان الانتقال من الاول الى
الثاني انتقالا من الاقوى الى الاضعف وهذا لا يليق
باحد من الاذكيا فضلا عن اكمل العقلا الحجة السادسة ان
نمرود لما بلغ في الحماقة والوقاحة الى حيث عارض الاحيا
والاماتة بذلك السوال الركيك فكيف يومن منه عند
استدلال ابرهيم عليه السلام بطلوع الشمس من المشرق
ان يقول لطلوع الشمس من المشرق حصل بفعل فان كان لك
اله قادر مختار فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند هذا
الزم المحققون من المفسرين انه لو اورد هذا السوال لكان
يجب في حكمة الله ان يطلع الشمس من المغرب ومعلوم ان
اظهار فساد هذا السوال الركيك اهون من التزام طلوع
الشمس من المغرب بكثير وايضا فعند طلوع الشمس من
مغربها يصير الاستدلال بطلوع الشمس من مشرقها
ضايعا وحينئذ يصير دليله الثاني ضايعا كما ضاع دليله
الاول ومعلوم ان التزام هذه الظلمات لاجل هذا السوال
الركيك غير لايق بالعقلا الحجة السابعة ان الفا في قوله
فان الله ياتي بالشمس من المشرق يدل على ان الكلام متعلق
بالكلام الاول وعلى قول هولا المفسرين هذا دليل منقطع
عن الكلام الاول غير متعلق به فلا يبقى للفا فايدة فظهر بهذه
الوجوه ان تفسير كلام الله تعالى بهذا الذي ذكروه ضعيف
والمختار عندي في تفسير هذه الاية ان نقول
ان ابرهيم عليه السلام لما احتج على وجود الصانع تعالى
بالاحيا والاماتة قال المنكر اتدعي الاحيا والاماتة من الله
تعالى ابتدا لغير واسطة الاسباب الارضية والسماوية
او تدعي صدور الاحيا والاماتة من الله تعالى بواسطة
الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه

والاماتة

واما الثانى فلا يدل على المقصود لان الواحد منا يقدر على الاحيا والاماتة بواسطة الاسباب الارضية والسماوية فان الجماع يفضى الى الولد الحى بواسطة الاسباب الارضية والسماوية وتناول السم يفضى الى الموت فلما ذكر نمرود هذا السوال اجابه ابرهيم بان قال هب ان الاحيا والاماتة حصلا من الله بواسطة الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية الا انه لا بد لتلك الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية من فاعل ومدبر فاذا كان المدبر لتلك الحركات الكوكبية والاتصالات الفلكية هو الله تعالى كان الاحيا والاماتة الحاصلان بتلك الحركات الكوكبية ايضا من الله تعالى واما الاحيا والاماتة الصادران عن البشر بواسطة الاسباب الفلكية فليس كذلك لانه لا قدرة للبشر على الحركات الفلكية فظهر الفرق والحاصل ان الاحيا والاماتة وان حصلا بواسطة الاسباب الفلكية الا ان مدبر الفلك هو الله تعالى فكان الاحيا والاماتة الصادران بواسطة الفلك صادر فى الحقيقة عن الله تعالى بخلاف الواحد منا فانه لا تاثير له فى الفلك فلم يكن الاحياء والاماتة الصادران بواسطة الفلك صادرين عن البشر فان قيل هذا السوال والجواب اللذين ذكرتم كيف يفهم من الاية واى مناسبة بينهما وبينما هو مذكور فى الاية قلنا مدار القران على الايجاز والاختصار لا على الاطناب فنقول قول ابرهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت محمول على الاحيا والاماتة المعتادين وهما فى ظاهر الامر موقوفان على الاسباب الطبيعية السفلية والاتصالات الفلكية العلوية فقال نمرود وانا احيى واميت مثل هذا الاحيا والاماتة الحاصلين بواسطة الاسباب الفلكية

فقال

فقال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اى هب ان هذا الاحيا والاماتة انما يحصلان بواسطة الشمس لكن محرك الشمس هو الله تعالى واما انت فلا قدرة لك على تحريك الشمس بدليل انه لا يمكنك تحريكها من المغرب فظهر ان المذكور فى الاية تنبيه على ما ذكرناه الا انه تعالى انما ذكره على سبيل الايجاز والرمز على ما هو عادة القران واعلم انا لما فسرنا الاية بهذا الوجه زالت تلك المطاعن باسرها وذلك لان هذا السوال كلام لايق بالعقلا فان كل من تمسك بالاحيا والاماتة لا بد وان يورد الطبيعى والمنجم عليه هذا السوال ولا جواب عنه الا الجواب المذكور فى الاية ولا يكون فيه انتقال من الدليل الاول الى الدليل الثانى ويكون الكلام الثانى متعلقا بالكلام الاول ويبقى للفا فى قوله فان الله ياتى بالشمس من المشرق دلالة فى تعلق الكلام الثانى بالاول ونظير هذا التقدير قوله تعالى فى سورة النحل هو الذى انزل من السما ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون وما ذرا لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لايات لقوم يذكرون فجعل الله مقطع الاية الاولى من هذه الايات الثلاث بقوله يتفكرون ومقطع الاية الثانية بقوله يعقلون ومقطع الاية الثالثة بقوله يذكرون وفى ترتيب هذه المقاطع اسرار عجيبة وذلك لانه تعالى استدل فى الاية الاولى على وجود الصانع المختار بحدوث الانواع المختلفة من النبات فى الارض لواحدة والما الواحد الا ان هذا الدليل فى هذا المقام غير تام وذلك

لان لقايل ان يقول حدوث الانواع المختلفة من النبات انما كان لتاثير الكواكب والشمس والقمر ولما كان هذا السوال مما يذكر على هذا الدليل كان هذا الدليل قبل الجواب عن هذا السوال غير تام فكان مجال التفكر والتدبر باقيا فلهذا السبب جعل مقطع هذه الاية بقوله يتفكرون ثم انه تعالى اجاب عن هذا السوال من وجهين الاول الجواب ان يقال هب ان حدوث الانواع المختلفة من النبات انما كان لتاثير الكواكب واختلاف الفصول الا ان حركات الكواكب لا بد لها من موثر والا تسلسل بل لا بد من الاعتراف بشي وهو مسبب الاسباب ومدبر الكل فيكون حدوث النبات في الحقيقة واقعا بتدبير ذلك المدبر والموثر الاول وعند هذا يتم الاستدلال ولا يبقى للفكر مجال فلا جرم جعل مقطع هذه الاية قوله تعالى يعقلون يعني ان كنت كامل العقل فاعرف بوجود الصانع القادر المختار في هذا المقام فان الدليل قد تم ولا يبقى بعده للفكر والنظر مجال وهذا التقرير هو بعينه التقرير المذكور في قصة ابرهيم عليه السلام فان المنكر لما احال الاحيا والاماتة على الاسباب الفلكية من حيث انه شبه ذلك بالاحيا والاماتة الصادر منا فعند هذا قال ابرهيم عليه السلام فلا بد لتلك الاسباب الفلكية من مدبر وهو ان الله تعالى فلا جرم انقطع ذلك الكافر وسكت حتى قال في صفته فبهت الذي كفر والحاصل ان المراد من قوله فبهت الذي كفر هو المراد من قوله ان في ذلك لاية لقوم يعقلون الوجه الثاني من الجواب عن ذلك السوال قوله تعالى وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه وتقرير هذا هو ان الارض والما والهوى والشمس والقمر لكل واحد طبيعة واحدة ونسبة هذه الاشيا باسرها الى كل واحد نسبة الغصن من اجزا الشجرة الواحدة بل

الى

الى كل واحد من اجزا الورقة الواحدة على غاية صغرها ونهاية رقتها نسبة واحدة فكان ينبغي ان يكون الاثر حاصلا على السوية فلما راينا في الشجرة الواحدة اختلافات كثيرة في اجزايها بل نشاهد في الورقة الواحدة اختلافا في لون وجهيها فعلمنا ان هذه الاثار غير مستندة الى الطبايع والنجوم وانما جعل مقطع هذه الاية بقوله يذكرون لانه قد تقرر في بداية العقول ان الموجب لا بد وان يكون تاثيره بالسوية ولاجل هذا قالت الفلاسفة المقتضي لشكل الجسم هو طبيعة وتاثير الطبيعة الواحدة لا بد وان يكون متشابها ولا جرم قالوا يجب ان يكون شكل الجسم البسيط هو الكرة ثم انا نشاهد في الاختلاف العظيم في خلقة النبات والحيوان اما النبات فانك ترى الاترج قشره حارا يابسا وجسمه حارا رطبا وحماضه باردا يابسا وبزره حارا يابسا فهذا شي واحد حصلت فيه الطبايع المختلفة وترى الرمان فيه ذلك القشر الغليظ والشحم القابض ثم ترى الحب فيه ذلك الما اللطيف العذب وفيه ذلك النواة الغليظ اليابس القابض بل نجد الورقة اللطيفة من الوردة احد وجهيها في غاية الصفرة والاخر في غاية الحمرة ثم ترى في وسط تلك الورده اللطيفة عرقا ممتدا من اولها من اصلها الى طرفها ثم ترى العروق الصغير متشعبة من ذلك العرق المتوسط ثم يتشعب من كل واحدة من تلك الشعب شعب اخرى ارق من الشعرة واذا شاهدت هذا الاختلاف الكثير في التركيب واللون والخاصية وقد تقرر في عقلك وهكذا الى ان يصير الى اخر شعبة ان الموجب بالذات يكون تاثيره متشابها لا مختلفا فكيف يجوز في عقلك ان تقول ان تولد هذه الانواع مختلفة انما كان بسبب تاثيرات الانجم والافلاك فهذا برهان قاطع

على انه لايمكن استناد الحوادث الارضية الى الافلاك
والانجم ولاجل هذا السر مقطع هذه الاية بقوله تذكرون
يعنى الا تذكر ماكان مقررا فى عقلك ان تاثير الموجب
بالذات لايكون مختلفا مع انك تشاهد بحسب
هذه الاختلافات الكثيرة فتامل ايها المسكين فى هذه
الاسرار لتعلم ان القران بحر عميق لاساحل له وان الطبيعى
عن غنى جاهل وليس المقدور والموثر والمدبر الا الله سبحانه
وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وبالله التوفيق واعلم انا
لما شرحنا هذين النوعين من المناظرات لابرهيم عليه
السلام لتعلقها بالنجوم والشمس والقمر وبالله التوفيق
الفصل الثالث فى شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام مع
ابيه فى التوحيد قال الله تعالى فى سورة مريم واذكر فى
الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه ياابت
لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا واعلم
ان الغرض من هذه السورة من اولها الى اخرها بيان
التوحيد والنبوة والمنكرون للتوحيد هم الذين اثبتوا
معبودا سوى الله تعالى وهم فريقان منهم من اثبت معبودا
غير الله حيا عاقلا فاهما وهم النصارى وهم من اثبت
معبودا غير الله جمادا وهم عبدة الاوثان والفريقان
وان اشتركا فى الضلال الا ان ضلال الفريق الثانى اعظم
فلما بين الله تعالى فى هذه السورة ضلال الفريق الاول وهم
النصارى تكلم بعده فى شرح الفريق الثانى وهم عبدة الاوثان
فقال تعالى واذكر فى الكتاب ابرهيم والواو فى قوله واذكر
عطفا على قوله رحمت ربك عبده زكريا كانه لما انتهت
قصة زكريا وعيسى عليهم السلام قال يا محمد قد ذكرت لهم
حال زكريا واذكر حال ابرهيم عليه السلام وانما شرع فى
قصة ابرهيم عليه السلام لوجوه الاول ان ابرهيم

فلذكر سائر مناظراته فى التوحيد وان لم يكن لها تعلق بالنجوم والقمر والشمس

كان

كان ابا للعرب وكانوا مقرين لعلو شانه وطهارة دينه على
ما قال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وقال ومن يرغب عن ملة
ابرهيم الا من سفه نفسه وكانه تعالى قال للعرب ان كنتم
مقلدين لاباءكم على ما هو قولكم انا وجدنا اباءنا على امة ومعلوم
ان اجل اباءكم قدرا واعظمهم شرفا وفخرا هو ابرهيم فكونوا مقلدين
له فى ترك عبادة الاصنام وان كنتم من المستدلين فتاملوا
فى هذا الدليل الذى ذكر ابرهيم عليه السلام ليعرفوا فساد
عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ملة ابيكم اما تقليدا او
استدلالا الثانى ان كثيرا من الكفار فى زمن الرسول صلى الله
عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين اباءنا واجدادنا فذكر
الله تعالى قصة ابرهيم عليه السلام وبين انه ترك دين
ابيه ازر وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على
متابعة الاب ليعرف الكفار ان ترجيح جانب الاب على جانب
الدليل رد على الاب الاسن الاكبر الذى هو ابرهيم عليه السلام
الثالث ان كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون
الاستدلال على ما قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى
عن ابرهيم عليه السلام التمسك بطريق الاستدلال
تنبيها لهولاء الجهال على سقوط هذه الطريقة ثم انه تعالى
قال فى صفة ابرهيم انه كان صديقا نبيا وفى الصديق
قولان احدهما انه مبالغة فى كونه كان صادقا وهو الذى
يكون عادته الصدق لان هذا البناء ينبى على ذلك يقال رجل
خمير وسكير بكثرة المولع بهذه الافعال الثانى ان يكون
معناه كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهودا به والاول
اولى وذلك لان المصدق بالشى ربما يوصف بكونه صديقا
الا اذا كان صادقا فى ذلك التصديق فيعود ذلك الامر
الى الاول فان قيل الدليل على القول الثانى قوله والذين امنوا
بالله ورسله اوليك هم الصديقون قلنا انما سماهم

الأشرف

صادقين لكونهم صادقين فى ذلك التصديق واعلم ان الرسول
صلى الله عليه وسلم يجب ان يكون صادقا فى كل ما اخبر لان
الله تعالى صدقه ومصدق الله صادق والا لزم الكذب فى خبر
الله تعالى وهو محال فلزم من هذه ان يكون الرسول صادقا فى
كل ما يخبر عنه ولان الرسل شهدا الله على الناس على ما قال
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولا
شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل
فما قولك فى ابرهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات
وهو قوله بل فعله كبيرهم وقوله انى سقيم وقوله هذه
اختى قلنا معاذ الله ان يكذب ابرهيم عليه السلام وسيجب
عن هذا الكلام فى باب عصمة الانبيا عليهم السلام فثبت
ان كل نبى صديق يكون صادقا فلهذا السبب وصفه الله
تعالى اولا بكونه صديقا ثم بعده وصفه بكونه نبيا ما سيجى
تفسيره فى باب النبوة وقوله كان صديقا قيل انه صادق
وقيل انه وجد صديقا نبيا اى كان من اول وجوده الى انتهائه
موصوفا بالصدق والديانة وهذا يوكد ما ذكرنا ان قوله
هذا ربى فى مقام المناظرة كان ابطالا لهذا القول عليهم وما
كان فى معرض الاخبار اما قوله يا ابت فى التا عوض من
يا الاضافة ولا يقال يا ابتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض
منه وقد يقال يا ابا لكون الالف بدلا من التا ثم انه تعالى
حكى عن ابرهيم انه تكلم مع ابيه باربعة انواع من الكلام
النوع الاول قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك
شيا وصف الاوثان بصفات ثلاثة كل واحد منها قادح
فى المعبودية وبيانه من وجوه الاول ان العبادة غاية التعظيم
فلا يليق الا لمن له غاية الانعام وهو الذى يكون قادرا
على خلق اصول النعم وفروعها كما قررناه فى تفسير قوله
تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الثانى

ان

120

ان بديهة العقل حاكمة انه لا يجوز الاشتغال بشكر
من لا نعمة له فاذا لم يجز الاشتغال بشكره فلان لا يجوز
الاشتغال بطاعته وعبادته اولى الثالث انها اذا لم
تسمع ولا تبصر لا تميز من يطيعها عن من يعصيها فاى فائدة
فى عبادتها وهذا يدل على ان الاله يجب ان يكون عالما
بكل المعلومات من الكليات والجزئيات حتى يكون
العبد امنا من وقوع الغلط فى الثواب والعقاب
الرابع ان الدعا مخ العبادة والوثن اذا لم يسمع دعاء
الداعى فاى منفعة فى عبادته واذا لم يبصر تقرب من تقرب
اليه فاى فايدة تحصل فى ذلك التقرب الخامس ان
السامع المبصر الضار النافع افضل ممن كان عاريا عن هذه
الصفات والانسان موصوف بهذه الصفات والصنم عار
عنها فيكون الانسان اشرف وافضل من الصنم
واقدام الاشرف الاعظم على عبادة الاخس لا يليق
بالعقلا السادس انها اذا كانت لا تبصر ولا تنفع
لم تحصل اليها رغبة ولا منها رهبة فاى فايدة فى عبادتها
السابع انها لا تقدر على حفظ نفسها عن اضعف
الحيوانات كما قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن
يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره بل لا تقدر على صيانة نفسها
عن الكسر والاذلال فان الله تعالى اخبر عن ابرهيم
عليه السلام انه كسرها وجعلها جذاذا فاذا كانت
لا تحفظ نفسها عن الكسر والافساد فاى رجا للغير
فيها الثامن انه تعالى نزه نفسه عن الشرك فى اول سورة
النحل فقال تعالى عما يشركون واحتج عليه بوجوه
اولها خلق السموات فقال خلق السموات والارض بالحق



تعالى عما يشركون وثانيها بخلقة الانسان فقال
خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وثالثها
بخلقة الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء
الى قوله والخيل والبغال والحمير ورابعها بخلقة النبات
فقال هو الذى انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه
شجر فيه تسيمون وخامسها بخلقة البحر فقال وهو الذى
سخر البحر وسادسها بخلقة الارض فقال والقى فى الارض
رواسى ان تميد بكم ثم ختم هذه الدلايل باعادة المقصود
وهو نفى الشركا والانداد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق
افلا تذكرون وكل ذلك اشارة الى ان التسوية بين المنافع
وبين المضاد وبين ما يضر ولا ينفع فى العبادة بنفسه
وسابعها ان ابرهيم عليه السلام عاب الاصنام
من ثلاثة اوجه من حيث انها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر
كانه قال العبادة لا تليق الا لربى والهى فانه يسمع بدليل
قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان ويبصر بدليل قوله
تعالى اننى معكما اسمع وارى ويقضى الحوايج بدليل قوله
امن يجيب المضطر اذا دعاه وثامنها قال تعالى ولين
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال
فى لقمان عقيب هذه الاية قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
فقوله قل الحمد لله معناه الشكر لله على اعترافهم بذلك
وقوله بل اكثرهم لا يعلمون فمعناه انكم لما اقررتم بان
المدبر هو الله كيف اشتغلتم بعبادة غير الله فان الاقدام
على هذا العمل مع الاقرار بذلك القول لا يليق بمن له عقل
وفهم ومعرفة فان قيل السنة قد ذكرتم ان عبدة الاوثان
معبودهم هو الكواكب فى الحقيقة فكيف تتوجه هذه
الدلايل عليهم فالجواب انا بينا فى تفسير قوله تعالى
لا احب الافلين ان على كل التقديرات الاعراض عن مدبر

الافلاك والانجم والاشتغال بعبادة الافلاك
والانجم وعبادة اصنامها وتماثيلها عين الجهل فانه لما دلت
الدلالة على افتقار الافلاك لمدبر فلابد وان يكون قادرا على
خلق الناس لان القادر على الاقوى قادر على الاضعف قال
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال اوليس
الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى
وهو الخلاق العليم واذا كان الامر كذلك كان الاشتغال
بخدمة رب الافلاك والانجم اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك
والانجم وقد سبق تقرير هذا المعنى على الاستقصا النوع الثالث
من كلام ابرهيم عليه السلام مع ابيه قوله يا ابت انى قد
جاءنى من العلم ما لم ياتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا واعلم ان
هذه الاية فيها اشارة الى ان روح النبى يتميز على ساير الارواح
بمزيد الكمال والجلال وتقريره هو ان العالم عالمان عالم المحسوس
وعالم المعقول والمعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال
فى المحسوس والا لكان متخيلا موهوما والمحسوس لا يكون
محسوسا حتى يثبت له مثال فى المعقول والا لكان سرابا
معدوما اذا عرفت هذا فنقول عالم الروحانيات عالم عظيم
لا نعرف عددهم واصنافهم وانواعهم واجناسهم الا الله
تعالى ولابد فيه من مدبر مطاع نافذ الامور والاقضية
فى جميع الروحانيات وهى العرش والكرسى والافلاك
والكواكب فلابد وان يكون ذلك المدبر من جنسهم ولابد
وان يكون كاملا بالفعل لان الاخراج من القوة الى الفعل
لا يحصل الا ممن كان له مبدا عن القوة خارجا عن الفعل من كل
الوجوه واما العالم الجسمانى فكذلك يجب ان يكون فيه مدبر
كامل من جميع الوجوه ويكون نافذ القضية فى جميع الجسمانيات
ويكون تدبيره اخراج ما بالقوة الى الفعل فى ابنا جنسه
فمدبر العالم الروحانى هو الروح الاعظم ومدبر العالم

الجسماني هو الرسول الاعظم مظهرا فالروح مبدا
والرسول نهاية واول الفكر اخر العمل واذا عرفت ان الرسول
مدبر الجسمانيات باخراج ما فيها من الكمالات من القوة
الى الفعل عرفت المراد فقول ابرهيم انى قد جانى من العلم
ما لم ياتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا النوع الثالث
من كلام ابرهيم مع ابيه عليهما السلام قوله يا ابت لا تعبد
الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا والمعنى لا تطعه
لانه عاصى فى الله فنفره بهذا الوصف عن القبول منه
لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم ان ابرهيم عليه السلام
كان عظيم الدرجة فى الاخلاص فى طاعة الله فلا جرم لم يذكر
من جنايات الشيطان الا كونه عصيا فى الله ولم يذكر البتة
كونه عدو الادم كان النظر فى عظم حاله فى معصية الله غمر فكره
واطبق على ذهنه وهذا كما ان عيسى عليه السلام اول ما تكلم
ذكر ما يدل على تنزيه الله ولم يذكر ما يدل على براة امه كان اشتغاله
بتنزيه الله تعالى شغله عن الالتفات الى حال الام وايضا
فان معصية الله تعالى لا تصدر الا عن ضعف الراى ومن
كان كذلك كان حقيقا بان لا يلتفت اليه فان قيل ان هذا
القول يتوقف اثباته على امور احدها اثبات الصانع
والثانى اثبات الشيطان والثالث ان الشيطان عاصى
فى الله والرابع انه لما كان عاصيا لله لم يجز طاعته فى شى من
الاشيا والخامس ان الاعتقاد الذى كان يعتقده والد
ابرهيم مستفاد من طاعة الشيطان ومن شان الدلالة
التى يوردها الانسان على خصمه كونها مركبة من مقدمات
مسلمة معلومة ولعل والد ابرهيم كان منازعا فى كل هذه
المقدمات فكيف استحسن ابرهيم ذكر هذا الكلام قلنا
الحجة المعول عليها فى ابطال مذهب ابيه هو الذى ذكره اولا
فى قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا

فاما

فاما هذا الكلام فيجرى مجرى التخويف والتحذير الذى يحمله على
النظر والتامل فى تلك الدلالة النوع الرابع قوله يا ابت
انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن وفى قوله اخاف
قولان احدهما قال الفرا معناه اعلم والاكثرون على انه محمول
على الظاهر وحمل هذا اللفظ على العلم انما يجب لو كان ابرهيم
عالما بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراوه
على ظاهره فانه يجوز فى ابيه ان يومن فيصير من اهل الثواب
ويجوز فيه ان يموت على الكفر فيكون من اهل العقاب ومن
كان كذلك كان خايفا لا قاطعا واعلم ان من نظر وصول ضرره
الى غيره فانه لا يسمى خايفا الا اذا كان بحيث يلزم من ذلك
الضرب تالم قلبه كما يقال انا خايف على ولدى اما قوله فتكون
للشيطان وليا فذكروا فى الولى وجوها الاول انه اذا استوجب
عذاب الله كان مع الشيطان فى النار والولاية سبب
للمعية فاطلق اسم السبب مجازا وانما لم يجز حمله على الولاية
الحقيقية لقوله تعالى الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وقال ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا وحكى عن الشيطان انه يقول لهم انى كفرت
بما اشركتمونى من قبل والثانى ان تحمل العذاب على الخذلان انى
اخاف ان يمسك خذلان الله فتصير مواليا للشيطان
فيبرا الله منك كما قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله فقد خسر خسرانا مبينا والثالث وليا اى
تاليا للشيطان يليه كما سمى البطن الذى تالى ثانيا وليا
فان قيل قوله انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا يقتضى ان يكون ولاية الشيطان اسوء
حالا من العذاب فما معنى ذلك الجواب ان رضوان الله اشرف
واعظم من الثواب كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك
هو الفوز العظيم فوجب ان تكون ولاية الشيطان

التی هی فی مقابلة رضوان الله اکبر من العذاب واعظم فهذا هو
الاشارة الی تفسیر هذه الکلمات الاربعة التی ذکرها ابرهیم
علیه السلام لابیه واعلم انه علیه السلام رتب هذا الکلام
فی غایة الحسن لانه نبه علی ما یدل علی المنع من عبادة الاوثان ثم
امر باتباعه فی النظر والاستدلال وترک التقلید ثم نبه
علی ان طاعة الشیطان غیر جایزة فی العقول ثم ختم الکلام
بالوعید الزاجر عن الاشتغال بما لا ینبغی ثم انه علیه السلام
اورد هذا الکلام الحسن اللطیف مقرونا باللطف والرفق
فانه قوله فی مقدمة کل کلام یا ابت دلیل علی شدة الحب
والرغبة فی صونه عن العقاب وارشاده الی الصواب
وختم الکلام بقوله انی اخاف وذلک یدل علی شدة تعلق
قلبه بمصالحه وانما فعل ذلک لوجوه الاول قضاحق الابوة
وکما قال تعالی وبالوالدین احسانا والارشاد الی الدین
الحق من اعظم انواع الاحسان فاذا انضاف الیه رعایة
الادب والرفق کان ذلک نورا علی نور والثانی ان الهادی الی
الحق لابد وان یکون رفیقا لطیفا یورد الکلام لا علی سبیل
العنف لان الایراد علی سبیل العنف یصیر مانعا من
الاستماع والقبول والثالث ما روی ابو هریرة قال
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اوحی الله الی ابرهیم
علیه السلام انک خلیلی حسن خلقک ولو مع الکفار
تدخل مداخل الابرار فان کلمتی سبقت لمن حسن خلقه انی
اظله تحت عرشی واسکنه حضرة القدس وادنیه من
جواری واما قوله تعالی اراغب انت عن الهتی یا ابرهیم
اعلم ان ابرهیم لما ادعی التوحید وذکر الدلیل علی فساد
عبدة الاوثان واردف ذلک الدلیل بالوعظ البلیغ
واورد کل ذلک مقرونا باللطف والرفق قابله ابوه
بجواب یضاد ذلک فقابل حجته بالتقلید فانه لم یذکر

فی

فی مقابلة حجته الا قوله اراغب انت عن الهتی فاصر
علی ادعا الهیتها جهلا وتقلیدا وقابل وعظه بالسفاهة
حیث هدده بالضرب والشتم وقابل رفقه فی قوله یا ابت
بالعنف حیث لم یقل له یا بنی بل قال یا ابرهیم وانما حکی الله
تعالی ذلک لمحمد صلی الله علیه وسلم لیخف علی قلبه ما
کان یصل الیه من اذی المشرکین فیعلم ان الجهال مذ کانوا
علی هذه السیرة المذمومة واعلم ان قوله اراغب انت
عن الهتی یا ابرهیم ان کان المراد منه الاستفهام فهو خذلان
لانه قد عرف بما تکرر منه من وعظ وتنبیه ووعد ووعید
انه راغب عن ذلک فما فایدة هذا القول وان کان ذلک علی
سبیل التعجب فای تعجب فی الاعراض عن حجر لا یضر ولا ینفع
انما التعجب کله من الاقدام علی عبادتها اما قوله لئن لم
تنته لارجمنک ففی الرجم قولان الاول انه الرجم باللسان
وهو الشتم والذم ومنه قوله والذین یرمون المحصنات
ای بالشتم ومنه الرجیم ای المرمی باللعن قال مجاهد الرجم
کله فی القران بمعنی الشتم والثانی انه الرجم بالید وهو علی
هذا التفسیر ففیه وجوه الاول لارجمنک باظهار
امرک للناس لیرجموک فیقتلوک والثانی لارجمنک
بالحجارة لتتباعد عنی والثالث قال المورخ لارجمنک
لاقتلنک بلغة قریش والرابع قال ابو مسلم لارجمنک
المراد منه الرجم بالحجارة الا انه قد یقال ذلک فی معنی
الطرد والابعاد علی سبیل الاتساع والدلیل علیه
انه اراد الطرد قوله تعالی واهجرنی ملیا اما قوله واهجرنی
ملیا فیه بحثان البحث الاول عطف واهجرنی علی معطوف
علیه محذوف ویدل علیه لارجمنک والتقدیر لارجمنک
فاحذرنی واهجرنی والبحث الثانی فی قوله واهجرنی قولان
احدهما المراد واهجرنی من القول والثانی واهجرنی بالمفارقة

من الدار والبلد وهو كهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين اى تباعد عنى حتى لا اراك وهذا الثانى اقرب
الى الظاهر اما قوله مليا ففيه قولان الاول مليا اى مدة
بعيدة ماخوذ من قولهم اتى على فلان ملاوة من الدهر
اى زمان بعيد والثانى مليا بالذهاب عنى قبل ان اضربك
فلا تقدر ان تذهب من قولهم فلان ملى بكذا اذا كان
مطيقا له قادرا عليه ثم ان ابرهيم عليه السلام لما
سمع من ابيه هذا الجواب اجابه بامرين احدهما انه وعد
التباعد عنه وذلك لان اباه لما امره بالتباعد اظهر الانقياد
وقوله سلام عليك وهو توديع ومتاركة كقوله لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين
وقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا يدل
على جواب متاركة المبطل اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه
يحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز ايضا ان
يكون قد دعا له بالسلامة استمالة الا ترى انه وعده
الاستغفار ثم انه لما ودعه بقوله سلام عليك ضم اليه
ما دل على انه وان بعد منه الا ان شفقته عليه باقية
وهو قوله ساستغفر لك ربى واحتج من طعن فى عصمة
الانبيا عليهم السلام بهذه الاية وتقريره ان ابرهيم
استغفر لابيه وابوه كان كافرا والاستغفار للكافر
غير جايز فثبت بمجموع هذه المقدمات ان ابرهيم فعل ما لا
يجوز انما قلنا انه استغفر لابيه بقوله تعالى فى هذه الاية
سلام عليك ساستغفر لك ربى وقوله ايضا واغفر
لابى انه كان من الضالين واما ان اباه كان كافرا فذلك
بنص القران واما ان الاستغفار للكافر غير جايز فيدل
عليه وجهان الاول فى قوله تعالى ما كان للنبى والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين والثانى قوله فى سورة الممتحنة

لقد

لقد كان لكم اسوة حسنة فى ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم
لابيه لاستغفرن لك فامر بالتاسى بابرهيم الا فى هذا
القول فدل على ان هذا الفعل معصية الجواب قوله الاستغفار
للكافر غير جايز قلنا الكلام عليه من وجوه الاول ان
القطع على ان الله تعالى يعذب الكافر فلا يعرف الا بالسمع
فلعل ابرهيم عليه السلام لم يجد فى شرعه ما يدل على
القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لابيه والثانى
ان الاستغفار قد يجى بمعنى الاستبطا قال تعالى قل للذين
امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى سأسل
ربى ان لا يعجل عقاب كفرك فى الدنيا والثالث انه عليه
السلام انما استغفر لابيه لانه كان يرجو منه الايمان
فلما ايس من ذلك ترك الاستغفار ولعل شرعه جواز
الاستغفار للكافر الذى يرجى منه الايمان والدليل على
وقوع هذا الاحتمال قوله ما كان للنبى والذين امنوا معه
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم فبين ان المنع من الاستغفار
انما يحصل بعد ان يعرفوا انهم من اصحاب الجحيم ثم قال
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فدلت
هذه الاية على انه انما وعده بالاستغفار بشرط ان
يومن فلم يومن فقد الشرط فلا جرم لم يوجد المشروط
فان قيل ان كانت القصة كذلك فلم منعنا من التاسى به
قلنا الاية تدل على انه لا يجوز لنا التاسى به فى هذا
المعنى الا ان المنع من التاسى به فى ذلك لا يدل على ان ذلك
كان معصية فان كثيرا من الاشيا كانت من خواص
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لنا التاسى
مع انه كان ذلك مباحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الرابع لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الافضل
وحسنات الابرار سيات المقربين اما قوله انه كان
بى حفيا اى لطيفا رفيقا يقال احفى فلان فى المسئلة بفلان
اذا الطف فيه وبالغ فى الرفق والمراد انه تعالى لكثرة
الطافه وانعامه على عودنى الاجابة فاذا استغفرت لك
حصل المراد كانه جعله بذلك على يقين انه ان تاب غفر الله له
ذلك الوجه الثانى من الجواب قوله تعالى واعتزلكم وما
تدعون من دون الله الاعتزال للشئ هو التباعد عنه
والمراد انى افارقك فى هذا المكان وفى طريقكم ايضا وابعد
عنكم واشتغل بعبادة ربى الذى ينفع ويضر فانكم بعبادة
الاصنام سالكون طريقة الهلاك فوجب على مجانبتكم
ومعنى قوله عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا اى ارجو ان لا اكون
كذلك وانما ذكر هذا الكلام على سبيل التواضع كقوله
والذى اطمع ان يغفرلى وقوله شقيا مع ما فيه من التواضع
ففيه تعريض لشقاوتهم فى دعا الهتهم على ما قرره اولا فى
قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا وقوله
تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا
وجعلنا لهم لسان صدق عليا واعلم ان احدا لا يخسر على طاعة
الله فان ابرهيم عليه السلام لما اعتزلهم فى دينهم وبلدهم
واختار الهجرة الى الله ما ضره ذلك فى الدين ولا فى الدنيا بل
نفعه فعوضه الله اولادا انبيا ولا منصب فى الدين اعظم
من ان يجعله الله رسولا الى خلقه ويوجب عليهم طاعته
والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة فى الاخرة
فصار جعله تعالى ابنياءه انبياء من اعظم النعم فى الدنيا والاخرة
ثم بين تعالى انه وهب لهم من رحمته اى وهب لهم مع النبوة
اشيا اخر وابهم فى ذكرها ويدخل فيه المال والجاه والاتباع

والنسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال وجعلنا لهم
لسان صدق عليا ولسان الصدق الثنا الحسن وعبر
باللسان عما يحصل باللسان واستجاب الله دعوته فى
قوله واجعل لى لسان صدق فى الاخرين فصيره قدوة حتى
ادعى كل اهل الاديان انهم على دينه وملته وقال تعالى
ملة ابيكم ابرهيم وقال ملة ابرهيم حنيفا وقال ثم
اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا قال بعض
العلما ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما
تعبدون من دون الله فلا جرم بارك الله فى ذريته فقال
ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وتبرا من
ابيه فى الله على ما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فلا جرم
سماه الله ابا للمومنين فقال ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين
ليذبحه فى الله على ما قال فلما اسلما وتله للجبين فلا جرم فداه
الله كما قال وفديناه بذبح عظيم واسلم نفسه لله كما قال
اسلمت لرب العالمين فجعل الله النار بردا وسلاما عليه
فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم واشفق على
هذه الامة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فلا جرم
اشركه الله فى الصلوة فانهم يقولون فى اخر التشهد كما
صليت وباركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وكان وفيا
فى اداء طاعات ربه قال تعالى وابرهيم الذى وفى لا جرم
جعل الله موطئ قدمه مباركا فقال واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق فى الله فقال انهم عدو لى
الا رب العالمين لا جرم اتخذه الله خليلا فقال واتخذ الله
ابرهيم خليلا ليعلم صحة ما ذكرنا انه لا يخسر على الله احد
وبالله التوفيق **الفصل الرابع** فى شرح مناظرة ابرهيم مع
قومه بكسر الاصنام قال تعالى فى سورة الانبيا ولقد اتينا
ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اعلم انه تعالى قبل الشروع

فى سرح هذه الواقعة مدح ابرهيم عليه السلام بقوله
ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وفيه مسايل المسئلة
الاولى فى الرشد قولان الاول انه النبوة واحتج من ذهب
الى هذا القول بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى انما يخص
بالنبوة من يعلم من حاله انه فى المستقبل يقوم بحقوقها
ويحترز عن كل ما لا يليق بها ويجتنب عما ينفر قومه من قبول
تكاليفها ويتاكد هذا بقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل
رسالاته ويتاكد ايضا بقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما والقول الثانى ان الرشد
هو الاهتدا لوجوه الصلاح فى الدين والدنيا قال تعالى فان
انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقال تعالى فى
سورة هود اليس منكم رجل رشيد وقال قوم هود له انك
لانت الحليم الرشيد ومرادهم لانت السفيه الضال
ذكروه على سبيل الاستهزا وقال وما امر فرعون برشيد
وفيه قول ثالث وهو ان يدخل النبوة والاهتدا الى كل
المصالح تحت اسم الرشد اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا
الا وقد عرفه ذاته وصفاته وافعاله ودله ايضا على مصالح
نفسه ومصالح قومه وكل ذلك من الرشد واعلم ان لفظ
الرشد جا فى القران على خمسة اوجه احدها الحق قال تعالى
فى سورة البقرة قد تبين الرشد من الغى والثانى الاسلام
قال تعالى فى الاعراف وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
والثالث الهداية قال تعالى فى سورة البقرة لعلهم يرشدون
وقال فى سورة الكهف ومن يضلل الله فلن تجد له وليا
مرشدا وقال ايضا فى هذه السورة على ان تعلمنى مما علمت
رشدا وقال فى سورة الاعراف اوليك هم الراشدون
والرابع معرفة المصالح فى امور الدنيا قال تعالى فى سورة
النسا فان انستم منهم رشدا والخامس من فعل الصواب

على

على سبيل الاطلاق قال تعالى فى سورة الجن فمن اسلم فاوليك
تحروا رشدا ويقرب منه قوله تعالى فى سورة الكهف ربنا
اتنا من لدنك رحمة وهى لنا من امرنا رشدا فالوجوه
الثلاثة الاول مختصة بالدين والوجه الرابع مختص
بالدنيا والوجه الخامس يعم الكل ويشمل ما يتعلق
بالدين وما يتعلق بالدنيا المسئلة الثانية احتج اصحابنا
على ان الايمان يحصل بخلق الله تعالى بهذه الاية وذلك
لانا بينا ان لفظ الرشد يتناول الاهتدا الى مصالح
الدين والدنيا واعظم وجوه الاهتدا الى مصالح الدين
هو معرفة الله فكانت معرفة الله تعالى اعظم وجوه
الرشد والله تعالى قال ولقد اتينا ابرهيم رشده
من قبل فدل هذا على ان ايمان ابرهيم انما حصل بتخليق
الله وايجاده اجاب الكعبى عن هذه الحجة بان مثل هذا
الكلام انما يقال فى من عرض عليه ما ينفعه فاذا قبله.
يقال ان فلانا اوتى الرشد وهذا كمن اعطى المال لولدين
فقبله احدهما وثمره ورده الاخر واخذه وضيعه
فيقال فلان اغنى ابنه فى من ثمر المال ولا يقال هذا فى من
ضيع المال والجواب عن هذا كلام مشوش ونحن قد بينا
ان لفظ الرشد يتناول اعظم وجوه الايمان والله تعالى
نص على انه اتاه رشده فكان هذا صريحا فى ان الله اتاه
ايمانه واعطاه معرفته اما قوله تعالى من قبل ففيه
وجوه الاول قال ابن عباس وابن جرير الطبرى اتينا
ابرهيم نبوته واهتداه من قبل موسى والثانى اتينا
ابرهيم رشده فى صغره قبل بلوغه حين كان فى الغار
وهذا قول من حمل الرشد على الاهـ[illegible] الى وجوه المصالح
والا لزم ان يحكم بنبوته قبل البلوغ والثالث قال
ابن عباس فى رو[illegible] الضحاك المراد حين كان فى صلب

ادم حين اخذ الله ميثاق النبيين والرابع هو كلام خطر
ببالى وهو انه اشار الى العناية الازلية والى ان السعيد
من سعد فى بطن امه لقوله عليه السلام جف القلم بما
هو كائن الى يوم القيمة يعنى انه جرى القضا الازلى والحكم
السرمدى بجعله من السعداء والابرار الى انه شى حدث
اليوم وذلك لان مذهب اهل السنة انه تعالى قضى
بسعادته فى هذا اليوم فحصلت هذه السعادة فى هذا
اليوم من نتايج ذلك القضا الازلى والمعتزلة يقولون
انه اشتغل بالايمان فصير اشتغاله بالايمان موجبا
على الله تعالى ان يقضى له بالسعادة وهذا فى غاية البعد
لان العقل يقتضى ان يكون صفة الخالق متصرفة فى صفة
المخلوق ولا يجوز ان يكون صفة المخلوق وفعله متصرفة
فى صفة الخالق ولهذا قال ابو بكر الواسطى لا اعبد ربا
يرضيه طاعتى ويغضبه معصيتى والمراد لا ينبغى ان
يجعل طاعة العبد ومعصيته موثرتين فى رضى الرب وغضبه
لكن رضاه اوقع العبد فى الطاعة وغضبه يوقعه فى المعصية
حتى يكون الخالق متصرفا فى المخلوق لا ان يكون المخلوق
متصرفا فى الخالق اما قوله وكنا به عالمين والمراد منه
المراد من قوله تعالى حيث يجعل رسالته والمعنى انه تعالى
علم اختصاص روحه القدسية باحوال عجيبة واسرار
بديعة وهى استغراقه فى معرفة الله تعالى ومواظبته
على طاعته واقباله على الدعوة الى الله وبالجملة فكانت
روحه فى الارواح كالشمس بين الظلمات وتزيل الضلالات
والجهالات ونظير هذا الكلام قوله فى رجل كبير قال انا
عالم بفلان فانه هذا الكلام فى الدلالة على تعظيمه ادل
مما اذا شرحت جلال كماله واما قوله تعالى اذ قال لابيه
وقومه فقال صاحب الكشاف اذ يتعلق باتى او

برشده

برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت
اما قوله ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون فالتمثال
اسم للشى المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله
من مثلت الشى بالشى اذا شبهته وذلك الممثل يسمى بالمثال
واعلم ان القوم كانوا يتخذون لكل كوكب تمثالا مخصوصا على
ما هو المشهور من مذهب اصحاب الطلسمات فحمل ابرهيم
عليه السلام هذا القول منه ابتدا كلامه لينظر فيما عساهم
يوردونه من شبهة حتى يبطله عليهم قال صاحب الكشاف
لم لا يسمى العاكفين مفعولا بل اجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك
فاعلين العكوف لها او واقفون لها فان قيل لم لم يقل عليها
عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلنا لو قصد التعدية
لعداه بصلته التى هى على اما قوله تعالى قالوا انا وجدنا اباءنا
لها عابدين فاعلم ان القوم لم يذكروا فى الجواب الا طريقة
التقليد الذى توجب مزيد الانكار عليهم لانهم اذا كانوا
على خطا من امرهم لم يعصمهم هذا من الخطا ان اباءهم ايضا
سلكوا هذا الطريق واعلم ان عادة الكفار فى اكثر الامر
التعويل على طريقة التقليد نظيره قوله تعالى فى المائدة
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا
يهتدون وقال فى سورة يوسف وكاين من اية فى السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يومن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقال فى لقمان واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان
الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله
وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة
الامور وقال فى الزخرف انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير

الا قال مترفوها انا وجدنا ابانا على امة وانا على اثارهم
مقتدون قل اولو جيتكم باهدى مما وجدتم عليه اباوكم
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين وقال في ص اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشئ يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا
الا اختلاق وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان
صبرنا عليها واعلم ان الشعير يوكل ويذم ولا ترى في الدنيا
انسانا الا وهو يذم التقليد ثم انك اذا فتشت عن احواله
تراه غرقا في التقليد من قرنه الى قدمه والخروج عن
طريقة التقليد والتعويل على الدليل نعمة عظيمة من الله
تعالى يخص بها من يشا من عباده فلنبحث عن الاسباب
الموجبة لتسلط التقليد على اكثر الخلق فنقول هاهنا
وجوه الاول يروى عن الخليل بن احمد البصري انه قال الناس
على اربعة اقسام رجل يدري ويدري انه يدري فذاك
عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك
نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك
مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا
يدري فذلك شيطان فاجتنبوه وقال بعضهم الرجل اذا
سئل فقال لا ادري فذاك ادخل في المدح من قوله ادري
فاعترض بعضهم عليه فقال انما يعظم منصب الرجل بيدري
لا بلا ادري فقال المجيب نعم ولكن قوله لا ادري من ثمرة
لا يدري لانه لا يدري انه لا يدري الوجه الثاني الانسان
لا ينبغي ان يسام عن المسائل الاصولية والدلائل العقلية
وذلك لان هذه العلوم والمباحث نتايج العقل فمن كرهها
فقد كره العقل ومن كره العقل فلينظر الى المجنون فانه انما
قيد بالسلاسل لانه طرحه العقل وهو بالحقيقة فيه
معذور فمن رضي بالتقليد وطرح العقل بالاختيار اولى

ان

ان يقيد بالسلاسل كما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه الوجه الثالث ان ادم عليه السلام كان
في الجنة فترك النظر في مسلة واحدة من مسائل
الفروع وهو ان المراد من قوله لا تقربا هذه الشجرة
النوع ام الشخص فاخرج عن الجنة اذا ترك النظر في كل
المسائل الاصول كيف يدخلها الوجه الرابع ان الرسالة
اقل مرتبة من الربوبية ثم ان الرسول عليه السلام
لما لقي الصديق وقال انا رسول الله اليك قال ما الحجة
قال ذلك السر الذي ذكرته مع اهلك في بيتك قال ذلك
سر لم يطلع عليه احد الا الله فلولا ان الله اخبرك والا
لما عرفته اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فاذا كانت الرسالة دولة الالهية ثم انها لا تثبت
بالتقليد من لسان اعدل الخلق فكيف يجعل معرفة
الربوبية من لسان الاباء والاسلاف بل هاهنا ما هو
اقوى من كل ذلك وهو انه تعالى قال لموسى عليه السلام
اني انا الله فقال موسى هذه الدعوى فاين الدليل فجعل الله
دليله عليه ان جعله بحيث يسمع ذلك الكلام لجميع
اعضائه حتى برجله فحينئذ علم المقصود فلما لم يكف
كلام الحق في معرفة الخالق فكيف يكفي كلام الخالق في معرفة
الحق الوجه الخامس انصف من نفسك فان الله تعالى
لا يطلب منك الا الانصاف قال الاصوليون رجل
اعتقد ان الله منزه عن الجسمية والمكان تقليدا
وبقي عليه سبعين سنة فهو من اهل النار ولو انه قرب
اجله فقال يا الهي تبت عن ذلك التقليد ولان لا اعلم انك
على العرش ام لا واجوز كلا الامرين واشرع في النظر
والتفكر حتى اعرف الحق ثم انه لم يجد مهلة النظر حتى
مات في تلك الساعة قالوا انه من اهل الجنة فعند اعتقاده

الجايز التقليدى هو من اهل النار وان كان ذلك الاعتقاد
حقا وعند التردد كان من اهل الجنة وما ذاك الا
انه انصف حين اعترف بالتجويز الوجه السادس روى
ان عليا رضى الله عنه رجع عن بعض الغزوات فكانت
حصته من الغنيمة ماملا به ذيله فاتاه سايل فجعل
يختار اخف الطوارح فعلم ان ذلك من وسوسة ابليس
فاخذ الكل فدفعه الى السايل اذ هو اكبر من الجهاد الذى
رجع عنه ودخل على النبى مستبشرا فقال النبى عليه السلام
ما فعلت فقال رجعت عن الجهاد وقص عليه القصة
فقال له عليه السلام ظننت انك انزلت صاحب
شبهة عن شبهة والنكتة ان هذا يدل على ان من تعلم
وعلم ثم اشتغل بالتعليم كان هذا خيرا ممن صار غنيا واعطى
وبذل المال حتى افنى لان فايدة اعطا المال فى الدنيا وفايدة
اعطا العلم فى الاخرة ابد الابدين ودهر الداهرين الوجه
السابع واحد اراد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم
حتى تصلح لخدمتى فلما شرع فى التعليم وذاق لذة العلم بعث
الملك اليه وقال امسك عن التعليم فقد صرت اهلا
لخدمتى فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترنى اهلا لخدمتك
وحين رايتنى اهلا لخدمتك رايت نفسى اهلا لخدمة الله
تعالى وذلك لانى كنت اظن ان الباب بابك بجهلى فلما تعلمت
علمت ان الباب باب الرب واعلم ان القوم لما قالوا وجدنا
آبانا لها عابدين اجاب ابرهيم عليه السلام لقد كنتم انتم
واباوكم فى ضلال مبين فثبت ان الباطل لا يصير حقا بسبب
كثرة المستمسكين به فعند ذلك استبعد وامنه هذا
الكلام لشدة الفهم بذلك التقليد فقالوا له اجيتنا
بالحق ام انت من اللاعبين واعلم ان القوم لما وهموا انه انما
يقول ذلك الكلام على سبيل المزاح اظهر ابرهيم فى ذلك الوقت

ما يعلمون به انه مجد فى اظهار ما قاله وذلك بالقول وبالفعل
ثانيا اما الطريقة القولية فهى قوله قال بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين اما وجه
دلالة السموات والارض على اثبات الصانع الحكيم القديم
فقد تقدم شرحه والمعنى ان الخالق الذى خلق السموات
والارض لمنافع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لان من يقدر
على ذلك هو الذى يرجى نفعه ويخاف ضره فيرجع حاصل هذه
الطريقة الى الطريقين المتقدمين احدهما كون السموات
والارض مخلوقة محدثة كما قال تعالى لا احب الافلين والثانى
قبح عبادة الاصنام كما قال تعالى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغنى عنك شيا فهذه الطريقة مشتملة على تينك الطريقين
قال صاحب الكشاف الضمير فى فطرهن للسموات والارض
او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل فى الاحتجاج اما قوله وانا
على ذلكم من الشاهدين ففيه وجهان احدهما ان المقصود
منه المبالغة فى التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ
فى مدح انسان اشهد انه كريم او ذميم والثانى ان قوله
وانا على ذلكم من الشاهدين معناه انى قادر على اثبات
ما ادعيته بالحجة وانى لست مثلكم فى ادعا ما لا اقدر على
اثباته بالحجة وذلك انكم ما زدتم على اثبات مذهبكم الا على
قولكم انا وجدنا آبانا لها عابدين واما الطريقة الفعلية
فهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين
واعلم ان القوم بغاية حماقتهم لما لم ينتفعوا بالدلايل القولية
عدل ابرهيم الى الفعل وفى كيفية القصة وجهان الاول
قال السدى كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام
فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال
آزر لابرهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض
الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما مضوا

وبقى الضعفا من الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم
واحتج هذا القائل بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم
قال الكلبى كان ابرهيم عليه السلام من اهل بيت ينظرون
فى النجوم وكانوا اذا اخرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا
فلما هم ابرهيم بالذى هم به من كسر الاصنام نظر قبل
يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه ارانى اشتكى رحلى
غدا فذلك قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم
واصبح من الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم
ولم يتخلف احد غيره وقال تالله لاكيدن اصنامكم وسمع
رجل منهم هذا القول فحفظه عليه ثم ان ذلك الواحد
اخبر غيره وانتشر ذلك الخبر فى جماعة فلذلك قال تعالى
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم واعلم ان كلا
الوجهين ممكن وتمام القصة ان ابرهيم عليه السلام
لما دخل بيت الاصنام وجد سبعين صنما مصفوفة ثم
وصنم كبير مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عنقه
جوهرة تضيان بالليل فكسر الكل بفاس فى يده حتى لم يبق الا
الاكبر ثم علق الفاس فى عنقه اما قوله تعالى فجعلهم
جذاذا الا كبيرا لهم فاعلم ان الجذاذ القطاع من الجذ وهو
القطع وفيه سوالات الاول لم قال فجعلهم جذاذا وهذا
الجمع لا يليق الا بالعقلا والجواب من حيث اعتقدوا
فيها انها كالناس وفى انها تعظم ويتقرب اليها ولعله
كان فيهم من يظن انها تضر وتنفع السوال الثانى ما معنى
قوله الا كبيرا لهم قلنا يحتمل الكبير فى الخلقة والتعظيم
فى الامرين جميعا واما قوله لعلهم اليه يرجعون
فيحتمل رجوعهم الى ابرهيم ويحتمل رجوعهم الى الكبير
اما الاول فتقريره من وجهين الاول ان يكون لعلهم
يرجعون الى الدين الحق وهو الاقرار بالتوحيد ويعدلون

عن الباطل وعبادة الاوثان والثانى كانه غلب فى ظنه انهم
لا يرجعون اليهم لما انه ظهر فيهم انه هو الذى يكرد بينهم
الهتهم اما الثانى وهو قولنا الضمير يرجع الى الكبير ففيه
وجهان الاول لعلهم اليه يرجعون كما يرجعون الى العالم
الكبير فى حل المشكلات فيقولون لذلك الكبير كيف كبير
هولا وبقيت انت صحيحا وكيف علق الفاس فى رقبتك
وهنا قول الكلبى وهو بنا على شدة حماقتهم فلعلهم كانوا
يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم الثانى انه عليه السلام
انما قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون البتة استهزا بهم
وان قياس حال من سجد له ويعتقد ان يرجع اليه فى حل
المشكلات اما قوله تعالى من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
اى من فعل هذا الكبير والحطم الشديد هذا الظلم معدود
فى المظلمة اما الحد انه عن الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام
واما لانهم راوا فرطا فى كبيرها وتماديا فى الاستهانة بها اما
قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم والمعنى انهم
كانوا من قبل قد عرفوا منه وسمعوا ما يقوله فى الهتهم فغلب
على قلبهم انه الفاعل ولو لم يكن الا قوله ما هذه التماثيل لكفى
واعلم انه لا بد هاهنا من الكلام فى الفتوة فقال ان ابرهيم
عليه السلام وصف بالفتوة لانه استعمل الفتوة فى كل
الاشيا اعطى البدن للنيران والمال للضيفان والولد للقربان
ويحكى ان جبريل عليه السلام جا فوقف فى وسط غنمه
وكان له اغنام كثيرة حتى قيل انه كان عدد كلابه اثنى عشر الف كلب
كل كلب مطوق بطوق وقلادة من ذهب فقال جبريل سبوح
قدوس رب الملائكة والروح فنظر ابرهيم عليه السلام
يمنة ويسرة فلم يره احد فقال ايها العبد الذى يذكر الله لك
ثلث غنمى فاذكره ثانيا فذكره ثانيا فاعطاه الثلث الثانى
فذكره ثالثا فاعطاه الثلث الباقى فذكره رابعا فوهبه

مطلب فى حكاية جبرئيل

الف صح

الكلاب مع ما فى اعناقها من الطوق فذهب خامسا
فوهب منه العبيد الذى كانوا يحفظون الاغنام
فذكر سادسا فقال ما بقى لى ملك فاستعبد ربى فاوحى
الله تعالى الى جبريل كم تعدت خليلى فظهر عند ذلك جبريل
نفسه وقال حق لك ان تكون لله خليلا وهذه الاغنام
والعبيد كلها مردودة عليك انا جبريل لا احتاج الى
شى منها فقال يا جبريل يأكل من مر عليه وقال بعض الحكما
راس الفتوة قول لا اله الا الله الا ترى الى قصة اصحاب الكهف
قال تعالى انهم فتية امنوا بربهم سماهم فتية لانهم امنوا
بربهم فلما كان ابرهيم عليه السلام دعا العالمين الى الله
تعالى كان باسم الفتوة اولى اجتمع ابو حفص الحداد مع
الجنيد لى ببغداد فساله عن الفتوة فقال ابو حفص
اذكروا انتم فانكم اصحاب اللسان والعبارة فقال الجنيد
الفتوة اسقاط الروية وترك التشبيه بالفتيان فقال
ابو حفص ما احسن ما قلت لكن الفتوة عندى اذا الانصاف
وترك المطالبة بالانتصاف فقال الجنيد قوموا با صحابنا
فقد زاد ابو حفص على ادم وذريته وسال ابو حفص
واحدا من العبارين بنيسابور عن الفتوة فقال يا ابا حفص
تسالنا عن فتوتنا ام عن فتوتكم فقال ابو حفص اجب عن
الفعل فقال اما فتوتنا معشر الشطار فكل ما يقولون
باللسان وفينا به واما فتوتكم معشر العارفين فما تقولون
بالسر مع الله تقولون به فقال ابو حفص لو سالت عنه
لما كتب اهدى اليه وقال فضيل بن عياض سيد الفتيان
يوسف الصديق عليه السلام وذلك لانه يحمل المحن
العظيم من اخوته ثم لما قدر عليهم ما قابلهم البتة فقال
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ان لا توخذ ولا تدخر
ولا تعتذر وقيل ان لا تخاصم فى الاخرة احدا ولا يخاصمك احد

وقيل

وقيل الفتوة بذل المجهود والرضى بالموجود وترك طلب
المفقود وحفظ العهود الى الموعود والقيام بخدمة المعبود
اعلم انه تعالى سمى فى القران بالفتى خمسة اشخاص سمى ابرهيم
عليه السلام فى هذه الاية بالفتى وسمى يوسف عليه
السلام به تراود فتيها وحزنه يوسف وقال لفتيانه اجعلوا
ويوشع عليه السلام واذ قال موسى لفتيه واصحاب
الكهف اذ اوى الفتية الى الكهف وانما سمى ابرهيم عليه
السلام بالفتى لانه كان وافيا بعهود الله تعالى قال تعالى
وابرهيم الذى وفى وسمى يوسف بالفتى لانه كان حافظا
لعهد عزيز مصر وهو قوله تعالى قال معاذ الله انه ربى احسن
مثواى وسمى خزنة يوسف فتيانا لانه الخازن يكون امينا
حافظا للمال وسمى يوشع فتى لانه كان حافظا لاسرار موسى
عليه السلام قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة وسمى اصحاب
الكهف فتيانا لانهم كانوا يبغضون اعدا الله لن ندعو من دونه
الها ويحبون الله فقالوا ربنا رب السموات والارض وروى
فى الاخبار ان واحدا جا الى النبى صلى الله عليه وسلم وساله
حاجته فقال النبى لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه احسن
اليه فذهب على رضى الله عنه وجا ومعه دينار وخمسة
دراهم ورغيف تام ونصف رغيف فساله النبى
صلى الله عليه وسلم عن كيفية الواقعة فقال ان هذا
السائل لما سال وقع فى قلبى انى اعطيه دينارا ثم قلت
يكفيه خمسة دراهم ثم قلت يكفيه رغيف واحد ثم
قلت يكفيه نصف رغيف ثم طردت الوسوسة عن
قلبى وجئت بكل هذه الاشيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا فتى الا على واعلم ان الفتوة على اقسام احدها الفتوة
باليد يروى ان عليا رضى الله عنه كان يحارب كافرا فقال
له الكافر اعطنى سيفك فدفع على سيفه اليه فقال له

ذلك الكافر مجنون انت لم دفعت سلاحك الى وانى
خصمك واطلب قتلك فقال سالت وقبح بالفتى ان يرد
السوال فانا استعملت الفتوة معك فان قتلتنى كان ترك
الفتوة منك وثانيها الفتوة بالعين وكماله لمحمد صلى الله
عليه وسلم كما قال ما زاغ البصر وما طغى ويروى ان رجلا
تزوج بامراة وقبل الدخول بها ظهر بالمراة جدرى فقال
الرجل ظهر فى عينى نوع ضعف وظلمة ثم قال عميت فزفت
اليه المراة ثم ان المراة ماتت بعد عشرين سنة ففتح
الرجل عينيه فقيل لك فى ذلك فقال ما عميت ولكن
تعاميت حذرا ان تحزن المراة فقيل له سبقت الفتيان
وثالثها الفتوة بالمال يحكى ان واحدا من الحاج نام بالمدينة
فتوهم ان هميانه سرق فخرج فراى جعفر الصادق فتعلق
به وقال اخذت هميانى فقال له كم كان فقال الف دينار
فادخله داره واعطاه الف دينار فرجع الرجل الى داره
فراى هميانه فى بيته فاستحى فخرج الى الصادق معتذرا
اليه ورد عليه الدنانير فابى ان يقبلها وقال شى اخرجته
من يدى لا استرده فقال الرجل من هذا فقال جعفر
الصادق وحكى عن الشبلى انه قال خطر ببالى انى بخيل
ولئيم فقلت اجرب نفسى فنويته ان كلما اخذه فى هذا
اليوم اهبه لاى شخص اراه اولا ثم جاء خادم فى الحال من
دار الخلافة ووضع عندى صرة فيها خمسون دينارا ؛
واخذتها وخرجت من الدنيا رايت حجاما يحلق راس اعمى
فدفعتها للاعمى فقال الاعمى ادفعها الى هذا الحجام فقلت
انها ذهب فقال الاعمى ما هذا البخل ثم اخذها ودفعها
الى الحجام فقال الحجام انا نويت ان احلق هذا الفقير لله
ولا اخذ الذهب والحاصل ان ذلك الذهب ما قبله
الاعمى ولا الحجام ورابعها الفتوه باليقين كما يقال

ان

ان واحدا من الشيطان ذهب اليه واحد من غلمان الملك
مختفيا فطلبه السلطان منه فانكره فضربه الف سوط
فما سلمه فاتفق انه احتلم تلك الليلة وكان البرد شديدا ؛
فلما اصبح اغتسل بالما البارد فقيل له خاطرت بروحك
فقال استحييت من الله ان اصبر على ضرب الف سوط لاجل
مخلوق ولا اصبر على مقاساة الما البارد لاجل امر الله
وخامسها الفتوة بالهمة كما قيل لبعض الزهاد لو ان الله
اعطاك الدنيا بكليتها ماذا تفعل فقال اجعلها كلها
لقمة واضعها فى فم مجوسى حتى يصل العدو الى العدو ويبقى
الحبيب للحبيب وقال بعضهم ان الله تعالى سمى ثلاث فرق
رجالا احدها الذين لا تمنعهم الدنيا عن خدمة المولى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والثانى يتطهرون
عن النجاسات رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين
والثالث رجال يطنوا فى مقام العبودية رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم نقول بالفارسية جوان مردان بودكه
بودكى بجوانى بمرد شود بمعنى اين سه خصلت اوراعادت
شود دلراز مشغول بودن بغير خداى دوردارو خامه
ذكراز لوث دنيا دوردارد وسرخودرا برنيت بندكى
اراسته دارد وقيل سال شقيق البلخى جعفر بن محمد
الصادق عن الفتوة فقال ما تقول انت يا شقيق يا بن
رسول الله فقال ان اعطانا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال جعفر
الكلاب عندنا بالمدينه كذلك تفعل فقال شقيق يا بن
رسول الله ما الفتوة فقال ان اعطينا اثرنا وان منعنا
صبرنا فقوله تعالى فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
وفى قولهم وفى قولهم لعلهم يشهدون وجهان احدهما
انهم تركوا ان ياخذوه بغير بينة فارادوا ان يجيئوا به على
اعين الناس لعلهم يشهدون عليه بما قاله فيكون ذلك

زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله قوله تعالى ءانت
فعلت هذا واعلم ان فى الكلام حذفا وهو فاتوا فقالوا
له ءانت فعلت طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا
على ايذائه فظهر منه ما يقلب الامر عليهم حتى تمنوا الخلاص
منه فقال بل فعله كبيرهم هذا وغرضه منه اظهار
جهلهم فى عبادة الاوثان فان قيل قوله بل فعله
كبيرهم كذب والجواب للناس فيه قولان الاول
انه ليس بكذب وهو قول جمهور المحققين وذكروا فى
الاعتذار عن ذلك وجوها الاول ان قصد ابرهيم
ما كان ان ينسب ذلك الفعل الى الصنم وانما قصد
تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريض وهذا
كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
وانت مشهور بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك
امى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة
فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره
لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى او
للمخرمش لان اثباته للامرين الدائر بينكما للعاجز منكما الاستهزاء
به واثبات للقادر والثانى ان ابرهيم عليه السلام
غاضته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة
وكان غيظه من كبيرها اشد لان تعظيم القوم له كان اكثر
فاسند الفعل اليه لانه هو السبب فى اقدامه على كسرها
والفعل كما يسند الى مباشره فقد يسند ايضا الى الحامل
عليه والثالث ان يكون ذلك حكاية لما يلزم على مذهبهم
كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعل كبيرهم فان من حق من يعبد
ويدعى الها ان يقدر على هذا وعلى اشد من هذا الرابع انه
كناية عن غير مذكور اى فعله من فعله وكبيرهم ابتدا الكلام
وعن الكسائى انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدى

كبيرهم



كبيرهم هذا **الخامس** يجوز ان يكون فيه وقفا عند قوله كبيرهم
ثم يبتدى فيقول هذا فسلوهم والمعنى بل فعله وعنى نفسه
لان الانسان اكبر من كل صنم **السادس** ان يكون فى الكلام
تقديم وتاخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم ان
كانوا ينطقون فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا
بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع كونهم فاعلين
قرا محمد بن السميقع فعله كبيرهم يعنى فعله الى محل الفاعل كبيرهم
والقول الثانى وهو قول طائفة من اهل الحكاية ان ذلك كذب
واحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب
ابرهيم الا ثلاث كذبات كلها فى ذات الله قوله انى سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى وفى خبر احوال
اهل الموقف اذا سالوا ابرهيم الشفاعة قال انى كذبت
ثلاث كذبات وهذا القول باطل اما الخبر الذى رواه فلان
يضاف الكذب الى كونه اولى من ان يضاف الى الانبياء صلوات
الله عليهم والدليل القاطع عليه انه لو جاز الكذب على الانبياء
لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه فليجوز هذا الاحتمال فى كل ما اخبروا
عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ثم ان ذلك الخبر لو صح
فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام ان فى المعاريض
لمندوحة عن الكذب واما قوله انى سقيم فلعل كان به سقم
او يكون ذلك محمولا على انه سيصير كذلك كقوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون اما قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون ففيه وجوه الاول ان ابرهيم
عليه السلام نبههم على قبح طريقتهم تنبهوا فعلموا
ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على جهل وغرور الثانى قال
مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انكم انتم الظالمون
لابرهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس فى رقبة
الصنم الكبير الثالث انتم الظالمون لانفسكم حيث

يسالوه عن هذا السوال حتى انه اخذ يستهزى بكم فى الجواب
اما قوله تعالى ثم نكسوا على روسهم لقد علمت ما هولا ينطقون
فقال صاحب الكشاف نكسته قلبته فجعلت اسفله
اعلاه وفى المعنى وجوه الاول انهم لما تفكروا وعلموا انهم
هم الجاهلون والظالمون ثم نكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة
فاخذوها فى المجادلة بالباطل وتقريره ان هذه الاصنام مع
غير ناطقة فهى الهة معبودة والثانى انهم انقلبوا على روسهم
حقيقة لفرط اطراقهم من الخجالة والانكسار من كلام ابرهيم
والثالث قال ابن جرير ثم نكسوا على روسهم معناه احتجوا
على ابرهيم بما فى الحقيقة حجة عليهم فقالوا لقد علمت
ما هولا ينطقون فاقروا بهذا الكلام للحيرة التى لحقتهم
والمعنى نكس حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن
حجتهم اما قوله تعالى افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا
تعقلون فالمعنى ظاهر والكلام الذى ذكره ابرهيم
عليه السلام لابيه وقد سبق شرحه ثم يحتمل انه قال
لهم ذلك وقد عرفوا صحة قوله ويحتمل انه قال لهم ذلك
وقد ظهرت الحجة وان لم يعقلوا وهذا هو الاقرب
لقوله تعالى افتعبدون ولقوله افلا تعقلون وقوله
قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين واعلم انه
ليس فى القران من القائل هذا القول والمشهور انه نمرود
ابن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح
وقيل ان الذى قال حرقوه هو رجل اسمه هيون فخسف
الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة واما كيفية
القصة فقال مقاتل لما عزم القوم على احراقه حبسوه
وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك هو قوله تعالى قالوا ابنوا له
بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان

المراة

المراة لو مرضت قالت ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابرهيم
ثم نقلوا له الحطب على الدواب اربعين يوما فلما اشتعلت
النار واشتدت وصارت بحيث لو مر الطير فى اقصى الهوى
لاحترق ثم اخذوا ابرهيم ورفعوه على راس البنيان وقيدوه
ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت
السما والارض ومن فيهما من الملايكة الا الثقلين صيحة واحدة
يا ربنا ليس فى ارضك احد يعبدك غير ابرهيم وانه يحرق
فيك فاذن لنا فى نصرته فقال سبحانه وتعالى ان استغاث بكم
فاغيثوه وان لم يستغث الا بى فانا وليه وكافيه فلما ارادوا
القاه فى النار اتاه خازن الرياح فقال ان شيت طيرت النار
فى الهوى وجا ملك البحار وقال ان شيت سلطت البحار على هذه
النار وجا ملك السحاب فقال ابرهيم عليه السلام لا حاجة
لى اليكم فلما وضع فى المنجنيق ورمى به قال لا اله الا انت سبحانك
رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فجا جبريل
عليه السلام وقال يا ابرهيم هل من حاجة قال اما اليك
فلا قال فاسال ربك قال حسبى من سوالى علمه بحالى فقال تعالى
يا نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم قال ابن عباس لو لم يتبع بردها
بسلام لمات ابرهيم من بردها قال ولم يبق يوميذ فى الدنيا
نار الا وطفت واخذت الملايكة بضبعى ابرهيم واقعدوه
فى الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ولم تحرق النار منه
الا وثاقه وبعث الله اليه ملك الظل فقعد على جنبه يونسه
واتاه جبريل بقميص من حرير من الجنة وقال يا ابرهيم ان ربك
يقول لك اما علمت ان النار لا تضر احبائى ويقال انه عليه
السلام بقى فى تلك النار اربعين يوما او اكثر ثم ان نمرود
نظر من صرح له واشرف على ابرهيم عليه السلام فراه
جالسا فى روضة وراى ملكا قاعدا الى جنبه فناداه نمرود
يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم

فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها فلما خرج منها قال له
نمرود من الرجل الذي رايته معك قال ذلك ملك الظل
ارسله ربي ليونسني فيها فقال نمرود اني متقرب الى الهك
بالقرابين لما رايت من قدرته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة
الف بقرة فقال ابرهيم عليه السلام لا تقبل الله منك
ما دمت على دينك فقال يا ابرهيم لا استطيع ترك ملكي
ولكني اذبح له ثم كف عن ابرهيم عليه السلام ثم ههنا
لطايف اللطيفة الاولى حصل هناك ناران نار الدنيا ونار
حب المولى فظنوا ان نار الدنيا تحرقه لكن نار محبة المولى اقوى
فهذه النار ابطلت نار نمرود هكذا يكون يوم القيمة فان
جميع الخلق يدخلون جهنم كما قال تعالى وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا فيجتمع هناك نار جهنم ونار حب
المولى ثم ان نار المحبة تبطل نار جهنم وتدفعها كما قال تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال عليه السلام
حاكيا الثانية ان ابرهيم عليه السلام قال في الظاهر
الشمس والقمر هذا ربي فالقاه الله تعالى في النار ثم لما
كان ذلك القول صورة بلا معنى لاجرم صير الله تعالى
هذه النار صورة بلا معنى وذلك تنبيه على ان كل من
قال هذا القول فانه لا يتخلص عن النار الثالثة الملائكة
قالت ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فصاروا معجبين
تسبيحهم فالقى الله تعالى خليله في النار حتى يسبح الخليل
من وسط النار يقول حسبي الله ونعم الوكيل فقال الحق انتم
تسبحون في وسط الرحمة والراحة وهو يسبح في وسط
النار ليظهر حكمة قوله اني اعلم ما لا تعلمون الرابعة ان
ابرهيم عليه السلام كان ابدا يخاف النار ويقول ابدا
اوه من النار ولذا قال تعالى ان ابرهيم لحليم اواه منيب
فقيض الله تعالى نمرود وقال انه اجج نارا عظيمة والقى

ابرهيم

ابرهيم فيها حتى جعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
لكي يعلم ابرهيم ان الخوف ليس من النار بل من خالق
النار الخامسة من كنت معه برحمتي جعلت النار له
كما في حق ابرهيم ومن كنت حرما عليه جعلت الماء له
نارا كما في حق فرعون اغرقوا فادخلوا نارا السادسة
ان ابرهيم عليه السلام لما ناظر في الملكوت قال
لا احب الافلين ثم ناظر مع الملك فقال فان الله ياتي
بالشمس من المشرق ثم ناظر مع ابيه فقال لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ثم ناظر مع القوم
فقال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن ثم
ناظر معهم بالمعاملة فكسر الاصنام وجعلها جذاذا ثم
لما القي في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فلما قال له جبريل
عليه السلام الك حاجة قال اما اليك فلا فلما قال له
سل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فلما انتهى الى
هذا الحد كانه خرج من طبع البشر بالكلية وصار ملكا مقربا
فالحق تعالى قال ان ابرهيم انسلخ عن طبيعة البشرية فيا نار
انت ايضا انسلخي من طبيعتك وكوني بردا وسلاما على
ابرهيم واحد بواحد السابعة لما القي ابرهيم عليه السلام
في النار ظن الخلايق كلهم ان النار تحرقه وظن ملك المطر
والرياح والسحاب ذلك فعرضوا انفسهم عليه فلم يلتفت
ابرهيم اليهم وكان قلبه مشغولا برحمة ربه فقال تعالى
علمي في الاشيا غير علمكم فانتم تنظرون الى ظاهر ابرهيم
ولا تعرفون باطنه وانا اعرف ظاهره وباطنه وانتم تنظرون
الى ظاهر النار فتظنون منها الاحراق والفساد وانا اعلم
ظاهرها وباطنها والان قد انكشف لكم انكم لا تعلمون ناظر
ابرهيم لانه لم يلتفت الى احد منكم وجب الحاجة وما كشف
لكم انكم لا تعرفون ناظر النار يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم

حتى تعلموا ايها الملائكة انه لا عبرة بظواهر الاشيا وان
حقايقها لا يعرفها احد غيري فحينئذ يظهر لكم صدق
قولي اني اعلم ما لا تعلمون فكذلك كنتم وانتم من ظواهر بني
ادم الشهوة والفساد والقتل وكيف ارى من بواطنهم
العلم والحكمة والعبودية والثامنة كان الحق سبحانه قادرا
على ان يمنع نمرود عن ذلك العمل من اول الامر لكنه تعالى اراد
ان يظهر للملائكة انقطاع ابرهيم الى الله واعراضه
عن كل الوسائط والاسباب لان ابرهيم ادعى هذه البراءة
بقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين وفي قوله لا احب الافلين
وفي قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وفي
قوله محياي ومماتي لله رب العالمين وفي قوله اسلمت لرب
العالمين وكل هذه الاقوال تدل على انه ابلغ من مقام الرضى
بقضاء الله الغاية القصوى وكان الحق عالما بصدقه في هذه
الدعاوى فلم يمنع نمرود من عمله ليظهر للملائكة صدق ابرهيم
في هذه الدعاوى وتبين للخلق انه غني عما سوى الله ولم يبق
له حيوة ولا قوة الا بالتوجه الى حضرة الله التاسعة قال
بعضهم نار الدنيا احقر من ان يخاطبه الله تعالى لكنه خاطب
مع نار المحبة ونار المعرفة فقال كوني بردا وسلاما على ابرهيم
والغرض ان لا يفنى ابرهيم بالكلية في نار المعرفة والمحبة
العاشرة بقي ها هنا سوالان السوال الاول ان ابرهيم
لم يخف من النار وموسى خاف من العصا حين صارت
حية لقوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى والجواب
لان انقلاب العصا حية فعل الخالق ونار نمرود فعل
المخلوق والرسول المعصوم يخاف الله ولا يخاف غير الله
والسوال الثاني لم يحصل لمحمد صلى الله عليه وسلم مثل
هذه الواقعة والجواب بل وقعت قال تعالى الذين قال
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا

وقالوا

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
كما انقلب الخليل بنعمة من الله وفضل واعلم ان هذه الكلمة وهي
قوله حسبي الله ونعم الوكيل تفيد النجاة من الهموم والغموم
وعن عبد الله بن طلحة الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال عند همه او غمه عشر مرات حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
اذهب الله همه وغمه ومن سلم على   مرات فكانما اعتق رقبة
وكان لفتح الموصلي اربعماية درهم عند صديق له يتجر فيه فارسل
الى الصديق ان احمل الي المال فقال وهل ظهرت مني خيانة
فقال لا ولكن احملها الي فحملها اليه فتصدق بها على المساكين
ثم جلس فرحا وحيدا وقال لا احب ان يكون اعتمادي على شي
غير الله حسبي الله ونعم الوكيل ولما قرب وفاة ابي زيد قال
لاصحابه اتى علي ثمانين سنة اشتهي ان اقول مرة حسبي الله
لم اقدر عليه فقالوا ما كنا نظن انه يمر بك ساعة الا ولسانك
رطب من ذكر الله فقال لم اقل ذلك لاني لو قلت حسبي الله
ثم ملت الى الدنيا والاخرة يقول الله تعالى كذبت يا ابا زيد
لو كنت انا حسبك لما اشتغلت بغيري وقوله تعالى
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ففيه مسايل
المسئلة الاولى قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير قوله قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم المراد ان الله تعالى
جعل النار بردا وسلاما لان خطاب الجماد لا يجوز لان
هنالك كلام كقوله كن فيكون اي تكونه لان هنالك امر وكلام
والاكثرون على انه حصل القول ثم هؤلاء لهم قولان احدهما
وهو قول السدي ان القائل هو جبريل عليه السلام والثاني
وهو قول الاكثرين القائل هو الله تعالى وهذا هو اللايق
بالظاهر المسئلة الثانية ذكروا في كيفية برد النار وجوها
الاول ان الله تعالى ازال عنها ما كان فيها من الحر والاحراق

وابقى ما فيهما من الاضاءة والاشراق والله على كل شى قدير
والثانى انه تعالى خلق فى جسم ابرهيم عليه السلام كيفية
مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بجزنة جهنم فى الاخرة
والثالث انه تعالى خلق بينه وبين النار حايلا يمنع من وصول
اثر النار اليه وقال المحققون والاول اولى لانه ظاهر قوله
يا نار كونى بردا اى نفس النار صارت باردة حتى سلم عليه السلام
من تاثيرها ان النار بقيت كما كانت واعلم ان كثيرا من الجهال الاطبا
والطبيعيين ينكرون هذه الحالة ويقولون من المستحيل
زوال صفة الاحراق عن جرم النار وهذا قول باطل ويدل
عليه وجوه الحجة الاولى ان الاجسام متماثلة فكما ان جسم
الما يقبل البرد والرطوبة فكذا جسم النار موصوف بالحر واليبس
فكذا جرم الماء قابل لهما واذا كان الامر كذلك ثبت انه يمكن انقلاب
نارا وانقلاب النار ما فثبت ان هذا فى نفسه ممكن الوجود
وثبت ان العالم صانعا قادرا على جميع الممكنات فوجب القطع
بكونه تعالى قادرا بتبريد الما الحجة الثانية انا نشاهد شعلة
النار اذا تصاعدت انطفت ولا معنى لذلك الا انطفا الا
ان الجرم اللطيف الهوائى حين كان موصوفا بالاشراق والاحراق
كنا نشاهدها فاذا تصاعدت زال عنها صفة الاشراق والاحراق
فصار هوا واذا كان الامر كذلك علمنا ان الجرم الموصوف
بالاشراق والاحراق لا يبعد فى العقل زوال هاتين الصفتين
عنه فثبت ان انقلاب جرم النار الى البرد امر جايز ممكن الوجود
الحجة الثالثة انا اذا سددنا منفذ الكير والححنا عليه بالنفخ
فانه يشتعل النار فيه وما ذلك الا ان الهوى المحتقن داخل الكير
يتسخن بسبب الحاح النفخ فيه فاذا قوى التسخن استعل نارا
فعلمنا ان الهوا يمكن ان ينقلب نارا واذا انقلب الهوا نارا امكن
ايضا انقلاب النار هواء باردا الحجة الرابعة ان اهل الطبايع
يقولون الحيوانات والنباتات انما تتولد من امتزاج الطبايع

الحجة الاولى

الاربع طبايع واذا كان كذلك لزمهم الاعتراف بان جرم
النار موجود فى الوان النبات والحيوان وما ذاك الا ان
جرم النار انكسرت حرارته وحصلت فيه حرارة معتدلة
لايقة بابدان الحيوانات والنباتات واذا كان الامر كذلك
ثبت ان حرارة النار مع بقايها نارا قابلة للانكسار واذا كان
الامر كذلك ثبت ان انقلاب النار بردا وسلاما امر ممكن الوقوع
فى نفسه الحجة الخامسة ان عند الاطبا القوة الجاذبة والقوة
الهاضمة انما يقوى على افعالها بمشاركة الحرارة الغريزية عبارة
عن الجوهر النارى الذى صار جزا من بدن الحيوان ومن المعلوم
ان هذه الحرارة الغريزية غير محرقة فعلمنا ان قولهم النار تقبل
الانكسار فى البحر الحجة السادسة انا نشاهد ان النعامة تبلع
الحديدة المحماة وان السمندل يعيش فى النار ولا يحترق بها
البتة واذا كان هذا ممكنا فى الحيوان الخسيس فاى عاقل يستبعد
ذلك من قدرة الله تعالى فى حق الرسول عليه السلام الحجة
السابعة انا نرى ان النار مستولية على جميع احراق الاحجار كلها
والاجساد الاحجرا واحدا وهو سلطان الاحجار كلها وهو
اليا قوت وجسدا واحدا هو سلطان الاجساد وهو الذهب
والسبب فى انه لا ولاية للنار على هذا الحجر وهذا الجسد هو ان
الحجر والجسد من الاشيا المنسوبة الى الشمس فاذا حصل
فى الاحجار والاجساد حجر وجسد لا ولاية للنار بسبب
انتسابها الى الشمس فكيف يستبعد ان يحصل فى النوع
البشرى شخص لا يكون للنار ولاية عليه بسبب مزيد
اختصاص له بحضرة خالق الشمس والقمر وبالجملة فكل
من حضر اسرار قدرة الله تعالى وحكمته على مقدار ما الفه
وشاهده كان عن المعقول خارجا وفى تيه الجهل والجا اما قوله
وسلاما على ابرهيم فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كما ان
الحر كذلك بل لابد فى الكل من الاعتدال ثم الى ان يحصل الاعتدال

فى الكيفيات طرق احدها ان يقدر الله حرها وبردها
بالمقدار الذى لا يوذى ولا يفسد والثانى ان يحصل بعض
اجزا النار بردا وبعضها يتركه على حرارته فحينئذ يسلم من
ذلك البرد الشديد بل ينتفع به ثم ها هنا سوالات الاول
هل كل النيران فى ذلك الوقت بهذه الصفة والجواب المذكور
فى القران اسم الماهية فيلزم حصول هذا البرد فى الماهية
ويلزم منه عمومه فى كل افراد الماهية وقيل بل اختص هذا
الخطاب بتلك النار والمعجز على هذا التقدير اعظم لان
اختصاص تلك النار المعينة بهذه الحالة تدل على ان المقصود
رعاية حال ابرهيم عليه السلام السوال الثانى هل يجوز ما روى
من انه تعالى لو لم يقل سلاما لهلك ابرهيم من البرد والجواب هذا
بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل من جهة الله
تعالى فهو القادر على الحر والبرد السوال الثالث هل يجوز ان
يقال انه كان فى النار انعم عيشا منه ساير احواله الجواب
لا يمنع ذلك لما فيه من مزيد النعمة عليه ويجوز ايضا ان يقال
انه انما صار انعم عيشا هناك لعظم ما ناله من السرور بخلاصه
من ذلك الامر العظيم ولعظم سروره بسبب خيبة اعدايه
وظهور دلايل دين الله اما قوله تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين والمعنى ارادوا ان يغلبوه فصاروا مغلوبين غالبوه
بالجدال فلقنه الله الحجة المسكتة ثم عدلوا الى القوة فخلصه
الله من عذابهم قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها
للعالمين وفى الاخبار ان هذه الواقعة كانت فى حدود بابل
فنجاه الله من تلك البقعة الى الارض المباركة واختلفوا فيها
قيل انها مكة لقوله تعالى الى المسجد الاقصا الذى باركنا حوله
والسبب فى بركتها فى الدين لان اكثر الانبياء صلوات الله عليهم
بعثوا منه وانتشرت شرايعهم واثارهم الدينية منه واما
فى الدنيا فلانه تعالى بارك فيها بكثرة الما والشجر والثمر والخصب

وطيب

وطيب العيش وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا
واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتا الزكوة
وكانوا لنا عابدين اعلم انه تعالى بعد ان ذكر انعامه على ابرهيم
وعلى لوط عليهما السلام بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه
بذكر ساير النعم التى اختص ابرهيم عليه السلام بها وهو
قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة العطية
الخاصية وكذلك النفل وسمى الرجل الكثير العطا نوفلا
وللمفسرين ها هنا قولان الاول قال ابن عباس وابن كعب
ان ابرهيم عليه السلام لما سال الله ولدا وهو قوله رب
هب لى من الصالحين فاجاب الله دعاه ووهب له اسحق
واعطاه يعقوب من غير دعايه فكان ذلك نافلة كالشئ
المتطوع به من الادميين فكانه قال ووهبنا له اسحق
اجابة لدعائه ووهبنا له يعقوب نافلة على ما سال
كالصلاة النافلة التى هى زيادة على الفرض وعلى هذا
القول يكون النافلة هو يعقوب عليه السلام خاصة
والقول الثانى ان القول ها هنا مصدر من وهبنا وهو
مصدر من غير لفظ الفعل ولا فرق بين ذلك وبين قوله
ووهبنا له هبة اى وهبناهما له عطية وفضلا من غير
ان يكون جزا مستحقا وهذا الوجه اقرب لانه تعالى جمع بينهما
ثم ذكر قوله نافلة ولما صلح ان يكون وصفا لهما فهو اولى
والنعمة الثانية قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اى وكلا
من ابرهيم واسحق ويعقوب انبيا مرسلين وقال اخرون
عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه وهذا الوجه اقرب
لان لفظ الصلاح الكل ولانه تعالى قال بعد هذه الاية
واوحينا اليهم فعل الخيرات ولو حملنا الصلاح على النبوة
لزم التكرار واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان افعال العباد

مخلوقة لله تعالى لان قوله وكلا جعلنا صالحين يدل على ان
ذلك الصلاح من قبله واجاب الجبائي بانه لو كان كذلك
لما مدحهم على كونهم صالحين وعلى كونهم ائمة وعلى كونهم
عابدين ولما اثنى عليهم بسبب هذه الخصال ولما مدحهم
بسبب هذه الخصال علمنا انها افعالهم واذا ثبت ذلك
فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول ان يكون المراد انه
سبحانه اعطى لهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا لاجله
والثاني ان المراد ان الله تعالى سماهم بذلك كما في زيد انه فسق
فلانا وضلله وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصدقا عند
الناس وكما يقال في الحاكم انه زكى فلانا وعدله اذا حكم بذلك
واعلم ان هذه الوجوه مختلفة اما اعتمادهم على المدح
والذم فسيجي الجواب عنه ان شا الله تعالى واما الحمل على
اللطف فباطل لان فعل الالطاف عام في حق المكلفين فلا
بد في هذا التخصيص من مزيد فائدة وايضا فلان قوله
جعلته صالحا كقوله جعلته متحركا فحمله على تحصيل شي
سوى الصلاح ترك الظاهر واما الحمل على التسمية فهو
مجاز اقصى ما في الباب انه قد يصار اليه عند الضرورة
في بعض المواضع وهاهنا لا ضرورة فيه وايضا انه
تعالى لما اخبر عنه كان وقوعه واجبا والا لزم انقلاب
خبره الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وذلك محال
والمفضي الى المحال محال النعمة الثالثة قوله تعالى وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وفيه قولان احدهما جعلناهم ائمة
يدعون الناس الى دين الله والطاعات بامرنا الثاني قوله
اني مسلم ان هذه الامامة هي النبوة واحتج اصحابنا بهذه
الاية على امرين احدهما في مسلة خلق الافعال على ما قدمنا
تقريره والثاني ان الدعوة الى الحق والمنع عن الباطل لا يجوز
الا بامر الله تعالى لانه لو لم يكن الامر معتبرا لما كان في قوله

بامرنا فائدة النعمة الرابعة قوله واوحينا اليهم فعل الخيرات
وهذا يدل على انه تعالى خصهم بشرف النبوة وذلك من
النعم على الاب ثم انه تعالى كما بين اصناف نعمته عليهم
بين بعد ذلك اشتغالهم بعبوديته فقال وكانوا لنا
عابدين كانه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية في الاحسان
والانعام فهم ايضا وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال
بالطاعة والعبودية والله اعلم واحكم بالصواب واليه
المرجع والماب الفصل الخامس في مناظرة اخرى لابرهيم
عليه السلام وفي تقرير التوحيد قال تعالى في سورة الشعرا
واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اعلم انه تعالى ذكر في
اول هذه السورة شدة حزن محمد صلى الله عليه وسلم على
كفر قومه وهو قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مومنين ثم انه تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف
محمد صلى الله عليه وسلم ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة
لموسى ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم ليعرف محمد صلى الله
عليه وسلم ان حزن ابرهيم بهذا السبب كان اشد من
حزنه لان من عظيم المحنة على ابرهيم عليه السلام ان
يرى اباه وقومه كانوا في النار وهو لا يتمكن من انقاذهم
فقال لهم ما تعبدون وكان ابرهيم عليه السلام يعلم انهم
عبدة الاوثان ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من
استحقاق العبادة في شي كما يقال للتاجر ما مالك وانت
تعلم ان ماله الرقيق ثم يقول الرقيق جمال وليس بمال ثم انهم
اجابوا ابرهيم بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
والعكوف الاقامة على الشي وانما قالوا نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل واعلم انهم كانوا يكفيهم
في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة

على الجواب فهى قولهم فنظل لها عاكفين وانما ذكروا هذه
الزيادة اظهارا للابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام
فقال ابرهيم عليه السلام منبها على فساد مذهبهم
هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وهذه
الحجة التى ذكرناها فى سورة مريم وشرحناها بالاستقصا
فعند هذا قال القوم بل وجدنا ابانا كذلك يفعلون فاجاب
ابرهيم عليه السلام بقوله افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون وكل ذلك قد تقدم تفسيره
فى الفصل الذى قبل هذا الفصل ثم قال فانهم عدو لى الا
رب العالمين فاعلم انه عليه السلام ما ذكر الاعدا الا بهذه
الكلمة الواحدة ثم مدح الحق بالفاظ كثيرة وفيه تنبيه
على ان الاشتغال بعيب الاعدا وهو مانع من الله فكان
تعليله اولى انما الاشتغال يجب ان يكون بالثنا على الله
وفيه اسئلة السؤال الاول كيف يكون الصنم عدوا وهو
جماد الجواب من وجوه الاول قال تعالى فى سورة مريم
فى صفة الاصنام كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا قيل فى تفسيره ان الله تعالى يحيى ما عبدوه
من الاصنام حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم
وعلى هذا الوجه ستصير هذه الاصنام اعداء لهؤلاء
الكفار فى الاخرة فاطلق ابرهيم عليه السلام لفظ
العداوة عليهم على هذا التاويل الوجه الثانى فى الجواب
ان الكفار لما عبدوها وعظموها فرجعوا اليها فى طلب
المنافع ودفع المضار تنزلت بمنزلة الاحيا العقلا
فى اعتقاد الكفار ثم انها صارت اسبابا لانقطاع
الانسان عن السعادة ووصوله الى الشقاوة فلما جرت
هذه الاصنام مجرى الحياة وجرت مجرى الدافع للمنفعة
والجالب للضرورة لاجرم جرت مجرى الاعدا والثالث

ان

ان المراد من قوله فانهم عدو لى العابدون دون الاصنام
التى هى المعبودة السوال الثانى لم قال فانهم عدو لى ولم يقل
فانها عدو لكم فالجواب انه عليه السلام صور المسئلة
فى نفسه على معنى انى فكرت فى امرى فرايت عبادتى لها
عبادة العدو فاجتنبتها فاراهم انها نصيحة نصح بها
نفسه فاذا تفكروا قالوا ان ابرهيم ما نصحنا الا بما نصح به
نفسه فيكون ذلك ادعى للقبول السوال الثالث لم لم
يقل فانهم عدو لى والجواب لفظ العدو والصديق يقع على
الواحد وعلى الجماعة قال تعالى وهم لكم عدو ثم قال ابرهيم
عليه السلام الذى خلقنى فهو يهدين واعلم انه تعالى لما حكى
عنه انه استثنى رب العالمين حكى عنه ما وصفه به مما
يستحق العبادة لاجله وهى اربعة انواع من الصفات
الصفة الاولى قوله الذى خلقنى فهو يهدين واعلم انه تعالى
اثنى على ذاته بهذين الوصفين فقال سبح اسم ربك الاعلى
الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى واعلم انا نفرض مثالا
واحدا ونحقق فيه معنى الخلق والهداية فنقول الانسان
مخلوق من قالب هو من عالم الخلق ومن قلب هو من عالم الامر
وتركيب البدن الذى هو من عالم الخلق مقدم على اتحاد الروح
الذى هو من عالم الامر على ما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحى فالتسوية اشارة الى تركيب المزاج وتعديل
الاشباح ونفخ الروح اشارة الى اللطيفة الربانية
النورانية وتمام هذا التقرير سيجى فى تفسير قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وبالجملة فالخلق
اشارة الى تعديل البدن والهداية الى ابداع القوى المدركة
المحركة فيه فثبت ان قوله خلقنى فهو يهدين كلمة حاوية
لجميع المنافع فى الدنيا وفى الدين ثم فيه دقيقة وهى انه قال
خلقنى فذكره بلفظ الماضى وقال فهو يهدين ذكره بلفظ المستقبل

والسبب فيه ان خلق الذات لا يتجدد ساعة فساعة
بل لما يحصل يبقى الى الامد المعلوم اما الهداية فهى امر يتكرر
فى كل حين واوان سوا كانت الهداية فى الدنيا او فى الدين
فبين انه هو الذى خلقه فى الماضى وانه هو الذى يهديه
فى المستقبل فى كل حين واوان الى وجوه المصالح بضروب
الهدايات الصفة الثانية قوله والذى هو يطعمنى
ويسقين وقد دخل فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق وذلك
لانه تعالى اذا خلق الطعام وملكه منه فلم يكن سنه
ما يتمكن معه من اكله والاغتدا به نحو الشهوة والقوة
والتمييز بما لم يكمل هذه المنفعة وذكر الطعام والشراب
ونبه على ما عداها وقال بعضهم يطعمنى طعام المعرفة
ويسقينى شراب المحبة وقيل الذى يطعمنى طعام المناجاة
ويسقينى شراب الوصول الى الدرجات وها هنا بحث
وهو انه روى الامام محمد بن على الحكيم الترمذى فى كتاب
نوادر الاصول عن عقبة بن عامر انه عليه السلام قال
لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم
واعلم ان المرض سبب لانقطاع عشق القلب على البدن
لتواتر الالام والاوجاع عليه وكلما كان العشق اقل
كان حب الدنيا اقل ومرض القلب ليس الا حب الدنيا
فعلى هذا كلما كان مرض البدن اتم كان عود القلب الى الصحة
اتم وكلما زاد القلب طهارة من اثار الذنوب سهم حب الدنيا كان
شبع القلب باغذية المعرفة ورى بشراب المحبة اتم ومما يدل
على ما قلنا ان اقل الناس اكلا الانبيا ثم الاوليا فكل ما كان
العبد اكثر حظا من اليقين كان اقل اكلا روى عن عامر بن عبد
القيس انه داوم شهرا لا ياكل شيا وقال ابرهيم التيمى لقد
اتى على شهر وما اكلت طعاما ولا شرابا الا حبة عنب
اكرهونى عليها وما انا بصايم وانى لاقضى حوايجى وقال

عليه السلام الكافر ياكل فى سبعة امعاء والمومن فى معاء
واحد والمومن ايمانه يشبعه فمعنى قوله عليه السلام
فان الله يطعمهم ويسقيهم انه يطهر قلوبهم من الذنوب
واذا طهر قلوبهم من عليهم بعد ذلك باليقين فاشبعهم واروا هم
واذا قوى القلب وابتهج بمعرفة ربه وصار فرحا نابخدمة
ربه وبالمثول فى طاعته وبمجالسة الملايكة المقربين
صار الجسد بحيث لا يحتاج الى الغذا الا ترى ان الانسان
اذا ناله فرح شديد صار بحيث ينسى الحاجة الى الطعام هذا
كله كلام الشيخ محمد بن على الترمذى ثم قال وللقلوب مع الله
شان لا يعرفه الا اهل القلوب الصفة الثالثة قوله واذا
مرضت فهو يشفين وقال الجنيد اذا مرضت لوحشة الخلق
شفانى بانس الحق وقال الشبلى اذا مرضت من هم الاشتياق
شفانى بلذة التلاق وفيه سوال وهو انه لما قال مرضت دون
امرضنى فالجواب من وجوه الاول ان المرض انما يحصل باستيلا
بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلا انما يحصل بسبب
ما بينها من التنافر الطبيعى اما الصحة فهى انما تحصل عند
بقا الاخلاط على اعتدالها وبقاؤها على اعتدالها انما يكون
بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها الى الصحة انما
يكون بسبب قاهر يقهرها على العود الى الاجتماع والاعتدال
بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى التفرق والتزاع فاذن
حدوث المرض انما كان بسبب طبايع الاخلاط وحدوث
الصحة انما كان بسبب ان الله سبحانه قهرها على الاجتماع
والاعتدال والثانى فهو ان الشفا من اعظم نعم الله على
الانسان والمرض ليس كذلك ومن عادة الله تعالى ان كل ما
كان منفعة ولذة فانه لا يضيفه الى نفسه وكلما كان المنافاته
لا يضيفه الى نفسه الا ترى انه قال كتب ربكم على نفسه
الرحمة وقال كتب فى قلوبهم الايمان ولما ال الامر الى المشقة

فما اضافها الى نفسه فقال كتب عليكم القصاص كتب عليكم
الصيام ولما كانت عادة الله جارية برعاية هذه الدقيقة
لاجرم ان ابرهيم عليه السلام اعتبر هذا المعنى فاضاف
المرض الى نفسه والشفا الى الله تعالى فان نقصته بقوله
والذى يميتنى ثم يحيين فاعلم ان الموت سبب لخلاص الروح
عن زحمة البدن والاتصال بحضرة الله تعالى ورحمته
فكيف يعد ذلك من المكاره ولهذا قال عليه السلام
من بشرنى بخروج صفر فقد بشرته بالجنة والسبب
انه عليه السلام كان عالما بان وفاته تقع فى شهر ربيع
الاول فكان شديد الاشتياق اليه اما المرض فانه
لا تتخلص الروح فيه عن البدن بل بقى فى الزحمة
والثالث ان غرض الخليل عليه السلام فى هذا المقام
اظهار لسان الشكر لا اظهار لسان الشكوى واضافة
المرض الى الله تعالى شكاية فاضاف المرض الى نفسه
والشفا الى الله ليكون ابلغ فى الشكر الصفة الرابعة
قوله والذى يميتنى ثم يحيين قد شرحنا فى تفسير قوله
الذى خلق الموت والحيوة وفى تفسير قوله كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم الصفة الخامسة قوله
والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وهو اشارة
الى ما هو المطلوب لكل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز
بالنجاة واعلم ان ابرهيم عليه السلام جمع فى هذه الالفاظ
جميع نعم الله من اول الخلق الى اخر الابد فى الدار الاخرة
وههنا سوالات السوال الاول لم قال اطمع والطمع
عبارة عن الرجا وانه عليه السلام كان قاطعا بذلك والجواب
من وجوه ثلثة الاول ان هذا الكلام لا يستقيم الا على
مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب لاحد على الله شى والثانى
لعله عليه السلام قال هذا الكلام قبل النبوة والثالث

غوضه

غرضة بموافقة كلام الله فى قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا فلما علق الله تعالى ذلك بالمشية وافقه الخليل
فعلقه بالطمع وهو من غاية حسن الادب السوال الثانى
لم اسند الخطيئة الى نفسه مع ان الانبيا منزهون عن
الخطايا والجواب لعله ذكر هذا الكلام قبل النبوة او هو
محمول على ترك الاولى السوال الثالث لم علق مغفرة الخطيئة
بيوم الدين وهو تعالى انما يغفر فى الدنيا فالجواب لان
اثر هذا الغفران انما يظهر يوم الدين السوال الرابع ما فايدة
لى فى قوله ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين والجواب من وجوه
ان الجود افادة ما ينبغى لا لعوض وهذا هو صفة الحق فقط
اما كل من سواه فله فيه غرض فان الاب اذا عفا عن ولده
والسيد اذا عفا عن عبده فذاك انما يكون لطلب الثواب
والخوف من العقاب او لطلب المدح والثنا او لدفع الرقة
الجنسية عن القلب واذا كان كذلك لم يكن المقصود من
العفو رعاية جانب المعفو عنه بل رعاية جانب النفس اما
لتحصيل ما ينبغى او لدفع ما لا ينبغى اما الحق تعالى فانه كامل
لذاته فيمتنع ان يحصل له صفة كمال لم يكن او يزول عنه صفة
نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا لرعاية جانب
المعفو عنه فقوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يعنى هو
الذى اذا غفر كان غفرانه لى ولاجلى لا لاجل امر عايد اليه البتة
والثانى كانه يقول خلقتنى لا لى ولا لاجلى لانك حين خلقتنى
ما كنت موجودا واذا لم اكن موجودا استحال تحصيل شى
لاجلى ثم مع هذا فانت قد خلقتنى اما لو عفوت كان ذلك العفو
لاجلى اولا مع انى كنت محتاجا الى ذلك الخلق ولان تعفو لى
ولاجلى مع انى فى نهاية الاحتياج الى العفو كان اليق بفضلك
ورحمتك الثالث ان ابرهيم عليه السلام كان لشدة
استغراقه فى بحر المعرفة شديد الفرار عن الالتفات الى الوسايط

ولذلك لما قال له جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا
فها هنا قال اطمع ان يغفر لى خطيئتى بمجرد انى عبدك
ومحتاج اليك وخاضع بين يديك لا ان يغفرها لى
بواسطة شفاعة شافع واعلم ان الاحوال ثلاثة اما الماضى
او الحاضر او المستقبل وقد ذكر الخليل عليه السلام
نعم الله تعالى عليه فى هذه الاحوال الثلاثة اما فى الماضى
فهو قوله الذى خلقنى فهو يهدين واما الحاضر فهو قوله
والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
واما فى المستقبل فهو اما فى الدنيا واما فى الاخرة اما فى
الدنيا فهو قوله والذى يميتنى ثم يحيين واما فى الاخرة فهو
قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فما احسن
هذا الترتيب وقوله تعالى رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين
اعلم ان كل ما مضى ثنا على الله تعالى وقوله رب هب لى حكما دعا
وتقديم الثنا على الدعا واجب بحكم النقل والعقل اما النقل
فكما فى هذه الاية وايضا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
عن رب العزة انه قال من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته
افضل ما اعطى السائلين واما العقل فهو ان الداعى اذا قدم
الثنا على الله واما العقل فهو ان الداعى اذا قدم الثنا على الله
تعالى استنار روحه بمعرفة الله واتصل قلبه بعالم
الالهية وسرادقات الصمدية ومقام الفردانية وارتفعت
الحجب وتلالات انوار الالهية فى القلب فيصير القلب
كالقمر اذا وقع فى مقابلة الشمس فيكمل نوره واذا كمل نوره
قوى تاثيره فاذا اتبعه بالدعا وصارت تلك القوة الحاصلة
بسبب الذكر والثنا معينا على تحصيل المطلوب فلهذا المعنى
وجب تقديم الثنا على الدعا كما فعله الخليل عليه السلام
فى هذا المقام فان قيل لم لم يقتصر ابرهيم عليه السلام على
الثنا فان الدعا اشتغال لطلب الحصة وهو مانع من الاستغراق

لا سيما روى عنه انه قال حسبى من سوالى علمه بحالى والجواب
انه فى هذا الكلام كان مشغولا بدعوة الخلق الى الحق بدليل انه
قال ها هنا فانهم عدو لى الا رب العالمين فلا جرم ذكر الثنا
اولا ثم الدعا ثانيا لاجل تعليم الخلق اما لما دعا لنفسه اقتصر
على الثنا وهو قوله حسبى من سوالى علمه بحالى واعلم ان ابرهيم
عليه السلام طلب من الله تعالى انواعا من المطالب المطلوب
الاول رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين ولقد اجابه
الله اليه حيث كان وانه فى الاخرة لمن الصالحين واعلم ان
النفس الانسانية لها قوتان قوة نظرية عاقلة وقوة
عملية فاعلة فالقوة النظرية عبارة عن القوة التى
باعتبارها يقبل الجلا بالقدسية عن عالم الغيب والقوة
العملية عبارة عن القوة التى باعتبارها يقوى على تدبير
هذا البدن وذلك لان كمال الانسان فى ان يعرف الحق
لذاته والخير لاجل العمل به فقوله هب لى حكما اشارة الى
سعادة القوة النظرية وقوله والحقنى بالصالحين اشارة
الى سعادة القوة العملية وانما قدم سعادة القوة النظرية
على سعادة القوة العملية لان القوة النظرية مقدمة على
القوة العملية بالشرف وبالذات والدليل على الوجوه
التى ذكرناها فى الفصل الاول من هذا الكتاب فى بيان ان
علم الاصول اشرف من علم الفروع وانما فسرنا معرفة
الاشيا بالحكم وذلك لان الانسان لا يعرف حقايق
الاشيا الا اذا استحضر فى ذهنه صورة الماهيات ثم
ينسب بعضها الى البعض بالنفى او بالاثبات فتلك
النسبة هى الحكم ثم ان كانت تلك النسبة الذهنية
مطابقة للنسبة الخارجية كانت النسبة الذهنية
ممتنعة التغير وكانت مستحكمة قوية فمثل هذا الادراك
يسمى حكمة وحكما وهو المراد من قوله عليه السلام ارنا

سطه

الاشيا كما هي واما الصلاح فهو كون القوة العملية متو
بين رذيلتين الافراط والتفريط وذلك لان الافراط في احد
الجانبين تفريط في الاخر وبالعكس فالصلاح لا يحصل
الا بالاعتدال الحقيقي ولما كان الاعتدال الحقيقي شيا واحدا
لا يقبل القسمة البتة والافكار البشرية في هذا قاصرة
عن ادراك ذلك الحد على سبيل الحقيقة لا جرم لا ينفك
البشر البتة من الخروج عن ذلك الحد وان قل الا ان خروج
المقربين عنه يكون في العلة بحيث يكون لا يحس وخروج
العصاة عنه يكون متفاحشا جدا فقد ظهر من هذا احتياج
كل احد الى ان يستعين بتوفيق الله في تحصيل هذا الصلاح
سوا كان نبيا او وليا فظهر بهذا من احتياج ابرهيم عليه
السلام الى ان يقول والحقني بالصالحين المطلوب الثاني
في هذا الدعا قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين
واعلم ان مراتب السعادات ثلاثة النفسانية والبدنية
والخارجية فالنفسانية قسمان كمال القوة النظرية وهو
المراد بقوله هب لي حكما وكمال القوة العملية وهو المراد
بقوله والحقني بالصالحين واما البدنية فقسمان وهو الصحة
والجمال واما الخارجية فقسمان المال والجاه والمال اشد
جسمانية لانه ملك الاعيان والجاه اشد روحانية لانه
ملك الارواح وان ابرهيم عليه السلام طلب السعادات
النفسانية بقسمها ولم يلتفت الى السعادات البدنية
وبقسمها لعلمه انها غير باقية واما السعادات الخارجية
فطلب قسما واحدا منها وهو الجاه والثنا الحسن وهو المراد
بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقد اعطاه الله
ذلك وهو قوله وتركنا عليه في الاخرين فان قيل فاي غرض له
في ان يمدح ويثنى عليه والجواب من وجهين الاول وهو على
لسان الحكمة ان الارواح البشرية قد بينا انها موثرة في الحكمة

الا ان بعضها قد يكون ضعيفا يعجز عن التاثير فاذا اجتمع
منها طايفة فربما قوي مجموعها على ما عجزت الاحاد عنه
وهذا المعنى مشاهد في الموثرات الجسمانية اذا ثبت
هذا فالانسان الواحد اذا كان بحيث يثني عليه الجمع
العظيم ويمدحونه فربما صار انصراف هممهم عند الاجتماع
اليه سببا لفيضان زيادة كمال عليه من عالم القدس
الثاني وهو ان عوام الخلق ربما كانوا غير مشتغلين لقبول
الانوار من عالم القدس فاذا اتصلت هذه الارواح بالارواح
القوية التي تكون للانبيا فاذا انجلت الانوار الالهية في تلك
الارواح القوية النبوية انعكس اثر من تلك الانوار الى
هذه الارواح الضعيفة المتعلقة بها بسبب شدة
المحبة فيحصل لهذه الارواح الضعيفة نوع من السعادة
لسبب تلك العلاقة والوجه الاول من الجواب جعلنا
ذلك الثنا والمدح سببا لحصول مزيد سعادة سببا
للممدوح وفي الوجه الثاني جعلنا ذلك المدح والثنا بحصول
مزيد سعادة للمادح الوجه الثالث وهو من كلام اهل
الظاهر ان من صار ممدوحا فيما بين الناس بسبب ما كان له
من الفضايل فانه يصير ذلك المدح داعيا للمادح الى
اكتساب مثل ذلك الفضايل والتاويل الثاني لقوله تعا
واجعل لي لسان صدق في الاخرين انه سال ربه ان يجعل
من ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الى الله وذلك
هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد من قوله واجعل لي لسان
صدق في الاخرين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والتاويل الثالث
قال بعضهم المراد اتفاق اهل الاديان على حبه ثم انه تعالى
اعطاه ذلك لانك لا ترى اهل دين الا ويحبون ابرهيم عليه
السلام المطلوب الثالث قوله واجعلني من ورثة جنة
النعيم واعلم انه لما وقع من طلب مراتب السعادات في الدنيا

والله اعلم

طلب بعد سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها
بما يورث وسنذكر السبب في انه تعالى سمى الجنة ميراثا
المطلوب الرابع قوله واغفر لابي انه كان من الضالين
والكلام فيه قد تقدم في الفصل الثالث في تفسير قوله
سلام عليك سأستغفر لك ربي والمطلوب الخامس
قوله ولا تخزني يوم يبعثون وفيه سؤالان الاول انه لما
قال اولا واجعلني من ورثة جنة النعيم امتنع الخزي لانه
متى حصلت الجنة فقد زال الخزي فكيف يخاف منه الرسول
المعصوم قلنا كما ان حسنات الابرار سيات المقربين
فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل احد بما
يليق به السوال الثاني قوله يبعثون ضمير عن اي شي الجواب
انه ضمير العباد لانه معلوم وان لم يكن مذكورا او ضمير الضالين
واعلم ان في الاية وجوها من النكت الاولى قيل معنى الاية
لا تطالبني بصدق الخلة فلا تقل يا ابرهيم ادعيت اني خليل الله
فهات صدق الدعوى والنكتة ان ابرهيم لما خاف من
هذا المقام افلا تخاف ايها المذنب ان تطالب يوم القيمة
بحق الايمان والتوحيد كما قال ليسئل الصادقين عن صدقهم
الثاني الخليل عليه السلام لما قال ولا تخزني يوم يبعثون
لم يظهر جوابه في نص القران ثم ان الله اعطى هذه الامانة لامة
محمد صلى الله عليه وسلم فقال يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه اما قوله الا من اتى الله بقلب سليم فاعلم ان الله
تعالى اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم وفي تفسير القلب السليم وجوه
الاول المراد منه سلامة القلب عن الجهل والاخلاق
الذميمة كما ان سلامة البدن عبارة عن حصول ما ينبغي
من المزاج والتركيب ومرضه عبارة عن زوال تلك
الامور والثاني ان السليم هو اللديغ من خشية الله

قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكافر فقط فكيف صح

الثالث

الثالث السليم هو الذي سلم واسلم واسلم وسالم واستسلم
وهذه الاحوال كانت حاصلة في ابرهيم عليه السلام
كما قال تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
وقال الشبلي رحمة الله عليه القلب السليم كقلب الخليل
كان يشير قلبه من جانب البحث الى الوفا ومن الفوق الى
الرضى ومن اليمين الى العطا ومن اليسار الى ترك الهوى
ومن القدام الى اللقا ومن الخلف الى البقا **الفصل
السادس** في تفسير استدلال نوح عليه السلام
فقال تعالى حكاية عن نوح فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفارا قال مقاتل ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا
حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فرجعوا فيه الى نوح عليه السلام فقال نوح استغفروا
ربكم من الشرك يفتح لكم ابواب النعمة واعلم ان الاشتغال
بالايمان وساير الطاعات سبب لانفتاح ابواب الخيرات
ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الكفر سبب لخراب العالم
قال تعالى في صفة كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فلما
كان الكفر سببا لخراب العالم وجب ان يكون الايمان سببا
لعمارة العالم **الحجة الثانية** الايات الدالة على هذا المعنى
منها هذه الاية ومنها قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقال ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقال وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك **الحجة الثالثة** انه تعالى
ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا اشتغلوا بتحصيل

وبالله التوفيق

المقصود حصل ما يحتاج اليه من الدنيا على سبيل
التبعية الحجة الرابعة انه تعالى قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون بين انك مخلوق لاجل عبادته
ثم قال خلق لكم ما فى الارض جميعا فبين ان جميع ما فى الارض
مخلوق لك ثم انه تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم
فلما وفيت بعهد العبودية وهو المراد بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون لا بد لان نفى الحق بعهد الربوبية
وهو المراد بقوله خلق لكم ما فى الارض جميعا كان اولى الحجة
الخامسة روى ان عمر رضى الله عنه خرج يستسقى فما زاد على
الاستغفار فقيل له وما رايناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السما المجدح ثلاثة كواكب مخصوصة
ونوءه يكون غزيرا شبه عمر رضى الله عنه الاستغفار
بالانوا الصادقة التى لا تخطى الحجة السادسة ان
قوله تعالى يرسل السما عليكم مدرارا يحتمل ان يكون المراد
منه انزال الغيث والمطر على ما هو ظاهر اللفظ ويحتمل
ان يكون المراد منه فتح ابواب السما بامطار التوفيق
والهداية والارشاد ويجب حمل اللفظ عليهما جميعا
واما الاول فروى عن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا
اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا
وتحقيقه من جهة العقل ان الاستغفار اذا قوى على
الرفع بعد الثبوت فلان يقوى على الدفع والمنع كان
اولى واما الثانى فما روى ان الحسن جاءه رجل وشكى اليه
الجدب فقال استغفر الله وشكى اليه اخر من الفقر
واخر من قلة النسل واخر من قلة ريع ارضه فامر الكل
بالاستغفار فقال له بعض القوم اتاك رجال يشكون
اليك انواعا فامرت الكل بالاستغفار فتلى هذه الاية
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا

ويمددكم

ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
فان قيل لم قال انه كان غفارا ولم يقل انه الان غفارا قلنا
المراد منه انه كان غفارا فى حق كل من استغفره لانه تعالى
قال لا يظنوا ان غفاريته انما حدثت الان بل هو ابدا هكذا
كان فكما ان حرفتكم هو الذنب والمعصية فكذا حرفته
هو الغفارية وقوله تعالى يرسل السما عليكم مدرارا اعلم
ان الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة فلذلك
قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب لا جرم
علمهم الله ان ايمانهم بالله يجمع مع الحظ الوافر فى الاخرة
الخصب والغنى فى الدنيا والاشيا التى وعدهم من منافع
الدنيا فى هذه الاية خمسة اولها قوله يرسل السما عليكم
مدرارا وفى السما وجوه الاول ان المطر ينزل من السماء
الى السحاب ومن السحاب الى الارض والثانى ان المراد
بالسما وهو السحاب والثالث المراد بالسما المطر من قوله
اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال
مما يستوى فيه المذكر والمونث كقولهم رجل او امراة
معطار ومنقال والنعمة الثانية قوله ويمددكم باموال
وهذا لا يختص بنوع واحد من المال بل يعم الكل والنعمة
الثالثة قوله وبنين ولا شك ان كثرة الاولاد الذكور
سبب لبقا الذكر واشتداد الظهر والنعمة الرابعة قوله
ويجعل لكم جنات اى بساتين والنعمة الخامسة قوله
ويجعل لكم انهارا فبدا ذكر هذه النعم بانزال الما من السماء
وختمها باخراج الما من الارض والسبب فيه انا بينا ان تولد
النعم فى هذا العالم انما يكون بنزول الماء من السما الى الارض
واعلم انه تعالى لما امرهم بالاستغفار ووعد على الاستغفار
هذه المنافع اكد ذلك ورغب فيه فقال ما لكم لا ترجون لله
وقارا وفيه وجوه الاول ان يكون التقدير ما لكم لا تاملون

من الله وقارا وتعظيما يفعله في حقكم كان القوم لما قيل
لهم متى استغفرتم الله اعطاكم هذه النعم الكثيرة فالقوم
استبعدوا ذلك فقالوا كيف يعطينا هذه النعم العظيمة
بمجرد الاستغفار فاجيبوا بقوله ما لكم لا ترجون لله
وقارا اى ما لكم لا ترجون من الله ان يفعل في حقكم هذا
التوقير والتعظيم مع انه فعل في حقكم ما هو اعظم واجل
منه وهو انه خلقكم اطوارا الوجه الثاني ان القوم كانوا
يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه السلام فامرهم الله
بتوقيره وترك الاستخفاف به فقيل لهم انكم اذا وقرتم
نوحا كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا
تاتون به لاجل الله ولاجل امره وطاعته فان كل ما ياتي
به الانسان لاجل الله فانه لا بد ان يرجو منه خيرا الوجه
الثالث وهو ان يكون المراد من الوقار الحلم وترك التعرض
والمعنى ما لكم لا تاملون ان يترك الله معاملتكم بالعذاب
بحلمه ولطفه ويمهلكم لتومنوا وقوله لله لبيان من ثبت
له الوقار الوجه الرابع وهو ان الوقار هو الثبات من وقر
اذا ثبت واستقر فكانه قال وما لكم وعند هذا تم الكلام
ثم قال على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار لا ترجون لله
وقارا اى لا ترجون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ثباته
وبقاءه لخفتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف برسله
واوامره والمراد بقوله ترجون اى تعتقدون لان الراجي
للشيء معتقد له ثم انه تعالى لما امر في هذه الآية بتعظيم
الله استدل على التوحيد بوجوه من الدلائل الحجة الاولى
حجة ماخوذة من الانفس وهو قوله وقد خلقكم اطوارا
وفيه وجهان الاول قال الليث الطور التارة يعني حالا من
بعد حال فانه كان ترابا اولا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة
والثاني قال ابن الانباري الطور الحال والمعنى خلقكم اصنافا

مختلفين

مختلفين لا يشبه بعضهم بعضا كما قال واختلاف
السنتكم والوانكم واعلم انه تعالى خلق البشر بحيث لا
يشبه بعضهم بعضا في الصورة والحكمة فيه انه لو
حصلت المشابهة لحصل الاشتباه فما كان يتميز
زوج هذه المراة عن من لم يكن زوجها ولا عبد هذا
الانسان عن عبد غيره وحينئذ لم يتميز الحلال عن الحرام
والمستحق عن غير المستحق وذلك يفضي الى زوال المصالح
وحصول المفاسد فلهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية
تخصيص كل شخص بصورة مخصوصة ثم انه من اعظم
الدلائل على القادر المختار لان الاب والام واحد وتاثير
الطبايع والنجوم والافلاك واحد ثم يكون مع هذا التشابه
والتساوي يكون كل واحد منهم مختصا بصورة مخصوصة
معينة فهذا لا يكون الا بتاثير القادر المختار وروي ان
واحدا استعظم امر الشطرنج عند عمر رضي الله عنه
وقال انه رقعة مختصرة ثم انه يقع فيه انواع غير متناهية
من اللعب فقال عمر رقعة الوجه اصغر من رقعة الشطرنج
ولكل عضو من اعضاء الوجه موضع معين من الوجه لا يتغير
عنه فان العين لها موضع معين وكذلك الانف والفم ثم مع
هذا يقع فيه من الاختلاف ما لا نهاية له فانك لا ترى
انسانين في المشرق والمغرب تماثل صورتاهما من كل الوجوه
وهذا يدل على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى
الحجة الثانية على التوحيد حجة ماخوذة من الافاق وهو
قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واعلم انه تعالى تارة
يبدأ بدلائل الانفس وبعدها بدلائل الافاق كما في هذه الآية
وذلك لما ذكرنا ان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه فلا
جرم بدأ بالاقرب فالاقرب لان الاقرب اعرف وتارة يبدأ

نخ اشهر

بدلائل الافاق ثم بدلائل الانفس اما دلائل الافاق اظهر
واعظم اولانها اشرف واعلم ان هنا فى الحقيقة دلايل
ثلاثة الاول السموات السبع الطباق وقد تقدم فى النبا
المتقدم كيفية دلالتها على الصانع المختار وثانيها
كون القمر نورا وثالثها كون الشمس سراجا والله تعالى
وصف الشمس والقمر بانواع من الصفات الصفة
الاولى ذكر كون القمر نورا والشمس سراجا فى ايات
احدها فى هذه الاية وقال فى يونس هو الذى جعل
الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل
الايات لقوم يعلمون وقال فى الفرقان تبارك الذى
جعل فى السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
واعلم ان الاستقرار يدل على ان احوال هذا العالم مختلفة
بحسب اختلاف انوار الشمس والقمر فلنبين ذلك
فى الشمس اولا ثم فى القمر ثانيا اما تاثيرات انوار الشمس
فى هذا العالم فمن وجوه الاول التاثيرات الحاصلة
بحسب اليوم والليلة وذلك لانا نرى جميع الحيوانات
فى الليل كالميتة فاذا طلع نور الصبح ظهرت فى اجساد
الحيوانات نور الحياة فكان الطلوع نفخ فى ابدان الحيوانات
قوة الحياة وكلما كان طلوع ذلك النور اكثر كان ظهور قوة
الحياة فى الابدان الحيوانية اكمل ثم لما طلع قرص الشمس
بالتمام ترى الناس وساير الحيوانات يبتدرون بالحركة
والقوة والاشتداد وما دامت الشمس صاعدة الى
وسط سمائها كانت حركتهم فى الزيادة والقوة فاذا
مالت الشمس عن وسط السما اخذت حركاتهم وقواهم
فى الضعف ولا يزال يتزايد ذلك الضعف الى زمان
غيبوبية الشمس وكلما زادت غيبوبية نور الشمس

ازداد

ازداد الضعف والفتور والنقصان فى الابدان الحيوانية
وفى القوى المدركة والمحركة ورجعت الحيوانات الى
بيوتها واجحرتها ثم يقع على كالميتة المعدومة فاذا طلعت
الشمس عليهم فى اليوم الثانى رجعوا الى الحالة الاولى من
الحيوة والقوة والحركة الوجه الثانى فى تاثيرات الشمس
بحسب حركاتها اليومية وبيانه انه لو كانت واقعة فى
موضع واحد لاشتدت السخونة فى ذلك الموضع واشتد
البرد فى ساير المواضع لكنها تطلع فى اول النهار من المشرق
فيقع على ما يحاذيها جزء من جانب المغرب ثم لا تزال تدور
وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهى الى طرف المغرب فتشرق
حينئذ على الجوانب الشرقية وحينئذ لا يبقى موضع مكشوف
فى الشرق والغرب الا وياخذ حظا من شعاع الشمس الوجه
الثالث فى تاثيرات الشمس بحسب الفصول الاربعة وبيانه
انه لو لم يكن للشمس حركة فى الميل لكان تاثيرها مخصوصا
بمدار واحد ولكان ساير المدارات تخلوا عن المنافع الحاصلة
منها وكان يبقى كل واحد من المدارات الجنوبية والشمالية
على كيفية واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات واحالتها
كلها الى النارية ولم تتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذى
لممر الشمس على كيفية الاحتراق والبعيد عنه جدا على كيفية
البرد الشديد والمتوسط بينهما على كيفية متوسطة
فيكون فى موضع صيف دايم يوجب الاحتراق وفى موضع
شتاء دايم يوجب الجمودة والتحجر وفى موضع ربيع دايم
او خريف دايم ولا يتم فيه النضج اما اذا حصلت للشمس
ميل تارة ترتحل الى الشمال واخرى الى الجنوب حصل فى كل
بقعة من بقاع الارض هذه الفصول الاربعة التى هى
معينة على النسق والنما وحصول مصالح الحيوانات
والنبات الوجه الرابع فى تاثيرات حركة الشمس من حيث

انها تتم الدورة فى سنة واحدة وذلك لانا لو قدرنا
ان الشمس تتحرك حركة بطيئة لكان هذا الميل قليل النفع
وكان التاثير شديدا الافراط فكان يعرض قريبا مما لو لم يكن
له ميل ولو كانت حركاتها اسرع من هذه لما كملت المنافع وما
تمت فاما اذا كانت هذه الحركة لا فى غاية السرعة ولا فى غاية
البطو حصلت المنافع المذكورة والمصالح المذكورة

الوجه الخامس فى تاثير الشمس بحسب قربها من سمت الراس

وبعد ها عنه اعلم ان كل موضع يكون فيه الشمس بعيده جدا
عن سمت روس اهله اشتد البرد فيه وهو مثل الموضعين
الذين تحت القطبين فانه لا يتكون هناك حيوان ولا ينبت
فيه نبات من شدة البرد ويكون هناك ستة اشهر نهارا
وستة اشهر ليلا ويكون هناك رياح عاصفة جدا وثلوج
متوالية ويدل عليه البحر الارمنى فانها اقرب الى مدار الشمس
من الموضع المذكور بكثير مع انه يشتد فيه الرياح العواصف
وتشتد ظلمته حتى انه لا يمكن ركوبه لشدة برده وظلمته
ونستدل عليه ببحر الشام فانه اذا حصلت الشمس فى اوايل
العقرب الى ان تحصل فى اول الحوت ففى هذه الاشهر الاربعة
لا يستطيع الناس ركوب هذا البحر **الوجه السادس** فى تاثيرات
الشمس فى احوال الحيوانات بحسب قربها من سمت الروس
وبعدها عنه اعلم ان الاستقرا يدل على ان السبب الظاهر
لاختلاف الناس فى اجسامهم والوانهم واخلاقهم وطبايعهم
وسيرهم اختلاف احوال الشمس فى الحركة وذلك لان الناس
ثلاثة اقسام احدها الذين يسكنون خط الاستوا الى محاذاة
ممر راس السرطان وهم يسمون بالاسم العام السودان لان
الشمس تمر على سمت روسهم فى السنة اما مرة او مرتين
فتحرقهم وتسود ابدانهم وشعورهم والذين مساكنهم فى
غاية القرب من خط الاستوا فهم الزنج والحبشة والشمس

لقوة تاثيرها فى مساكنهم تحرق شعورهم وتسودها
وتجعلها جعدة كثيفة وتجعل وجوههم قحلة وجثثهم
عظيمة واخلاقهم خشنة واما الذين مساكنهم اقرب
الى محاذاة ممر راس السرطان فالسواد فيهم اقل وطبايعهم
اعدل واخلاقهم الين واجسامهم اقصف كاهل الهند
واليمن وبعض المغاربة وكل العرب والقسم الثانى الذين
مساكنهم على ممر راس السرطان الى قريب من محاذاة بنات
نعش الكبرى وهم يسمون بالاسم العام البيضان فهولا لان
الشمس لا تسامت روسهم وايضا لا تبعد عن مسامتة
روسهم بعدا كثيرا لم يعرض لهم شدة من البرد والحر فلاجرم
صارت الوانهم متوسطة ومقادير اجسامهم معتدلة
واخلاقهم خشنة كاهل الصين والترك وخراسان والعراق
وفارس والشام ثم هولا كل من كان اميل منهم الى ناحية الجنوب
كان اتم فى الذكا والفهم لقربه من منطقة البروج وممر الكواكب
المتحيرة وتكون حركاتهم اليق بحركات الكواكب السيارة فى
السرعة والخفة ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق فهو اقوى
نفسا واشد تذكيرا لان المشرق يمين الفلك لان الكواكب منه
تطلع والانوار من جانبه تظهر واليمين لا شك انه اقوى ومن
كان الى ناحية الغرب فهو الين نفسا واشد تانيثا واكثر كتمانا
للامور والقسم الثالث الذين تكون مساكنهم محاذية لبنات
نعش وهم الصقالبة والروس فانهم لكثرة بعدهم عن ممر
البروج وحرارة الشمس صار البرد عليهم اغلب ورطوبة الفضلة
اكثر لانه ليس هناك من الحرارة ما ينشفها فلذلك صارت
الوانهم بيضا وشعورهم سبطة شقرة وابدانهم عظيمة
ورخصة وطباعهم مائلة الى البرودة واعلم ان كل واحد من
هذين الطرفين وهما الاقليم الاول والسابع يقل فيه العمران
وينقطع بعضه عن بعض لغلبة الكيفيتين الفاعليتين ثم لا

تزال تزداد العمارة فى الاقليم الثانى والسادس والثالث
والخامس ويقل الخراب فيها **الوجه السابع** فى تاثيرات الشمس
بحسب قربها وبعدها من الارض اعلم ان المواضع الذى يسامتها
حضيض الشمس فهى البرارى الجنوبية وهى محترقة نارية
لا يكون فيها حيوان البتة واما البلاد المتقاربة لتلك
المواضع فسكانها كلهم سود الالوان على التفصيل الذى
ذكرناه واما المواضع التى يسامتها اوج الشمس فهى فى جانب
الشمال وهى غير محترقة بل معتدلة فاعلم ان التفاوت الحاصل
بسبب قرب الشمس من الارض فى الحضيض وبعدها عنها
فى الاوج ليس بكثير بل قليل فلا جرم بسبب ذلك التفاوت
القليل صار الجنوب محترقا فعلمنا بهذا ان الشمس لو صارت
الى الفلك الثوابت لفسدت الطبايع من شدة البرد ولو
انها انحدرت الى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية
فلهذه الحكمة جعل البارى جل ثناوه الشمس وسط الكواكب
السبعة لتكون بحركتها المعتدلة وقربها المعتدل تبقى الطبايع
المطبوعات فى هذا العالم على حد الاعتدال فاما اهل الاقليم
الاول فلاجل قربهم من حضيض الشمس كانت سخونة هوايهم
شديدة فلا جرم هم اكثر سوادا لان الشمس فيهم اكثر
واهل الاقليم الثانى سمر الالوان واما الاقليم الثالث
والرابع فاعدل الاقاليم مزاجا بسبب اعتدال الهوا وايضا
فغاية ارتفاع الشمس انما يكون عند كونها فى ابعد بعدها عن
الارض فلا جرم صار اهل هذا الاقليم معدنا للاشخاص
الفاضلة والصور الجميلة واما الاقليم الخامس فسخونة الهوى
هناك اقل من الاعتدال بقدر يسير فلا جرم صار فى حيز البرد
والثلوج وصارت طبايع اهلها اقل نضجا من طبايع اهل الاقليم
الرابع الا ان بعدهم عن الاعتدال قليل واما اهل الاقليم
السادس والسابع فاهلهما فحون بتون والغلبة البرد والرطوبة

عليهم

150

عليهم اشتد بياض الوانهم وزرقة عيونهم وغلظت وجوههم
واستدارت فقد ظهر ان صور الناس واشكالهم انما
اختلف بحسب اختلاف احوال الشمس فهذه اشارة
قليلة الى كيفية تاثيرات الشمس واما القمر فتاثيراته
من وجوه الاول انا نرى ابدان الحيوانات فى وقت
زيادة ضوء القمر يكون اقوى واسخن وبعد الامتلا
يكون اضعف وابرد ويكون الاخلاط التى فى بدن الانسان
ما دام القمر زايدا فى ضوئه فانه يكون زايدا ويكون ظاهر
البدن اكثر رطوبة وحسنا فاذا نقص ضوء القمر تناقصت
هذه الاحوال الثانى ان التجارب الطبية دلت على ان
احوال البحرانات مربوطة باحوال زيادة ضوء القمر
ونقصانه الثالث انه يكثر البان الحيوانات فى النصف
الاول من الشهر ويتناقص فى النصف الثانى الرابع ان
الانسان اذا نام فى ضوء القمر حدث فى بدنه نوع من
الاسترخا والكسل ويهيج عليه الزكام والصداع واذا
وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة تحت ضوء القمر يفوت
طعومها وروايحها ولاصحاب التجارب اعتبارات كثيرة
من هذا الباب ويكفينا هذا القدر فى بيان منفعة كون
الشمس ضيا والقمر نورا فان قال قايل ظاهر كلامكم
فى هذا الفصل مشعر بان الموثر فى احوال هذا العالم هو
الشمس والقمر وكلامكم فى الابواب المتقدمة صريح
فى ان الموثر هو قدرة الله فكيف الجمع بين القولين
والجواب اليس انا نقول الخبز مشبع والما مروى وان كنا
نعتقد ان خالق الشبع هو الله تعالى فكذا ها هنا اليس
انه تعالى قال هو الذى خلق الموت والحيوة وقال والذى
يميتنى ثم يحيين وقال الله يتوفى الانفس حين موتها ثم
قال قل يتوفيكم ملك الموت ثم قال حتى اذا جا احدكم الموت

توفته رسلنا لحصول الموت والوفاة منسوب الى الله
بالتخليق والايجاد ومنسوب الى ملك الموت بالامر
بقبض الارواح ومنسوب الى اتباع ملك الموت لانهم
يباشرون اعمالا اجرى الله تعالى عادته بخلق الموت عقيبها
فكذا هاهنا اجرى الله تعالى عادته بخلق الحوادث المختلفة
بحسب قرب الشمس وبعدها فتلك الحوادث منسوبة الى
قدرة الله تعالى بالتخليق والايجاد ومنسوبة الى الشمس
على سبيل اجرآ العادة الصفة الثانية من صفات الشمس
والقمر كونهما مسخرين قال تعالى في الاعراف ان ربكم الله
الذى خلق السموات والارض الى قوله والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره وقال في الرعد الله الذى رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر
الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى وقال في لقمان الم تر
ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وقال في الزمر خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى الا هو العزيز
الغفار واعلم ان هذا التسخير من وجوه احدها انهما
مع غاية ثقلها بقيت في جو السما وذلك لا يكون الا بتسخير
الله وحفظها في جو الهوا والثاني انها متحركة بالاستدارة
على نهج واحد لا يقع في تلك الحركات اختلاف بالبطوء
والسرعة ولا بالرجوع والاستقامة ولا بالارتفاع
والانخفاض بل لكل واحد منهما سير مقدر ونهج مقدر
وجهة مقدرة وذلك لا يكون الا بتسخير مسخر وتقدير
مقدر سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا واعلم
ان العقول قاصرة عن معرفة منافع ما لكل واحد من الكواكب
من القرب والبعد والحركة والجهة ولكن العقل لما ادرك

بحق الله

بعض

بعض المنافع والحكم وجب ان يقاس الباقي عليه فيقطع
بان الله تعالى في كل واحد منها حكما مخفية واسرارا مطوية
لا تصل اليها عقول الخلق ولا ينتهى الى مباديها افهام الملائكة
المقربين فضلا عن افهام البشر ويكون الغاية القصوى لنا
ان نعترف بجلال خالقها وكمال حكمة مدبرها كما قال ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار الصفة الثالثة كون
القمر اية الليل وكون الشمس اية النهار قال تعالى في بنى اسرايل
وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية
النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب وكل شى فصلناه تفصيلا وقال في يس والشمس
تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فهذه
الايات دالة على ان سيرها وحركاتها بحكمة بالغة وعلى ان
هذه الحركات تنتهى بالاخرة الى الانقطاع والسكون فغاية
كل متحرك سكون ونهاية كل متكون ان لا يكون وهذا الذى حكمه
بان الشمس والقمر لا يدرك كل واحد منهما صاحبه اما ان يكون
الان فاما عند انتهايهما الى الانقطاع فهناك يجتمعان كما قال في
سورة القيمة فاذا برق البصر وخسف الشمس والقمر وجمع
الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر فتامل الان في
ضوء هذه الكواكب ثم اعرف زوال الضوء عنها في العاقبة كما قال
تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وتامل الان في
حركاتها العجيبة ثم اعرف ان انتهاء حركاتها الى سكون كما قال
تعالى كل يجرى لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار فهذا جملة الكلام
في صفات الشمس والقمر الحجة الثالثة قوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا
واعلم انه تعالى رجع هاهنا الى دلائل الانفس وهى كالتفسير

لقوله خلقكم اطوارا فانه تعالى بين انه خلقهم من الارض ثم
يردهم اليها ثم يخرجهم منها مرة اخرى واعلم ان كيفية
خلق الانسان من التراب سياتى شرحها فى باب خلقة الانسان
ان شا الله تعالى واعلم ان فى قوله انبتكم من الارض نباتا بحثين
البحث الاول فى معنى هذه الاية وجهان الاول معنى قوله انبتكم
من الارض نباتا اى انبت الاب الاول لكم من الارض وهو ادم
عليه السلام والثانى انبت الكل من الارض لانه تعالى انما
خلق البشر من النطفة والنطفة تتولد من الاغذية المتولدة
من النبات المتولد من الارض البحث الثانى كان ينبغى ان يقال
انبتكم من الارض انباتا لكنه لم يقل ذلك بل قال انبتكم من
الارض نباتا والمعنى انبتكم من الارض فنبتم نباتا وفيه
دقيقة لطيفة وذلك لانه تعالى انما ذكر هذا ليستدل به
على اثبات الصانع والانبات صفة الله تعالى وتخليقه
وصفة الله تعالى غير محسوسة فلا يمكن الاستدلال بها
على وجود الصانع اما النبات صفة المخلوق وهى مشاهدة
محسوسة فيمكن الاستدلال بها على وجود الصانع فكان
العدول عن لفظ الانبات الى لفظ النبات لهذه الدقيقة
اللطيفة الحجة الرابعة قوله تعالى والله جعل لكم الارض
بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا واعلم ان شرح صفات
الارض قد تقدم فلا نعيده والله اعلم الفصل السابع فى شرح
مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون فى اثبات الصانع
المختار اعلم انا قبل الخوض فى شرح تلك المناظرة تقدم مقدمات
لا بد منها الاولى ان كتب القصص ناطقة بان فرعون كان يدعى
كونه خالق السموات والارضين والحيوان والنبات حتى ذكروا
ان ابليس ذهب الى دار فرعون وهو فى المستراح فقرع الباب
فقال من انت فقال ابليس وهل يخفى على رب الخلق ما ورا الباب
فلما دخل عليه ابليس قال فرعون من شرنا قال ابليس انت قال لم

قال لانى اطوف الشرق والغرب وكان منتهى امرى فى ادم
انى قلت انا خير منه اما انت فمع نقصك وقصورك
تقول انا ربكم الاعلى فكيف اكون اشر منك ثم خاف ابليس
ان يرجع فرعون عن طريقه بسبب هذه المناظرة فقال
وهل تعرف اشر منا فقال الذى يستعمل عمل الاخرة فى
كسب الدنيا وامثال هذه الحكايات فى كتب التذكير
كثيرة واعلم انه بعيد عندى ان يقال انه كان يدعى انه خالق
السموات والارضين والجبال والبحار والمعادن والنبات
والحيوانات ويدل عليه وجهان الحجة الاولى ان فرعون
وقومه اما ان يقال انهم كانوا عقلاء او مجانين فان كانوا
عقلاء امتنع منه ادعاء كونه خالقا للسموات والارضين
لان العلم بفساد ذلك ضرورى وما كان كذلك امتنع
وقوع الخلاف فيه بين العقلاء واما ان قلنا انهم كانوا
مجانين فهذا باطل لوجوه احدها لو كان الامر كذلك
لما كان يليق بحكمة الله تعالى ارسال الرسل اليهم ولا
انزال الكتب عليهم وكيف وقد قال عليه السلام رفع
القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق
وعن النائم حتى يستيقظ والثانى وهو ان مناظرات
فرعون مع موسى عليه السلام تدل على انه كان فى غاية
الخبث والمكر والدهاء وذلك لا يليق بالمجانين والثالث
ان ضبط تلك الممالك وتسخير اولئك الاقوام الكثيرين
لا ياتى من المجنون الحجة الثانية ان ملك فرعون لم يتجاوز
القبط ولم يبلغ الشام والدليل عليه انه لما هرب موسى
عليه السلام منه الى مدين قال له شعيب نجوت من القوم
الظالمين ويقال انه ما كان بين مصر وبين مدين الا ثمانية
ايام فمع هذا القصور فى ملك الدنيا كيف يجد العاقل
من نفسه انه يدعى كونه خالقا للسموات والارض فثبت بما

ذكرنا فساد هذا الكلام فان احتج القايلون بذلك القول
بانه تعالى حكى عنه انه قال انا ربكم الاعلى وحكى عنه في سورة
القصص انه قال فرعون يايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى
فادعى الربوبية في الاية الاولى والالهية في الاية الثانية
وذلك يدل على ما قلناه فالجواب انا بينا بالدلايل القاطعة
ان مثل ذلك الانسان اذا كان عاقلا فانه لا يجوز ان يدعى
كونه خالقا للسموات والارضين فلا بد من تاويل لفظ الرب
ولفظ الاله فنقول الرجل لعله كان دهريا يظهر القول
بانكار الصانع وكان يقول الافلاك والكواكب واجبة
الوجود لذواتها وهي المؤثرة في حوادث العالم واذا كان
كذلك فلا امر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب ولا رسول
ولا تكليف ثم انه يجب على ملك البلدان ان يقوم بتحصيل
مصالح الرعية ويجب على الرعية الانقياد لاوامره
فاذا كان الملك هو الذى يقوم بمصالحهم ويهتم بتربيتهم
وتدبيرهم ويعتنى بشانهم كان ربا لهم ومربيا لهم واذا كان
مربيا لهم ومنعما عليهم وجب عليهم ان يكونوا منقادين لاوامره
وتكاليفه ومعترفين بعبوديته وعبادته واذا كانوا كذلك
كان هو معبودا لهم والاله هو المعبود فكان مراده من ادعاء
الربوبية والالهية هذا المعنى ويحتمل ايضا ان يقال انه
كان من الصابئة وهم الذين يقولون البشر عبيد الكواكب
والكواكب عبيد الاله الاكبر العالم فلا جرم يجب على البشر
عبادة الكواكب ويجب على الكواكب عبادة الله تعالى
والقايلون بهذا القول يسمون بالمفوضة واصحاب
الوسايط وهذا القول اقرب والدليل عليه قوله تعالى
حكاية عن قوم فرعون ويذرك والهتك فاثبتوا له الهة
وهي اما الكواكب واما الاصنام وعلى هذا التقدير
فقوله انا ربكم الاعلى معناه انتم عبيدى وتحت امرى وانا

عبد

عبد الشمس والقمر وهما عبد الاله الاكبر وقوله ما
علمت لكم من اله غيرى معناه انا الهكم والهى هو الشمس والقمر
واله الشمس والقمر هو الاله الاكبر فيرجع حاصل الكلام
الى ان فرعون كان اما من الدهرية واما من الصابئة فاما
ان يقال انه كان يدعى انه خالق للسموات والارضين فهذا
غير لايق باحد العقلا المقدمة الثانية انه حكى عنه في القصص
انه قال يايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان
على الطين فاجعل لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا واعلم ان كثيرا من اهل
الاثر روى انه لعنه الله لما امر ببناء هذا الصرح جمع هامان
العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء
وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير
فشيد ذلك الصرح حتى بلغ مبلغا لم يبلغه بنيان احد
من الخلق فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام عند غروب
الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت
على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة وقعت
في البحر وقطعة بقيت منهدمة ولم يبق احد من عماله الا
وقد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى على ذلك
الصرح ورمى بنشابة الى السما فاراد الله تعالى ان يفتنهم
فرد النشابة اليهم ملطوخة بالدم فقال فرعون قتلت
اله موسى فعند ذلك بعث الله جبريل حتى خرب ذلك الصرح
وفرعوا على هذه الحكاية وجوها كثيرة من الكلمات واعلم ان
مثل هذا العمل لا يليق بالعقلا يدل عليه وجوه الحجة الاولى
ان فرعون وقومه لما كانوا من العقلا فلا شك انهم كثيرا
ما يكونون في اعلى جبل يكون من اعلاه الى اسفله فرسخ
وفرسخان ثم ان كل احد يرى السما من اعلى ذلك الجبل ومن
اسفله على قدر واحد من غير تفاوت البتة ومن المعلوم

ان وضع بنا يكون مقدار ارتفاعه في الهوى فرسخين كالمتعذر
وبتقدير ان يحصل ذلك فانه لايتفاوت قدر السما في الحس بسبب
الصعود على اعلاه ومتى كان كذلك فالعاقل العارف بهذا
الامر يليق به ان يبني الصرح حتى يصعد منه الى السما الحجة الثالثة
ان هذا الذي يقال انه رمى السهم الى السما فرجع ملتطخا فقال
قتلت اله موسى هذا ايضا من السخف الذي لايليق بالعقلا
فكيف يليق بالعاقل ان يحاول ايصال السهم الى السما وبتقدير
ان يفعل ذلك فكيف يمكنه ان يقتل اله السما بهذا القدر
من العمل فلعل اله السما يكون مستترا بحجاب داخل السما
لايصل اليه السهم تعالى الله عن هذه الاوهام الفاسدة
علوا كبيرا وما هذه الكلمات من احاديث العقلا في شئ
وانما هو من سخف ارباب الطامات الذين غرضهم تشويش
قلوب الاغبيا من المستمعين وكلام الله منزه عنه وعن
امثاله ونظير امثال هذه الترهات منتزعا قويا لمن اراد
الطعن في القرآن بل الصواب عندنا في تفسير هذه الاية
ان هذا الكلام من تتمة قوله ما علمت لكم من اله غيري وذلك
لان الرجل كان دهريا فقال لموسى عليه السلام هذا الاله
الذي تدعي وجوده غير مشاهد ولا محسوس ولا دليل
ايضا على وجوده فانه يكفي لحدوث الحوادث الارضية
حركات الاجرام الفلكية واذا كان غير معلوم بالضرورة
ولا بالدليل فكيف يمكن اثباته فهذا هو مراده من قوله ما
علمت لكم من اله غيري ثم قال عند هذا الكلام على سبيل
السخرية يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الى اله موسى ومثل هذا الكلام لا يقال
على سبيل التحقيق بل على سبيل الاستبعاد وبيانه انه لاسبيل
له ونظيره قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية وليس المقصود

شرعا

بيان

بيان انه يجب عليه ان يفعل ذلك حتى تاتيهم باية بل الغرض بيان
انه لاسبيل الى ذلك فكذا في هذه الاية فهذا ما عندي
في تفسيرها والله اعلم بمراده المقدمة الثالثة ان فرعون
وان كان من المنكرين لوجود الصانع باللسان لكن من الناس
من قال انه كان عارفا بقلبه لربه الا انه لعنه الله كان يظهر الانكار
تكبرا وتجبرا وعنادا واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى
قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون
لقد علمت ما انزل هؤلا الا رب السموات والارض فمن نصب
التا في علمت كان هذا خطابا لموسى مع فرعون وهذا يدل
على ان فرعون كان عارفا بربه الحجة الثانية قوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا صريح في المطلوب
الحجة الثالثة قوله تعالى في القصص في صفة فرعون وقومه
وظنوا انهم الينا لا يرجعون وهذا يوهم انهم كانوا معترفين
بالمبدا منكرين للمعاد الحجة الرابعة انه لما قال فرعون وما رب العالمين
قال موسى رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم تعقلون
فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب
منه الماهية وهو يذكر ما يدل على الصفة الخارجة عن الماهية
فان الخالقية صفة خارجة عن الماهية فهذا يدل على ان
فرعون ما نازعه في وجود الصانع بل كان يطلب منه الماهية
الحجة الخامسة انه لما قال من ربكما يا موسى اجابه موسى عليه
السلام بقوله ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى
وقال اهل اللغة الكلمة الذي كله تقتضي وصف المعارف
بجمل معلومة وهذا يدل على انه كان قد تقرر عند فرعون ان
الخلق والهداية لابد لهما من قادر مختار الحجة السادسة
قوله في الاعراف ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا
ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل

هم بالعوه اذا هم ينكثون فالقوه لما قالوا لموسى عليه السلام
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الرجز دل على انهم كانوا معترفين
بوجود الاله سبحانه وتعالى **الحجة السابعة** انا قد دللنا على
ان فرعون كان عاقلا والا لما حسن بعثة الرسول عليه السلام
اليه وتوجه التكليف عليه ولما كان من العقلا شهد
تغير احواله فى نفسه وبدنه وفى اباءه واجداده بافتقاره
الى صانع مدبر حكيم ولهذا قال تعالى ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله فهذا ما قيل فى هذا الباب
وبالجملة فقد كان كافرا عظيم الكفر سواء كان كفره بسبب
الجهل او بسبب العناد ولما فرغنا من هذه المقامات
فلنرجع الى المقصود ونقول ان سوال فرعون عن موسى
عليه السلام فى باب اثبات الصانع كان على وجهين احدهما
انه ساله عن الصانع بكلمة من والثانى انه سال عنه بكلمة ما
فاما السوال بكلمة من فهو فى سورة طه قال تعالى حكاية
عنه قال فمن ربكما يا موسى واما السوال عنه بكلمة ما فهو
قوله تعالى فى سورة الشعرا حكاية عنه قال وما رب العالمين
وقبل الخوض فى التفسير لا بد من بيان الفرق بين السوالين
المطلوب بسوال من التعين الحاصل بسبب الصفات
العرضية يقول من هذا الرجل فيقول فى جوابه انه فقيه
عزنى وما يجرى مجرى هذه الصفات واما المطلوب بسوال ما
فهو التعين الحاصل بسبب الماهية ومقومات الحقيقة
يقول ما هذا الشى فيكون جوابه انه جسم او جوهر او غير
ذلك اذا عرفت ذلك فنقول علمنا بصفات الله تعالى من
قدرته وعلمه وارادته متقدم على علمنا بحقيقة ذاته
المخصوصة وكنه ماهيته وذلك لان العلم بكنه الحقيقة
اما ان لا يحصل للبشر وان امكن حصوله للبشر الا ان
هذه المرتبة تكون متاخرة عن العلم بقدرته وعلمه بل كنه

حقيقته

حقيقته المخصوصة مقدم بالرتبة على صفاته لان الذات
موصوفة والموصوف متقدم بالرتبة على الصفة
الا ان المحكى فى القران هو كيفية التوصل بالدلائل الى
معرفة الله تعالى واذا كان كذلك كان السوال بمن متقدما
على السوال بما فلا جرم راعى الله تعالى هذا الترتيب فذكر
السوال بمن فى سورة طه وذكر السوال بما فى سورة الشعرا
وهذا سر عجيب ولنذكر البحث عن هذين الموضعين الموضع
الاول قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى
وفيه سوالات **السوال الاول** لم قال فمن ربكما ولم يقل فمن
الهكما والجواب لانه اثبت نفسه ربا لموسى وهو قوله الم
نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل التعجب كانه قال انا ربك
فلم تدعى ربا اخر وهذا الكلام شبيها بكلام نمرود لعنه الله
وذلك لان ابرهيم عليه السلام لما قال ربى الذى يحيى
ويميت قال نمرود انا احيى واميت ولم يكن الاحيا الذى
ذكره شبيها بالاحيا الذى تمسك به ابرهيم عليه السلام
الا فى اللفظ فكذا هاهنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى
ذكر فرعون كونه ربا لموسى وما كان بين الربوبية التى ذكرها
موسى وبين الربوبية التى ذكرها فرعون مشابهة الا فى
اللفظ **السوال الثانى** ان فرعون طول المناظرة فى سوال ما
ولم يطول فى سوال من فما الفرق الجواب الفرق ما ذكرنا
ان المطلوب فى سوال من معرفة الصفات وهذا مقام
واضح ليس فيه شى من الشبهات كما قال الله تعالى ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا جرم
ترك فرعون فيه التطويل اما المطلوب بسوال ما فهو كنه
الماهية وذلك مقام صعب كما قال الله تعالى وما قدروا
الله حق قدره فلهذا السبب طول فى المناظرة **السوال
الثالث** ان فرعون قال بعد هذا الكلام فما بال القرون الاولى

واى تعلق لهذا الكلام بما قبله ثم ان موسى اجاب عنه بقوله
قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ثم عاد مرة اخرى
الى ذكر دلائل اثبات الصانع وهو قوله الذى جعل لكم الارض
مهادا وسلك لكم فيها سبلا فكيف وقع ذلك الكلام
الاجنبى فى البين والجواب قد بينا ان الدلائل الدالة على اثبات
الصانع وقدرته وعلمه وحكمته فى غاية القوة والظهور
ولا يمكن القاء شى من الشكوك والشبهات فيه فلما طالبه
فرعون بسوال من كان جواب موسى فى غاية الظهور وعجز فرعون
عن القاء الشكوك والشبهات فيه فاراد ان يصرفه عن
ذلك الكلام ويشغله بكلام اجنبى عنه لئلا يظهر قوة كلامه
فسأله عن تواريخ المتقدمين فعرف موسى عليه السلام
ان غرضه تشويش ذلك الكلام عليه فلم يلتفت اليه بل
دفعه بقوله قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا
ينسى يعنى لا فايدة لنا فى هذا السوال وهذا الجواب ثم رجع
الى تقرير كلامه الاول فقال الذى جعل لكم الارض مهادا
فتامل هاهنا فى سعى المبطلين فى اخفاء الحق وانظر الى قوة
قلب المحققين وعدم التفاتهم الى لغوهم وجهلهم ومن
انصف علم ان كل اية من هذا الكتاب الكريم معجز ظاهر فضلا
عن كل هذا الكتاب السوال الرابع ما وجه دلالة قوله
ربنا الذى اعطى كل شى خلقه ثم هدى على وجود الصانع
والجواب اعلم ان هذا هو الدليل الذى حكاه الله تعالى عن
ابرهيم عليه السلام فى قوله الذى خلقنى فهو يهدين وهو
الذى ذكره الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فى قوله سبح
اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى
وتقرير هذا الدليل على سبيل التفصيل ان الخلق عبارة عن
تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة عن ابداع القوى
المدركة المحركة فى تلك الابدان وخلق جواهر الابدان

معقدم على ابداع القوى فيها ولذلك قال تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى فالتسوية للقالب ونفخ الروح
عبارة عن ابداع القوى فيه وقال لقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر فظهر
ان الخلق مقدم على الهداية ثم اعلم ان الشروع فى شرح
عجايب حكمة الله تعالى فى الخلق والهداية شروع فى بحر لا
ساحل له ومن اراد تصنيفا مشتملا على جميع تلك
الوجوه فذلك التصنيف هو جميع عالم الاجسام والارواح
اما عالم الاجسام فخذ من اعلى سطح العرش الى اسفل سطح
تحت الثرى وغص بفكرك فى كل ذرة من ذراتها فانك
تجد تلك الذرة فى دلالته على كمال قدرته وحكمته بحرا لا
ساحل له فمن ذا الذى يمكنه ان يعرف تمام حكمة الله
فى خلقه جناح البعوضة وتركيب اعضايه وتاليف
ابعاضه وتاليف العظام والعروق والاعصاب ونفخ
الروح فيه وابداع الحواس الخمسة والذهن والتمييز
فيه فاذا عجز عقلك عن معرفة البعوضة فاين انت من معرفة
حكمة الخلق والهداية فى اجزاء السموات والارضين وقال
تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم اذا
عرفت ضعف عقلك فى عالم الاجسام فانتقل منه الى عالم
الارواح واعرف ان عالم الاجسام فى عالم الارواح كالقطرة
فى البحر فكيف يمكنك تفاصيل عالم الارواح مع انك
عاجز عن معرفة روحك حيث قال وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فعند هذا تشاهد عجزك وقصورك عن معرفة اقل
الاشيا وعن الاحاطة باقل شاهد من شواهد جلال الله
ودلايل قدسه وعزته وهذا اخر مقام الصديقين كما قال
تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وان اردت امثلة هذا

الانسان والحيوان والنبات وبالله التوفيق نخ

السوال ٢

المعنى فى الابواب المتقدمة المشتملة على عجايب خلقة
السموات والارض اما السوال الثانى وهو السوال بما على
ما ذكره الله تعالى فى سورة الشعرا ففيه اسرار واعلم ان
هذا البحث لا يمكن الا بتقديم مقدمة عقلية وهى انه اذا
كانت حقيقة من الحقائق مجهولة فتعريفها اما ان تكون
بنفسها او بما يكون داخلا فيها ومقوما لها او بما يكون
خارجا عنها ولاحقا بها او بما تركب من القسمين اعنى الامور
الداخلة والامور الخارجة اما تعريفها بنفسها فمحال لان
المعرف معلوم قبل المعرف فتعريف الشى بنفسه يقتضى
تقدم الشى على نفسه وهو محال اما تعريف تلك الحقيقة
بالامور الداخلة فى قوام الماهية فهذا فى حق واجب الوجود
محال لوجهين الاول ان هذا انما يتاتى فى الحقيقة التى تكون مركبة
من اجزاء القوام وذلك فى حق واجب الوجود محال لان كل
مركب فهو محتاج الى كل واحد من اجزايه وكل واحد من اجزايه غيره
فكل مركب فهو محتاج الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته
فهو غير مركب من الاجزا واذا لم يكن مركب من الاجزا فانه يمتنع
تعريفه باجزائه والثانى ان بتقدير ان يكون واجب الوجود مركبا
من الاجزاء الا ان اجزا ماهيته غير معلومة فيمتنع تعريفه
باجزآئه ولما ثبت فساد هذين القسمين ثبت انه لا يمكن تعريف
واجب الوجود الا بلوازمه واثاره ثم ان تلك اللوازم والاثار
قد تكون خفية وقد تكون جليه ولا يجوز تعريف الحقايق
باللوازم الخفية بل لابد من تعريفها باللوازم الجلية واظهر اثار
واجب الوجود ونتايج قدرته وحكمته هو هذا العالم المحسوس
وهو السموات والارض وما بينهما اذا عرفت هذه المقدمة
فنقول ان فرعون لما سال موسى عليه السلام بسوال من فى قوله
من ربكما يا موسى ووجد كلام موسى فى غاية القوة عدل عن ذلك
الى غيره وهو السوال بما لان الجواب عن هذا السوال فى غاية

الصعوبة

الصعوبة ويمكن القاء الشبهات فيه فقال وما رب العالمين
فقال موسى عليه السلام رب السموات والارض وما
بينهما ان كنتم موقنين والمعنى انكم لما سلمتم فى الجواب
عن السوال الاول وهو السوال بلفظ من ثبت وجوب
انتهاء هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود وثبت
ان واجب الوجود لذاته فرد مطلق منزه عن الكثرة فى
حقيقته وماهيته وثبت ان الفرد المطلق المنزه عن الكثرة
من جميع الوجوه لا يمكن تعريف حقيقته الا بذكر لوازمه
واثاره الظاهرة الجلية وثبت ان اظهر اثار واجب الوجود
لذاته هو هذا العالم المحسوس ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته
وذاته المخصوصة الا بذكر انه خالق لهذه السموات والارضين
فقوله ان كنتم موقنين معناه ان كنتم موقنين بحقيقة
هذه المقدمات فاعلموا انه لا جواب عن سوالكم الا هذا الذى
ذكرت ولما ذكر موسى هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله
الا تستمعون اظهر التعجب من كلام موسى عليه السلام
يعنى انا اطلب الجواب عن السوال الدال على الماهية وهو
يذكر الجواب الدال على الصفة وهذا الجواب هو جواب السوال
بمن وانما انا اطلب جواب السوال بما فاين احدهما من الاخر
وتمام الاشكال ان تعرف الماهية بلوازمها لا يفيد معرفة
نفس تلك الماهية لانا اذا قلنا فى تعريف شى انه الذى يلزم
اللازم الفلانى فهذا يتوجه عليه سؤال وهو ان تلك
الحقيقة هل هى معلومة ام لا فان كانت معلومة فلا حاجة
الى تعريفها بذكر هذا اللازم وان لم تكن معلومة فكيف يعلم
انه يلزمها هذا اللازم لان قولنا يلزمها هذا اللازم تصديق
والتصديق مسبوق بالتصور فلو كان التصور مستفادا
من هذا التصديق لزم الدور فثبت ان قوله رب السموات
والارض لا يصلح جوابا عن قوله وما رب العالمين فعند هذا

الكيفية نخ

اجاب موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب اباىكم الاولين
وكانه عدل عن تعريف تلك الحقيقة بخالقية السما والارض
الى تعريفها بكونه خالقا لنا ولاباىنا وذلك لانه لا يمتنع
ان يعتقد احد ان السموات والارض واجبة لذواتها فهى
غنية عن الخالق والموجد الى ان يظهر فساد هذا الاعتقاد
بالبرهان اما لا يمكن ان يعتقد احد فى نفسه وفى ابايه
واجداده كونهم واجبة الوجود لذواتها لان المشاهد
دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما
كان كذلك كان ممكنا محدثا فيظهر جدا افتقاره الى المرجح والموجد
فلهذا السبب عدل موسى عليه السلام عن الكلام الاول الى
هذا الكلام فعند هذا قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل
اليكم لمجنون والمعنى انى سالته عن الماهية فاجاب بذكر
الصفة فلما انكرت عليه هذا الجواب ذكر جوابا مثل
الجواب الاول فان المذكور فى الجوابين هو الصفة الخالقية
وذكر الصفة لا يصلح جوابا عن السوال الطالب للماهية
فهذا مجنون حيث لا يفهم السؤال بعد التكرير عليه مرة
بعد اخرى قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب
وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق اخر اوضح مما تقدم
وذلك لان الجواب الاول اشارة الى دلايل الافاق والجواب
الثانى اشارة الى دلايل الانفس وهذا الجواب الثالث مركب
من دلايل الافاق والانفس معا لان قوله رب المشرق
والمغرب اشارة الى دلايل الافاق وقوله وما بينهما اشارة
الى دلايل الانفس فاذا تاملت فيه علمت ان موسى عليه السلام
لم يترك شيا فى عالم المحسوسات يدل على الله الا وقد ذكره
لان دلالة عالم المحسوسات على الله تعالى اما من الافاق او
من الانفس او منهما معا واعلم انه اراد بالمشرق طلوع الشمس
وظهور النهار وبالمغرب غروب الشمس وظهور الليل والامر

ظاهر

ظاهر فى ان هذا التقدير المحكم العجيب لا يحصل الا بتدبير
مدبر قاهر حكيم سبحانه وتعالى وهذا هو بعينه طريقة
ابرهيم عليه السلام مع نمرود فانه قال ربى الذى يحيى
ويميت وهو الذى قاله موسى فى قوله ربكم ورب اباىكم
الاولين ثم لما طالب نمرود بتمام الدلالة قال ابرهيم فان الله
ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهو عين قول
موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما واعلم ان موسى انما قال
هاهنا ان كنتم تعقلون لانه لما ثبت بالبرهان القاهر
انه لا يمكن تعريف الحقيقة بنفسها ولا يمكن تعريف حقيقة
واجب الوجود باجزايها لما ثبت انه فرد صمد منزه عن التركيب
ولا يمكن تعريفه بما يتركب عن الداخل والخارج لان ذلك
يقتضى كون تلك الماهية متركبة ولما بطلت هذه الاقسام
الثلاثة لم يبق طريق الى تعريف تلك الحقيقة الا بذكر لوازمها
واثارها الظاهرة فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء
وتفهم الكلام وتميز بين الحق والباطل فاعلم انه لا سبيل الى
تعريف حقيقته الا بهذا الطريق الذى ذكرت وهذا اخر هذه
المناظرة وهو فى غاية الشرف والجلالة واعلم ان من فوايد هذه
المناظرة انها تدل على انه تعالى ليس بجسم ولا متحيز ولا شكل
لانه لو كان كذلك لكان الجواب الكاشف عن الماهية ممكنا
فحينئذ يكون جواب موسى باطلا وسوال فرعون حقا ولما كان
القول بذلك باطلا علمنا انه منزه عن الجسمية والجوهر
والحيز وبالله التوفيق ولما كان ختم هذه المناظرة على التمسك
بشروق الكواكب وغروبها فلنذكرها هنا كيفية هذه
الدلالة والله اعلم **الفصل الثامن** فى شرح كيفية دلالة
الشروق والغروب على وجود الصانع الحكيم تعالى اعلم انه
تعالى ذكر كيفية الشروق والغروب فى ايات احدها انه
ذكره بلفظ الواحد فقال رب المشرق والمغرب ومنها انه

ذكره بلفظ التثنيه فقال رب المشرقين ورب المغربين
ومنها انه ذكره بلفظ الجمع فقال رب المشارق والمغارب
ومنها انه تعالى عبر عن الشروق والغروب بعبارة اخرى
فقال والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وقال في سورة
الفلق قل اعوذ برب الفلق وهو اشارة الى زمان الطلوع
ثم قال ومن شر غاسق اذا وقب وهو اشارة الى زمان
الغروب ومنها انه تعالى خص اول زمان الطلوع بالذكر فقال
فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر
حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وخص زمان الغروب
بالذكر فقال والنجم اذا هوى وقال ابرهيم لا احب الافلين
وها هنا مباحث **المبحث الاول** وهو ان الطلوع والغروب
حالتان عجيبتان يدلان على الافتقار الى الخالق المدبر الحكيم
وذلك لانا اذا نظرنا الى الكوكب اول طلوعه من افق الشرق
فانه يطلع مستنيرا متلالئا مثل النار ليس في نوره كدورة
ولا غبرة ولا ظلمة واذا نظرنا اليه وهو في افق المغرب
نراه قد ذهب نوره ورونقه حتى ان الشمس مع عظم
جرمها وكمال نورها اذا قربت من الغروب فانه يذهب
نورها ورونقها واذا اعتبرنا هذه الاحوال علمنا ان اول
طلوع الكوكب يشبه ولادة الصبي ولذلك فان اهل
النجوم جعلوا الدرجة الطالعة من الفلك دليل الحيوة
وقالوا كما ان الولد ظهر في هذا العالم بعد ان كان غير ظاهر
كذلك ظهرت هذه الدرجة في تلك الساعة بعد ان كانت
غير ظاهرة فلما حصلت المشابهة بينهما من هذا الوجه
جعلت تلك الدرجة دليلا على حياته ثم ان الكوكب بعد
طلوعه يزداد كل ساعة تصاعدا وقوة ونورا واستعلاء
وكمالا ولا يزال كذلك الى ان يقرب من وسط السما الى هذا
الوقت تشبه حالة الادمي في زمان النشو والنما ثم اذا حال



قربت الشمس من وسط السماء فهنالك تبقى زمانا على حالة
واحدة لا نشاهد فيها اثر الارتفاع ولا اثر الانخفاض
وهذه الحالة من الشمس وساير الكواكب تشبه حال الانسان
في زمان الشباب ومدة الوقوف وهي المدة التي لا يظهر
فيها زيادة ولا نقصان ثم ان الشمس والكواكب بعد ذلك
يقع في الربع الغربي من الفلك فلا تزال في الانحطاط قليلا
قليلا الى ان لا يظهر بسبب ذلك الانخفاض في نورها وقوتها
وحرارتها وهذه الحالة من الكوكب تشبه حالة الانسان
في سن الكهولة واخر هذا الوقت هو اول وقت صلاة
العصر ثم بعد صلاة العصر تاخذ قوة الشمس في النقصان
الظاهر والانحطاط البين فينقص نورها ويقل ضوؤها ويعظم
امتداد ظلها ولا تزال تتزايد هذه النقصانات الى ان يصل
الكوكب الى افق الغرب وهذه الحالة من الشمس والكوكب
يشبه سن الشيخوخية واما غروبها في افق المغرب فلا يكون
الا بعد ذهاب نورها واصفرار لونها ونقصان قوتها وارتعاش
ذاتها وسقوطها في النظر على وجه الارض ثم انها تغرب
فتصير كانها فنيت وبطلت وهذه الحالة تشبه حالة الانسان
عند الموت فانه اولا يذهب نور وجهه وتبطل حسن صورته
ويصفر لونه ويضعف قواه وياخذه الارتعاش والضعف
ثم يسقط على وجه الفراش بحيث لا يمكنه ان يرفع راسه
ثم انه بعد ذلك يموت فهذه الاحوال الاربعة للشمس
والقمر وساير الكواكب تشبه الاحوال الاربعة لكل
حيوان ونبات اعني سن النمو وسن الوقوف وسن
الكهولة وسن الشيخوخة ثم حصول الموت بعد ذلك
ثم ان الشمس اذا غربت بقيت اثارها في افق المغرب وهو
الشفق ثم بعد ذلك يزول ذلك الشفق ولا يبقى في هذا
العالم من اثار الشمس شي البتة وهذا يشبه ان الانسان

اذا مات بقى بعد موته ذكره وآثاره اياما قليلة ثم انه يبطل
ذلك الذكر وتلك الآثار ولا يبقى فى الدنيا منه اثر ولا خبر فهذه
الاحوال الخمسة للشمس تشبه الاحوال الخمسة للانسان
فلهذا السبب اوجب الشارع الحكيم الصلوات الخمس فى هذه
الاوقات الخمسة وما احسن هذا الترتيب وما اشد مطابقة
الحكمة الشرعية المبنية على الحكمة الروحانية واعلم انك
متى تاملت فى جميع الاجرام العلوية والسفلية والابداعية
والعنصرية ظهر لكل عاقل انها عند الشروق والتصاعد اخذت
فى الكمال بعد ان كانت ناقصة وعند الانحدار من وسط
السما الى نهاية الغروب اخذت فى النقصان بعد ان كانت
كاملة ونوادر هذه النقصانات بعد الكمالات والكمالات
بعد النقصانات على سبيل الدوام والاستمرار يدل على انه
لا كمالاتها لها بذواتها ولا نقصاناتها لها من انفسها بل هى
تحت تسخير مسخر وتدبير مدبر قاهر يتصرف فيها بقدرته
ويحركها على حسب ارادته ومشيته الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين **المبحث الثانى** فى الشروق
والغروب وهو ان حال ما ياخذ ذلك الكوكب فى الغروب
يرى كوكبا اخر فى مقابلته من افق المشرق قد اخذ فى الطلوع
وترى كوكبا اخر قد طلع وهو قد اخذ فى الارتفاع والتصاعد
وكوكبا اخر قد بلغ فى وسط السما وكوكبا اخر قد وقع فى الربع
الغربى وقرب من الغروب فاذا اعتبرت هذه الاحوال تراها
مشابهة لاحوال الخلق فى هذا العالم فانسان يموت وانسان
يتولد وثالث فى تلك الساعة يكون طفلا ورابع شاب
وخامس كهل وسادس شيخ وكما ان كواكب السموات مختلفة
الاحوال فبعضها سعد وبعضها نحس وبعضها قوى
النور وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب فى وسط
السما وبعضها واقع فى اطراف الفلك وبعضها فى الشرف

والبيت المثلثة وبعضها فى الوبال والهبوط والخلو عن
الحظوظ فكذلك ترى اشخاص هذا العالم بعضهم فى السعادة
وبعضهم فى النحوسة وبعضهم فى الغنى وبعضهم فى الفقر
وكذا القول فى الدولة والعلو والذلة والسقوط وكما ان
مدبر العالم العلوى دبر نظام تلك الكواكب مع اختلافها
فى الطلوع والغروب والنورانية والضعف من غير ان
يختل شى من احوالها فكذلك يدبر احوال اشخاص العالم
السفلى مع اختلافهم فى السعادة والشقاوة والغنى
والفقر وعند هذا يلوح لك شمة من اسرار قوله كل يوم
هو فى شان وقوله لا يشغله شان عن شان وقوله يدبر
الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه وتمام الكلام فى
هذه المباحث العميقة ما اليه الاشارة فى سورة الاعراف
وهو قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فقوله والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ما ذكرناه من كيفية
التسخير والتدبير وقوله الا له الخلق والامر فيه سر عجيب
وحكمة عالية وهى انك لما شاهدت فى اجزا السموات
والارض والكواكب آثار التسخير والتدبير يقع فى قلبك
ان تعرف وجه الحكمة فى كل واحد منها على سبيل التفصيل
فحينئذ يقال لك قف فى درجتك ولا تتعد طورك ولا
تلق عقلك فى بحر لا ساحل له ولا تكلف نفسك صعود
جبل لا نهاية له ولا تطمع فى الوصول الى ما هو فى فهمك ووهمك
وعقلك وروحك فانك لست من رجال هذه الاسرار
ولا فى حدقة عقلك قوة الاطلاع على هذه الانوار ولكن

اعترف لنفسك بالعجز والذلة والقصور واعترف بخالق
هذه الموجودات على سبيل الاجمال لغاية الجلالة ونهاية
الكبريا وقل لا اله له الخلق والامر والحكمة والقوة والعلو
والسلطان والكبريا تبارك الله رب العالمين ومدبر
الاجساد والارواح والعلويات والسفليات اجمعين
ثم اذا تركت الخوض فى ذلك التفصيل واعترفت بهذا
التعظيم على سبيل الاجمال فعند هذه الحالة ارجع الى
نفسك واعتبر حال عجزك وقصورك واشتغل بالدعا
والتضرع فهاهنا غاية درجات الصديقين ونهاية
خطرات افكار العارفين وليس وراءه للعقول مطار ولا
مسرى ولا للافكار مجال ولا مخطى واليه الاشارة بقوله
تعالى فى اخر هذه الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية فما اجل هذه
التلويحات التى اشتمل عليها القران العظيم وما اشرف
هذه الرموز الحاصلة فى مطاوى ايات الذكر الحكيم
فوالله الذى لا اله الا هو انه لا يخطر ببال هذا المسكين
الكاتب لهذا الكتاب ولا يدور فى خياله طريق احسن
ولا انفع ولا اجذب للارواح البشرية والعقول
الانسانية الى حضرة القدس الاحد الصمد من هذه البيانات
الالهية والاسرار العلوية ونظير هذه الاية قوله تعالى
فى اخر ال عمران ان فى خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار وقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض
اشارة الى وقوع العقل فى هذا البحر الذى لا ساحل له
وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى منع العقل
من طلب هذه التفاصيل ويجاب ان يقتصر على الثنا المجمل

وقوله

وقوله فقنا عذاب النار اشارة الى الاشتغال بالدعاء
والتضرع عقيب حصول هذه الاية **المبحث الثالث** فى
الاستدلال بكيفية الطلوع والغروب على وجود الخالق
المدبر اعلم ان التعبير عن المشرق والمغرب بلفظ الواحد
اشارة الى مشرق الشمس ومغربها واما قوله رب المشرقين
ورب المغربين فالمراد طلوع الشمس والقمر وغروبهما
واما قوله رب المشارق والمغارب ففيه قولان الاول
المراد منها طلوع الشمس والقمر والنجوم والثانى المراد
منها مطالع الشمس ومغاربها وذلك لان الشمس من اول
اليوم الذى يكون فيه النقطة الاولى من السرطان وهو
اليوم الاول من الصيف الى ان يحصل فى النقطة الاولى من
الجدى وهو اليوم الاول من الشتا ومجموعه ستة اشهر
تطلع كل يوم من مطلع اخر وذلك مائة وثمانون مطلعا
ثم انها من اول الشتا الى اول الصيف وهو ايضا ستة اشهر
ترجع فتطلع تلك المطالع باعيانها ولما كان للشمس مائة
وثمانون مشرقا ومائة وثمانون مغربا كان المراد من قوله رب
المشارق والمغارب هذه المغارب وهذه المشارق واذا
عرفت هذا فنقول الاستدلال باحوال المشارق والمغارب
على وجود الخالق المدبر الحكيم فى غاية الظهور وذلك لان هذه
الاجسام الفلكية والاجرام الكوكبية لا يمكن ان تكون حركتها
بالنفس طبايعها ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الاجسام
متساوية فى الجسمية وتمام الماهية وحكم الاشيا المتساوية
فى الذات وتمام الماهية المتساوى فى اللوازم والاحكام
واذا كان كذلك فكما صح على واحد منها صح على الباقى واذا كان
كذلك كان اختصاص كل فلك وكل كوكب بطبعه وحيزه وشكله
وحركته لا بد وان يكون لاجل القادر المختار **الحجة الثانية** ان
الشى الذى يكون مهروبا عنه بحكم الطبيعة يمتنع ان يكون

مطلوبا بمقتضى نفس تلك الطبيعة وها هنا الاجرام الفلكية
متحركة بالاستدارة وكلما كان متحركا بالاستدارة فان كل
نقطة يفرض كونها مهروبا عنها فان الهرب عنها هو نفس
طلبها و نفس التوجه اليها فثبت ان هذه الحركة ليست
بالطبيعة الحجة الثالثة لو كانت هذه الحركات
طبيعية لوجب ان يكون شروقها وغروبها على نهج واحد
وطريقة واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعة وجب
بقاوها وعدم تغيرها لكنا بينا ان الشمس تطلع كل يوم
من مشرق اخر وتغرب من مغرب اخر فثبت بهذه الدلائل
ان حركات هذه الافلاك ليست من ذواتها وطبايعها
فلابد وان تكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر وقهر قاهر
يحركها على حسب مشيته ومقتضى ارادته فتبارك الله
رب العالمين فان قيل لم لا يجوز ان يقال حركاتها بسبب
انها احيا مختارة قلنا هب ان الامر كذلك الا ان على هذا
التقدير يكون كل واحد منها مخصوصا باختيار خاص
وارادة خاصة فيعود طلب العلة لذلك الاختصاص
ولا ينقطع الطلبات ولا تزول الحاجات الا عند الانتهاء
الى القضا الالهى والتقدير الازلى السرمدى سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن الايات الواردة فى هذا
الجنس من الكلام قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس واعلم ان الخنس جمع
خانس والخنوس الانقباض والاستخفا يقال خنس من
بين القوم وانخنس فى الحديث الشيطان يوسوس الى
العبد فاذا ذكر الله خنس اى انقبض منه ولذلك سمى
الخناس والكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل
الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست الظبا فى كنسها
وكنست المراة اذا دخلت هودجها شبه بالطير اذا

دخل

دخل الكناس اذا ثبت هذا فنقول المعتبرون من المفسرين
ذكروا فى الخنوس والكنوس وجهين الاول ان ذلك اشارة الى
رجوع الكواكب واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها
اختفاوها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه حالة عجيبة
وفيها اسرار عظيمة باهرة فلهذا المعنى اقسم الله بها والقول
الثانى ما روى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه واختاره
مقاتل وقتادة انها هى جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن
غيبوبتها عن البصر فى جميع النهار وكنوسها عبارة عن
ظهورها للبصر فى الليل وعندى فيه قول ثالث وهو ان
هذه الكواكب السبعة السيارة تختلف مطالعها
ومغاربها على ما فسرناه وشرحناه ولا شك ان لها مطلعا
واحدا ومغربا واحدا هما اقرب المشارق والمغارب الى سمت
روسنا ثم انها تاخذ فى التباعد من ذلك المطلع قليلا قليلا
حتى تميل الى سمت روسنا فخنوسها عبارة عن تباعدها
عن هذا المطلع الذى هو اقرب المطالع الى سمت الراس وكنوسها
عبارة عن عودها اليه فعلى التفسير الاول يكون القسم
واقعا بالخمسة المتحيرة وعلى القول الذى ذكرته يكون القسم
واقعا بجميع الكواكب السيارات السبعة وعلى القول الذى
ذكره امير المومنين رضى الله عنه يكون القسم واقعا بجميع
الكواكب سوا كانت من السيارات او من الثوابت واعلم انه
تعالى لما اقسم بها دل ذلك على اختصاصها باسرار عجيبة
واحوال شريفة لا تصل العقول البشرية اليها على ما حققنا
الكلام فيه فى تفسير قوله فى ال عمران الذين يذكرون
الله قياما وقعودا الى قوله فقنا عذاب النار ومما يويد ما
ها هنا انه تعالى ابتدا من اعمال الصديقين بالذكر فقال الذين
يذكرون الله ثم انهم يصلون من الذكر الى الفكر واليه الاشارة
بقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وها هنا

اشكال وهوانه تعالى قال فى الذكر الذين يذكرون الله فجعل
الذكر المعتبر اللائق بهذا المقام ذكر الله لا ذكر غيره ثم جعل
نهاية هذا الذكر الفكر فيجب ان يكون هذا الفكر هو الفكر فى الله
لكنه لم يقل ذلك بل جعل الفكر اللائق بهذا المقام الفكر فى خلق
السموات والارض وهذا اشتغال بغير الله تعالى فكيف يعقل
ان يجعل ذكر الله اولا ومبدا الفكر فى غير الله غاية وكمالا
والجواب انا بينا فى مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون
ان الفكر فى الله ممتنع لانه لا يمكن التوصل الى جلال الله وعظمته
الا بالنظر فى مخلوقاته ومبتدعاته وهذا متايد بقوله عليه
السلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق ولما كان
اشرف مخلوقاته المحسوسة هو عجايب السموات والارض
كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس لا جرم جعل
الغاية القصوى يسرا فكان المقربين والنهايات العظمى
لغايات انظارهم ان يتفكروا فى عجايب خلق السموات
والارض ثم انا بينا فيما قبل ان الخاطر اذا وقع فى هذا
الموضع كان الاولى ردعه عنها ومنعه عن الخوض فيها
والاقتصار على الثنا المبهم والتعظيم المجمل كما فى قوله فى
الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين وهذا هو الثنا ثم قال
بعد ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهذا هو الدعا وقال فى ال
عمران ويتفكرون فى خلق السموات والارض ثم قال بعده
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وهذا
هو الدعا فهذه الدرجة التى وجدناها فى فقر بحر القران هى
اشرف المطالب واعظم الرغايب وما ذاك الا بتوفيقه
وهدايته وما هو الا من فضل ربى ليبلونى ااشكر ام اكفر
فيارب الارباب واله الالهة زدنا من فضلك واحسانك
يا ارحم الراحمين اما قوله تعالى والليل اذا عسعس فقال اهل

اللغة عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا ادبر
وعسعس اذا اقبل ثم منهم من قال المراد ها هنا اقبل
الليل لان على هذا التقدير لا يكون القسم واقعا باقبال
الليل وهو قوله والليل اذا عسعس وبادباره وهو قوله
والصبح اذا تنفس ومنهم من قال المراد بقوله عسعس ادبر
ثم قوله والصبح اذا تنفس اى امتد ضوؤه وتكامل فقوله
والليل اذا عسعس اشارة الى اول طلوع الفجر وقوله والصبح
اذا تنفس اشارة الى تكامل طلوع الصبح ونظيره قوله
تعالى والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر اما قوله والصبح
اذا تنفس اى اذا اسفر وهو كقوله والصبح اذا اسفر
ثم فى كيفية التشبيه قولان احدهما انه اذا اقبل الصبح
اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على سبيل
المجاز والثانى انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى
جلس بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن فى قلبه فاذا تنفس
وجد راحة فها هنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك
الحزن فعبر عنه بالتنفس واعلم ان فى طلوعها وغروبها
احوال عجيبة فالاول ان طلوع الشمس يشبه بتكوين العالم
وتخليقه فى اول وقت كن فيكون وغروبها شبيه بتخريب
العالم وقت قيام القيمة وتقرير هذا التشبيه ان الظلمة
صفة عدمية فهى شديدة المناسبة للعدم الاصلى
المستمر من الازل الى وقت حدوث العالم فكما ان فى الليل
يكون الظلمة مستقرة فى جميع اقطار السموات واكناف
الارض فكذلك كانت ظلمة العدم مستقرة مستمرة
من الازل الى الابد فما كان هناك لوح ولا قلم ولا انوار
ولا ظلم ولا سما ولا ارض ولا طول ولا عرض ولا ذوات
ولا صفات بل كان الله ولم يكن معه شى غيره وكما ان فى
اخر الليل يتعلق بحر الظلمات بنهر من النور ويكون ذلك

النور مخفوفا بالظلمات التى لا حد لها فكذلك ظهر فى اخر
الليل الازل نهر من نور ايجاد الله وتكوينه وهذه المخلوقات
المتناهية والممكنات الباقية على العدم غير متناهية
والمتناهى بالنسبة الى غير المتناهى قليل من كثير فهذه
الحالة شبيهة بظهور نور الصبح فى بحار ظلمات الليل واذا
عرفت هذا ظهر ان طلوع النور مسبوق بتراكم ظلمات العدم
وظهر ايضا ان الانوار الساطعات على الممكنات من الوجود
اقل من الممكنات الباقية فى ظلمات العدم لا جرم قدم الله
تعالى ذكر الظلمات على النور وعبر عن الظلمات بلفظ الجمع
وعن النور بلفظ المفرد فقال الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور فتامل فى هذه الاسرار
العجيبة فهذا حال تشبيه طلوع الصبح بطلوع صبح الايجاد
والتكوين من مشرق احسان الله وفضله وعنايته الحالة
الثانية ان غروب الشمس فى اخر النهار شديد التشبيه
باماتة جميع الاحياء وقت قيام القيمة وبقا الخلق خامدين
ليس لهم حس ولا حركة فى الليل يشبه بقا الخلق فيما بين النفختين
على العدم المحض ثم انتباه الخلق فى وقت الصبح يشبه قيام
الخلق الى النشور والبعث وتقرير هذا الكلام هو ان النفخ
فى الصور يحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع قال الله
تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض
الا من شا الله والثانية نفخة الصعقة والثالثة نفخة
الاحيا قال تعالى فى الزمر ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات
ومن فى الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون وهذه الاحوال الثلاثة بعينها موجودة فى
الشمس وذلك ان غروبها فى الغرب يشبه نفخة الفزع
فان الشمس اذا غربت من مغربها استولى الفزع والخوف
على الحيوانات وتوجه كل واحد منهم الى ماواه ومسكنه

ثم

ثم اذا غاب الشفق بالكلية فذلك يشبه نفخة الصعق
وهناك يسكن كل حيوان وينام ويصير الكل خامدا
وجامدا وكانه صار ميتا او صار معدوما الا من شاء
الله من الحيوانات التى لا تنام وهذا الاستثناء
المذكور حاصل فى الاية ها هنا ايضا واما طلوع الصبح
فهو يشبه الاحيا ونفخة البعث وذلك لان الشمس اذا
طلعت من مشرقها فكانها نفخ روح النور فى اموات
عالم الظلمات وهكذا ايضا حال النفخة الثالثة لاسرافيل
عليه السلام فانه يصل من قوة تلك النفخة اثر الحيوة الى
الاموات واعلم ان مشاهدة هذه الاحوال الثلاثة فى يوم
البعث وزمان القيمة وذلك لان الارواح اعظم واقوى
للاجسام فاذا لم يبعد ان يكون فى عالم الاجسام من مخلوقات
الله تعالى جسم لهذه التاثيرات الثلاثة فاى بعد فى ان يكون
فى عالم الارواح من مخلوقات الله ملك يكون له هذه
التاثيرات وعند هذه الاعتبارات يظهر صدق اقاويل
الانبيا عليهم السلام فيما اخبروا وانهوا من معرفة المبداء
ومعرفة المعاد اما معرفة المبدا فهو ان عالم الاجسام ملكها
وهو الشمس والارواح ملكها هو اسرافيل كانهم مسخرون
تحت سرادقات العزة وعنايات الالهية واما معرفة
المعاد فهو قياس عالم الارواح على عالم الاجسام فكما
ان كواكب السموات مختلفة بالعظم والصغر والكمال
والضعف وكان الشمس كان السلطان لها باسرها
وهى مع وحدتها مستولية على كل الكواكب والكل
مقهورون تحت صولته مختفون تحت سروق نوره
كذلك يجب ان يكون فى عالم الارواح شى يكون كالسلطان
لجميع الارواح ويكون الكل تحت رايته ومقهورون
تحت جلالته واليه الاشارة بقوله يوم يقوم الروح

والملايكة صفا وهو المسمى بيمين رب العزة فى قوله
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه ثم قد شهدت الفطنة السليمة ان الارواح
كالمبدأ والاجسام كالمظهر وكل واحد من الاجسام
والارواح مفتقر بعضها الى بعض ومحتاج بعضها
الى بعض واحتياج بعضها الى البعض من اصدق الشواهد
واظهر الدلائل على افتقار الارواح والاجساد والانوار
والظلمات بسبب زوجيتها الى الفرد الاحد الصمد الذى
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واليه الاشارة
بقوله تعالى ومن كل شى خلقنا زوجين فثبت بما ذكرنا ان
التامل فى كيفية طلوع الشمس وغروبها مفتاح عظيم
لانفتاح انوار عالم القدس وتجلى اضواء سرادقات
الجلال **الفصل التاسع** فى كيفية الاستدلال باختلاف
احوال الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم سبحانه اعلم
ان الايات الدالة على هذا النوع من البحث نوعان احدهما
الايات الدالة على تعظيم احوال الليل والنهار والثانى
الايات المشتملة على حكمة تخليق الليل والنهار **اما النوع
الاول** فهى كثيرة فى القران فاولها قوله تعالى فى سورة البقرة
ان فى خلق السموات والارض واختلاف اليل والنهار
الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال فى اخر ال عمران ان فى
خلق السموات والارض واختلاف اليل والنهار لايات
لاولى الالباب والمقصود من هذا الكلام من السورتين
واحد وقال فى الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى اليل
النهار يطلبه حثيثا واعلم ان فى نظم هذه الايات
الثلاثة اسرارا عجيبة فالاول انه تعالى ابتدا فى هذه الايات
الثلاثة بذكر السموات والارض ثم ذكر عقيبها احوال الليل

والنهار

والنهار والسبب فى هذا الترتيب ان بتخليق السطح المقعر
من الفلك الاعظم ظهر المكان وبتحرك السطح المحدب منه
ظهر الزمان فالمكان اقرب الينا من الزمان وقد عرفت ان
التعليم المفيد هو الذى يبتدا فيه من الاظهر فالاظهر
مترقيا الى الاخفى فالاخفى لما كان المقصود من هذه الايات
ذكر الدلائل الدالة على جلال الله وقدسه لاجرم وقع الابتدا
فيها بذكر خلق السموات والارض فان ذلك مشعر بالمكان
ونظيره قوله تعالى فى سورة الانعام قل لمن ما فى السموات
والارض قل لله فهذه اشارة الى ان الزمان والمكان وكل ما فى
المكان ملكه وملكه ثم قال وله ما سكن فى اليل والنهار
وهو اشارة الى ان كل ما فى الزمان ملكه وملكه فالمكان
والكاينات والزمان والزمانيات شاهدة معترفة دالة
على كونه سبحانه منزها عن علايق المكان ولواحق الزمان
ومناسبات الحدوث والامكان ومشابهات الافلاك
والاركان ومن نظايره ايضا قوله تعالى فى صفة السماء
رفع سمكها فسويها وهو اشارة الى المكان ثم قال واغطش
ليلها واخرج ضحيها وهو اشارة الى الزمان **النوع الثانى**
من لطايف هذه الايات انه تعالى جعل هذه الدلائل فى سورة
البقرة ايات لقوم يعقلون وجعلها فى سورة ال عمران ايات
لاولى الالباب وفى سورة الاعراف انتقل من الغيبة
الى الحضور فقال ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
والسبب فى هذا الترتيب على ما يخطر بالبال والله اعلم
باسرار كلامه ان درجات المحققين ثلاثة اولها الذين
يستدلون باحوال السموات والارض على وجود الصانع
المختار واليه الاشارة فى سورة البقرة بقوله لايات
لقوم يعقلون والثانى الذين صاروا مكاشفين بكيفية
دلالة كل واحد من اجزاء الارضين والسموات على وجود

ثم وقع الانتقال منها الى ذكر الليل
والنهار فانه مشعر بالزمان صح

الصانع وحكمته وعلمه وعدله وذلك لانا بينا ان لكل
واحد من اجزا الارضين والسموات دلالات لانهاية لها
على كمال قدرة الله وحكمته فاذا صار الانسان مكاشفا
باحوال تلك الدلالات حتى يصير عقله غرقا فى بحار تلك
الدلائل فهذا الانسان قد ترقى من ظاهر عالم العقل
الى اوج عالم الاسرار والالباب واليه الاشارة فى سورة
ال عمران بقوله لايات لاولى الالباب والثالث ان الانسان
فى المقام الاول والثانى كان مشغولا بمطالعة الدلائل
وبتقدير اشتغال العقل بمطالعة الدلائل يحصل
الحرمان عن الاستغراق فى نور جلال الله فانك اذا كملت
درجة الانسان فى مقام الاستدلال نودى من بطنان
الصمدية وسرادقات الجلال والكبريا اخلع نعليك فان
كل دليل فهو مركب من مقدمتين لا محالة لا يزيد ولا ينقص
وهاتان المقدمتان كالنعلين فى قدمى العقل بهما يتمكن العقل
من السفر من الخلق الى الخالق ومن الممكن الى الواجب فاذا
وصل الى مبدا الصمدية وبساط جلال الالهية يومر بخلع
هذين النعلين فاذا قال العبد لم اخلعها قيل له لانك
بالواد المقدس طوى فمن وصل الى الوحدة كيف
يلتفت الى الكثرة ومن وجد المدلول كيف يكون مشغولا
بالدليل وحينئذ ترقى من مقام الغيبة الى الحضور
والشهود فيصير مخاطبا من الحق بالحق فى الحق الى الحق
فيسمع من غير واسطة ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام وسمعت بعض المحققين يقول
ان اول الدرجات ان يقول العبد ما رايت شيا الا ورايت
الله بعده وفى وسط السير يقول ما رايت شيا الا
ورايت الله معه وفى اخر الدرجة يقول ما رايت شيا
الا ورايت الله قبله وذلك لانه فى المقام الاول يستدل

بغير

بغير الله على الله وفى المقام الاخير يستدل بعين الله
على الله وهذه المراتب الثلاثة مطابقة لهذه الايات
الثلاثة واعلم ان دلالة الليل والنهار على وجود الصانع
الحكيم من وجوه الاول كون الليل والنهار مختلفين كما فى
هذه الاية وقال فى يونس ان فى اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون وقال
فى الحج ذلك بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى
الليل وان الله سميع بصير وقال فى الفرقان وهو الذى جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال
فى الزمر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال
المفسرون هذا الاختلاف يحتمل وجهين الاول انه افتعال
من قولهم خلفه يخلفه اذا ذهب الاول وجا الثانى
فاختلاف الليل والنهار عبارة عن تعاقبهما فى المجى والذهاب
ومنه يقال فلان يختلف الى فلان اذا كان يذهب اليه
ويجى من عنده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف
ذهابه وكل شى يجى بعد شى اخر فهو خلفه وبهذا فسر قوله
تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة والثانى المراد
اختلاف الليل والنهار فى الطول والقصر والزيادة
والنقصان وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الليل والنهار كما
يختلفان فى الطول والقصر فى الازمنة فهما يختلفان
ايضا فى الامكنة فان الاصح ان الارض كرة واذا كان
كذلك فهذه الساعة التى اشير اليها هنا وقت
الصبح وفى موضع اخر وقت طلوع الشمس وفى موضع
اخر وقت الظهر وفى موضع اخر وقت الغروب وفى موضع
اخر نصف الليل وعلى هذا القياس جميع الاحوال المختلفة
فى الليل والنهار حاصل فى هذه الساعة الواحدة
بحسب كل واحد من بقاع الارض هذا اذا اعتبرنا

البلاد المختلفة فى الطول اما اذا كان فى البلاد المختلفة
فى العرض فكل بلد عرضه الشمالى اكثر كانت ايامه الصيفية
اطول ولياليه الصيفية اقصر وايامه ولياليه الشتوية
بالضد فهذه هى الاحوال المختلفة فى الايام والليالى
بحسب اختلاف طول البلدان وعرضها وهذا ايضا
هو المراد من تكوير الليل على النهار الوجه الثانى من وجوه
دلائل الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم قوله تعالى
فى القصص وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة
وله الحكم واليه ترجعون اما كلمة هو فسيجى تفسيرها
فى اسما الله واما كلمة لا اله الا هو فقد تقدم تفسيرها
ثم انه تعالى اردف ذلك بصفات ثلاثة الصفة الاولى
قوله له الحمد فى الاولى والاخرة وفيه ابحاث ثلاثة
احدها بيان حقيقة الحمد والفرق بينه وبين الشكر
والثانى ان قوله له الحمد دال على ان غيره لا يستحق الحمد والثالث
ان اهل الاخرة مشتغلون بالحمد كما فى هذه الاية وكما فى قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله واخر دعويهم
ان الحمد لله رب العالمين وتحقيق الكلام فى هذه المباحث
سيجى ان شا الله تعالى فى تفسير سورة الفاتحة الصفة
الثانية قوله وله الحكم والمعنى انه لا حكم فى الدنيا والاخرة
الا له اما فى الدنيا فلان حكم احد سواه لا ينفذ على الغير
الا بواسطة حكمه فلولا امر الله وحكمه لما نفذ على العبد
حكم سيده وعلى الزوجة حكم زوجها وعلى الولد حكم والده
وعلى الرعية حكم السلطان وعلى الامة حكم الرسول
ونظيره قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وقوله الا له
الحكم وهو اسرع الحاسبين واذا تاملت كما ينبغى علمت
ان الحق هو الحاكم فى الحقيقة واما فى الاخرة فلا شك

انه

انه تعالى له الحكم والقضا كما قال يوم لا تملك نفس لنفس
شيا والامر يومئذ لله الصفة الثالثة فى قوله
تعالى واليه ترجعون يعنى مرجع كل احد الى حكمه وقضائه
لا تصرف لاحد فى ذلك اليوم كما قال يوم لا تملك نفس
لنفس شيا والامر يومئذ لله واعلم انه تعالى لما بين انه هو المستحق
للحمد اتبع هذا الكلام ببعض ما يستحق الحمد وهو ايجاد
الليل والنهار فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضيا افلا
تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى
يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا
تبصرون واعلم ان وجه الاستدلال بهذا المعنى على وجود
الصانع الحكيم من وجوه الاول انه لا بد من النهار ليحصل
فيه الضوء فيتيسر الحركة عند الابصار ولا بد من الليل
ليحصل الظلمة فيه فيحصل السكون عند ذلك الانتشار
واما انه لا بد من الحركة فلان الانسان محتاج الى تحصيل
المطعوم والملبوس واعداد المسكن وساير المصالح
وكل ذلك مما لا يتهيا الا عند السعى والجد فى التحصيل وذلك
لا يتيسر الا فى ضوء النهار واما انه لا بد من السكون فلان
الانسان اذا سعى وتحرك كثيرا تعب واحتاج الى النوم
والراحة ليزول ذلك الاعيا والتعب الوجه الثانى
فى كيفية الاستدلال ان بتقدير ان يسكن الله الشمس
فى موضع معين فى الفلك واوقف الفلك عن الحركة فحينئذ
يدوم النهار فى ذلك الجانب من الارض وتعظم السخونة
فيه ويدوم الليل فى الجانب الاخر من الارض وتعظم
البرودة فيه وحينئذ يخرج كل واحد من جوانب الارض
عن صلاحية العمارة وسكنى الحيوانات الوجه الثالث
ان بتقدير تعاقب الليل والنهار فلو كان الليل اطول مما هو

فيتبين

الان او كان النهار اطول مما هو الان لبطلت المنافع ايضا
الا ترى ان تحت القطبين يكون نصف السنة نهارا
ونصفها ليلا الا ان هناك لا يصلح لتولد الحيوانات
ولا لتولد النبات فظهر ان المنافع لا تحصل الا بتعاقب
الليل والنهار ومع التعاقب لابد وان لا يكون الليل في غاية
الطول وان لا يكون النهار في غاية الطول ومتى حصل التعاقب
بين الليل والنهار وكان لكل واحد منهما مدة معتدلة ومقدار
معتدل حصلت المنافع وصلحت الامكنة لسكنى الحيوانات
الوجه الرابع ان كل واحد من الليل والنهار يصير بمجى الاخر
مغلوبا فلولا قهر قاهر وتدبير مدبر لامتنع ان يصير
الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا وهذا يدل على ان لهما محدثا
وموجدا وفيه ايضا دلالة على البعث لان الليل ياتى على
النهار فيبلعه حتى لا يبقى من اثر النهار شى ثم ان النهار ياتى
على الليل فيبلعه حتى لا يبقى من اثر الليل شى ثم انهما بقيا على
هذا التعاقب دايما فلما قدر المدبر سبحانه على اعادة الليل
الذى ذهب وبطل فدل ذلك على انه قادر على اعادة ما
اماته وافناه وان لم يبق له اثر الوجه الخامس من قوله
تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل دليل على
فساد قول الثنوية ان فاعل الخير غير فاعل الشر لان الامر لو
كان كما ذكر لما كان الاله الاتى بالنور هو الاله الاتى بالظلمة
فاذا غلب اله النور اله الظلمة فالغالب لا يصير مغلوبا
فوجب ان لا يزول النهار وان لا يحصل الليل فلما لم يكن كذلك
علمنا ان الليل والنهار والظلمة والنور بتقدير مقدر واحد
وتدبير مدبر واحد وهو الله رب العالمين بقى فى الاية سوالات
السوال الاول ما معنى السرمد فى اللغة الجواب السرمد هو
الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر
الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد السوال الثانى هلا قال

بنهار

بنهار تبصرون فيه كما قال بليل تسكنون فيه الجواب ان
منافع الليل هو السكون والنوم والراحة واما منافع
النهار فكثيرة يطول تعديدها لعله عدتها السوال الثالث
لم قال فى الليل افلا تسمعون وفى النهار افلا تبصرون فالجواب
لان الليل عبارة عن الظلمة وهى غير مرئية لاجرم قال
فى بقايها افلا تسمعون والنهار عبارة عن الضوء وهو
مرئى فلهذا السبب قال افلا تبصرون وقال الكلبى
قوله افلا يسمعون معناه افلا تطيعون من يفعل ذلك
وقوله افلا تبصرون معناه افلا تتفكرون ما انتم
عليه من الخطا والضلال النوع الثالث من وجوه دلالة
النهار والليل على الصانع المختار الحكيم قوله تعالى فى اخر
هذه الاية ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون واعلم ان تقرير
هذا الوجه ان الليل والنهار ضدان والضدان يكون كل واحد
منهما مبطلا لذات الاخر ولمنفعته اما الليل والنهار
فانه لا يحصل الانتفاع باحدهما الا عند حصول
الاخر فقلب طبيعة الضدين من المعاوقة الى المعاونة
مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وانما قلنا انه لا تحصل
المنفعة الا بتعاقبهما وذلك لانه لو دامت الظلمة ودام
النوم تعذرت الحركات فتهلك الحيوانات ولو دام الضوء
دامت السخونة ولم يحصل النوم ويستولى الاعياء
والتعب على الحيوانات فيموت الكل فظهر ان الانتفاع
باحدهما لا يمكن الا عند حصول تعاقبهما ومن المعلوم
ان قلب طبيعة الضدين من المعاوقة الى المعاونة لا يقدر
عليه الا الله تعالى ثم انه تعالى بين فى هذه الاية ازدواج
الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا
من فضله فى النهار ولتشتغلوا بالشكر عن هاتين المنفعتين

النوع الرابع من وجوه دلالة الليل والنهار على الصانع
الحكيم قوله تعالى في سورة الفرقان وهو الذي جعل
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وقال
في سورة عم وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا واما قوله وجعلنا نومكم
سباتا فقد طعن فيه بعض الملحدة فقال السبات هو
النوم فيصير التقدير وجعلنا نومكم نوما والجواب
عنه ان السبت في اصل اللغة هو القطع سبت الرجل
راسه يسبته سبتا اذا حلق شعره وقال ابن الاعرابي
في قوله سباتا يعني قطعا وعند هذا تحتمل الاية وجوها
الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما منقطعا
لا دايما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع الاشيا اما دوامه
فهو من اضر الاشيا فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم
ذكره الله تعالى في معرض الانعام الثاني ان الانسان
اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه التعب فسميت
تلك الازالة سبتا وقطعا وهذا هو المراد من قول
ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي راحة وليس غرضه
منه ان السبات اسم للراحة بل المقصود ان النوم
يقطع التعب ويزيله وحينئذ تحصل الراحة **الوجه
الثاني** قال المبرد وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه
نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه تقول العرب
رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يغالب النوم
كانه قيل وجعلنا نومكم لطيفا يمكنكم دفعه وما
جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض
الشديدة اما قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا قال
القفال اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان
ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى

الناس بظلمته ويغطيهم جعل لباسا لهم والمراد كون
الليل ساترا لهم واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة
الليل تستر الانسان عن العيوب اذا اراد هربا من عدو
او بياتا او اخفاء ما لا يحب الانسان اطلاع غيره عليه

قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد • تخبر ان المانوية تكذب

وكما ان الانسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته
فكذا بسبب النوم يندفع عنه اذى التعب الجسماني واذى
الافكار الموحشة النفسانية ولهذا السبب فان المريض
اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة اما قوله وجعلنا النهار
معاشا فاعلم ان للمعاش وجهين احدهما انه مصدر يقال عاش
يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا
التقدير لا بد فيه من اضمار والمعنى جعلنا النهار وقت
معاش والثاني ان يكون معاش مفعلا وظرفا للتعيش
وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار ومعنى كون النهار معاشا
ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوايجهم ومكاسبهم في النهار
لا في الليل **النوع الخامس** من وجوه دلالة الليل والنهار على
وجود الصانع الحكيم قوله تعالى في يس واية لهم الليل نسلخ
منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك
تقدير العزيز العليم واعلم ان قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ
منه النهار اشارة الى الليل وقوله والشمس لمستقر لها اشارة
الى النهار وفي قوله تجري لمستقر لها عدة اقوال اصحها انها
تجري وتتحرك لانتهاء امرها عند انقضا الدنيا اي لا تزال
تجري حتى تنتهي الى الوقت الذي تنقضي الدنيا فيه وفي ذلك
الوقت تقف وتستقر وتترك الحركة ولنذكرها هنا ان
النهار افضل من الليل وفي ترجيح كل واحد من الطرفين
وجوه سنذكرها ان شا الله تعالى **الفصل العاشر** في مباحث متفرقة

في هذا الباب **النوع الاول** في المباحث المتفرعة على كون
القمر هلالا اعلم انه تعالى فرع على كون القمر هلالا ابحاثا
تتعلق بعلم الاصول والتوحيد قوله تعالى في يس والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي
لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك
يسبحون ونظيره قوله تعالى في اذا السما انشقت فلا اقسم
بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فاعلم ان اصل
الاتساق الاجتماع يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته
فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان متسقة
اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال ابن عباس
اذا اتسق اي اذا استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار
وذلك ليلة ثلاثة عشر واما ما يتعلق بعلم الفروع فهو
قوله في سورة البقرة يسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج فنتكلم في شرح هذين الاصلين اما الاية
الاولى فاعلم انه تعالى جعل الزمان مقدارا من اربعة اوجه
السنة والشهر واليوم والساعة اما السنة فهي عبارة
عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من
الفلك بحركتها الخاصة على خلاف الحركة اليومية الى ان
يعود الى تلك النقطة بعينها والقوم اصطلحوا على جعل
تلك النقطة هي نقطة الاعتدال الربيعي وهو اول الحمل
واما الشهر فهي عبارة عن حركة القمر عن نقطة معينة
من الفلك الخاصة الى ان يعود الى ان تلك النقطة ولما كان
اشهر احوال القمر وصفته مع الشمس واشهر اوضاعه
من الشمس هو الهلال العربي مع ان القمر في هذا الوقت يشبه
الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم لا جرم
جعلوا هذا الوقت مبدا للشهر واما اليوم بليله فهو
عبارة عن مفارقة نقطة من دايرة معدل النهار نقطة

وابحاثا تتعلق بعلم الفروع
والتكليف اما ما يتعلق
بعلم الاصول فهو صح

من

من دايرة الافق او نقطة من دايرة نصف النهار وعوده
اليها فالزمان المقدر لهذا المقدار عبارة عن اليوم والليلة
ثم ان المنجمين اصطلحوا على تعيين دايرة نصف النهار مبدا
لليوم بليله واما اكثر الامم فانهم جعلوا مبادي الايام
بليا ليها من مفارقة الشمس افق المشرق وعودها اليه
من الغداة واحتج من نصر مذهبهم بان الشمس عند طلوعها
كالموجود بعد العدم فجعله اولا اولى وعلى هذا القول
فزمان الليل عبارة عن مدة كون الشمس تحت الارض
وزمان النهار عبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض
وفي شريعة الاسلام يفتتحون النهار من وقت طلوع
الفجر في وجوب الصلاة والصوم وغيرهما من الاحكام
وعند المنجمين مدة الصوم في الشرع هي زمان النهار كله
مع زيادة زمان من الليل معلومة المقدار محدودة المبدا
واما الساعة فهي على قسمين مستوية ومعوجة فالمستوية
جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم وليلة والمعوجة جزء
من اثني عشر جزءا من يوم وليلة فهذا هو الكلام المختصر في
تعريف السنة والشهر واليوم والساعة واذا عرفت
هذا فنقول اما السنة فهي عبارة عن دورة الشمس
فيحدث بسببها الفصول الاربعة وذلك لان الشمس
اذا حصلت في الحمل فاذا تحركت من هذا الموضع الى جانب
الشمال اخذ الهوى في جانب الشمال شيا من السخونة لقربها
من مسامتة الروس وتتواتر الاسخان الى ان يصل الى
اول السرطان وحينئذ يشتد الحر ما دامت في السرطان
والاسد لقربها من سمت الروس ثم تنكسر قليلا قليلا الى ان تصل
الى الميزان وحينئذ يطيب الهوى ويعتدل ثم ياخذ الحر
في النقصان والبرد في الزيادة ولا يزال يزداد البرد الى
ان تصل الشمس الى اول الجدي وحينئذ يشتد البرد وما

دامت في الجدي والدلو فالبرد يكون في غاية الشدة
الى ان ينتهي الى اول الحمل فحينئذ يطيب الهوى ويعتدل
وعادت الشمس الى مبدا حركاتها وتمت السنة وحصلت
الفصول الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف
والشتاء ومنافع الفصول الاربعة مشهورة في الكتب
واما الشهر فهو عبارة عن دورة القمر في الفلك الخاص
به وزعموا ان نوره مستفاد من الشمس وابدا يكون احد
نصفيه مضيئا بالتمام الا انه عند الاجتماع يكون نصفه
المضيء هو النصف الفوقاني فلا جرم نحن لا نرى في تلك
الحالة من نوره شيا وعند الاستقبال يكون نصفه
المضيء مواجها لنا فلا جرم نراه مستنيرا بالتمام وكلما
كان القمر اقرب الى الشمس كان المرئي من نصفه المضيء
اقل وكلما كان ابعد كان المرئي من نصفه المضيء منه اكثر
ثم انه من وقت الاجتماع الى وقت الاستقبال يكون
كل ليلة ابعد من الشمس لا جرم يرى كل ليلة ضوءه اكثر
من وقت الاستقبال الى وقت الاجتماع يكون كل ليلة
اقرب الى الشمس فلا جرم نرى كل ليلة ضوءه اقل ولا يزال
يقل حتى عاد كالعرجون القديم فهذا ما قال اصحاب
النجوم واما الاصوليون فانهم يقولون القمر جسم
والاجسام متماثلة في الجسمية والاشيا المتساوية
في تمام الماهية يمتنع اختلافها في اللوازم فاذن حصول
الضوء في جرم القمر والشمس امر جائز الوجود لا يمتنع
حصوله ولا يمتنع عدمه وما كان كذلك امتنع رجحان
وجوده على عدمه الا بترجيح الفاعل المختار فان ذلك
الفاعل يكون قادرا على ايجاده وعلى اعدامه وعلى هذا
التقدير فلا حاجة الى اسناد هذه الاختلافات
الحاصلة في نور القمر الى قربها وبعدها من الشمس

بل الحق

الحق ان حصول النور في جرم الشمس انما كان بسبب ايجاد
القادر المختار واذا كان كذلك لا محالة قادرا على ازالة
النور عن جرمه فحينئذ تكون صيرورة الشمس مظلمة
في ذواتها امرا جائزا وحينئذ ينفتح باب عظيم في الدين وهو
الايمان بصحة كل ما جاء في صفات الافلاك والكواكب
يوم القيمة نحو قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء كشطت
واذا عرفت هذا ظهر دلالة اختلاف القمر في الضوء
والنور على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وفي الاية سوالات
السوال الاول ما معنى قوله والقمر قدرناه منازل والجواب
معناه والقمر قدرنا مسيره منازل او له منازل على حذف
الجار او ذا منازل على حذف المضاف السؤال الثاني
ما العرجون الجواب العرجون اصل العذق قال الزجاج هو
معلول من الانعراج وهو الانعطاف واذا قدم دق وانحنى
واصفر فشبه الهلال به لدقته وانحنائه وتقويسه
فهذا ما يتعلق بعلم الاصول من مباحث الهلال اما ما
يتعلق بعلم الفروع فهو ان لقائل ان يقول خالق العالم
ومدبره لم خصص جرم القمر بهذا الاختلاف فنقول
لعلماء المسلمين في هذا المقام جوابان احدهما ان يقال
ان فاعلية الله تعالى لا يمكن تعليلها بغرض ومصلحة
ويدل عليه وجوه الاول ان من فعل فعلا لغرض فان
قدر على تحصيل ذلك الغرض دون تلك الواسطة كان
فعل ذلك الواسطة عبثا وان لم يقدر فهو عاجز الثاني
ان كل من فعل فعلا لغرض فان كان وجود ذلك الغرض اولى
لذلك الفاعل من وجوده كان ذلك الفاعل ناقصا بذاته
مستكملا بغيره وذلك في حق الله محال وان لم يكن اولى
لم يكن غرضا الثالث انه لو كان فعلا معللا بغرض فذلك

الغرض ان كان محدثا افتقر احداثه الى غرض اخر وان كان
قديما لزم من قدمه قدم الفعل وهو محال فلاجرم قالوا
كل شي صنعه فلا علة لصنعه ولا يجوز تعليل افعال الله
واحكامه من رعاية المصالح والحكمة والقايلون بهذا
القول سلموا ان العقول البشرية قاصرة في اكثر الامر
عن الوصول الى اسرار حكمة الله تعالى في ملكه وملكوته
الا ان الله تعالى اخبر عن الحكمة في اختلاف ضوء القمر
في ايات منها قوله تعالى في سورة البقرة يسلونك عن
الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ومنها قوله في يونس
وهو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق
ومنها قوله في بني اسرايل وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا
اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من
ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه
تفصيلا وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم وشرح هذا المعنى ان تقول ان تقدير
الزمان بالشهور فيه منافع بعضها يتصل بالدين وبعضها
يتصل بالدنيا اما ما يتصل منها بالدين فكثيرة منها الصوم
قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران ومنها
الحج قال تعالى الحج اشهر معلومات ومنها عدة المتوفى
عنها زوجها قال تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا ومنها مدة الحمل والرضاع قال تعالى وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا ومنها النذور التي تتعلق بالاوقات
كفضائل الصوم في اوقات لا سبيل الى معرفتها الا بالاهلة
واما ما يتصل بالدنيا فهو كالمداينات والاجارات ومدة
الحمل والرضاع وغيرها وكل ذلك مما لا يسهل ضبط
اوقاتها الا عند وقوع الاختلاف في ضوء القمر وتحقيق

الكلام فيه ان المصنف الذي يراعي الترتيب يقسم كتابه
الى انواع ثم كل نوع منها الى ابواب ثم كل باب منه الى فصول
حتى يكون الاطلاع على مضمون ذلك الكتاب اسهل وايسر
وجملة هذا العالم تصنيف الله تعالى وهو سبحانه يراعي
التسهيل على المكلفين فقسم جملة الزمان الى السنين
ثم قسم كل سنة اثني عشر شهرا كما قال تعالى ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ثم قسم كل شهر الى ايام
ثم كل يوم الى الساعات ثم قسم كل ساعة الى الانفاس
ثم قسم كل نفس الى اللمحات كما قال تعالى انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك ثم قسم كل لمحة الى الاجزا التي لا تتجزا
والايات التي لا تنقسم ولما ظهر ان اختلاف احوال
القمر معونة عظيمة في تعيين الاوقات وتحديدها
للوجوه التي ذكرناها لا جرم نبه على هذه النعمة بقوله قل
هي مواقيت للناس والحج لان تعديد جميع تلك المنافع يفضي
الى الاطناب والاقتصار على البعض دون اهمال البعض
فلم يبق طريق الا التنبيه على الكل بطريق الايجاز ومن
منافع اختلاف ضوء القمر انه لو لم يحصل هذا الاختلاف
لتاكد شبهة الفلاسفة في قولهم ان الاجرام الفلكية
لا يمكن تطرق التغيير الى احوالها فهو سبحانه بحكمته القاهرة
ابقى الشمس على حالة واحدة واظهر الاختلاف في احوال
القمر من وجهين احدهما المحو الذي في وجهه فان بعض
اجزايه مخالف لبعض في كيفية النور والثاني ان مقدار
ضوئه يختلف في كل يوم ثم جعل هذين النوعين من الاختلاف
دليلا على كون هذه الاجرام قابلة للاختلاف والتغير حتى
يدل ذلك على افتقار الشمس والقمر والنجوم والافلاك
والعناصر الى مقدر قادر حكيم سبحانه وتعالى **النوع
الثاني** في المباحث المتعلقة بالبروج قال تعالى في سورة

الحجر ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين
وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقال
تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود
واعلم انه تعالى لما ذكر البروج ذكر المنازل ايضا فقال في
سورة يونس وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم والكلام في المباحث المتعلقة بالبروج والمنازل
طويل الا انا نذكرها هنا من ذلك طرفا قليلا فنقول
اما البروج ففيها مباحث الاول وهو انا بينا مصالح
هذا العالم لا تنتظم الا بالفصول الاربعة المتعاقبة
فالحق تعالى قسم الفلك باربعة اقسام الربع الاول
التي متى كانت الشمس فيه كان الزمان ربيعا والربع الثاني
التي متى حصل الشمس فيه كان الزمان صيفا والربع الثالث
التي متى حصل الشمس فيه كان الزمان خريفا والربع الرابع
التي متى حصل الشمس فيه كان كان الزمان شتاء فقسم
الفلك الى هذه الارباع الاربعة ليحدث الفصول
الاربعة في الارض ثم انه تعالى قسم كل فصل الى ثلاثة
اقسام ابتدا ووسط وانتها والحكمة فيه ان الانتقال
من احد الضدين الى الضد الاخر يوجب الامراض والاسقام
الشديدة فلما كان الشتا باردا جدا جعل اول الربيع
ضعيفا في الحرارة حتى ينتقل الانسان من البرد الشديد
الى الحر الضعيف ولا تصير الطبيعة مقهورة ثم ان
ذلك الحر لا يزال يتزايد ويقوى حتى الى كمال الحر اللائق بالربيع
فحينئذ يقع الانتقال منه الى الحر الشديد الذي هو في
الصيف فلا تصير طبايع الامزجة والابدان مقهورة
فاول الربيع ضعيف الحر لانه مجاور للشتا واخر الربيع
قوي الحر لانه مجاور للصيف وبهذا التدبير يحصل

الانتقال

الانتقال من ضد الى ضد فلا تحصل الامراض والالام
بسبب ذلك فلهذا المعنى اقتضت الحكمة الالهية
ان ينقسم كل ربع من ارباع الفلك بثلاثة اقسام
احدها يكون مبدا لذلك الفصل والثاني وسطا له
والثالث يكون كمالا فصار لاجل الترتيب الفلك مقسوما
اثني عشر برجا ثم انه تعالى سير الشمس في هذه البروج
كما قال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها
سراجا وقمرا منيرا فلا جرم صير السنة اثنا عشر شهرا
كما قال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله
يوم خلق السموات والارض **الوجه الثاني** في عجايب
البروج اعلم ان العوالم ثلاثة العالم الاصغر وهو بدن
الانسان والعالم الاوسط وهو العالم السفلي بما فيه
من العناصر الاربعة والعالم العلوي هو عالم السموات
والكواكب اما العالم الاوسط فخلق فيه اجرام اربعة
الارض والما والهوى والنار واثقل الاجسام هو الارض
فلا جرم الارض تحت جميع الطبايع الاربعة والماء اقل
ثقلا منه فجعل الما محيطا بالارض ثم الهوى خفيف
فجعل الهوى محيطا بالما ثم النار اخف الاجسام العنصرية
فجعل النار محيطة بجميع العناصر الاربعة فهذا هو الترتيب
المحكم والوضع المتقن ثم انه تعالى قلب هذا الترتيب في
تخليق العالم الاصغر فجعل الارض فوق الكل والنار تحت
الكل والدليل على ان يافوخ الانسان فوق جميع اعضائه
وهو عظم والعظم بارد يابس وطبعه طبع الارض فجعل
الارض فوق جميع الاعضاء ثم جعل الهوى تحت الارض
فان النفس هوائي ومنفذ النفس هو الانف وهو تحت
اليافوخ ثم جعل الما تحت الهوا لان معدن الما هو الفم
والفم تحت الانف ثم جعل النار تحت الما لان معدن النار

للحرارة الغريزية وهو القلب والقلب تحت الاعضاء
ففي العالم الاوسط جعل الارض تحت الكل والنار
فوق الكل وفي العالم الاصغر قلب هذا الترتيب
فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل ليظهر
للعقلاء ان السبب في حصول الترتيب تخليق القادر
المختار وتكوينه لا تاثير الطبيعة والخاصية واما
في العالم الاكبر فقد رتبت هذه الطبايع على خلاف
ما وقع ترتيبها في العالم الاصغر وفي العالم الاوسط
وذلك لان الحمل برج ناري ثم يجاوزه الثور وهو ارضي
ثم يجاوزه الجوزا وهو هوائي ثم يجاوزه السرطان وهو
مائي فوقع الابتدا بالناري والانتها بالمائي واعلم ان
الحكمة في وقوع هذه الطبايع الاربعة في كل واحد من
هذه العوالم الثلاثة على ترتيب اخر مخالف لترتيب غيره
ليكون ذلك شاهدا بان الطبايع معزولة والخواص
باطلة ولا تاثير الا لقدرة الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد الوجه الثالث ان ترتيب
العناصر الاربعة في العالم الاسفل وقع بحيث يكون
كل متجاورين منهما فانهما يشتركان في كيفية ويتباينان
باخرى مثل الارض والما يشتركان في البرد ويختلفان
في الرطوبة واليبوسة والما والهوى يشتركان في الرطوبة
ويختلفان في البرودة والحرارة والهوى والنار يشتركان
في الحرارة ويختلفان في الرطوبة واليبوسة قالوا والسبب
فيه ان لا يتجاور ضدان من كل الوجوه ثم ان هذه الدقيقة
صارت متروكة في ترتيب الطبايع في العالم الاكبر وذلك
لان هناك قد تجاورت البروج المتضادة الا ترى ان
الحوت والحمل متضادان لان الحوت بارد رطب والحمل
حار يابس وهما متجاوران وكذلك الثور والجوزا متضادان

لان

وكذلك السرطان والاسد وكذلك السنبلة والميزان
وكذا العقرب والقوس وكذا الجدي والدلو كل واحد من
هذين البرجين متضادان بكلتي الكيفيتين وهما متجاوران
وهذا من ادل الدلايل على ان تجاور هذه البروج ليس لاجل
مشاكلة طبايعها ومجانسة ذواتها بل ذلك لايجاد القادر
المختار جل جلاله وتقدست اسماوه الوجه الرابع ان
الشمس في غاية السخونة ومذهبكم ان الحمل برج حار يابس ناري
والسرطان برج بارد رطب مائي فلو كانت هذه التاثيرات
حاصلة بسبب الطبيعة لكانت اذا حصلت الشمس
في الحمل فقد حصل كوكب حار جدا في برج حار جدا فوجب ان
يقوى السخونة جدا ولو حصلت الشمس في السرطان فقد
حصل كوكب حار جدا في برج بارد جدا فوجب ان ينكسر حره
ويضعف لكن ليس الامر كذلك فانه حين تحصل الشمس في
الحمل يكون الحر ضعيفا وحين تحصل في السرطان يكون الحر
قويا فعلمنا ان قوة الحر ليس لتاثير الانجم والبروج بل بتقدير
المقدر وتدبير الصانع الحكيم فان قيل اذا حصلت الشمس
في السرطان فهاهنا وان حصلت الشمس في البرج البارد
الرطب الا انها على سمت الراس فلاجرم قوي الحر بهذا
السبب قلنا هذا باطل بكونها في الاسد لان الشمس حال
كونها في الاسد تباعدت عن سمت الراس مع ان الحر عند
كون الشمس في الاسد اشد واقوى وهذه الاعتبارات
دالة على ان تغير احوال العالم بسبب تقدير الصانع المختار
لا بسبب احوال الانجم والافلاك الوجه الخامس ان القوم
لما سلموا ان البروج مختلفة في الطبايع والماهيات
فان واحدا منها يقتضي السخونة واليبوسة والاخر يقتضي
البرودة والرطوبة فلولا اختلافها في الماهية والا لما
اختلفت اثارها واذا كانت هذه البروج مختلفة

الطبايع والماهيات كان الفلك مركبا من اجسام مختلفة
الطبايع والحقيقة كما ان الانسان مركب من اعضا مختلفه
واجزا غير متناسبة في الحقيقة والماهية وكل مركب
فانه ينتهي لا محالة الى الانحلال والاختلاف ومباينة
كل واحد من تلك الاجزا المتنافرة المتباعدة من صاحبه
وهذا يقتضي ان السموات تنشق وتخرب ولا يبق تركيبها
وهو مطابق للقران العظيم ولنكتف بهذا القدر من الكلام
في البروج والمنازل وبالله التوفيق **النوع الثالث** في المباحث
المتعلقة بالشفق قال الله تعالى فلا اقسم بالشفق والليل
وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق اعلم ان تركيب
لفظ الشفق اصله في اصل اللغة لرقة الشي ومنه يقال شي
شفق اذا كان رديا وذلك لضعفه ورقته وجوده واشفق
عليه اذا رق قلبه عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق
العلما على انه اسم الاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها
ثم اختلفوا فذهب عامة العلما الى انه هو الحمرة وهو قول
ابن عباس والكلبي ومقاتل ومن اهل اللغة قول الليث
والفرا والزجاج وعن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض
وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه واحتج الاولون على قولهم
بوجوه **الحجة الاولى** قال الفرا سمعت بعض العرب يقول عليه
ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان ذلك الثوب احمر فدل ذلك
على ان الشفق هو الحمرة **الحجة الثانيه** ان الامة مجمعة على ان
الشفق هو وقت العشا الاخير فوجب ان يكون المعتبر
هو الحمرة لا البياض لان البياض يمتد وقته ويطول لبثه
والحمرة لما كانت بقية ضو الشمس عن الافق ذهبت الحمرة
الحجة الثالثة ان اشتقاقه لما كان من الرقة ولا شك ان الضو
ياخذ في الرقة والضعف عند غيبوبة الشمس فتكون الحمرة شفقا
اما من قال انه هو البياض فقد احتج بوجوه **الحجة الاولى** انا

بينا ان اشتقاق هذا اللفظ يدل على الضعف والبياض
الباقي اثر ضعيف بقي من الشمس فوجب ان يكون مسمى
باسم الشفق **الحجة الرابعة** ان صلاة الصبح وصلوة
العشا صلاتان واقعتان على الطرفين فلما كان وقت
صلاة الصبح بطلوع البياض وجب ان يكون وقت
صلاة العشا بغروب البياض اما قوله تعالى والليل
وما وسق فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق
وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن ثم صار اسما للحمل
واستوسقت الابل اذا اجتمعت قال القفال مجموع اقاويل
المفسرين يدل على انهم فسروا قوله تعالى وما وسق على جميع
ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار
وتحرك ما يتحرك فيه من الهوى ثم هذا يحتمل ان يكون اشارة
الى الاشيا كلها لاشتماله عليها وانه تعالى اقسم بجميع
المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
وقال سعيد بن جبير المراد من قوله وما وسق الاعمال
التي عملت في الليل قال القفال يحتمل ان يكون ذلك تهجيد
العباد لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فجاز
ايضا ان يحلف بهم وانما قلنا ان الليل جمع هذه الاشيا
كلها لان ظلمته تخلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات
فلا جرم صح ان يقال وسق الليل جميع هذه الاشيا
اما قوله والقمر اذا اتسق فاعلم ان اصل الكلمة من
الاجتماع يقال وسقته فاتسق كما يقال فصلته فاتصل
قال ابن عباس والقمر اذا اتسق اي اذا استوى واجتمع
وتكامل واستدار وذلك ليلة الرابع عشر ثم قال لتركبن
طبقا عن طبق فيه مسايل **المسئلة الاولى** قرى لتركبن
بضم البا على خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان
انك كادح للجنس ولتركبن بكسر البا على خطاب النفس

وليركبن الانسان باليا على معنى لايركبن الانسان
المسلة الثانية الطبق ما طابق غيره يقال ما هذا يطبق
لذا اى لا يطابقه ومنه قيل للعطا الطبق واطباق الثرى
ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه
قوله تعالى طبقا عن طبق اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة
لاختها ولنذكر وجوه المفسرين فنقول اما القراة برفع
البا وهو خطاب الجمع فيحتمل وجوها الاول ان يكون
المعنى لتركبن ايها الناس امورا واحوالا امرا بعد امر وحالا
بعد حال ومنزلا بعد منزل الى ان يستقر الامر على ما يقضى
به على الانسان اوله من جنة او نار فحينئذ يحصل الدوام
والخلود اما فى الثواب او فى العقاب ويدخل فى هذه الجملة
احوال الناس من حين يكون نطفة الى ان يصير شيخا ثم يموت
فيكون فى البرزخ ثم يحشر ثم ينقل اما الى الجنة واما الى النار
والثانى ان معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيمة احوالا
وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث
كاين والناس يلقون فيه الشدايد والاهوال الى ان يفرغ الله
من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار وهو
كقوله بلى وربى لتبعثن ثم لتنبون بما عملتم وقوله يوم يكشف
عن ساق وقوله يوما يجعل الولدان شيبا والثالث ان يكون
المعنى ان الناس تنقل احوالهم فمن متنعم يشقى ومن شقى يتنعم
وهو كقوله خافضة رافعة وهذا التاويل مناسب لما قبل
هذه الاية لانه تعالى لما ذكر حال من يوتى كتابه وراء ظهره
انه كان فى اهله مسرورا وكان يظن ان لن يحور اخبر الله تعالى
انه يحور ثم اقسم ان الناس يركبون يوم القيمة طبقا عن طبق
اى حالا بعد حال فى الدنيا والرابع ان يكون المعنى لتركبن سنة
الاولين ممن كان قبلكم فى التكذيب بالنبوة والقيمة واما
القراة بنصب البا من قوله لتركبن فيه اقوال الاول ان يكون

ذلك بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بالظفر والغلبة
على المشركين المكذبين بالبعث كانه قال اقسم يا محمد لتركبن
حالا بعد حال حتى يتم لك بتجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم
وتماديهم فى كفرهم ويتفرع على هذا القول احتمالات
احدها ان يكون المعنى انه ركب حال ظفر وغلبة بعد حال
خوف وشدة والاحتمال الثانى ان يكون المعنى ان الله تعالى
يبدله بالمشركين انصارا مسلمين ويكون مجاز ذلك
من قولهم طبقات الناس والقول الثانى ان يكون ذلك
بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بصعوده الى السموات
يشاهد ملكوتها ويشاهد اجلال الملايكة له والمعنى
لتركبن يا محمد الى السموات طبقا عن طبق قال تعالى سبع سموات
طباقا وقد فعل الله ذلك ليلة الاسرا وهذا القول
مروى عن ابن عباس وابن مسعود والقول الثالث
لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب
من الله تعالى والقول الرابع فى هذه القراة ان هذه الاية
واردة فى شرح احوال السموات والمعنى لتركبن السما
يوم القيمة حالة بعد حالة وذلك لانها اولا تنشق كما
قال تعالى اذا السما انشقت ثم تنفطر كما قال تعالى اذا السما
انفطرت ثم تصير وردة كالدهان وكالمهل على ما ذكر الله
تعالى هذه الاشيا فى ايات من القران فكانه تعالى لما ذكر
فى اول السورة انها تنشق اقسم فى اخر السورة انها تنقل
من احوال الى احوال وهذا مروى عن ابن مسعود **النوع
الرابع** فى المباحث المتعلقة بالاظلال قال تعالى فى سورة
الرعد ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها
وظلالهم بالغدو والاصال وقال فى النحل اولم يروا الى
ما خلق الله من شى تتفيوا ظلاله عن اليمين والشمايل
سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى

الارض من دابة والمليكة وهم لا يستكبرون يخافون
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون وقال في الفرقان
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم
جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
ولنشرع في تفسير هذه الاية المذكورة في سورة الفرقان
فنقول انه تعالى استدل بحال الظل في زيادته ونقصانه
وتغيره من حال الى حال على وجود الصانع الحكيم اما في
قوله الم تر ففيه وجهان احدهما انه من روية العين والثاني
انه من روية القلب وهو العلم فان حملناه على روية العين
فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان حملناه على العلم
وهو اختيار الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى وذلك
لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتاثير قدرة الله تعالى
في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان
كل متغير ممكن وكل ممكن فله موثر فحمل هذا اللفظ على روية
القلب اولى من هذا الوجه المسلة الثانية المخاطب بهذا
الخطاب وان كان هو الرسول عليه السلام بحسب
ظاهر اللفظ الا ان الخطاب عام في المعنى لان القصد
بالاية بيان نعام الله تعالى بخلق الظل وجميع المكلفين
مشتركون في انه يجب كونهم متنبهين لهذه النعمة
واستدلالهم بها على وجود الصانع الحكيم سبحانه والكلام
الملخص يرجع الى وجهين الاول ان الظل هو الامر المتوسط (نخ: المخلص)
بين الضو الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين طلوع
الفجر الى طلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل
السقف وابنية الجدران وهذه الحالة اطيب الاحوال
لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها المزاج
واما الضو الخالص وهو الكيفية العارضة من الشمس
فهي لقوتها تبهر حس البصر وتفيد السخونة القوية وهي

موذية فاذا اطيب الاحوال هو الظل ولذلك وصف الجنة
قال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى بين ان الظل
من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان الناظر الى الجسم
المكون وقت الظل لانه لا يشاهد شيا سوى الجسم وسوى
اللون ولا يعرف ان الظل امر ثالث به يكمل الانتفاع بمحسوسات
هذا العالم فاذا اطلعت الشمس ووقع ضوها على اجسام
هذا العالم زال ذلك الظل فلولا وقوع ضو الشمس على الاجرام
لما عرف ان للظل وجودا وحقيقة لان الاشيا انما تعرف
باضدادها ولولا الظلمة لما عرف النور فكانه سبحانه لما اطلع
الشمس على الارض زال الظل فحينئذ يظهر للعقول ان
الظل كيفية زايدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظلال لما فيها
من المنافع والخيرات ثم هدينا العقول الى معرفة وجودها
بان اطلعت الشمس فكانت دليلا على وجود كيفية الظل
الذي هو منشا المنافع الكثيرة ثم قبضناه اي ازلنا
الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع
الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب ولما كانت
الحركات المكانيات لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا فكذا
زوال الاظلال لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا وايضا
قبض الاظلال لو حصل دفعة لاختلت المصالح لكن
قبضها يسيرا يسيرا يفيد رعاية مصالح العالم والمراد
بالقبض الازالة والاعدام وهذا احد التاويلين التاويل
الثاني انه تعالى لما خلق الارض والسما وما خلق الشمس
والقمر والكواكب وقع ظل السما على الارض فحصلت
ظلمة شديده متكاثفة في الارض ثم انه تعالى خلق الشمس
دليلا عليه وذلك لان بحسب حركات الاضوا تتحرك
الاظلال فانهما متعاقبان ومتلازمان لا واسطة بينهما

ومقدار ما يزاد احدهما ينقص للاخر وكما ان المهتدي يهتدي
بالهادي والدليل يلازمه فكذلك الاظلال كلها مقتدي
وملازمة للاضوا فهذا هو المراد من جعل الشمس دليلا
عليه واما قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا فاما ان
يكون المراد انتها الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصانها
فسمى ازالة الاظلال قبضالها او يكون المراد من قبضها
يسيرا يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض
اسبابها وهي الاجرام التي تلقى الاظلال وقوله يسيرا
كقوله ذلك حشر علينا يسير فهذا هو التاويل المخلص
الملخص
اذا عرفت هذا فنقول الاستدلال به على وجود الصانع
المحسن الرحيم ظاهر وذلك لان حصول الظلال امر نافع
للاحيا العقلا واما حصول الضوء الخالص والظلمة
الخالصة فهو موجب للمضار لا للمنافع وذلك لان
التركيب الانساني تركيب ضعيف والحواس الانسانية
لا تطيق ادراك الكيفيات القوية واعتبر ان النظر
الى الضوء القوي يعمي البصر وسماع الاصوات القوية تورث
الصمم وملامسة الحر القوي والبرد القوي تورث الموت
بل لا بد من الاعتدال في المدركات والمحسوسات والظل
كيفية معتدلة كانها كيفية متولدة من امتزاج النور
والظلمة فثبت ان كيفية الظل من المنافع العظيمة اذا
ثبت هذا فنقول هذه الكيفية اما ان تكون من الواجبات
او من الجايزات والاول باطل والا لما تطرقت التغيرات
اليه فاذا هو من الجايزات فلا بد لوجوده بعد العدم ولعدمه
بعد الوجود من صانع قادر رحيم محسن يقدر هذه
الاظلال في قوتها وضعفها بالمقدار النافع ويقدر بقاها
وانتقالاتها بالمقادير النافعة وما ذاك الا انه سبحانه
خصص الشمس والقمر والنجوم كل واحد منها بمقدار

خاص

خاص من الحركة في الجهة والبطو والسرعه وما ذاك الا
من المحسن الحكيم الرحيم فهذا هو الكلام في الاستدلال
بوجود هذه الاظلال على الصانع الحكيم واعلم ان
للاظلال انواعا من الخواص العجيبة الخاصية الاولى
ان الاظلال في انفسها متحركة وذلك لان الحس البتة
لا يشاهد حركتها اما ان العقل قاطع بكونها متحركة
وذلك لان الحس شاهد بانتقال الظل من مكان الى مكان
اخر ولولا حركتها والا لما حصل هذا الانتقال واما ان
الحس لا يشاهد حركاتها فالامر فيه ظاهر **النوع الخامس**
من المباحث المتعلقة بالنجوم واعلم انه تعالى ذكر في القرآن
انواعا من منافعها الاول كونها زينة السما والثاني كونها
رجوما للشياطين والله سبحانه وتعالى ذكر هاتين المنفعتين
معا في ايتين احدهما قوله في الصافات انا زينا السما الدنيا
بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون
الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
وثانيها في الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وذكر تعالى
في سورة الجن هذه المنفعة الثانية وهي كون هذه الكواكب
رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذابا السعير فقال حكاية
عن الجن وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا فلنتكلم في شرح هاتين المنفعتين اما المنفعة
الاولى وهي كون هذه النجوم زينة السما الدنيا ومصابيح
فيها فاعلم ان هذا مشتمل على بحثين احدهما كونه زينة ومصابيح
والثاني انها في السما الدنيا اما انها زينة للسما فلا شك
فيه واما انه تعالى سماها مصابيح في سورة الملك
وذلك لان المصابيح هي السرج والناس يزينون مساجدهم

ودورهم بالمصابيح فكانه قيل ولقد زينا سقف الدار
التى اجتمعتم فيها بمصابيح اى بمصابيح لا تساويها مصابيحكم
فى الاضاءة البحث الثانى ان ظاهر هذه الاية يدل على ان هذه
الكواكب مركوزة فى السماء الدنيا لكن اصحاب الهيئة
والنجوم اتفقوا على ان هذه الثوابت مركوزة فى الفلك
الثامن الذى هو فوق اكثر السيارات واحتجوا عليها
بان بعض هذه الثوابت فى الفلك الثامن فيجب ان يكون
كلها هناك وانما قلنا ان بعضها فى الفلك الثامن
وذلك لان الثوابت التى تكون قريبة من المنطقة
واقعة فى ممر السيارات تنكشف بهذه السيارات
والمكشوف لابد وان يكون فوق الكاشف فهذه
الثوابت فوق اكثر السيارات الكاشفة وانما قلنا
انه لما كان بعض الثوابت فى الكرة الثامنة وجب ان
تكون كلها فى الكرة الثامنة لانها باسرها متحركة حركة
واحدة بطيئة فى كل مائة سنة درجة واحدة واذا كانت
هذه الثوابت متشابهة فى الحركة وجب ان تكون كلها
مركوزة فى كرة واحدة واعلم ان هذه الحجة ضعيفة فانه
يلزم من تشابه الثوابت كلها فى الحركات كونها باسرها
مركوزة فى كرة واحدة لانه لا يمتنع فى العقل وجود كرة
تحت كرة القمر وتكون مشابهة فى البطو لكرة الثوابت
وتكون الكواكب التى لا تنكشف بهذه السيارات
مركوزة فى هذه الكرة السفلية التى هى سما الدنيا
اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفين بالصغر والكبر مع كونهما
متشابهتين فى الحركة الا ترى ان ممثلات جميع السيارات
سوى القمر متحركة حركة بطيئة مشابهة لحركة فلك
الثوابت وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان يكون اكثر هذه
المصابيح مركوزة فى السما الدنيا فان قيل هب ان ما ذكرتم

يحتمل

يحتمل الا انكم سلمتم ان هذه الكواكب الثابتة الواقعة
فى ممر السيارات المنكشفة بها مركوزة فى كرة فوق اكثر
هذه السيارات السبعة وحينئذ يعود الاشكال
فى تلك الكواكب والجواب من وجهين الاول قوله تعالى
ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح يقتضي ان يكون السما الدنيا
الدنيا مزينة بمصابيح وليس فيه دلالة على ان الكواكب
فى هذه السما واما قوله فى سورة الصافات انا زينا السما
الدنيا بزينة الكواكب فصيغة الجمع وان كان يفيد
الاستغراق الا ان اطلاق لفظ العموم لارادة الاكثر
مجاز مشهور فى القران الوجه الثانى فى الجواب ان قوله تعالى
انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب لا يقتضي كون الكواكب
موجودة فيها وذلك لان السموات اذا كانت شفافة
فالكواكب سوا كانت فى سما الدنيا او كانت فى سموات اخر
فوقها فهى لابد وان تظهر فى السما الدنيا وتلوح فيها فعلى
التقديرين تكون السما الدنيا متزينة بهذه المصابيح المنفعة
الثانية للكواكب كونها رجوما للشياطين روى ان الجن
كانوا يصعدون الى السموات ويستمعون الاخبار ويرجعون
الى الدنيا ويلقونها على الخلق فكان يصير ذلك سببا لتمكن
الكهنة من الاخبار عن الغيوب فلما بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم حرست السما ورصدت الشياطين فمن جا منهم
مسترقا للسمع رمى من هذه الكواكب بشهاب فاحرقه
فهذا هو السبب فى انقضاض الشهب وهو المراد من قوله
وجعلناها رجوما للشياطين ومن الناس من طعن فيه واحتج
بوجوه الحجة الاولى ان انقضاض الكواكب امر مذكور فى
كتب قدما الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس
ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ كرة النار احترق بها فتلك
الشعلة هى الشهاب واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان

يقال السبب فيه رمى الجن بالشعلة من النار الحجة الثانية
ان هولاء الجن كيف يعقل ان يشاهدوا واحدا والفا من
جنسهم كلما استرقوا السمع احترقوا ثم انهم مع ذلك
يعودون الى مثل صنيعهم فان العاقل اذا راى الهلاك
فى شئ مرة واحدة والفا امتنع ان يعودوا اليه من غير فايدة
الحجة الثالثة انه روى فى الاخبار ان ثخن كل واحد من
السموات مسيرة خمسماية عام فهولاء الجن ان قدروا
على خرق هذه السموات مع عظمتها فهذا باطل لان الله تعالى
نفى ان يكون فيها فطور قال تعالى هل ترى من فطور وقال
وما لها من فروج ووصفها بالشدة فقال سبعا شدادا
وان لم يقدروا الجن على خرق اتصال السموات فكيف يمكنهم
ان يسمعوا اسرار الملئكة من هذا البعد العظيم ثم ان يعقل ان
يسمعوا اسرار الملئكة من هذا البعد العظيم فلم يسمعون
تلك الاسرار من الارض وحينئذ لا يبقى فايدة فى تبعيدهم
من السما الحجة الرابعة ان الملائكة انما اطلعوا على الاخبار
المستقبلة اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او
لانهم تلقنوها من وحى الله اليهم وعلى التقديرين فلم يسكتوا
عن ذكرها حتى لا يتمكن الشيطان من الوقوف عليها لا
سيما وقد وصفهم الله تعالى بقوله لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون فاذا لم ياذن الله لهم فى ذلك الكلام لا
يذكرونه واذا لم يذكروه عجز الشيطان عن الوقوف عليه
الحجة الخامسة ان القران دل على ان الشياطين مخلوقة من
النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار والنار لا تحرق
بالنار بل تقويها فكيف يعقل ان يقال ان الشياطين زجروا
عن استراق السمع بهذه الشهب الحجة السادسة انا ان قلنا
ان هذا القذف كان لاجل صون المعجزات عن شبهات
الكهنة فلم دام ذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحجة

الحجة السابعة انه تعالى قال ولقد زينا السما الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين دل هذا على انه
تعالى خلق الكواكب لهاتين المنفعتين فاذا كانت احدى
المنفعتين وهى التزيين كانت موجودة قبل مبعث النبى
صلى الله عليه وسلم وجب ان تكون المنفعة الثانية
ايضا كانت موجودة قبل ان بعث محمد صلى الله عليه
وسلم الحجة الثامنة ان وصف هذا الانقضاض جا
فى شعر الجاهلية قال بشر بن ابى حازم
والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر

وانقض كالذى يتبعه ۰ نقع ثور تخاله طينا

وقال عوف بن الخزع

يرد علينا العير من دون الفه ۰ او الثور كالدرى يتبعه الدم
الحجة التاسعة روى الزهرى عن على بن الحسين رضوان الله
عليهم عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال
صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى
الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم
قالوا فثبت بهذه الوجوه ان هذه الشهب لا يجوز ان يكون
المعنى فيها ما ذكرتم والجواب عن الشبهة الاولى انا لا ننكر
ان هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم لمنافع اخرى الا ان ذلك لا ينافى
انها بعد البعث قد حصلت لسبب اخر وهو دفع الجن
وزجرهم يروى انه قيل للزهرى اكان يرمى فى الجاهلية
فقال نعم قال افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت
وشدد امرها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم واما

الجواب عن الشبهة الثانية انه اذا جا القدر عمى البصر
فاذا قضى الله تعالى على طايفة منها الاحتراق لطغيانها
وضلالها اوقع فى قلوبها من الدواعى المطمعة فى درك
المقصود بما يعينها على العمل المفضى الى الهلاك والبوار
والجواب عن الشبهة الثالثة انا نسلم ان البعد بين كل سما مسيرة
خمسماية عام اما ثخن كل فلك فلعله لا يكون عظيما والجواب
عن الشبهة الرابعة ما روى الزهرى عن على بن الحسين
رضوان الله عليهم عن ابن عباس ذكر قصة الرمى بالنجم قال
فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته
ولكن ربنا الله تعالى اذا قضى الامر فى السما سبحت حملة
العرش ثم سبح اهل كل سما حتى ينتهى التسبيح الى سما الدنيا
ثم يستخبر اهل كل سما ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهى
ذلك الخبر من سما الى سما الى ان ينتهى الخبر الى سما الدنيا فيخطف
الجن فيرمون والجواب عن الشبهة الخامسة ان النار قد
تكون اقوى من نار اخرى فالاقوى يبطل الاضعف والجواب
عن الشبهة السادسة قد بينا ان الشهب كانت موجودة
لساير المنافع الا انها فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم
شددت وغلظت لهذا المقصود الاخر فعند زوال
نقض القاصد لا يجب زوال الشهب وهذا هو الجواب
عن بقية الشبهات فى حكمة الشهب المنفعة الثالثة
فى تخليق الكواكب انه تعالى جعلها علامات يهتدى بها فى
ظلمات البر والبحر قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون
المنفعة الرابعة ان يستدل بحركاتها التسخيرية على وجود
الصانع الحكيم كما فى سورة الاعراف والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره فهذه هى المنافع المذكورة فى القرآن
واهل التجارب ذكروا وجوها اخر منها انه يحصل بسببها
فى الليل قدر من الضوء ولذلك فانه اذا تكاثف السحاب

فى

فى الليل عظمت ظلمة الليل وذلك بسبب ان السحاب يحجب
انوارها ولا يبعد ادخال هذه المنفعة تحت قوله وعلامات
وبالنجم هم يهتدون فان ذلك القدر من الاضاءة اذا حصل
ترتب عليه الاهتدا ومنها انه يحصل بسببها تفاوت
فى احوال الفصول الاربعة وذلك لانها اجسام عظيمة
نورانية فاذا قارنت الشمس كوكبا دريا مسخنا صار الصيف
اقوى حرا وهو مثل نار تضم الى نار اخرى فانه لا شك انه يكون
الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه يستدل ببعض
الكواكب عن معرفة القبلة ولا شك انها من المهمات
واعلم انه تعالى بين ان له فى تخليق البعوضة حكما عظيمة فقال
ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما
الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا فاذا كانت خلقه
البعوضة لا تنفك عن حكمة باهرة ودلايل قاهرة
فكيف يجوز انفكاك خلقه هذه النجوم الشريفة والكواكب
النورانية الدرية عن حكم شريفة واسرار قدسية فجميع
اجزا العالم بسمواته وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله
ومعادنه ونباته وحيوانه واعضا حيواناته لا تخلو ذرة
من ذراته عن حكم كثيرة باهرة عرفناها اولم نعرفها فسبحانه
هو العزيز الحكيم الباب الثالث فى الاستدلال
بخلقة الانسان على وجود الصانع الحكيم سبحانه وفيه
فصول الاول فى الحكمة فى خلق الانسان اعلم ان هذه
المناظرة هى التى شرحها الله تعالى فى قوله واذ قال ربك
للملايكة انى جاعل فى الارض خليفة الى اخر الاية واعلم انه
تعالى لم يذكر وجه الحكمة فى هذه الاية على التفصيل فى تخليق
الانسان وانما رد عليهم بقوله انى اعلم ما لا تعلمون وللعلما
فى هذا المقام طريقان الاول الطريقة الاجمالية التى ذكر

الله تعالى فى هذه الاية وتقريرها انه تعالى قادر على جميع
المقدورات منزه عن كل الحاجات عالم بكل المعلومات
فاذا كان الامر كذلك كان لا محاله عالما بانه ما الذى ينبغى
فعله وما الذى ينبغى تركه وكان عالما لا محالة بكونه غنيا
عن كل ما لا ينبغى ومن كان غنيا عما لا ينبغى كان عالما بكونه
غنيا عما لا ينبغى واذا كان كذلك امتنع اقدامه على فعل
ما لا ينبغى واذا كان الامر كذلك ثبت ان كل ما يفعله الله
تعالى حكمة وصواب وانه منزه عن فعل العبث كما قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا ومنزه عن فعل اللعب كما
قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
ومنزه عن فعل الباطل كما قال تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا بل كل ما فعله
فهو انما فعله بالحق كما قال ما خلقناهما الا بالحق وله الملك
والملك بالحق كما قال تعالى ثم ردوا الى الله موليهم الحق
ومتى علمنا ان الامر كذلك علمنا ان له فى تخليق البشر حكمة
بالغة واسرار شريفة ولكنه تعالى ما كشف تفاصيلها
للبشر كما قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم فوجب الايمان بذلك الحكم على الاجمال
وترك الخوض فى تفاصيلها الطريق الثانى بيان حكمة
خلق الانسان على التفصيل وفيه وجوه الاول ان
المخلوقات على اربعة اقسام احدها الذى له عقل
ولا شهوة له وهم الملئكة قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وقال يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون والثانى الذى له شهوة ولا عقل له وهو كل
الحيوان سوى الانسان والثالث الذى له شهوة وعقل
وهو الانسان فان رجح شهوته على عقله التحق بالبهائم
بل كان اضل كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل

وان

وان ترجح عقله على شهوته التحق بالملئكة قال تعالى
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا الرابع الذى
لا عقل له ولا شهوة وهى الجمادات ثم انه تعالى كان فى
العهد الاقدم والزمان الاسبق خلق الاقسام الثلاثة
وبقى القسم الرابع وهو الذى يحصل فيه العقل والشهوة
معا فاقتضت قدرته التامة ومشيته الكاملة خلق
هذا القسم الرابع لئلا يبقى شئ من الاقسام الممكنة محروما
عن جود ايجاده ونعمة ابداعه فعند هذا قال للملئكة انى جاعل
فى الارض خليفة فقالت الملئكة انا اذا اجتمعت بين الشهوة
والغضب وبين العقل جات المنازعة فيتولد الفساد من
الشهوة ويتولد سفك الدماء من الغضب وقال مدبر
العالم المحيط علمه بجميع الكليات والجزئيات انى اعلم ما لا
تعلمون ويحتمل والله اعلم بمراده ان يقال انه يحصل من تخليقهم
وتكوينهم كمال حكمتى وقدرتى ورحمتى ويحصل منه ايضا
كمال حالهم ودرجتهم واما كمال قدرتى فكيلا يبقى هذا
القسم محروما عن اثر الجود واما كمال حكمتى فلانه وان كان
الفساد والقتل يحصلان كثيرا الا ان الاكثر عدمهما وحصول
العبودية والتذلل وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير وهو غير لايق لحكمتى واما كمال حالاتهم ودرجاتهم
فهو ان العمل بمقتضى العقل عند عدم الشهوة ليس فى غاية
الكمال انما الكمال هو العمل بمقتضى العقل مع قيام منازع
الشهوة كما فى حق البشر فيحتمل فى ظنوننا ان المراد بقوله
انى اعلم ما لا تعلمون هو هذا المعنى والله اعلم باسرار كلامه
والقسم الثانى المخلوقات اعلم ان مخلوقات الله تعالى
بحسب التقسيم العقلى على ثلاثة اقسام فانها اما
ان تكون ارواحا قدسية نورانية ربانية بلا اجساد
واما ان تكون اجساد بلا ارواح واما ان تكون مركبة

من الازواج والاجساد اما القسم الاول فهم الملئكة فهم الملئكة ولهذا السر سماهم الله تعالى في القران بالروح القدس قال تعالى في سورة البقرة في صفة عيسى عليه السلام وايدناه بروح القدس وقال نزل به الروح الامين على قلبك وقال في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وقال في عم يوم يقوم الروح والملئكة صفا بل سمى اثارهم في الارواح البشرية روحا فقال في النحل ينزل الملئكة بالروح من امره وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا واما القسم الثاني اعني التي يكون اجسادا بلا ارواح فهي الحيوانات والنبات والمعادن فان قيل الحيوان له روح فكيف ادخلته تحت القسم الذي لا روح له قلنا مرادنا من الروح اللطيفة التي تقوى على ادراك المعقولات والمجردات وليس لساير الحيوانات هذه الروح ولما دخل في الوجود هذان القسمان بقي القسم الثالث وهو الموجود الذي يحصل من الازدواج بين الارواح العلوية والاجساد السفلية والارواح النورانية الربانية اللطيفة والاجساد الظلمانية الشهوانية الكثيفة فحصل من ذلك الازدواج الانسان بجسده من عالم الخلق وروحه من عالم الامر فلا جرم قال الا له الخلق والامر وجعل جسده بالتسوية وروحه بالنفخ فقال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وكان جسده من قطرة هذا العالم وروحه من قطرة العالم الاعلى فقال في قطرة جسده ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى تمام المراتب الستة ثم قال في قطرة روحه في المرتبة السابعة ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين وذكر ان جسده من هذا العالم فقال قل انما انا بشر مثلكم وان روحه متوجه الى ذلك العالم وهو قوله يوحى الي

وبين

وبين ان طاعة الجسد هو الاشتغال بالعبادات وان طاعة الروح هو التوكل على رب الارضين والسموات وقال في اخر هود فاعبده وتوكل عليه واعلم ان دلايل كمال القدرة وجلالة الحكمة في تخليق النوع اتم واكمل وبيانه من وجوه **الحجة الاولى** ان الروح علوي والبدن سفلي والعلو والسفل ضدان والروح نوراني والبدن ظلماني والنور والظلمة ضدان والروح لطيف والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان والروح رحماني بدليل انه لا يرغب الا في معرفة الله تعالى ولا يميل الا الى محبة الله تعالى ولا يبتهج الا بمطالعة انوار جلال الله ولا يطمين الا بذكر الله ولا يستقر على عتبة قدس كبرياء الله عز وعلا واما البدن فهو شهواني شيطاني لانه لا يغتذي الا بدردي عالم الجسمانيات ولا يفرح ولا يقوى الا بالانغماس في الشهوات والظلمانيات واذا كان الامر على هذه الجملة حصل بين الروح والجسد منافاة عظيمة ومباينة تامة فالجمع بينهما يدل على قدرة كاملة وحكمة عالية الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين **الحجة الثانية** ان الشوق الى الله مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام غير حاصل الا للبشر واعلم ان هذا الكلام لا يتخلص الا بتقديم حقيقة الشوق فنقول ان الشوق لا يتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من وجه اخر اما الذي لم يدرك بوجه من الوجوه اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لم يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله وتمامه لا تشتاق اليه لان الشوق طلب وطلب الحاضر محال ثم ان الشوق الى المحبوب يقع على وجهين احدهما اذا راه

ثم غاب فى خياله اثر تلك الصورة المحسوسة فاشتاق
الروح الى ان ينتقل ذلك الامر من عالم الخيال الى عالم
الحس الوجه الثانى ان يرى وجه المحبوب ولا يرى شعره
ولا ساير محاسنه فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره
قط واذا عرفت هذا فنقول هذان الوجهان غير متصورين
فى حق الملئكة اما الوجه الاول فلان ذلك انما يمكن اذا
ادرك ثم غاب ويمتنع فى حق الملايكة ان يغيبوا عن شى
عرفوه فكل ما عرفوا فذلك العرفان حاصل لهم ابدا لا
يتبدل ذلك العرفان بالغفلة ولا ذلك الحضور بالغيبة
وهذا هو المراد بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وبقوله صلى الله
عليه وسلم ان من الملئكة صافين لا يركعون وراكعين
لا يسجدون وبالجملة فاحوالهم باقية ومعارفهم دايمة
وهم مصونون عن تغيرات الاحوال وتبدلات المعارف
فان حصل لهم شوق فذلك يكون من القسم الثانى اما
الانسان فان هذين القسمين لا يمكن وقوعهما له بالنسبة
الى معرفة الله تعالى بل هما لازمان لكل العارفين ضرورة
اما القسم الاول فلان الله يتجلى للعارفين من الامور الالهية
وان كان فى غاية الوضوح والجلا الا انه يكون مشوبا
بشوايب التخيلات فان الخيالات لا تقصر فى هذا
العالم عن المحاكيات والتمثيلات وهى مكدرات للمعارف
وانما تمام التجلى فى الاخرة حيث نزول الخيالات
وبطل التمثيلات فهذا احد نوعى الشوق وهو استكمال
الوضوح فيما اتضح والقسم الثانى ان الامور الالهية
لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها
ويكون الحاضر متناهيا والغايب غير متناه ولو ان
العارف خلق فى اول وقت حدوث العالم ثم سار

نخ تقصر

باسرع

باسرع سير فى درجات المعارف الالهية بل طار حول
عرش الجلال اشد طيرانا الى اخر وقت يتخيله الخيال
ويستحضره العقل من اواخر اوقات اهل الجنة
واهل النار لكان الحاصل من طيرانه وسيره متناهيا
ويكون ما لم يصل اليه هو غير متناه واذا كان الامر كذلك
ظهر ان القسم الاول من الشوق يزول فى الاخرة اما
القسم الثانى من الشوق الى الله تعالى فانه البتة لا يزول بل
كلما كان السير اشد واكثر كان الشوق اكمل واعظم
اذا عرفت هذه القاعدة فنقول كل من بقى على حالة واحدة
فان كان تلك الحالة موجبة للذة ثم بقيت فعند بقائها
واستمرارها لا يبقى لذيذا وكذا اذا كان مولما فعند استمرارها
لا يبقى مولما بل اللذة والالم لا يحصلان الا عند الانتقال
من احد الجانبين الى الجانب الاخر ولنضرب لهذا مثالا
من المحسوس فاحوال الخلق بالنسبة الى الاغذية الطيبة
والاطعمة اللذيذة ثلاثة الاول حال الملوك المتنعمين المتوسعين
فى اكل الاشيا اللذيذة الطيبة فانهم لا يلتذون بها وذلك
لانهم لما واظبوا على اكلها اعتادوها فلا جرم لا يلتذون
بها القسم الثانى الفقرا الذين لا ياكلون الا الاطعمة
الخشنة البشعة ولم يتفق لهم البتة تناول الاطعمة
الطيبة اللذيذة القسم الثالث الذين فى اكثر الامر
ياكلون الاطعمة الخشنة البشعة وقد يتفق لهم فى بعض
الاحوال تناول الاطعمة اللذيذة فهولا اذا وجدوا طعاما
فيه ادنى طيب ولذة فانهم يستلذون فى غاية اللذة اذا
عرفت هذا فنقول الملئكة المقربون وان كانت درجاتهم
فى العرفان عالية الا ان تلك الدرجات باقية مستمرة
فهم كالملوك المتنعمين فانهم وان كانوا مواظبين على الاغتذا
بانوار جلال الله والاستنشاق من نسيم روح الله

الا انه لم يتفق لهم فترة فى هذه الحالة ولا انتقال عن هذه
الدرجة وما وقعوا فى ظلمة المعصية وانكسار ظلمات
الذنوب واما الحيوانات فحالهم يشبه حال الفقراء المواظبين
على الفقر والضر والبؤس والمسكنة والجوع والعرى
ولم يتفق لهم انتقال من هذه الحالة الى حالة طيبة فلا
جرم لم يكن لهم الم من الحالة التى هم فيها اما الانسان فتارة
يقع فى ظلمات عالم الاجسام وتارة يتخلص منها الى انوار
عالم القدس وسبحات سرادقات الجلال فينتقلون
تارة من الشدة الى الرخا واخرى من الرخا الى الشدة فاذا
تنقلوا من الشدة الى الرخا ومن الابتلا الى النعما عظم
التذاذهم فلا جرم يحصل هناك من اللذات والسعادات
ما لا عين رات ولا اذن سمعت واذا كانت اسباب هذه
الغيبة بعد الحضور والحضور بعد الغيبة متعاقبة
على الارواح البشرية فى دار الدنيا حصلت هناك الالم
ولذات متعاقبة واللذة اذا حصلت بحيث يكون قبلها
فقدان وبعدها توقع الحرمان كان الالتذاذ بها اشد
واكمل فهذا النوع من السعادة والبهجة حاصل للانسان
وغير حاصل للملئكة المقربين ولا لساير الحيوانات
فيمكن ان يكون المراد من قوله اعلم ما لا تعلمون هذه الحالة
واليه الاشارة بقوله وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا فقوله وحملها الانسان اشارة الى تجلى
الانوار عالم القدس فى روح الانسان وقوله انه كان
ظلوما جهولا اشارة الى طريان ظلمات النفس الجسمانية
والموانع الشهوانية النفسانية الوجه الثالث
ان تخليق الملئكة ظهرت القدرة والحكمة وذلك لان
كمال قوتهم يدل على كمال قدرة خالقهم وكمال عظمتهم تدل
على كمال حكمة خالقهم اما بتخليق البشر ظهر كمال الجود وكمال

والرحمة اما كمال الجود فانه لا مناسبة بين التراب
وبين جلال رب الارباب ثم انه برحمته وكرمه جعله مركز
المحبة ومعدن المعرفة كما قال يحبهم ويحبونه واما كمال الرحمة
فلانه مع كثرة معاصيهم اظهر فيه انواعا من العجايب
فاودع فى قلبه نور عرفان جلاله واجرى على لسانه ذكر
توحيده وجعل عينيه محلا لابصار دليله واذنه
محلا لسماع كلامه فالملئكة بهم ظهرت القدرة
والحكمة والبشر بهم ظهر الجود والرحمة الوجه الرابع
ان الملئكة خلقوا من الانوار اما اثار التركيب فى البشر
اكثر وذلك لانه تعالى خلقك من هذين الجوهرين الروح
والبدن واظهرك من اثنين الام والاب وركبك من
شيئين المنى والدم وجعل لك مطيتين الليل والنهار
وغذاك بغذائين الطعام والشراب واعد لك دارين
الجنة والنار كل هذا التحقيق صدق قوله تعالى ومن
كل شى خلقنا زوجين الوجه الخامس ان العبد يعرف ربه
بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام مع انه
ابعد الاشيا مشابهة له ومشاكلة ثم انه لا يعلم
روحه ونفسه مع انه هو كما قال قل الروح من امر
ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ليعلم العبد ان
كل ذلك بسبب مدد التوفيق والارشاد لا بسبب
الجد والاجتهاد التقسيم الثالث ان نفوس الموجودات
بحسب القسمة العقلية على اربعة اقسام احدها
موجود لا اول له ولا اخر له وهو الحق سبحانه والثانى
الموجود الذى له الاول وله الاخر وهو الدنيا والثالث
الموجود الذى له اول ولا اخر له وهو العبد والاخرة
اما القسم الرابع لا اول له وله اخر فهذا محال لما ثبت
فى علم الاصول ان ما ثبت قدمه امتنع عدمه اذا عرفت

هذا فيقول ايها العبد لك اول ولا اخر لك وكذلك
الاخرة لها اول ولا اخر لها فانظر انك كفوء الدنيا
وكفوا الاخرة لا يخفى عليك كفوء الاخرة فلما كان
الامر كذلك فالحق سبحانه خلق الملئكة للبقاء ابد
الاباد في الاخرة وخلقك ايضا للبقا ابد الاباد في الاخرة
الا ان اظهارا لقدرة والحكمة والرحمة في خلقك للبقا
اتم من اظهارها بسبب خلق الملئكة وذلك لانها ذوات
نورانية مبراة عن الاسقام والاعلال والامراض فلعله
يخطر ببال احد ان بقاها انما كان لكونها صافية نورانية
ثم انه تعالى ازال هذا الخيال بان خلقك من اكثف الاشيا
واشد ظلمة وهو التراب وجعلك محلا للاعلال والاسقام
ومنزل الافات والامراض ثم جعلك في البقاء الابدى
كفوا للملئكة المقربين ليظهر للخلق ان البقا لا يحصل
الا ببقائه والوجود لا يحصل الا بايجاده وابداعه واعلم
انك قد عرفت ان الدنيا لها اول واخر وهذا يقتضي انها
لا تبقى البتة وكما ان من صفتها انها لا تبقى فكذلك
ان الانسان كلما كان اشد قبضا واشد امساكا لها كان
فوات الدنيا عنه اكثر والدليل عليه انه تعالى شبه الدنيا
بالما فقال انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السماء
والما اذا اغترفت منه بقي في يدك فاما اذا قبضت يدك
عليه لا يبقى من الما في يدك شي فكلما كان ذلك القبض
اشد كان عدم بقا ذلك الماء في الكف اكمل فكذا الدنيا
مهما اخذتها لا بالحرص ربما حصلت فاما اذا قبضت
عليها بمخاليب حرصك فاتت وخرجت عن يدك فان
قيل نرى ان البخيل الذي يمسك المال ويكثر ماله والسخي
الذي ينفق المال يقل ماله قلنا هذا خطا لان الذي يظن
انه بقي عليه ماله فليس كذلك لانه يموت فيوخذ ذلك

من غير حمد ولا اجر ولا يبقى الا الخسارة والذي ينفقه
في سبيل الله يبقى كل ذلك في خزانة رحمة الله كما قال تعالى
ما عندكم ينفد وما عند الله باق **التقسيم الرابع**
للمخلوقات انها على ثلاثة اقسام اما كاملة لا يتطرق
النقصان اليها وهم اصحاب العالم العلوي واجسادهم
السموات وارواحهم الملئكة واما ناقصة لا يتطرق
اليها الكمالات وهم الحيوان والنبات والمعادن بقي في
التقسيم قسم ثالث وهم الذين يكونون تارة كاملين وتارة
ناقصين فاذا صاروا في حد الكمال كانوا فوق العرش
جالسين مع الملئكة في حضرة رب العالمين معتكفين
على عتبة عزة الله مواظبين على حلول ذكر الله متفكرين
في معارج الا الله متوكلين على رحمة الله مشتغلين بخدمة
الله مستغرقين في محبة الله محترقين بنور عظمة الله
وتارة ينزلون الى حد النقصان ومقام الشهوة والغضب
اما في مقام الشهوة فتارة يكونون كخنزير اجيع ثم ارسل
على النجاسات وتارة كالذباب الذي كلما ذب اب الى القاذورات
واما في الغضب تارة كالكلب العقور واخرى كالجمل الصؤول
والثالث كالنار المحرقة والسيول المغرقة فهو مع كونه
شخصا واحدا يصدق عليه انه ملك نوراني وشيطان
ظلماني وخنزير حريص وحمار صبور وكلب نابح وثعلب
رواغ وفاسق خبيث وملك كريم ولا شك ان تركيب
شخص واحد يظهر منه هذه الاثار المتناقضة والاحوال
المتباينة ادل على كمال القدرة واعظم في اثار اظهار
الحكمة فلهذا السبب والله اعلم قال اني اعلم ما لا تعلمون
واعلم ان الانسان الموصوف بهذه الصفات بعث الى
هذه الدنيا ليكون مسافرا قال امير المومنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار

مقر وبطن امه مبد وسفره والاخرة مقصده وزمان
حياته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره
فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه يسار به
سير السفينة براكبها وقد دعى الى دار السلام كما قال
تعالى والله يدعوا الى دار السلام وقال لهم دار السلام
ثم ان دار السلام اشرف البقاع واعز المواضع قال تعالى
جنات عدن تجرى من تحتها الانهار وقال وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين لكن الطريق الى دار السلام
مظلم جدا والله تعالى برحمته يهدى اليه وبفضله يرشد
اليه وباحسانه يدعوا اليه وبكرمه يسهل المشى اليه
وبجوده يعفو عن الذنوب ويتجاوز عن السيات فلهذا
المعنى قال انى اعلم ما لا تعلمون فهذا تمام الكلام فى حكمة
خلق الانسان الفصل الثانى فى شرح فضيلة الانسان
قال تعالى ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا اعلم ان هذه الاية مشتمله على اربعة انواع
فى التشريفات النوع الاول قوله تعالى ولقد كرمنا
بنى ادم وفيه مباحث البحث الاول اعلم انه تعالى بنى
امرك فى الاول والوسط والنهاية على الكرم واعترف
العدو بذلك ثم بين الحق نهاية كرامتك ثم شبهك فى ذلك
بالملكة المقربين اما انه بنى اول امرك على الكرم فهو
قوله اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم فهذه الاية اول اية
انزلها الله على الرسول عليه السلام وقوله اقرا
باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اشارة
الى اول وجودك فثبت ان اول اية انزلها الله تعالى على محمد
صلى الله عليه وسلم انما انزلها لبيان كرمه وجوده

فى

فى اول تخليقك وايجادك وفيه دقيقة وهو ان اول امرك
غير مبنى على كونه كريما بل على كونه اكرم الموجودات لانه قال
اقرا وربك الاكرم ويتاكد هذا الكلام الذى ذكرناه بما يروى
ان ادم عليه السلام لما عطس قالت الملئكة له قل الحمد لله
تعالى فقال تعالى رحمك الله ولذلك خلقتك واما انه بنى
وسط امرك على الكرم فهو قوله تعالى ولقد كرمنا بنى ادم
واما انه بنى خاتمة امرك على الكرم فهو قوله يوم القيمة
عند عجزك وشدة خوفك وعدم قدرتك على تمهيد
الاعتذار يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال بعض
المفسرين هذا تلقين الجواب والمقصود انه يقول العبد
يارب غرنى بك غاية كرمك فلما كان اول هذا الامر واوسطه
واخره مبنيا على الكرم ظهر ان العبد لا يضيع فى بحار كرمه
ولا يخيب مع كثرة نعمه واما انه اذا اعترف العدو بذلك
فلان اعدى الاعدا هو ابليس وقد اعترف بذلك حيث
قال ارايتك هذا الذى كرمت على واما انه تعالى بين نهاية
كرامتك فهو قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم واما انه شبهك
بالملئكة المقربين فى هذه الصفة فلانه تعالى وصف
الملئكة بالكرم فقال فى حق جبريل عليه السلام انه
لقول رسول كريم وقال فى قصة يوسف ما هذا بشرا ان
هذا الا ملك كريم وقال فى صفة الملئكة الذين كانوا ضيوف
ابرهيم عليه السلام هل اتيك حديث ضيف ابرهيم
المكرمين وقال فى صفة جميع الملائكة بل عباد مكرمون
ثم ههنا دقيقة وهى انه تعالى قال فى صفة الملئكة انهم
مكرمون من غير التشديد بيان تكثير الكرامات فى حق
البشر قال ابو يزيد البسطامى رحمة الله عليه ان انواع
كرامات الله تعالى فى حق البشر غير متناهية الا ترى الى
قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فهذا على سبيل الاجمال

واما على سبيل التفصيل فهو من وجوه منها انه يمطر كل
ساعة على المتوكلين مطر الكفاية دليله قوله تعالى ومن
يتوكل على الله يتوكل على الله فهو حسبه وكل مومن
فهو متوكل على الله بدليل قوله تعالى فان تولوا فقل حسبي
الله لا اله الا هو عليه توكلت وقال حكاية عن الصحابة
انهم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قال فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل ومنها انه يمطر كل ساعة على المطيعين
مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ومنها انه
تعالى يمطر على المجتهدين مطر الهداية قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ومنها انه يمطر على الشاكرين مطر
الزيادة قال تعالى لين شكرتم لازيدنكم ومنها انه يمطر على
المتذكرين مطر الهداية والبصيرة قال تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
والاستقصا في هذا الباب خارج عن وسع البشر
وكله داخل تحت قوله ولقد كرمنا بني ادم البحث الثاني
في قوله ولقد كرمنا بني ادم اعلم ان عطية الله تعالى لها
اسما كثيرة في القران احدها الفضل قال تعالى قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ان ينبغي ان يكون
فرحكم بفضل الله عليكم لا باعمالكم وهذا هو قول
اهل السنة والجماعة فانهم يقولون العبد وان اطاع
ربه باعظم الطاعات من اول خلق العالم الى قيام الساعة
فانه لا يدخل الجنة الا بفضله ورحمته ولا يكون للعبد
على ربه دين ولا حق ومما يدل على صحة هذا المعنى وجوه
الاول ان هذا العبد ان اطاع فربما وجد من كان اذكى
منه واكثر صدقا وعلما منه مع انه وقع في الكفر
واذا كان كذلك فكل واحد من هذين العبدين اعني
المطيع والعاصي والمومن والكافر والمقر والمنكر

يصح ان يصدر من كل واحد منهما كل واحد من هذين العملين بدلا
عن الثاني فهذا المطيع لما اختار الطاعة مع انه كان يجوز
ان يختار المعصية بدلا عن الطاعة فاما ان يقال حصل
هذا الرجحان من غير مرجح وهو يفضي الى نفي الصانع او
توقف على مرجح وذلك المرجح ان كان من العبد عاد الطلب
الاول ويفضي الى التسلسل وان كان من الله فحينئذ
تكون صدور تلك الطاعة من العبد نعمة من الله في حقه
واذا كان صدور الطاعة من العبد عين نعمة الله على العبد
فكيف يستحق العبد بنعمته عليه في الدنيا نعمة اخرى منه
في العقبى فهذا برهان اوضح من ضوء الشمس على ان كل ما يحصل
فانه انما يحصل بفضل الله فلهذا قال تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا الحجة الثانية وهو ان العبد
الى ان يصير بحيث يقدر على ان ياتي بالطاعة ويحترز عن
المعصية فقد سبق من الله عليه نعم عظيمة كما قال
تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم فهو الذي خلقه بعد ان كان معدوما
محضا كما قال تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا
ثم خلقه من تراب كما قال تعالى منها خلقناكم ثم رده في
اطوار الخلقة واكوان الفطرة ثم نفخ فيه الروح وخلق
فيه الحيوة كما قال تعالى ثم انشاناه خلقا اخر ثم اعطاه
القوة كما قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد
ضعف قوة ثم اعطاه العقل والعلم كما قال تعالى والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا ثم اعطاه
صورة حسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم
ثم اعطاه الاغذية والارزاق كما قال تعالى الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم انه تعالى بعد هذه النعم العظيمة الدنيوية
انعم عليه بالنعم العظيمة الدينية وهي بعثة الرسل

وانزال الكتب وازالة الختم والوقر والرين والقساوة
من قلبه واعطاه التوفيق والهداية والعصمة ثم ان هذا
العبد بعد هذه النعم العظيمة اتى بطاعات قليله كما يليق
بقدرته القاصرة وعقله المختصر لا بحكم العقل بوقوع
هذه الطاعات البشرية قضا الحق تلك النعم السابقة
امتنع صيرورتها موجبة لنعمة اخرى واذا كان الامر كذلك
علمنا ان دخول الجنة يكون بمحض فضله ورحمته
الحجة الثالثة هب انه يمكن ان يصير عمل العبد علة
لاستحقاق الثواب على الله تعالى الا ان فرح العبد بما
يعطيه الله تعالى بفضله واحسانه يجب ان يكون
اكمل من فرحه بما يجده من كسبه واجتهاده ومثاله ان
من وجد كسبه دينارا ووجد من تشريف الملك
المعظم خلعة نفيسة على سبيل الاعزاز فان فرح كان
عاقل لما حصل من تشريف الملك يكون اتم واكمل من
ذلك العليل الذى حصله بكسبه فاذا كان الامر
كذلك فى السلطان المجازى فى ذلك المختصر فما ظنك
بتشريف سلطان السلاطين على سبيل الحقيقة فى
اعطا ملك الابدى فلذلك قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا الحجة الرابعة انه تعالى جعل اشتغال
العبد بالطاعة مبدا الخيرات وجعل اعانة الله على تلك
الطاعات غاية السعادات الا ترى انه قال اولا اياك
نعبد ثم قال واياك نستعين وقال اولا والذين جاهدوا
فينا ثم قال لنهدينهم سبلنا وفى هذه الدلايل الكثيرة
مقصودنا ها هنا اقامة هذه الدلايل القاطعة
على صحة قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا الاسم الثانى من اسما عطية الله تعالى
المنة قال الله تعالى بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان

ان كنتم صادقين وقال لقد من الله على المومنين اذ بعث
فيهم رسولا ومن الاسما الواردة فى الحديث الحنان المنان
فان قيل اليس انه تعالى نهى رسول الله عن المنة فقال
ولا تمنن تستكثر ونهى الامة عن المنة قال لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وبين ان المنة توجب الريا فقال كالذى ينفق
ماله ريا الناس فاذا بين ان هذه الخصلة مذمومة فكيف
ارتضاها لنفسه والجواب انه تعالى اذا انعم على العبد ثم
من عليه بتلك النعمة صار العبد مشغولا بالمنة وصار
غافلا عن النعمة والمنة صفة الحق والنعمة من جنس الخلق
والاشتغال بصفة الحق اولى من الاشتغال بالخلق
الاسم الثالث من اسما عطية الله تعالى الاحسان
قال تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان وقال يوسف
عليه السلام وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وقال
موسى عليه السلام لقارون واحسن كما احسن الله اليك
الاسم الرابع اللطيف قال تعالى الله لطيف بعباده ومن
لطفه انه نور قلبك بالهدى وجنبك عن الردى والهوى
وجعلك من امة المصطفى ووعدك ان يصونك عن العذاب
تحت الثرى ويحشرك فى زمرة ارباب التقى ويقيك من
عذاب سقر ولظى ويدخلك جنة الماوى ويعطيك
الزيادة المذكورة فى قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
الاسم الخامس الهبة قال تعالى يهب لمن يشا اناثا ويهب
لمن يشا الذكور الاسم السادس الفتح قال تعالى ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق الاسم السابع الاكرام والتكريم كما
فى قوله ولقد كرمنا بنى ادم والتكريم هو الذى جعل الشى
كريما ولا شك ان صيرورة الشى كريما انما يكون بحصول
صفات الكمال فيه وحصول تلك الصفات لا يكون

بايجاد الحق وتكوينه فظهر ان التكريم لا يحصل الا باكرامه
والحسن لا يحصل الا من جوده واحسانه البحث الثالث
فى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى ادم اعلم انه قد اختلف
المفسرون فى المراد بهذا التكريم وذكروا فيه اقوالا
كثيرة وطريق ضبط القول فيها ان نقول هذا التكريم
اما ان يكون المراد منه احوالا موجودة فى جسد الانسان
او احوالا موجودة فى روحه او مجموعهما اما الاحوال
الجسدانيه فيمكن حمل التكريم على امور النوع الاول
ان يكون المراد ولقد كرمنا بنى ادم بالصورة الحسنة والذى
يدل على ان الصورة الحسنة من جملة نعم الله على العبد
وجوه الاول قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثانى
قوله صبغة الله ومن احسن من الله صبغة واعلم ان
الصبغ ما يلون به الثياب يقال صبغ الثوب يصبغه
بفتح البا وكسرها وضمها ثلاث لغات صَبغا وصِبغا
بفتح الصاد وكسرها لغتان والصبغة فعلة من
الصبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها
الصبغ وذكروا فى المراد بصبغة الله وجوها الاول
المراد به تركيبه وصورته وخلقته وخلقته وفطرته
وعلى هذا القول فالاية تدل على كمال حسن صورة الانسان
من وجهين الاول انه تعالى لما اضاف هذه الصبغة
الى نفسه دل ذلك على كمالها كما فى قوله سنة الله
وناقة الله والثانى انه تعالى قال ومن احسن من الله صبغة
وهذا يدل على كمال هذه الصبغة والثانى ان المراد منه
دين الله ثم ذكروا فى انه لم سمى دين الله بصبغة الله وجوها
احدها ان بعض النصارى كانوا يغمسون اولادهم
فى ما اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهيرلهم
واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قالوا لا بنية الآن

صار نصرانيا فقال تعالى اطلبوا صبغة الله وهى الدين
والاسلام لا صبغتهم فعلى هذا السبب فى اطلاق لفظ
الصبغة على الدين طريقة المشاكلة ونظيره قوله تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وجزا سيئة سيئة مثلها انما نحن مستهزون الله
يستهزى بهم يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر
الله فان تسخروا منا فانا نسخر منكم والثانى اليهود
تصبغ ابناها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى
يلعونهم فيصبغونهم بذلك الما يشربون قلوب اولادهم
حب هذه الاديان قال ابن الانبارى يقال فلان يصبغ فلان
فى الشراى يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وانشد ثعلب
دع الشر واترك للنجاة تحذرا اذا انت لم يصبغك فى الشر
الثالث انه سمى الدين صبغة لان هيئة تظهر بالمشاهدة
من اثر الطهارة والصلوة وغيرهما قال تعالى سيماهم فى
وجوههم من اثر السجود الرابع قال القاضى عبد الجبار
ابن احمد الهمدانى صبغة الله متعلق بقوله قولوا امنا
بالله الى قوله ونحن له مسلمون فوصف هذا الايمان
الصادر منهم بانه صبغة الله ليبين ان المباينة بين
هذا الدين الذى اختاره وبين الدين الذى اختاره المبطل
ظاهرة جلية كما تظهر المباينة بين الالوان والاصباغ
لذى الحس السليم الثالث قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان فى احسن تقويم واعلم ان التقويم يصير
الشى على ما ينبغى ان يكون فى التاليف والتعديل يقال
قومه تقويما فاستقام وتقوم ثم ذكروا وجوها
فى هذا التقويم منها ما نقل عن يحيى بن اكثم وجماعة انه حسن
الصورة يحكى ان ملك زمانه خلا بزوجته فى ليلة

الملك

مقمرة فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت
طالق فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال
لا يقع الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال
الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله
تعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم
وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا فى الاولى
احسن الاشكال فاعطنا فى الاخرة احسن الافعال
وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب الرابع
ان كل شخص فله حكمان احدهما من قبل جسمه وهو منظره
والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان
ولذلك فرع اصحاب الفراسه فى معرفة احوال النفس
اولا الى الهيات البدنية حتى قال بعض الحكما فلما توجد
صورة حسنة تدبرها نفس ردية فنقش الخواتيم
مقرو من الطين وطلعة الوجه عنوان ما فى النفس
وقال عليه السلام اطلبوا الحوايج من حسان الوجوه
وقال عمر رضى الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا
حسن الوجه حسن الاسم وحكى ان المامون استعرض
جيشا فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فراه الكن
فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها فى الظاهر
كانت صباحة واذا وقع اثرها فى الباطن كانت فصاحة
وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن الخامس ان كمال
الجسم من الفضائل فقوله تعالى وزاده بسطة فى العلم
والجسم واعلم ان حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا
فيه الا ان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه
الحجة الاولى احسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن
السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة افضل
من الشهوة فكان حسن السيرة افضل لا محالة من

حسن

حسن الصورة الحجة الثانية ان يوسف عليه السلام
اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب
حسن الصورة وقع فى انواع البلا منها ان اباه كان يحبه
ازيد كما قال تعالى مخبرا عن اخوته اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا فلا جرم قصدوا قتله كما قال تعالى
حكاية عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وثانيها انه وقع بسبب الحسن فى اسر
الرق قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وثالثها انه وقع بسبب الحسن فى زحمة مراودة المراة
قال تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ورابعها
انه وقع فى الهم كما قال تعالى ولقد همت به وهم بها لولا
ان راى برهان ربه وخامسها انه وقع فى الخوف من
زوج تلك المراة قال تعالى والفيا سيدها لدا الباب
قالت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن او
عذاب اليم وسادسها انهم جعلوه فى السجن بسبب
هذه الواقعة وبقى هناك مدة طويلة قال تعالى فلبث
فى السجن بضع سنين فهذه الافات الحاصلة بسبب
حسن الصورة واما الخيرات الحاصلة بسبب حسن
السيرة فوجوه الاول انه لما كان عالما بعلم التعبير خاطبوه
بخطاب التعظيم واستفتوا منه تفسير تلك الرويا
قال تعالى حكاية عنهم يوسف ايها الصديق افتنا فى
سبع بقرات الثانى ان الملك لما وجد عنده هذا العلم
طلبه واخرجه من السجن قال تعالى وقال الملك ايتونى
به والثالث انه زالت التهمة عنه فى هذا الوقت ببركة
العلم قال تعالى قالت امرات العزيز الان حصحص الحق انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين الرابع ان الملك
اصطفاه لنفسه عند ذلك قال تعالى وقال الملك ايتونى

استخلصه لنفسي والخامس ان الملك اثنى عليه قال تعالى
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل صبيح
مليح السادس ان يوسف توصل الى ذلك الملك بحسن
السيرة لا بحسن الصورة فقال تعالى حكاية عن يوسف
قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فثبت
بما قلنا انه وقع في ستة انواع من البلا بسبب حسن
الصورة ووصل الى ستة انواع من الخيرات بسبب
حسن السيرة وذلك يدل على ان حسن السيره افضل
من حسن الصورة الحجة الثالثة ان النسوة لما راين
يوسف عليه السلام قلن حاش لله ما هذا بشرا ان
هذا الا ملك كريم شبهن يوسف بالملك وذلك
التشبيه كان في حسن السيرة لا في حسن الصورة
لانه عليه الصلوة والسلام دخل مطرقا راسه
ولم ينظر الى واحدة منهن مع انه كان في اول زمان
الشباب واستيلا الشهوة فلما شاهدن منه
تلك السيرة الحسنة صارت صورته في جنب
سيرته مضمحلة ذاهبة حتى ان النسوة مع شدة
شهوتهن لم يذكرن منه حسن الصورة بل ذكرن منه
السيرة فدل على ان حسن السيرة افضل من حسن
الصورة الحجة الرابعة ان حسن الصورة من مفاخر
النسا وحسن السيرة من مفاخر الرجال الحجة
الخامسة انه تعالى وان كان لا يطلق في حقه لفظة
حسن السيرة الا ان المعنى حاصل لان افعاله كلها
حسنة من حيث انها احسان وانعام واكرام ولطف
وكرم وهو تعالى منزه عن الصورة وهذا يدل على
ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة
السادسة ان حسن الصورة لا يبقى الا اياما قلايل

اما

اما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته.
فدل هذا على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة
فهذه جملة الكلام في شرح قول من قال المراد بقوله
تعالى ولقد كرمنا بني ادم حسن الصورة الوجه الثاني
ان المراد من هذا التكريم امتداد القامة وذلك
لان الشي كلما كان اكثر ارتفاعا وامتدادا كان اعلى في
جنسه فالاشجار كلما كانت اكثر ارتفاعا كانت
اشرف ولهذا السبب سمي كلما جاوز احاد جنسه
بصفات الشرف لانه العالي والفايق الوجه الثالث
المراد بهذا التكريم انه تعالى اكرم الانسان حيث
مكنه من القيام والقعود والاستلقا والاضطجاع
واعلم انه تعالى خلق الخلق على اربعة اصناف في التركيب
منها القايمين وهو الاشجار والنبات ومنها ما
يشبه الراكعين وهي البهايم ومنها ما يشبه
الساجدين وهي الحشرات التي تدب على بطونها
ووجوهها ومنها ما يشبه القاعدين وهي الجبال
والتلال ثم انه تعالى قدر الانسان على جميع هذه
الهيات ومكنه من ان يذكر الله تعالى على جميع هذه
الاحوال كما قال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم فمن اتى بركعة واحدة فقد حصلت في تلك
الركعة الواحدة هذه الهيئات الاربعة وهي القيام
والركوع والسجود والقعود فحينئذ يحصل له ثواب
هذه الاصناف الاربعة فاقدار الله تعالى على الانسان
على جميع هذه الهيئات هو المراد بقوله تعالى ولقد
كرمنا بني ادم الوجه الرابع في هذا التكريم انه تعالى
خلق بني ادم من جوهر التراب وللتراب انواع من
الفضايل احدها الوصلة وذلك لانه تعالى خلق

ابليس من النار كما قال خلقتني من نار وخلقته من طين فالنار
سبب القطيعة والتراب سبب الوصلة والثاني ان
التراب فيه امانة قال تعالى في كل سنبلة ماية حبة وفيه
لطيفة وهي انه تعالى خلقك من شي فيه امانة فاجتهد حتى
لا تبدل الامانة بالخيانة ولاجل كون التراب امينا قبل
ادا الامانة وهو قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان والثالث ان التراب طاهر وطهور قال تعالى
فتيمموا صعيدا طيبا ثم قال الطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات فلاجل هذا السر اصطفى الله ادم ثم اصطفى
ابناءه فقال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا ثم كرمهم فقال ولقد كرمنا بني ادم والرابع التواضع
والدليل عليه ان ادم عليه السلام لما اتى بالزلة قال
في الحال ربنا ظلمنا انفسنا ولما اتى ابليس بالمعصية
فقال له ربه لم فعلت قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين فتكبر على الله ورد امر الله والخامس
الطهارة قال عليه السلام التراب طهور المومن
والما ايضا طهور قال تعالى وانزلنا من السما ما طهورا
ثم عجن التراب بالما طاهر بطاهر وطهورا بطهور واعلم
ان النار لا تنطفي الا باحد هذين الشيئين التراب
والما فجعل هذا الطين سببا لانطفا نار الوسوسة في
الدنيا وانطفا نار جهنم في الاخرة الخامس في تفسير
قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم قال ابن عباس كرمناهم
بالاكل بالاصابع واما البهايم فانها تاكل بالفم واعلم
ان وجه التكريم في هذا المعنى من وجوه الاول
ان الراس محل العقل والفكر والذهن والاكل عنا
الشهوة والبطن ولا يليق بالحكمة ان يسجد الراس

الذي

الذي هو معدن العقل والفكر لاجل الغذا الذي هو نصيب
النفس بل جعلت اليد خادمة للراس حتى ان اليد ترفع
اللقمة الى الفم كما يخدم العبد سيده وفيه لطيفة وهي
انه تعالى اغناك عن ان يخضع راسك ويسجد لطلب
الطعام فلا تختر بجهلك سجدة المخلوق لطلب الطعام
الوجه الثاني في شرح هذه النعمة ان البهيمة تاخذ علفها
بفمها ملطخة ملوثة اما الانسان فانه ينظف طعامه
باصابعه ويميز جيده عن رديه وها هنا دقيقة وهو
انه تعالى علق رعاية مصالح البهايم بطباعها حتى انها بطباعها
تميز بين مصالحها ومفاسدها فتحترز وقت تناولها
العلف عما يوذيها وتجذب ما ينفعها وهكذا يكون كل
الطيور والبهايم والحشرات من اول الامر اما الانسان
فانه علق رشده بعقله لا بطبعه حتى ان الانسان قبل
ظهور نور العقل فيه لا يميز بين النافع والضار هذا اذا
حملنا التكريم على الاحوال الجسمانية اما اذا حملنا
هذا التكريم على الاحوال الروحانية ففيه وجوه
الاول ولقد كرمنا بني ادم بالعقل والفهم واعلم انه
تعالى عظم امر العقل في كتابه من وجوه النوع الاول
بكثرة الاسما ونحن نذكر ها هنا بعضها فالاسم
الاول العقل قال موسى في مناظرته فرعون رب المشرق
الى قوله ان كنتم تعقلون واوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام اذا رايت عاقلا فكن له خادما وقال
عليه السلام اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل
فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له وعزتي وجلالي
ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي
وبك اثيب وبك اعاقب وقال عليه السلام لا دين لمن
لا عقل له وقال عليه السلام لا يعجبنكم اسلام امرئ

حتى تعرفوا عقيدة عقله وقالت الحكما في تفسير هذا
الخبر من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حمقه
في اغلب خصال الشر عليه وايضا بالعقل قدر الانسان
على القيام بامر الله في قوله قد افلح من زكاها وقدر على
تحصيل حرث الاخرة في قوله من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه قالوا ثمرة حرث الاخرة على التفصيل
سبعة اشيا بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا
جهل وغنى بلا فقر وامن بلا خوف وراحة بلا شغل
وعز بلا ذل وايضا اكثر المفسرين على ان المعنى قوله تعالى
الله نور السموات والارض اى هادى اهل السموات والارض
ومعلوم ان كمال تلك الهداية انما يحصل بالعقل وايضا
العقل نوعان غريزي وهو القوة المتهيئة للعلوم
الكلية البديهية ووجود هذه القوة في الطفل
كوجود النخلة من النواة والسنبلة في الحبة ومستفاد
وهو كمال حال هذه القوة ثم هذا المستفاد ضربان
ضرب يحصل للانسان حالا فحالا بلا اختيار منه
ولا يعرف كيف حصل ومن اين حصل وضرب يحصل
باختياره فيعرف كيف حصل ومن اين حصل ولما
انقسم العقل الى الغريزي والى المستفاد قال امير
المومنين على رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع والى القسم الاول اشار النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا اكرم عليه
من العقل والى الثاني اشار بقوله لعلي عليه السلام
اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب اليه
انت بعقلك تسبقهم في الدرجات والزلفى عند
الناس في الدنيا وعند الله في الاخرة واعلم ان لفظ

العقل في اللغة اسم لما يقيد به البعير لئلا يبد وسمي
بهذا المعنى تشبيها على عادتهم في تسمية المعقولات
باسما المحسوسات تنبيها على انه هو الذي يمنع الانسان
ويكون قيدا له عن الاقدام على ما لا ينبغي من الافعال
الاسم الثاني اللب قال تعالى ولكم في القصاص حيوة
يا اولي الالباب وقال فاتقون يا اولي الالباب وقال في
الطلاق فاتقوا الله يا اولي الالباب وقال في العمران ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب واعلم ان اللب من كل شي هو
المقصود الخالص منه وهذا الاسم يدل على ان المقصود
من الانسان انما هو العقل وكيف لا يكون كذلك
واشرف الامور الصادرة عن الانسان ان يعرف
الحق لذاته والخير لاجل العمل به ثم من الظاهر ان معرفة
الحق اشرف من عمل الخير ومعرفة الحق لا يمكن الا بالعقل
فدل ان لب الانسان هو العقل الاسم الثالث النهى
ويحتمل ان يكون جمعا لنهيه وان يكون اسما مفردا وجعل
للعقل الذي انهى عن الاشتغال بالمحسوسات وتوجه
الى عالم المعقولات ولهذا المعنى اجبل اربابه على تدبر معاني
المحسوسات الى معرفة ما فيه من المعقولات كقوله
تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم الاية وقال
في طه وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من
نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات
لاولي النهى الاسم الرابع الحجر واصله من الحجر اى
المنع وهو ان يحجر الانسان نفسه عن فعل ما لا ينبغي
قال تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر الاسم الخامس
الحجى من حجا الشي اذا قطعه ومنه الاحجية فكانه
سمي العقل بهذا الاسم لكونه قاطعا بين الانسان وبين

الافعال القبيحة • الاسم السادس ان العلم ثمرة العقل
ثم انه تعالى سمى العلم نورا والجهل ظلمة فقال الله ولى الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وسماه ايضا روحا
فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسماه
ايضا حياة والجهل موتا فقال اومن كان ميتا فاحييناه
وقال وما يستوى الاحيا ولا الاموات وايضا سماه
ماء فى قوله تعالى انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها
فاذا كان العلم نتيجة العقل وحال النتيجة من العلو والشرف
كذلك فاعرف ان الاصل كيف يكون النوع الثانى فى بيان
فضايل العقل قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له
قلب اى لمن كان له عقل فجعل من لا عقل له كانه لا قلب له
ونظيره قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وقال تعالى من خشى الرحمن بالغيب
وجاء بقلب منيب والمراد بالقلب فى هذه الايات
العقل وايضا قد اثبت الله للعقل ابصارا ورؤية اما الابصار
ففى قوله تعالى وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
واما الرؤية ففى قوله ما كذب الفؤاد ما راى وقال
فى ابرهيم وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين وقال الم تر الى ربك
كيف مد الظل وسمى عدم ادراك العقل عمى فى ايات
منها قوله صم بكم عمى فهم لا يبصرون ومنها قوله
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
ومنها قوله الذين كانت اعينهم فى غطا عن ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سمعا ولو ان المراد من العين ها هنا
البصيرة لا البصر لما قال عن ذكرى لان الذكر لا يدرك
بحاسة العين وكيف لا يكون فقد البصيرة اعظم
ضررا من فقد البصر وقد عرفت ان البدن بمنزلة الفرس

والنفس

والنفس بمنزلة الراكب وضرر عمى الراكب نفسه
اشد عليه من عمى فرسه وقال ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون وقال ايضا لو كنا نسمع او
نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فان قيل ان كان للعقل
هذه الفضائل الكثيرة فلم قال اكثر اهل الجنة البله
الجواب من وجوه الاول المراد بالبله الجاهلون بامر
الدنيا العالمون بامر الاخرة كما قال ابرهيم عليه السلام
الا من اتى الله بقلب سليم الثانى ان من عبد الله للجنة
فهو ابله فى جنب من يعبده لكونه ربا مالكا الثالث قال
الحسن اكثر اهل الجنة البله اى هم حشو الجنة كالعام
فى البله الرابع اكثر اهل الجنة البله وهم اهل المعاصى
الذين عفا الله عنهم واما العقلا المطيعون فهم اهل
الدرجات العلى الوجه الثانى فى تفسير قوله ولقد
كرمنا بنى ادم انه سبحانه خلق كل ما سواك لاجلك
فقال فى الارضيات هو الذى خلق لكم ما فى الارض
جميعا وقال فى السموات وسخر لكم ما فى السموات فجعل
الارض فراشا فقال الذى جعل لكم الارض فراشا
وجعل السما سقفا لنا فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا
وجعل كل ما فى الارض رزقا لنا فقال وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وجعل الشمس موذنا
لصلاتنا فقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وجعل القمر معرفا لاوقات صيامنا وحجنا فقال
قل هى مواقيت للناس والحج وزين السما الدنيا بالكواكب
لاجلنا فقال انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب
وجعل الكواكب يهتدى بها فى اسفارنا فقال وعلامات
وبالنجم هم يهتدون وجعل الشمس متحركة حتى انا نعرفها
نجد القبلة فى النهار وجعل القطب ساكنا حتى انا

بسكونه بجد القبلة بالليل وخلق الانعام لغذايك
وثيابك فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون وسخر لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ويخلق ما لا تعلمون اى اعددت لكم فى الدنيا
من المنافع ما لا تعلمون بفضله وكرمه ثم ذكر الرسول
عن الله مثله فى الجنة فقال اعددت لعبادى الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ثم خلق النبات لاجلك فقال كلوا وارعوا انعامكم
انا اعطيناك هذه الاشيا بالفضل قبل الطاعة
وبالكرم قبل السوال كما قال واتيكم من كل ما سالتموه
ثم جمع جميع النعم فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الله لغفور رحيم وهذه الخاتمة اعظم من كل ما
تقدم من النعم وذلك لان الانسان لما لم يشتغل بالشكر
لم يشتغل بتعديد نعم الله عليه مهد برحمته عذره
فى ترك ذلك الشكر فقال انها كثيرة وعقلك لا
يقدر على استحضارها على التفصيل فكان هذا
الترك للعجز فكنت معذورا فيه وهو المراد من قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال ان الله لغفور
رحيم يعنى غفور يستر عيبك فى الدنيا ورحيم يتجاوز
عن تقصيرك فى الاخرة وقال فى سورة ابرهيم وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم
كفار وهذه اشارة الى ان القدر الذى يقدر عليه
من الشكر فانه لا يفعله ويتغافل عنه الوجه
الثالث فى تفسير قوله ولقد كرمنا بنى ادم انه سخر
قلبه لمعرفته ولسانه لشهادته وبدنه لخدمته
ثم فى القيامة يعطى كل ما يشتهى ويزيد الى ان يقول
الحمد لله الذى صدقنا وعده الوجه الرابع انه جعل

اباهم

اباهم ادم عليه السلام رسولا الى الملىكة حيث
قال انبيهم باسمايهم ثم جعله مسجودا لهم حيث
قال اسجدوا لادم ثم لعن ابليس لاجل مخالفته فقال
اخرج منها فانك رجيم ثم اباح له اكل الجنة فقال
وكلا منها رغدا حيث شيتما ثم لما وقع فى الزلة تاب
عليه فقال فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ثم
اكرمه بالاصطفا قال ان الله اصطفى ادم ثم خصه
بالاجتبا من بعد العصيان فقال وعصى ادم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومعلوم
ان اكرام الاب سبب لاكرام الابن الوجه الخامس
انه تعالى جعل فيهم الانبيا والرسل والابرار كما قال
موسى عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء الوجه السادس اكرمنا بالخط الحسن قال
تعالى الذى علم بالقلم وقيل بالصوت الحسن قال تعالى
يزيد فى الخلق ما يشا الوجه السابع اكرمنا بالفصاحة
والبلاغة قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وقال
عليه السلام ان من البيان لسحرا وقالت الحكما المرء
باصغريه قلبه ولسانه الوجه الثامن انه تعالى
اكرمنا بالاطعمة الصافية اللذيذة كالسمن والعسل
اما السمن فقال فيه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا للشاربين واما العسل فقال يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وكذلك الزبد
والسكر ثم انه تعالى اباح الكل فقال قل من حرم زينة
الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم من
كرمه انه اعطى هذه الاغذية اللطيفة ثم اوقع فى
القلب ايثارها على الغير عند الحاجة اليها كما قال
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى

بالخلق

حتى يجدوها يوم القيمة احسن واكمل كما قال تعالى ما عندكم
ينفد وما عند الله باق وعصمنا من حال من قال في صفته
اذ هبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الوجه التاسع
اكرمنا بالامر والنهى وتشريف التكليف الا ترى انه لما كان
ولد الانسان عليه اعز من عبده لا جرم تكون تكاليفه
على ولده اكثر مما على عبده الوجه العاشر قال على بن ابى طالب
رضى الله عنه ولقد كرمنا بنى ادم بالدعوة الى الجنة قال
تعالى والله يدعوا الى دار السلام فاكرمهم بالدعوة الى
الدار ووعد لقا الملك الجبار كما قال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة الحادى عشر انه تعالى خلق الخلق
اصنافا مختلفة ثم خص الحيوان لمزيد الفضل والشرف
وذلك لانه لو خلق العرش والسموات والشمس والقمر
ولم يخلق حيوانا البتة لكان الكل عبثا لانه تعالى منزه
عن النفع والضر وليس هناك حيوان ينتفع به البتة
فكان خلق هذه الاشيا خاليا عن الحكمة اما لو خلق العرش
وخلق بعوضة وقال خلقت العرش لتنتفع به هذه
البعوضة خرج التخليق عن ان يكون عبثا ودخل في ان
يكون حكمة فثبت بهذا ان العرش يمكن جعله تبعا للبعوضة
ولا يمكن جعل البعوضة تبعا للعرش فلهذا المعنى
قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم فضل
الادميين على كل الحيوانات كما قال وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا ثم فضل الذكور على النسا فقال
الرجال قوامون على النسا ثم فضل المومن على الكافر
فقال وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ثم فضل
العلما والمجاهدين اما العلما فقال يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم واما المجاهدين فقال وفضل
الله المجاهدين على القاعدين ثم فضل الانبيا عليهم السلام

فقال

فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران
على العالمين ثم فضل اولى العزم من الرسل فقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل اربعة
منهم على الباقين وهم الخليل والكليم والروح والحبيب
فقال فضلنا بعض النبيين على بعض ثم فضل محمد صلى الله
عليه وسلم على الكل فقال وكان فضل الله عليك
عظيما ثم كرمك ان خلقك مومنا برا تقيا عارفا بربك
مجاهدا في طاعة ربك ثم جعلك على ملة ابرهيم عليه
السلام ودين محمد صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى
عشر في تفسير هذا التكريم انه كرمنا بالتقوى فقال
ان اكرمكم عند الله اتقكم والرسول عليه السلام اتقى
البشر لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ثم اتقى الامة
ابو بكر رضى الله تعالى عنه قال تعالى في حقه وسيجنبها
الاتقى الذى يوتى ماله يتزكى والجنة معدة للمتقين
قال تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين فالحمد لله
الذى جعلنا من امة اتقى الانبياء وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ومن محبى اكرم الاتقياء وهو ابو بكر رضى
الله عنه البحث الرابع في قوله تعالى ولقد كرمنا بنى ادم
فان قال قائل انكم فسرتم هذا التكريم بهذه الوجوه الا
ان فيه اشكالا وهو ان بنى ادم فيهم المومنون وفيهم
الكافرون فكيف يليق هذه التشريفات بالكافرين
والجواب من وجوه الاول فيه تنبيه على دقيقة لطيفة
وهى ان من ليس بمومن فكانه ليس من الاحياء بل ليس
من الموجودات الثانى ولقد كرمنا بنى ادم معناه ولقد
كرمنا من بنى ادم كقوله تعالى واختار موسى قومه سبعين
رجلا اى واختار موسى من قومه سبعين رجلا الثالث
ان تفسيرا لتكريم بالاحوال التى يشترك فيها المومن

فتكريمك

والكافر وهو الصورة الحسنة والهدا المستقيم والاغذية
اللطيفة وكون جميع المخلوقات مخلوقة لنا وتخص خواص
اهل الايمان بهم وعند هذا نقول التكريم عام في حق
الكل والاصطفا خاص الا ترى انه تعالى قال ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين وقال تعالى
الله يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس وقال في حق
موسى اني اصطفيتك على الناس وقال في حق الامة ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الوجه
الرابع في الجواب انه تعالى عم المومن والكافر في تسعة
اشيا الخلق والرزق والاقدار وارسال الرسل وانزال
الكتب والامر والنهي والترغيب والترهيب ثم خص
المومنين بسبعة اشيا احدها الهداية قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
والثاني المحبة والزينة لقوله تعالى ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم والثالث التيسير
فسنيسره لليسرى والرابع التوفيق ماشاء الله
لا قوة الا بالله وما توفيقي الا بالله والخامس كراهة
الكفر وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان والسادس
القبول انما يتقبل الله من المتقين والسابع المغفرة
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
فهذه جملة الكلام في تفسير قوله ولقد كرمنا بني ادم
النوع الثاني من التشريفات المذكورة في هذه الاية
قوله تعالى وحملناهم في البر والبحر والمعنى اعطيناهم
المراكب اما في البر فهي الخيل والبغال والحمير لاجل ركوبنا
والجمال لركوبنا وحمل امتعتنا كما قال وتحمل اثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس واما في البحر فهي
السفن والزواريق وفيه نكتة وهي ان الدنيا سجن المومن

ودار البلاء ثم انه في الدنيا اعطى انواع المركوبات والاخرة
دار الرحمة والاحسان فكيف يترك العبد في القيمة بغير
مركوب فلهذا قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
اي راكبين على الجنايب والنجايب وقال الصادق البر
هو النفس والبحر هو القلب فمن حمله في النفس فقد
اكرمه بنور التدبير ومن حمله في القلب فقد اكرمه
بنور التاييد وقال بعضهم وحملناهم في البر والبحر
اي تكفلنا مصالحهم في كل الاحوال النوع الثالث
من التشريفات المذكورة في هذه الاية قوله تعالى
ورزقناهم من الطيبات اي اطعمناهم الاطعمة اللذيذة
كالعسل والسمن والزبد والسكر وما رزقناهم شيا
من الخبث والاذى وذلك لان الجن ياكلون العظم
ودوابهم ياكلون الروث والبهايم تعتلف التبن
والعشب والطيور تلتقط الحب والسباع تاكل الجيف
واما اغذية بني ادم فهي لطيفة نقية ايها المسكين انه
ما اطعمك الا الطيبات فلا تتناول بسوء اختيارك
لحم الميتة كما قال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه وقال بعضهم ورزقناهم من الطيبات اي تارة
مطبوخا واخرى غير مطبوخ واما ساير الحيوانات فغير
مطبوخ اصلا وقيل رزقناهم من الطيبات المعرفة
والمناجاة كما قال عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني
ويسقيني النوع الرابع من التشريفات في هذه الاية
قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والكلام في
هذه الاية يتعلق بمسئلة تفضيل الملك على البشر وسيجي
هذه المسلة بالاستقصا ان شا الله تعالى قال كعب
الاحبار الخلق ثلاثة اصناف الملئكة ولهم عقل بلا شهوة
والبهايم ولها شهوة بلا عقل والادمي وله كلاهما فمن كانت

شهوته راجحة على عقله فهو من جنس البهايم كما قال تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل فعلى هذا القياس من كان
عقله راجحا وجب ان يكون افضل من الملئكة وايضا
فهذه المراتب الاربعة بمجموعها غير مذكور لاحد سوى
بنى ادم وهذا يدل على انهم افضل واعلم ان قوله تعالى
ولقد كرمنا بنى ادم فيه تشريف عظيم وذلك لان
التكريم عبارة عن جعل الشى كريما والكريم هو الذى
يكون منشا للكرم وهذا تنبيه على انه تعالى جعل بنى
ادم مدبرا للحيوانات ومصلحا لاحوالهم وضابطا
لامورها على الوجه الاصلح الاليق فصير معناه كونه
خليفة الله فى الارض كما قال انى جاعل فى الارض خليفة
ثم قال فى المرتبة الثانية وحملناهم فى البر والبحر
وفيه اشارة الى اعلى درجاته وتعظيم مقاماته والتحقيق
فيه وهو ان الانسان كانه جالس على الحد المشترك
الذى هو اخر مراتب العالم الارضى واول مراتب عالم
السموات فنسبته الى الارضيات بالفعل والتدبير
ونسبته الى السموات بالانفعال والقبول فقوله ولقد
كرمنا بنى ادم اشارة الى كونه متصرفا فى السفليات
وحملناهم فى البر والبحر اشارة الى فيضان انوار السموات
عليه وقوله ورزقناهم من الطيبات اشارة الى درجة
التربية الواصلة اليه من عالم الغيب اما الى نفسه وروحه
فبالعلم والحكمة والعصمة والتسديد واما الى جسده وقالبه
فبالاغذية الموافقة واما قوله وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا فهو اشارة الى دقيقة عجيبة وذلك
لان الملئكة ارواح عقلية محضة مطهرة عن علايق
الحس والخيال والشهوة والغضب والحيوانات اجساد
محضة لاحيز لها من عالم العقول وعسات العصمة اما

الانسان

الانسان فهو مستجمع المنزلتين مستحضر للدرجتين فهو
مع الملئكة ملك ومع السباع سبع ومع البهايم بهيمة
ومع الشياطين شيطان فكونه مستجمعا لكل هذه الاحوال
يصلح ان يكون مرادا من قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا والله اعلم باسرار كلامه **الفصل الثالث** فى بيان
اول الابا هو ادم عليه السلام اعلم ان المخلوقات على
قسمين منهم من كان من جملة المكلفين ومنهم من لم يكن
كذلك واجمع العقلاء على ان المكلف افضل ممن لا يكون
مكلفا وكيف لا يكون كذلك وقد قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وهذا نص صريح فى ان المقصود
من الخلق انما هو التكليف واذا كان كذلك فكلما بقى
فى الخلق من يكون قايما بعهد التكليف بقى عالم الخلق
واذا لم يبق احد يقوم باداء التكليف صار عالم المخلوقات
عبثا والحكيم لا يرضى بالعبث فحينئذ تخرب السموات
والارض ويقيم القيامة واذا تاملت فى هذا علمت
ان قيام السموات والارضين والجبال والبحار وو دوران
الشمس والقمر والنجوم كلها كالطفيلى على قيام ذلك الشخص
الاشعث الاغبر الذى يرده الخلق ولا يقبله احد من
الناس باداء تكاليف الله تعالى فهو قايم باداء التكليف
ومشتغل باداء العبودية والسموات والشمس والقمر
والنجوم والعناصر والمواليد باقية تبعا لبقائه فجملة
ملوك الارض انما ياكلون من فتات سفرته وانما يشربون
من بقية ماء ركوته وهذا هو المراد من قوله عليه السلام
ان لله عبادا هم السبب الاصلى فى مصالح اهل العالم
فبهم يمطرون وبهم يرزقون وفى كل جنس واحد هو اكملهم
واجلهم ولهم اصحاب يعرفون رتبته فذلك هو الاقوى الاكمل
فى القيام بعهد اوامر الله هو المسمى بقطب الارض والدين

يقربون منه ولكنهم بعد ما وصلوا اليه فهم اصحابه واذا
عرفت هذا فنقول اصناف المكلفين اربعة الملائكة
والانس والجن والشياطين اما الملائكة فقد روى في الاخبار
ان الله تعالى خلقهم من الريح وهذا الخبر متاكد بوجوه عقلية
احدها انهم قدروا على الطيران على اسرع الوجوه والثاني
انهم قدروا على حمل العرش وذلك لان الريح صاعدة
بالطبع فيستقل بحمل الاشياء والثالث انهم سموا
روحانيين واشتقاق الروحاني من الريح وروى ايضا
في بعض الاخبار انهم خلقوا من النور ثم هذه الرواية
ايضا تاكدت بوجوه عقلية احدها انها صفت عن
الكدورات واخلصت في طاعة رب الارض والسموات
والثاني انها توغلت بقوة نورانيتها في بحار عرفان جلال الله
والثالث انهم بسبب تلك النورانية تبرات عن المعاصي
والذنوب وعند هذا قال بعض العلما الاولى ان نجمع بين
الروايتين فنقول ابدانهم من الريح وارواحهم من النور فهؤلا
هم سكان عالم السموات واما الشياطين فهم كفرة واما
ابليس فكفره ظاهر لانه تعالى قال وكان من الكافرين واما
ساير الشياطين فهم ايضا كفرة بدليل قوله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم وان اطعتموهم
انكم لمشركون ثم انهم باسرهم اعدا البشر بدليل قوله تعالى
في صفة ابليس ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته
اوليا من دوني وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا وقال
تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
واما الجن فمنهم كافر ومنهم مسلم قال تعالى حكاية عنهم
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا فهذا هو الكلام في تفصيل احوال هذه
الاجناس الثلاثة اما الجنس الرابع وهو الانسان

والبشر ولا شك ان منهم مومن ومنهم كافر واما
اصلهم فهو من شخص واحد هو اول الابا والذي يدل
على وجوب انتها هذه الاشخاص البشرية الى شخص
هو اول الابا وجوه الحجة الاولى انه لو وجد انسان في
الازل فذلك الانسان اما ان يقال انه كان مسبوقا
بانسان اخر او ما كان مسبوقا بانسان اخر فالاول
محال ويلزم ان يكون الازلي مسبوقا بغيره وهو محال
لان الازل عبارة عن نفي المسبوقية والجمع بين المسبوقية
واللامسبوقيته محال وان لم يكن مسبوقا بانسان
اخر فذلك الانسان هو الانسان الاول فالابا منتهية
الى الاب الاول وهو المطلوب الحجة الثانية ان
الانسان لا ينفك عن تغير الحالات وتبدل الصفات
لكن تغير الحالات في الازل محال وهذا يقتضي انه لم
يوجد احد من البشر في الازل فاذا كان كذلك وجب
القول بانتها الناس الى الانسان الاول الحجة الثالثة
لو لم يكن للابا مبدا لتوقف حصول الواحد منا على
انقضا ابا لا نهاية لهم لكن انقضا ما لا نهاية له محال
والموقوف على المحال محال فكان ينبغي ان لا يوجد هذا
الولد وحيث وجد علمنا ان الذين انقضوا لهم مبدا اول
الحجة الرابعة لو حصل شي من الناس في الازل لما فني
لان الازلي لا يقبل العدم الحجة الخامسة ان الذين وجدوا
فيما قبل لو لم يكن لهم مبدا لكانت اعدادهم غير متناهية
ولو كان كذلك لامتنع الانقضاء عليها لان انقضاء
ما لا نهاية له محال الحجة السادسة ان كل عدد داخل في
الوجود فهو قابل للزيادة والنقصان وكل ما كان
كذلك فهو متناه فكل ما دخل في الوجود فهو متناه
الحجة السابعة مجموع الابا الذين لا نهاية لهم من الانسان

والآبا الذين لانهاية لهم اكثر عددا من كل واحد من هاتين
الجملتين فيكون كل واحد من الجملتين وحده اقل من المجموع
وكل ما كان اقل من غيره فهو متناه والمجموع ضعف
المتناهي فيكون الكل متناهيا **الحجة الثامنة** كل
عدد موجود فهو اما شفع او وتر على التقديرين فهو
متناه وكل عدد موجود فهو متناه فثبت بهذه البراهين
وجوب انتها الآبا الى الاب الاول فان قيل انا لم
نشاهد انسانا يكون الا من نطفة في رحم الام وهذا
يقتضي ان يكون كل انسان مسبوقا بانسان اخر
والجواب ان المحققين من الفلاسفة اتفقوا على انه
يمكن حدوث الانسان بالتولد كما يمكن حدوثه بالتوالد
واحتجوا عليه بوجوه **الحجة الاولى** ان بدن الانسان
انما يتولد من اجتماع العناصر الاربعة واذا كان كذلك
وجب ان يكون المحدث لبدن الانسان هو الله تعالى
اما المقدمة الاولى فالدليل على صحتها ان هذه
الاعضاء الحيوانية اذا احترقت يتحصل منها ماء
ورماد وتصاعدت ابخرة كثيرة عنها وذلك يدل
على ان هذه الابدان الحيوانية متالفة من هذه العناصر
وانما قلنا انه لما كان الامر كذلك كان محدثها هو الله تعالى
وذلك لان هذه العناصر الاربعة طبايع متضادة فهي
موجبة للتباين مانعة من الاجتماع واذا كان الامر
كذلك فهي مع كونها متسارعة الى التباين لما اجتمعت
افتقر اجتماعها الى جامع وذلك الجامع اما ان يكون قوة
حالة فيها او شيا خارجا عنها والاول محال لان القوة
الحالة فيها اما ان تكون حالة في بسائطها او في الجسم
المركب المتولد من امتزاجها والاول باطل لانا بينا
ان الطبايع الحالة في تلك البسائط موجبة للتنافر

والتباين

والتباين فلا تكون موجبة لاجتماعها وامتزاجها القسم
الثاني ايضا باطل لان القوة الحاصلة للجسم المتولد عن
امتزاجها تبع لتلك الامتزاجات ومتاخر عنها والمقتضي
لتلك الامتزاجات متقدم عليها والمتاخر لا يكون نفس
المتقدم فثبت ان الجامع لهذه العناصر لا قوة حالة في
بسايطها ولا قوة حالة في الجسم المتولد من امتزاجها
فاذا ذلك الجامع شي مباين عنها وهو الله تعالى فثبت
ان المحدث لهذه الابدان الحيوانية هو الله تعالى واذا
كان كذلك كان قادرا على احداثها كيف شاء واراد فيكون
قادرا على احداثها من غير سبق الاب والام وهو المطلوب
الحجة الثانية ان الكيفية المزاجية الحاصلة في ابدان
الحيوانات انما تحدث بايجاد الله تعالى لا لامتزاج
هذه العناصر ومتى كان الامر كذلك وجب ان يكون
الله تعالى قادرا على ايجاد هذه الكيفية الملايمة كيف
شاء واراد من غير واسطة الاب والام وانما قلنا ان
حدوث هذه الكيفية ليس لاجل امتزاج هذه العناصر
وذلك لان الحار والبارد اذا اختلطا فاما ان يكون تاثير
كل واحد منهما في كسر الاخر معا او على التعاقب والاول
باطل لان العلة موجودة مع المعلول وعلة انكسار
كل واحد منهما هي قوة الاخر فلو حصل الانكساران لحصل كون
كل واحد منهما قويا حال كون كل واحد منهما منكسرا وذلك
محال والثاني ايضا محال لان احدهما لما انكسر بالاخر امتنع
ان يصير المغلوب بعد صيرورته مغلوبا غالبا وعلى هذا
التقدير لا يكون هنا مزاجا بل يكون كونا وفسادا ولما
بطل هذان القسمان ثبت ان حصول هذه الكيفية
الملايمة للحيوة ليس لاجل امتزاج الطبايع والعناصر
بل هي كيفية يخلقها الله تعالى ويحدثها ابتدا واذا كان

الامركذلك كان الله تعالى قادرا على خلقها كيف شاء
واراد فيكون قادرا على احداثها فى الجسم من غير سبق
الاب والام وهو المطلوب الحجة الثالثة هب ان
حصول تلك الكيفية انما يكون بسبب امتزاج العناصر
واجتماع الطبايع لكنا نقول ان ذلك المزاج انما حدث
لان اجزا مخصوصة متقدرة بمقدار مخصوص
متصغر تصغيرا مخصوصًا اجتمعت واختلطت
فلزم من اجتماعها واختلاطها تاثير بعضها عن البعض
ولزم من ذلك التاثير حصول المزاج المخصوص للانسان
ولزم من حدوث ذلك المزاج المخصوص حدوث
النفس الانسانية فاذا مهما حصلت تلك الاجزا
المخصوصة بذلك التصغير المخصوص وحصل
اختلاط بعضها بالبعض وحصل الانسان بالتولد
لكن حدوث تلك الاجزا المخصوصة بذلك التصغير
مع اختلاط بعض الاجزا بالبعض امر ممكن فحدوث
الانسان على سبيل التولد امر ممكن والمعلق بالممكن
ممكن وهذه نكته متوجهة جدا على اصول الفلاسفة
الحجة الرابعة ان انقطاع النوع امر ممكن واذا كان كذلك
وجب ان يكون الحدوث على سبيل التولد ممكنا اما ان انقطاع
النوع ممكن فلانه ليس بواجب ان يكون عن كل انسان
انسان واذا كان الاحتمال قائما فى كل واحد كان قايما فى الكل
فثبت ان انقطاع النوع امر ممكن واذا ثبت هذا وجب
ان يكون الحدوث على سبيل التولد امرا ممكنا اذ لو لم
يكن ذلك ممكنا لوجب ان يقع الانقطاع الذى لا عود له
الحجة الخامسة انا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات
بالتولد فقد يتخذ حيات من الشعر وعقارب من التبن
والباذروج والفار متولد من المدر والضفادع يتولد

من

من المطر وجميع هذه الاشيا كما انها تحدث بالتولد
فهى ايضا تحدث بالتوالد وليس اذا انقطع من هذا
التولد فلم يشاهد فى سنين كثيرة وجب ان لا يكون له
وجود الحجة السادسة ان اكثر الناس تتعجبون من تولد
الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من تولدها فى الرحم
من الماء المهين وهذا اعجب فى الحقيقة وذلك لان الناس
يقدرون على تصور الحيوانات من الطين والخشب
ومن الحديد كما هو موجود ولا يمكنهم ان تصوروا حيوانا
من الما لان الما جسم شيال لا يتماسك فيه الصور
فتكون هذه الحيوانات فى الارحام من الما المهين اعجب فى
الحكمة واعظم فى القدرة من تكونها من الطين فان قال
قايل اذا انقطع الصانع المختار قادرًا على خلق الولد من
دون الابوين فلم لم يخلق هكذا لتكون الدلالة اقوى
والجواب ان الحكمة فيه من وجوه الاول ان خلق البشر
من غير هذا الوجه يبطل التعارف بالانساب وفى بطلانه
سقوط المصالح الكثيرة بين الناس فى المعاملات وقد
نبه الله تعالى عليه فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا والثانى لو لم
يحصل التوالد لبطلت صلة الرحم وزال تعطف
القرابات وبطل تلذذ الاآبا بالابناء وتعزز الابناء
بالآبا وفيه زوال مصالح كثيرة من العالم وقد نبه
الله تعالى عليه فقال وهو الذى خلق من الماء بشرا
فجعله نسبًا وصهرا وكان ربك قديرا فكان معناه
والله اعلم جعله نسبا لما فيه من المصالح اللطيفة
وكان قادرا على ان يوجده ابتداء والثالث ان العاقل
قد امر بالتواضع والاجتناب عن الكبر ثم ان العاقل
اذا علم انه خلق من نطفة قذرة وصار فى مخرج البول

فى الندرة عند تشكل نادر يحصل
فى الفلك لا يتكرر الى حين صح

مرة بعد مرة ونشا فى نجاسة يغتذى منها ونبت لحمه
وعظمه منها كان ذلك كاسرا لنخوته وقد نبه الله تعالى
على هذا فقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار
مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل
يومئذ للمكذبين فمنها ان كل من كان كذلك لم يكن له ان
يتكبر بل الواجب عليه ان يذل ويخضع لخالقه والله اعلم
فثبت بهذا ان اصول الفلاسفة شاهدة بامكان
واما شهادة الاصول الاسلامية على صحتها فلا
شبهة فيها فعلمنا ان الطعن فيه باطل اذا ثبت فيما
ذكرنا فنقول ان القران دل على ان ذلك الاب الاول
هو ادم عليه السلام قال عز وجل يايها الناس
اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واعلم ان هذه
الاية فيها اسرار وذلك لان الله تعالى افتتح سورتين
فى كتابه بهذا اللفظ احداهما فى سورة النسا فقال
يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
والثانية سورة الحج يايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شى عظيم فاما السورة الاولى فهى الرابعة من
سور النصف الاول من القران فان اوله الفاتحة ثم
البقرة ثم ال عمران ثم النسا واما سورة الحج فهى ايضا
السورة الرابعة من النصف الثانى فان اوله مريم
ثم طه ثم الانبيا ثم الحج وفى كيفية ترتيب هاتين
السورتين عجايب احدها ان السورة الاولى اشارة
الى حال المبدا فى كيفية التكوين والايجاد فانه تعالى
قال اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها والثانية اشارة الى حال المعاد فى
كيفية الاعدام والافناء فانه قال ان زلزلة الساعة

فقال

شى

شى عظيم ثم لا شك ان الايجاد متقدم على الافناء
ولهذا قدمه الله تعالى فى الذكر كما قال تؤتى الملك من
تشا وتنزع الملك ممن تشا فقدم ذكر الايتا على ذكر
النزع فلهذا السبب قدم سورة النسا على سورة
الحج واللطيفة الثانية ان الايجاد يشبه الرحمة
والاعدام شبه الغضب وقال تعالى سبقت رحمتى
غضبى فلا جرم قدم سورة الايجاد على سورة الافنا
واللطيفة الثانية انه تعالى قال هناك ربكم الذى
خلقكم من نفس واحدة ولم يقل فى الحج ربكم الذى اقام
زلزلة الساعة نظيره قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة
ثم قال كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام فان
قيل اسم الربوبية منشا اللطف والرحمة والكرم
فكيف يليق هذه الكلمة التخويف الشديد الحاصل
من قوله ان زلزلة الساعة شى عظيم قلنا من كمال
تربية المودب الرحيم المشفق ان يضرب ولده وان
يهدده حتى يزداد سعيه فى طلب المكارم والمعالى وهذا
هو الجواب عن السوال عن قوله سنفرغ لكم ايه الثقلان
فباى الاء ربكما تكذبان فانه يقال ان قوله سنفرغ لكم
ايه الثقلان غاية التهديد وقوله فباى الاء ربكما تكذبان
اشارة الى تعديد الالاء والنعما فكيف يليق هذا بذاك
لانا نقول التهديد من الاب المشفق الرحيم فى حق الولد
الكسلان المغفل يكون من اعظم النعم والجواب الثانى
ان الام ترضع ولدها سنتين ثم انها تلطخ حلمة ثديها
بالصبر والاشيا المرة ثم تضعها فى فم الصبى كانها تقول
لا افطمك بهذه المرارة شحا عليك وانما ذلك لغرض
اخر وهو انه خلق لك فى الدنيا نعيم لا يحصى ولا تنالها
الا بترك هذه المصة الواحدة فتجرع هذه المرارة

حتى تصل الى تلك الخيرات الكثيرة فكذا الرب تعالى اعد
لك الجنان لكنك لا تصل اليها الا بتجرع كاس الموت
فى هذه الدار ثم ينقلك الى محل القيمة ثم ينقلك الى الجنة
فكان الموت وتخريب هذا العالم من اعظم النعم فى حقك
ولهذا المعنى قال اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم
ومن الايات الداله على ان اول الاباء هو ادم عليه السلام
قوله تعالى فى اخر سورة الاعراف هو الذى خلقكم
من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها
الا ان فيه اشكالا وهو ان اخر هذه الاية دل على ان
هذه النفس الواحدة اقدم على الشرك على ما قال فلما
اتيهما صالحا جعلا له شركا فيما اتيهما فتعالى الله عما
يشركون ومعلوم ان الشرك لا يليق بادم فلا جرم
قال المحققون المراد من هذه النفس الواحدة قصى ابن
كلاب والشرك الصادر منه هو انه سمى اولاده بعبد
مناف وعبد قصى وعبد الدار والله اعلم الفصل
الرابع فى كيفية تخليق ادم عليه السلام اعلم انه
تعالى ذكر فى كيفية تخليق ادم عليه السلام ايات
احدها انه مخلوق من التراب قال تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال ومن اياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
وقال فى حق اولاد ادم منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال فى سورة النجم هو اعلم
بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون
امهاتكم وقال فى سورة نوح والله انبتكم من الارض
نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا واعلم ان فى قوله
تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون اشكال وهو ان ظاهر الاية يقتضى

ان

ان قوله كن فيكون متاخر عن تخليق ادم وهذا محال لانه
لابد وان يكون قوله كن فيكون متقدما على دخول ادم فى
الوجود والجواب من وجهين الاول ان يحمل خلق ادم على
خلق بدنه ويحمل قوله كن فيكون على خلق روحه والثانى
ان يحمل الخلق على التقدير وعند هذا يزول الاشكال لانه
يحصل التقدير فى علم المقدر اولا ثم يحصل التخليق والتكوين
مفرعا على ذلك التقدير والاية الثانية ذكر فيها انه مخلوق
من الما قال تعالى وهو الذى خلق من الما بشرا فجعله نسبا
وصهرا وكان ربك قديرا وقال تعالى والله خلق كل دابة من ما
وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين والاية
الثالثة ذكر فيها انه مخلوق من طين قال تعالى الذى احسن
كل شى خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله
من ما مهين وقال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين والاية الرابعة
ذكر فيها انه خلقه من سلالة من طين وقال تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين والاية الخامسة
انه مخلوق من طين لازب قال تعالى انا خلقناهم من
طين لازب والاية السادسة ذكر انه مخلوق من صلصال
قال تعالى فى سورة الرحمن خلق الانسان من صلصال
كالفخار والاية السابعة انه مخلوق من صلصال من حماء
مسنون قال تعالى انى خالق بشرا من صلصال من حما
مسنون والاية الثامنة انه مخلوق من عجل قال تعالى
خلق الانسان من عجل ساوريكم اياتى فلا تستعجلون
والاية التاسعة قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان فى كبد والاية
العاشره قوله الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد
ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا فهذا مجموع

هذه المراتب ولنشرح كل واحد منها فنقول المرتبة
الاولى وهو انه مخلوق من التراب والطين واعلم ان
ابليس لعنه الله طعن فيه بسبب كونه مخلوقا من
التراب وفضل نفسه عليه بسبب كونه مخلوقا
من النار فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والعلما
ذكروا في تفضيل النار على التراب وجوها الحجة
الاولى ان التراب في غاية التواضع والنار في غاية التكبر
فلما خلق ادم من التراب ظهر منه التواضع فقال
ربنا ظلمنا انفسنا ولما خلق ابليس من النار ظهر
منه التكبر فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين وقال ارايتك هذا الذي كرمت علي الحجة
الثانية ان التراب وان كان مظلما الا انه ستار للعيوب
والنار وان كانت مضيئة الا انها تدل على العيوب
وتظهر الفضايح الحجة الثالثة ان التراب يطفي
النار فلهذا السبب كان وجود ادم عليه السلام
سببا لانطفا رونق ابليس وايضا الشهوة والغضب
والحرص مخلوقة من النار الا ترى ان الشهوة لا تعمل
في الغذا الا بواسطة الحرارة واما ان الغضب نار
فظاهر لقول النبي صلى الله عليه وسلم الغضب نار
والشيطان من النار واما ان الحرص نار فكذلك
وذلك لان خاصية الحرص ان الانسان كلما وجد من
الدنيا اكثر صار حرصه اكثر كالنار كلما القي فيها الخشب
اكثر كان اشتعالها اعظم واحتياجها الى الحطب
الكثير اشد فثبت ان الشهوة والغضب والحرص
كلها مخلوقة من النار ثم ان الله تعالى اودع هذه
الصفات في ذاتك فلا جرم خلقك من الطين وهو
تراب وما وكل واحد منهما سبب لانطفا النار فكان

المقصود من خلق الانسان من التراب ان تنطفي هذه
النيران ويبقى الانسان مصونا في الدنيا عن الخذلان
وفي الاخرة عن دركات النيران الحجة الرابعة انه سبحانه
انما خلق الانسان لخلافة الارض قال تعالى اني جاعل في الارض
خليفة فجعلك من الارض فان خليفة الارض اذا كان مخلوقا
من الارض كان ارحم باهل الارض الحجة الخامسة انه
تعالى اراد اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار
التي هي في غاية الاشراق والضو ثم ابتلاهم بظلمات
الجهالات والضلالات وخلق الملكية من الهوى الذي
هو الطف الاشيا واعطاهم كمال القدرة والقوة وخلق
السموات من امواج مياه البحار وابقاها معلقة في
الهوى موصوفة بكمال الشدة كما قال في صفتها وجعلنا
السما سقفا محفوظا وقال وما لها من فروج وقال وبنينا
فوقكم سبعا شدادا وخلق ادم من التراب الذي هو
اكثف الاشياء واشدها ظلمة واعطاه الطاعة والمحبة
والمعرفة التي هي انور الاشياء واضوءها والمقصود
من كل ذلك اظهار الضد من الضد ليكون ذلك برهانا
باهرا وبيانا ظاهرا على انه هو الخالق بغير احتياج والمدبر
بلا امتزاج علاج الحجة السادسة ان التراب
سبب الوصلة بدليل قوله تعالى انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة والنار سبب القطيعة ولما
كان الامر كذلك لا جرم حصل لادم شرف الوصلة
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وحصل لابليس
صفة القطيعة اخرج منها فانك رجيم الحجة
السابعة التراب فيه امانة والنار فيها خيانة
اما الاول فانك اذا اديت اليه كفا من الحنطة رد
اليك جرابا من الحنطة قال تعالى والبلد الطيب يخرج

نباته باذن ربه واما ان فی النار خیانة فلانها تحرق
الاشیا وتفنیها وایضا لما کان ادم من التراب
لاجرم قبل الامانة کما قال وحملها الانسان وحفظها
علی احسن الوجوه ولما کان فی النار خیانة لاجرم
ان ابلیس عبد ربه سنین ثم خان فی تلك العبادة کما
قال وکان من الکافرین الحجة الثامنة ان التراب طاهر
وطهور قال علیه السلام التراب طهور المسلم
ولو لم یجد الماء عشر حجج والما ایضا طاهر وطهور
قال تعالی وانزلنا من السما ماء طهورًا وجناب الحق
تعالی طیب طاهر قال النبی صلی الله علیه وسلم ان الله
طیب لا یقبل الا الطیب فلما کان التراب والماء
طاهرین طیبین لاجرم کان ادم لکونه مخلوقا منهما
طاهرا طیبا ولما کان کذلك کان مخصوصا من رحمة الله
بالمزید کما قال الطیبات للطیبین والطیبون للطیبات
الحجة التاسعة روی ان النبی صلی الله علیه وسلم
لما دخل المدینة فالاغنیا طمعوا فی ان ینزل فی دارهم
وکانوا یاخذون بزمام الناقة لیجروها الی بیوتهم فقال
علیه السلام دعوها فانها مامورة ثم انها سارت
حتی وصلت الی باب دار ابی ایوب فبرکت هناك
وما کان السبب لذلك الا غایة فقر ابی ایوب وشدة
انکساره وهذا ایضا متاید بقوله علیه السلام
حاکیا عن ربه عز وجل انا عند المنکسرة قلوبهم لاجلی
اذا عرفت هذا فنقول التراب اعظم المخلوقات
انکسارا وتذللا وتواضعا لانه تحت کل الاجسام
والخلق یضعون اقدامهم ویمشون علیه فلما کان اعظم
الاشیا نقصا وحقارة هو التراب لاجرم صار محلا
ومنزلا لمحبة رب الارباب قال تعالی یحبهم ویحبونه

واما

واما النار فانها تدعی العلو والرفعة والنورانیة فکانت
صفة النار صفة لفرعون کما قال تعالی فی صفته ان فرعون
علا فی الارض وجعل اهلها شیعا یستضعف طایفة
منهم وکانت صفة التراب صفة لموسی علیه السلام
کما قال تلك الدار الاخرة نجعلها للذین لا یریدون
علوا فی الارض ولا فسادا فلا جرم صار التراب
اعز الاشیا والنار اذلها الحجة العاشرة النار یعلوه
الدخان المظلم فنورها تحتانی وظلمتها فوقانیة واما
التراب فظلمته تحتانیة ونوره فوقانی الیه یصعد
الکلم الطیب والعمل الصالح یرفعه وایضا النار
حسنة المنظر قبیحة المخبر فهی کالمنافق وکالمراة
الفاجرة والارض قبیحة المنظر حسنة المخبر
وایضا النار ظاهرها نغر وباطنها لا یسر والارض
بالضد من هذه الصفات فالحاصل ان باطن الارض
کله منفعة وباطن النار کله مضرة ونظر الخالق
تعالی علی البواطن والاسرار لا علی الظواهر فلاجرم
عامل ادم بحسب باطنه وابلیس ایضا علی وفق باطنه
الحجة الحادیة عشر ان نهایة السفل هی الارض ونهایة
العلو هو العرش والارض احد ارکان عالم الاجسام
واما النار فلیست کذلك لانها لیست فی غایة العلو
فان السموات والعرش والکرسی فوقها ولا فی غایة
السفل فان الهوی والما والارض تحتها فما کانت النار
کاملة فی مقام من المقامات الحجة الثانیة عشر ان
النار سریعة الاشتعال سریعة الانطفا کثیرة الاحتیاج
الی الغذا قلیلة مدة البقا اما الارض فانها تغذی ولا
تغتذی وتبقی ولا تفنی فثبت فضل التراب علی النار
الحجة الثالثة عشر من الکلمات المشهورة قولهم کل شی

يرجع الى اصله فكانه قيل يا ابليس خلقتك من نار فيكون
مردك الى النار واما ادم فهو مخلوق من الطين والطين
خاصيته التواضع والتواضع ليسبب القرب من
رحمة رب العالمين فلا جرم كانت عاقبة ادم عليه
السلام هو رحمة رب العالمين كما قال ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى الحجة الرابعة عشر ان الارض
فى نفسها ليست بحسن الوجه ولا طيبة الرائحة
الا انها تخرج جميع الاشياء التى لها حسن الوجه
وطيب الرايحة والنار حسنة الوجه الا انها سبب
لحدوث الاشيا القبيحة وهى الاحتراق والدخان
والفساد وقد ثبت ان العبرة بالسيرة لا بالصورة
كما حققناه فى تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بنى
ادم الحجة الخامسة عشر التراب والما لا يحصل
الانتفاع بهما الا عند فقدان الريح فانه اذا وصل
الريح الى التراب صار غبارا موذيا واذا وصل الريح
الى الما تموج وخرج عن حد النفع واذا وصل الى النار
اطفا النار فكانه قيل لادم عليه السلام كان فى
قلب ابليس نار التكبر فانطفات تارة بذلك الريح
فاياك ثم اياك احترز عن ريح التكبر ليلا يصير التراب
الذى منه خلقت غبارا والماء الذى خلقت منه موجا
مهلكا فثبت من هذا الوجه فضل التراب على النار — (في الهامش: ~~هذه الوجوه~~ نخ)
وبالله التوفيق اما المرتبة الثانية فى خلقة ادم عليه
السلام كونه مخلوقا من الما قال تعالى والله خلق كل دابة
من ماء وقال وهو الذى خلق من الما بشرا وقال الم نخلقكم
من ماء مهين وقال الم يك نطفة من منى تمنى وفيه فوايد
المرتبة الاولى ان تكون صافية يتجلى فيه نور جلال الله
تعالى الثانية ان يكون سيارا براسه فيكون ابدا

عابدا

عابدا لله على قمة راسه قال تعالى ولله يسجد من فى السموات
والارض الثالثة ان يكون طاهرا فى ذاته قال تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا وايضا قال عليه السلام من توضأ
تحاتت ذنوبه كما يتحات الورق عن الشجر زمان الخريف
النكتة انه اذا كان استعمال الماء فى ظاهر الاعضاء
يوجب زوال الذنوب فلان يكون خلقة اصل الاعضاء
من الما دافعا لتمكن الذنوب كان ذلك اولى المرتبة
الثالثة فى تخليق ادم عليه السلام كونه مخلوقا من
الطين والحكمة فيه ان يمتزج اللطيف والكثيف
والمتحرك والساكن والصافى والكدر فيكون ذلك دليلا
على فردانية الصانع كما قال ومن كل شى خلقنا زوجين
وفيه فايدة اخرى وهى ان من مشى على الطين فلو انزلق
رجله سقط وتلوث ثوبه ولكنه لا يهلك ولا تنكسر
اعضاءه فلما كان الانسان موصوفا بالشهوة التى هى
منبع الفساد وبالغضب الذى هو منشا سفك
الدماء علم الحق انه لابد وان ينزلق رجله فى سلوك سبيل
طاعة الله فاذا كان طينا تلوث تلوث المعصية ولكنه
لا يهلك ولا ينكسر شى من اعضايه بل يقوم سليما كما قال
تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا المرتبة الرابعة
فى تخليق ادم عليه السلام كونه مخلوقا من سلالة من
طين والسلالة فعالة وهى بمعنى المسلولة لانها هى
التى تسل من الطف اجزا الارض واعلم انه روى فى الخبر
انه عليه السلام قال ان الله خمر طينة ادم بيده اربعين
صباحا فهذه اللطافة انما حصلت لذلك الطين بسبب
هذا التشريف وقال تعالى لابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدى وهذا كمال التشريف فى حق ادم عليه السلام

فان قيل فقال تعالى فى صفة تخليق الحيوانات اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فبين انه تعالى انما
خلقنا الانعام بالايدى وذكر انه انما خلق ادم عليه
السلام باليدين وهذا يقتضى فضل الانعام على الانسان
والجواب انه تعالى ذكر دقيقة تزيل هذه الشبهة فانه
قال خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
فبين الله تعالى انه انما خلق الانعام بالايدى لاجل
مصالح الناس ورعاية لمهماتهم فكان هذا التشريف
ايضا عايدا الى البشر وفيه تنبيه على دقيقة كانه قال
هيات ذاتك باليدين وهيات ما تحتاج اليه بعد
الحيوة من الماكول والملبوس والمركب بالايدى وذلك
لتعلم ان عنايته بك بعد حياتك اشد من عنايته بك
قبل وجودك ومن النكت اللطيفة هاهنا ما سمعت
انه كان بنيسابور امراة من عقلاء المجانين كان يقال لها
نازنين فكانت تقول مسكين ابن ادم جسده فى يد الحق كما
قال خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا وقلبه فى اصبع
الحق كما قال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن ثم انه
مع انه لا يملك امر جسده ولا امر روحه صارت
التكاليف متوجهة اليه والاوامر الالهية لازمة عليه
المرتبة الخامسة كونه مخلوقا من طين لازب واللازب هو
اللازم وانما سمى لازبا ولازما لان اللازب واللازم هو
الملتصق بالغير والانسان اكثر الاشيا حاجة فلا جرم
كان اكثر الاشيا تمسكا بذيل رحمة الله واشد الاشياء
التصاقا بجانب فضله واحسانه المرتبة السادسة كونه
مخلوقا من صلصال من حما مسنون فاثبت له ثلاثة انواع
من الصفات الصفة الاولى كونه صلصالا وهو الذى
اذا تحرك تصلصل كالخزف الذى يسمع من داخله صوت

الصفة الثانية كونه حما والحما هو الذى استقر فى الما وتغير
لونه الى السواد الصفة الثالثة المسنون وهو الذى
تغيرت رايحته قال تعالى فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه اى لم يتغير واصله لم يتسنن وقال تعالى
فيها انهار من ما غير اسن اى غير متغير واعلم ان كونه
صلصالا اشارة الى غاية ضعفه وقلة بقايه فان الطين
الذى يصير صلصالا ينكسر ويتفرق بادنى سبب
وكونه من حما اشارة الى الاخلاق الظلمانية البهيمية
التى منشأها قوة الشهوة وكونه مسنونا وهو الرايحة
الموذية اشارة الى الاخلاق السبعية التى منشاها
قوة الغضب ونظيره قول الملكة اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء فالفساد منشاه من الشهوة
وسفك الدما منشاه من الغضب واما المرتبة السابعة
وهو كونه صلصالا كالفخار فاعلم ان الصلصال قبل
ان يصير فخارا لم يصلح لامر من الامور فاذا جعل فخارا
صلح لان يجعل فيه الما وذلك الما اذا استقر فيه
صار صافيا عذبا زلالا فيكون ذلك اشارة الى صيرورته
صالحا لحفظ ما العبودية وزلال المعرفة فيه واما المرتبة
الثامنة وهى قوله خلق الانسان من عجل فاشهر الاقوال
ان المراد ادم عليه السلام وهو قول مجاهد وسعيد
ابن جبير وعكرمة والسدى والكلبى قال مجاهد
خلق الله تعالى ادم بعد كل شى فى اخر نهار يوم الجمعة
فلما دخل الروح راسه ولم يبلغ اسفله قال يا رب
استعجل بتمام خلقتى قبل غروب الشمس قال مجاهد
فذلك قوله تعالى خلق الانسان من عجل وعن السدى
لما نفخ فيه الروح وتمكن الروح فى راسه عطس فقالت
الملئكة له قل الحمد لله فلما قال ذلك قال الله سبحانه

يرحمك الله ولذلك خلقك فلما دخل الروح في عينيه
نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه اشتهى
الطعام فوثب الى ثمار الجنة قبل ان يبلغ الروح الى
رجليه فهذا هو الذي اورث اولاده العجلة ثم للمفسرين
في تفسير العجل الاول وهو قول المحققين خلق الانسان
من عجل اى خلق عجولا وذلك على المبالغة كما يقال للرجل
الذكي هو نار تشتعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه
فيقول ما انت الا اكل ونوم وما هو الا اقبال وادبار وهذا
الوجه متاكد بقوله تعالى وخلق الانسان عجولا وقال
المبرد خلق الانسان من عجل اى من شانه العجل كقوله
خلقكم من ضعف اى ضعيفا الثاني قول ابو عبيد العجل
الطين بلغة حمير وانشد والنخل ينبت بين الما والعجل
والثالث قال الاخفش من عجل اى من تعجيل من الامر
وهو قوله كن فيكون والرابع من عجل اى من ضعف وهو
قول الحسن المرتبة التاسعة قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد قيل في الكبد وجهان الاول قال
صاحب الكشاف الكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا
فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ثم اتسع في هذا
اللفظ حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه
اشتقت المكابدة وقال اخرون الكبد شدة الامر
ومنه تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد
كانه دم يغلظ ويشتد والفرق بين هذين القولين
ان الاول جعل اسم للكبد موضوعا لكبد ثم اشتق منه
الشدة وفي الثاني اللفظ موضوع للشدة والغلظ
ثم اشتق منه اسم هذا العضو المخصوص والوجه الثاني
ان الكبد هو الاستواء والاستقامة والوجه الثالث
ان الكبد شدة الخلق والقوة اذا عرفت هذا فنقول

اما

اما على الوجه الاول فيحتمل ان يكون المراد منه شدايد
الدنيا فقط وان يكون المراد منه شدايد التكاليف
فقط وان يكون المراد منه شدائد الاخرة فقط
وان يكون المراد كل هذه الوجوه اما اذا حملناه على
على شدايد الدنيا فيكون قوله لقد خلقنا الانسان
في كبد اى خلقناه في اطوار كلها شدة ومشقة تارة
في بطن الام ثم زمان الارضاع ثم بعد البلوغ بتحصيل
وجوه المعاش ودفع ضرر الاعدا ثم دفع ضرر الالام
والاسقام والتضرر من الافات النازلة من السما واما
الثاني وهو حمله على شدايد الدين فهو توجه التكاليف
الشاقة عليه قال الحسن يكابد الشكر على السرا والضرا
ويكابد المحن في ادا العبادات والرضا بقضاء الله عند
نزول الافات والبليات واما الثالث وهو حمله على مشاق
الاخرة فالموت ومسايلة الملك وظلمة القبر ثم البعث
والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما
في النار واما الرابع وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل
فهو الحق عندي وعندي في الاية وجه اخر وهو انه ليس
في الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن انه لذة فهو خلاص
عن الالم فانما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص من
الم الجوع وما يتخيل من اللذة عن اللبس فهو خلاص
عن الم الحر والبرد فاذا تفكرت علمت انه ليس للانسان
الا الالم او الخلاص عن الالم فهذا معنى قوله تعالى لقد
خلقنا الانسان في كبد اى هو طول عمره يكون في مكابدة
الالم ومقاساة المتعبات والموذيات وعند هذا
الحرف يظهر انه لابد في حكمة الحكيم المدبر لهذا العالم
من الحشر والنشر والبعث يوم القيمة لان الحكيم
الذي دبر خلق الانسان ان كان مطلوبه ان يولم الانسان

فهذا لا يليق بالرحمة وان كان مطلوبه ان لا يتالم وان يلتذ
ففى تركه على العدم حصول لهذا المطلوب وان كان مطلوبه
ايصال اللذة والنفع اليه فقد بينا انه ليس فى هذه
الحيوة لذة وانه تعالى خلق الانسان فى هذه الدنيا فى
كبد ومشقة ومحنة فاذا لا بد بعد هذه الدار من دار
اخرى لتكون تلك الدار دار السعادات والخيرات
والكرامات واما على الوجه الثانى وهو ان يفسر
الكبد بالاستوا فقال ابن عباس فى كبد اى قايما منتصبا
وساير الحيوانات تمشى منكسة فهذا امتنان على الانسان
بهذه الخلقة **المرتبة العاشرة** من مراتب الانسان
قال الله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف واعلم ان اثار
ضعف الانسان لايحة كما قال بعضهم تنتنه العرقة
وتوذيه البقة وتقتله الشرقة وقال هرون الرشيد
لابن السماك عظنى قال ان عطشت ولم تجد شربة
من الما الا بكل ما تملكه ماذا تعمل قال اعطى واخذ
قال فان احتبس ذلك الما ولم يخرج الا ببذل كل ما تملك
ماذا تعمل قال اعطى حتى يخرج قال فاذا الشربة الواحدة
من الما قيمة كل ما تملكه مرتين وايضا فان البقة
اصغر الحيوانات جثة واضعفها بنية ثم انها قتلت
نمرود اكبر ملوك بنى ادم واطغاهم واعظمهم سلطانا
ويروى ان الشافعى رحمه الله حضر عند بعض الملوك
العظما فكان يجيه النوم فكان الذباب يجلس على وجهه
فيوقظه ويوذيه ثم انه كان يلطم وجهه وخده عند
طرد الذباب فقال فى اثنا هذه الحالة ما الحكمة
فى خلق الذباب فقال الشافعى رضى الله عنه فى الحال
ليذل به عظما الملوك ويظهر عجزهم عن دفعه وقيل
تناظر واحد من الانسان مع الحشرات والهوام فى القوة

والقدرة فقال الزنبور اليس اذا اخذ الادمى سلاحه
وسيفه ورمحه بيده فجاة واحد منا فيلسعه بحمة
مثل راس الابرة فيشغله ذلك عن كل ما هو فيه ويثور
جلده ويتالم اعضاوه حتى لا يمكنه ان يقبض على سيفه
قالت الذبابة اليس ان اعظمهم سلطانا واشدهم
هيبة اذا قعد على سرير ملكه مع الهيبة والعظمة
فانه يجى احدنا من المطبخ او من الخلا ملوث اليدين والرجلين
والجناحين فيقعد على وجهه وثيابه فيوذيه ويلطخه
ولا يقدرون على الاحتراز منا وقالت الحشرات والهوام
اليس اذا قعد احدهم فى مجلسه وسريره فيجى احدنا فيدخل
بين ثيابه فيفزعه ويزعجه واذا اراد ان يبطش بنا يصفع
نفسه بيده ويلطم خده بكفه وكل ذلك دليل عجز
الانسان وتمام البيان فيه قوله تعالى يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره فهذا هو الكلام فى مراتب
خلقة الانسان عند وجوده وقبل هذه المراتب
كلها كان العدم المحض كما قال تعالى لزكريا وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيا وقال فى اول سورة الانسان
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا
فهذه الحيوة الدنيا وية كانت معدومة من الازل الى
الان وستصير معدومة من الان الى الابد فانظر
الى طول مدة الازل وطول مدة الابد ثم انظر الى هذه
الحيوة المحفوفة بهذين الطرفين حتى تعرف حقارة
هذه الحيوة وصغرها وقلتها بل ان صرفتها الى
الطاعات استوجبت بها الثواب الابدى والسعادة

السرمدية فحينئذ يصير هذا الحقير عظيما وهذا الصغير
كبيرا **الفصل الخامس** في عجايب تكوين الاجنة اعلم انه
تعالى خلق الخلق من اشيا مختلفة فخلق السما من الدخان
قال تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان وخلق الارض
من زبد البحر على ما نقل عنه عليه السلام انه قال خلق
جوهرة لطيفة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء
ثم سلط على الما حرارة فارتفع منه زبد فخلق منه الارض
وخلق الجنة من رحمته والنار من غضبه قال تعالى
سبقت رحمتي غضبي وخلق الملايكة من النور كما قال
عليه السلام ان الله خلق المليكة من النور وخلق الجن من
النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وقال
والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال ابليس خلقتني
من نار وخلقته من طين وخلق ادم من التراب قال
تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
وخلق حوا من بعض اعضاء ادم قال تعالى يا ايها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وخلق عيسى من الريح قال تعالى ومريم ابنت
عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وخلق اولاد ادم من النطفة قال تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في
قرار مكين وخلق ساير الحيوانات من الما قال تعالى
والله خلق كل دابة من ما وخلق ناقة صالح من الصخر
قال تعالى هذه ناقة الله لكم اية ثم كل هذه الاشياء
مخلوقة من هذه المواد فهذه المواد تمتنع ان تكون
مخلوقة من مواد اخرى والا لزم التسلسل ويمتنع
ان تكون هذه المواد قديمة لانها محل الحوادث وكلما
كان محلا للحوادث فهذه المواد محدثة فهي مخلوقة

لله

لله تعالى والله خلقها من العدم المحض والنفي الصرف
فثبت انه تعالى يحدث الاشيا من العدم الصرف والسلب
المحض وتارة يحدث بعض الاشيا عن بعض ثم ههنا يجب
ان يتامل الانسان وهو ان كل قادر سوى الله تعالى فانه
لا يمكنه التصرف الا في نوع واحد فالخياط يتصرف
في الثياب والحداد يتصرف في الحديد واما الحق تعالى
فهو المتصرف في المعدومات والموجودات على وفق الحكمة
ومطابقة المصلحة فمن ها هنا يظهر كمال قدرة الله تعالى
ثم ها هنا دقيقة اخرى وهي انه تعالى اذا خلق شيا من
شي جعل مرجعه اليه الا ترى ان الملكة لما كان اصلهم
من النور فهم لما طعنوا في البشر حيث قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدما لكنهم ما بقوا مستمرين على
ذلك الطعن بل رجعوا الى مقتضى اصلهم وهو النورانية
وعادوا الى الصلح والاستغفار فقال تعالى حكاية
عنهم ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وعيسى عليه
السلام لما كان اصله من نفخة جبريل عليه السلام
لا جرم عاد بالاخرة الى عالم الافلاك قال تعالى اني متوفيك
ورافعك الي وقال بل رفعه الله اليه وكذلك البشر
لما كان اصله من التراب لا جرم يرجعون الى التراب
ويصيرون ترابا كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى واذا علم العبد ان مصيره
الى التراب والفنا زالت محبة الدنيا عن قلبه واعرض
عن الدنيا وعلم انه يجب عليه الاهتمام بعبادة الاخرة
والاقبال على طاعة الله تعالى واذا عرفت هذه المقدمة
فنقول انه ذكر في القران كيفية الخلق فقال في سورة الحج
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم



من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة
وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل
مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا
وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت
وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق
وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقال في
سورة القيمة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال
في المرسلات الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار
مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون الا ان
اكثرها شرحا وتفصيلا هي المذكورة في اول سورة قد
افلح المومنون وهو قوله ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا
اخر فتبارك الله احسن الخالقين واعلم انه تعالى ذكر
في هذه الاية سبع مراتب في تخليق الاجنة وقبل
هذه الاية افتتح السورة بذكر سبعة انواع من خصال
الخيرات والطاعات اولها الايمان وهو قوله تعالى قد
افلح المومنون والكلام في حقيقة الايمان سياتي
في باب معقود ان شا الله الثاني الصلاة وهي قوله تعالى
الذين هم في صلاتهم خاشعون واختلفوا في الخشوع فمنهم
من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم
من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات
ومنهم من قال هو عبارة عن مجموع الامرين وهو الاولى

فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له من قسم افعال
القلوب نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ومن قسم
التروك ان لا يكون مشتغل القلب بشي سوى تعظيم
خالقه ومن قسم افعال الجوارح ان يكون ساكنا
مطرقا ناظرا الى موضع سجوده ومن التروك ان لا يلتفت
يمينا وشمالا فالخشوع عبارة عن مجموع هذه الاشيا
الا ان الخشوع الذي يرى على الانسان ليس الا ما يتعلق
بالجوارح فان الذي يتعلق بالقلب لا يرى وتمام الكلام
في هذا المعنى سياتي ان شاء الله في كتاب الصلوة ٥
الصفة الثالثة قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون
في اللغو اقوال احدها ان يدخل فيه كل ما كان حراما او مكروها
او مباحا ولكن لا يكون بالانسان ضرورة ولا حاجة اليه
والثاني انه عبارة عن كل ما كان حراما وهذا التفسير
اخص من الاول والثالث انه عبارة عن المعصية
في القول وهذا اخص من الثاني والرابع انه المباح
الذي لا حاجة اليه واحتج هذا القايل بقوله تعالى
لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف يحمل اللغو على
المعاصي مع ان المواخذة فيها غير حاصلة واحتج الاولون
بان اللغو انما سمي لغوا لانه يلغى فكلما يقتضي الدين الغاه
يكون مسمى باللغو ثم اللغو قد يكون كفرا كقوله تعالى وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد يكون
كذبا كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية وقوله لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا اذا عرفت هذا فنقول انه سبحانه مدحهم
بانهم معرضون عن اللغو والاعراض عنه هو بان لا يفعل
ولا يرضى به ولا يخالط من يقدم عليه قال تعالى واذا
مروا باللغو مروا كراما واعلم انه سبحانه لما وصفهم
بالخشوع في الصلوة اتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو

حتى يحصل لهم الفعل والترك فالفعل هو الصلوة والترك
هو الاعراض عن اللغو الصفة الرابعة قوله والذين هم
للزكوة فاعلون والقول فى تفسير اسم الزكوة وفى منافعه
تاتى فى باب الزكوة الصفة الخامسة قوله تعالى والذين هم
لفروجهم حافظون والكلام فيه سياتى فى باب النكاح
ان شا الله الصفة السادسة قوله تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون واعلم انه سمى الشى الموتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان
تودوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا اماناتكم
وانما تودى الاجسام لا المعانى وانما تقع الخيانة فى الموتمن
عليه لا فى الامانة والعهد ما عقده الانسان على
نفسه فيما يقربه الى ربه ويقع ايضا هذا اللفظ على
ما امر الله تعالى به كقوله الذين قالوا ان الله عهد الينا
والراعى هو القايم على الشى بالحفظ والاصلاح كراعى الغنم
وراعى الرعية واعلم ان الامانة والخيانة متقابلان
قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم فكلما خرج عن احدهما دخل فى الاخر
فكل العبادات داخل فى الامانة بدليل قوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم
تمام الكشف فيه ان العبادات قد تكون مخفية
كالصيام وغسل الجنابة واستيفا الوضو وقد يكون
بحيث يخفى كيفية الانسان بها قال عليه السلام اعظم
الناس خيانة من لم يتم صلاته ومن جملة ذلك ما يلتزمه
الانسان بفعل او قول فيلزمه الوفاء به كالودايع والعقود
وما يتصل بهما ومن ذلك الاقوال التى يحرم بها النسا
ويحرم بها التصرف فى العبد لانه موتمن فى كل ذلك واما
العهد فانه يدخل فيه العقود والايمان والنذور فبين سبحانه

ان

ان مراعاة هذه الامور والقيام بها معتبرة فى حصول
الفلاح الصفة السابعة قوله تعالى والذين هم على صلواتهم
يحافظون واعلم انه تعالى فرق بين الخشوع وبين المحافظة
فان الخشوع صفة القلب على ما ذكرنا والمحافظة عبارة
عن تحصيل شروطها من رعاية الوقت والطهارة
والتشمر لادايها وترك التوانى فيه فهذه امور سبعة
قدم الله تعالى ذكرها ثم قال بعدها اولئك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
وها هنا سوالات السوال الاول لم سميت الجنة
بالميرات مع انه تعالى حكم بان الجنة حقهم فى قوله ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة الجواب من وجوه الاول انه روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال لا مكلف الا وقد اعد الله له فى النار
ما يستحقه ان عصى وفى الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل
لذلك علامة فاذا امن البعض ولم يومن البعض صارت
منازل من لم يومن منقولة الى الذين امنوا فلما كان حرمانهم
عن تلك الدرجات ودخولهم فى النار شبيها بالموت
سمى ذلك ميراثا لهذا الوجه وقد قال الفقها انه كما يورث
عن الميت ما كان مملوكا له كذلك يورث عنه ما يقدر
فيه كونه مملوكا له وان لم يدخل فى ملكه كالدية فانها موروثة
مع انها لم تدخل فى ملك المقتول البتة الثانى انه لما حصلت
الجنة لهم مع انهم ما كانوا عارفين فى الدنيا بكمية
منافعها اشبه ذلك انتقال المال الى الوارث الثالث
ان الجنة كانت مسكن ابينا ادم عليه السلام فاذا
انتقلت الى اولاده كان ذلك شبيها بالميراث السوال
الثانى كيف حكم على الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح
مع انه تعالى ما تمم ذكر الواجبات كالصوم والحج والجواب

ان قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ياتى على كل
الواجبات من الافعال والنزول السوال الثالث هذه
الاية تدل على ان هولاء هم الوارثون للجنة فامامن لم يات
بالطاعات واتى بالمعاصى ثم تاب ومات عقيب توبته
من غير شى من الطاعات وجب ان لا يدخل الجنة وهو
على خلاف الايات الدالة على ان التايب من اهل الجنة
والجواب ظاهر الاية وان كان يفيد الحصر الا انه يجب
حمل الظاهر على ان الكاملين من اهل الجنة هم الموصوفون
بهذه الصفات بدليل ان المجانين والصبيان يدخلونها
وكذلك الفساق من اهل الصلاة لقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ونظير
حمل هذا الحصر على حالة الكمال قوله تعالى انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن الناس من قال
الفردوس عبارة عن اشرف موضع فى الجنة وعلى
هذا التقدير يزول السوال قال صلى الله عليه وسلم
الفردوس مقصورة الرحمن وعن ابى امامة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال اسلوا الله الفردوس فانها
سرة الجنة واعلم انه سبحانه لما شرح فى اول هذه
السورة هذه المراتب السبعة فى العبادات اردفها
بما يدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وهو
ذكر المراتب السبعة فى خلقة الانسان اولها قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وثانيها قوله
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين وثالثها قوله ثم خلقنا
النطفة علقة ورابعها قوله فخلقنا العلقة مضغة
وخامسها قوله فخلقنا المضغة عظاما وسادسها
فكسونا العظام لحما وسابعها قوله ثم انشاناه خلقا
اخر فلنشرح احوال هذه المراتب السبعة بعون الله

وفضله اما المرتبة الاولى وهو قوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ففيه سوال مشكل وهو ان المراد من الانسان
ان كان هو ادم عليه السلام فكيف يستقيم قوله ثم
جعلناه نطفة فى قرار مكين فان ادم عليه السلام ما كان
كذلك وان كان هو اولاد ادم فكيف يستقيم قوله ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين فالجواب من وجوه
الاول ان لفظ الانسان شامل لادم واولاده ثم قوله من
سلالة من طين منصرف الى ادم وقوله ثم جعلناه نطفة
فى قرار مكين منصرف الى اولاد ادم والثانى ان المراد من
الانسان فى هذه الاية اولاد ادم والطين هاهنا اسم ادم
والسلالة هى الاجزا الطينية المبثوثة فى اعضايه وهى
التى لما اجتمعت وحصلت فى اوعية المنى صارت منيا
وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من ماء مهين والثالث وهو الذى
ذكرت فقلت وهو المراد من الانسان هاهنا اولاد
ادم عليه السلام وذلك لان المقصود من ذكر هذه
الاية التنبيه على ما يدل على وجود الصانع وهذا لا
يحصل الا بالامر المشاهد والامر المشاهد هو تولد
اولاد ادم لا تولد ذات ادم فثبت ان المراد من الانسان
هاهنا اولاد ادم بقى ان يقال فما المراد من قوله ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين مع ان اولاد ادم
ليسوا كذلك وجوابه ان الانسان انما يتولد من النطفة
وهى انما تتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما
نباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنبات انما
يتولد من صفو الطين فالانسان بالحقيقة يكون متولدا
من سلالة من طين اقصى ما فى الباب ان تلك السلالة من
الطين تواردت عليه اطوار الخلقة وادوار الفطرة حتى

صارمنيا ولكن ذلك لا يبطل كون الانسان متولد من
سلالة من طين كما انه انما تولد عن المنى بعد تعاقب الاطوار
والادوار عليه ولم يكن ذلك قادحا فى كونه متولد من
المنى وهذا التاويل الذى ذكرته مطابق اللفظ ولا يحتاج
معه الى شى من التكلفات والله اعلم بمراده المرتبة الثانية
قوله تعالى ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين واعلم ان الاطبا
يقولون ان الانسان اذا اكل طعاما فانه ينطبخ ذلك
الطعام فى معدته لا بحرارة المعدة وحدها بل بحرارة
ما يطيف بها اما من اليمين فالكبد واما من اليسار فالطحال
واما من قدام فبالربل الشحمى القابل للحرارة سريعا واما من
فوق فالقلب بتوسط تسخينه للحجاب فما يكون منه
صافيا يدخل فى عروق صلاب دقاق فى الكبد والذى
يكون كالثفل ينزل فى الامعاء ثم ينطبخ ذلك المصفى
مرة اخرى فى الكبد ويحصل عند ذلك الانطباخ رغوة
دغوة وهى الصفرا ويذهب الى المرارة والرسوب وهى
السودا ويذهب الى الطحال وينفصل المائية الفضلية
ويذهب الى الكليتين ومنهما الى المثانة ومنها الى الاحليل
ويخرج ثم انه تعالى خلق مجرى بين الطحال وبين فم المعدة
ومجرى اخر بين المرارة والامعاء ثم ان تلك السودا ينصب
شى منها على فم المعدة فيحصل فى المعدة دغدغة الجوع ولو
انسد ذلك المجرى لم يحصل للانسان شعورا بالحاجة
الى الطعام وايضا ينصب من المرارة شى من الصفرا
على الامعا حتى تغسل الامعا عن الفضلات ويحصل
للانسان شعور بالحاجة الى اخراج الفضلة ولو انسد
ذلك المجرى لم تنصب تلك الصفرا على الامعا فيبقى الثفل
فيها ويتولد القولنج ثم انه يحصل بعد هذين الطبخين
طبخ ثالث وهو ان ذلك الدم الصافى يخرج من الكبد

ويتوزع فى العروق وينطبخ مرة ثالثة فى العروق ثم
يحصل طبخ رابع وهو ان تلك الماء المتوزعة فى العروق الدما
تنصب على جواهر الاعضا وتتكيف بكيفية طبايع
تلك الاعضاء فبعضها يصير متكيفا بكيفية العظم
وبعضها بكيفية العصب فهذه اربع مراتب فى الطبخ
اذا عرفت هذا فنقول انه اذا صارت الشهوة مستولية
على الانسان تولدت من تلك الشهوة سخونة منتشرة
فى جميع الاعضاء ثم بسبب تلك السخونة يرتفع بخار لطيف
ورغوة لطيفة من جميع الاخلاط والاعضا ومجموع
ذلك البخار والرغوة انما يرتفع مما يحصل عند الهضم
الرابع فيتولد من العظم جوهر شبيه فى الطبع بالعظم
ومن اللحم والعروق والاعصاب كذلك ثم كما انه حصل
فى تلك الرغوة قوى وطبايع متشابهة لتلك الاعضا
المركبة فيحصل فيها اجزا من الدماغ واجزاء من العين
واجزا من اليد واجزاء من الرجل وبهذا المعنى لما سال
اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب مشابهة
الولد تارة اباه واخرى امه فقال عليه السلام ان كان
الغالب هو ما الرجل حصلت المشابهة بالاب وان كان
الغالب هو ماء المراة حصلت المشابهة بالام ثم هذه
الرغوة المختلسة من جميع الاعضاء والابعاض يصعد
فى العرقين المسامتين بامر الحكيم الخبير الى الدماغ اشرف
اعضاء الانسان وهو مسكن القوة المفكرة والحافظة
والذاكرة فاقتضت الحكمة الالهية ان يحصل من خواص
الدماغ الذى هو اشرف اعضاء بدن الانسان فى
تلك الرغوة اثر وكيفية ثم انه سبحانه يخلط تلك
الاجزاء شيا كثيرا من الدماغ ولذلك فان من باشر
كثيرا ظهر اثره على العينين فى الفتور والكلال والانكسا

ثم انه سبحانه ينزل تلك الاجزاء من الدماغ الى صلب
الرجل وترايب المراة ثم عند الوقاع ينزل من الصلب
والترايب الى مستقر الرحم فهذا هو المراد من قوله
تعالى ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين واعلم انا قد ذكرنا ان
هذه النطفة تجرى مجرى رغوة تنفصل من الاعضاء
بسبب ذوبان يعرض لها عند استيلاء حرارة الشهوة
فيكون بعض تلك الاجزاء من ذوبان العظم وبعضها
من ذوبان اللحم ولما كان البدن الانسانى مخلوق من الطبايع
الاربعة كان ذوبانها ايضا كذلك فكون المنى جسما مركبا
من ارضية ومائيه وهوائيه ونارية والهوائية
والنارية غالبة عليها ويدل عليه ان بياض الرطوبة
انما يكون بسبب اختلاط الهوائية بها كما يكون فى
الزبد والاجزا الكثيفة التى فى المنى هى موادا الاعضاء
والاجزاء اللطيفة والكثيفة يكون مختلطا بعضها
ببعض فى اول الامر ثم ان الجنسية علة الضم فتنضم
الاجزاء اللطيفة بعضها الى بعض والاجزاء الكثيفة
بعضها الى البعض ولما كان اللطيف سريع التحلل
والتلاشى اقتضت الرحمة الالهية جعل الاجزاء
اللطيفة فى الوسط وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان
لها فيصير الكل كالكرة المستديرة ويكون باطنها
مملوا من الاجزا الروحانية اللطيفة ويكون ظاهرها
من الاجسام الكثيفة وذلك الموضع الذى هو مجموع
الاجزاء اللطيفة هو الموضع الذى استحكم وكمل كان
قلبا فلهذا المعنى قال اهل العلم اول الاعضا الانسانية
تكونا هو القلب واخرها موتا هو القلب وعند هذا
يظهر ان فطرة النطفة تصير كالكرة ويكون مجمع الارواح
فى باطن تلك الكرة هو القلب وحينئذ يحصل ههنا

احوال

احوال عجيبة الاول ان العالم الاصغر وهو الانسان
كرة كما ان العالم الاكبر كرة الثانى ان كرة العالم الاصغر
تبقى معلقة فى جو الرحم بحفظ الخالق الحكيم كما ان كرة
العالم الاكبر بقيت معلقة فى الخلا الذى لا نهاية له
بحفظ الخالق الحكيم كما قال تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا والثالث ان كرة العالم الاصغر
يكون الكثيف محيطا واللطيف محاطا به على ما شرحته
وكرة العالم الاكبر بخلاف ذلك لان فى العالم الاكبر
اللطيف محيط وهو السموات والمحاط به هو الكثيف
وهو الارض والرابع انه تعالى قال للسموات والارض خلق
السموات والارض فى ستة ايام واما العالم الاصغر
فقال اهل التجارب ان هذه الكرة المتولدة من هذه النطفة
تبقى ستة ايام على حالتها الاولى لا تتغير منها صفة ولا
تزول منها حالة والخامس روى انه تعالى لما اراد خلق ادم
عليه السلام امر الملئكة ان ياخذوا من كل ناحية من نواحى
الارض قبضة فبعض تلك الاجزاء احمر وبعضها اسود
وبعضها ابيض وبعضها حرة وبعضها سبخة وبعضها
عذبة وبعضها مرة فلا جرم جاءت اولاد ادم على صفات
مختلفة بعضهم احمر وبعضهم اسود وبعضهم حر كريم وبعضهم
نذل سفيه فكذا ههنا لما اراد تخليق ولد ادم امر الملئكة
الموكلين بابدان البشر حتى اخذوا من كل طرف من اطراف
ابدان الاب والام اجزا على خاصية اخرى فاخذوا من سواد
الحدقة والشعر جزا اسود ومن بياض الملتحمة والسن والجلد
جزأ ابيض ومن الدم جزأ احمر ومن الدماغ الاجزا الباردة
ومن القلب الاجزاء الحارة ومن الكبد الاجزاء الرطبة ومن
العظام الاجزا اليابسة وبالجملة اخذوا من كل طرف من
ابدان الابوين جزأ مناسبا له فى الطبيعة مشاكلا له فى الخاصية

ثم انه سبحانه كما اخبر عن طينة ادم انه خمرها بيده اربعين
صباحا فكذا هاهنا خمر هذه الاجزا بعضها ببعض اربعين
صباحا وكما انه سبحانه بحكمته راعى فى تخمير طينة ادم
دقايق لا تصل اليها العقول والافكار فكذا فى تخمير
هذه الاجزا بعضها ببعض راعى اسرار لا يطلع عليها افهام
الخلق فقدر لكل شخص فى ذلك التخمير نسبة خاصة فى المقدار
والكيفية ومناسبة مقدرة فى الحسن والقبح والسعادة
والشقاوة والغنى والفقر والعلم والجهل لا يعرفها احد
الا هو ولا يقف على كنه اسرارها احد الا هو الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين واعلم انه ذكر فى ايات كثيرة
تولد الانسان من النطفة فقال فى اول سورة النحل خلق
الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال فى اخر يس اولم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وقال فى الواقعة افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن
الخالقون وقال فى الانسان انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وقال فى عبس قتل
الانسان ما اكفره من اى شى خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وفى
امثال هذه الايات كثيرة واعلم انه تعالى ذكر فى القران للمنى
صفات كثيرة منها قوله فى سورة الطارق فلينظر
الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترائب وهذه الاية مشتمله على ذكر صفتين الصفة
الاولى كونه ماء دافقا ولنذكر تفسير الدافق بحسب اللغة
وما يتعلق بكونه دافقا من وجوه المصلحة اما اللغة
فاعلم ان الدفق صب الماء يقال دفقت الماء اى صببته
وهو مدفوق اى مصبوب ولما كان هذا الماء مدفوقا اختلفوا
فى انه لم وصف بانه دافق وذكروا فيه وجوها الاول

قال

قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وفارس ونابل
وتامر اى ذو درع وفرس ونبل وتمر والثانى قال الفرا انهم
يسمون المفعول باسم الفاعل كقولهم سر كاتم وهم ناصب
وليل نائم قال تعالى فى عيشة راضية اى مرضية الثالث
قال الخليل فى كتاب العين دفق الما دفقا ودفوقا اذا انصب
بمرة الرابع ان الدافق هو صاحب الماء فاطلق هذا الوصف
على الما على سبيل المجاز واما وجه الحكمة فى كون هذا الماء
مندفقا فاعلم ان وجه الحكمة فيه التنبيه على انه ليس
المقصود من المباشرة تحصيل اللذة بل تحصيل الولد
وذلك لان كون الما مندفقا يمنع من دوام اللذة وذلك
لان السيلان المستمر اقوى فى ايجاد اللذة واكثر دواما
لها بل الحكمة فى الدفق بالقوة ان يكون فى المنى فى الوصول الى
قعر الرحم الذى سماه الله تعالى قرارا مكينا والصفة الثانية
كون المنى خارجا من بين الصلب والترائب وترائب المراة عظام
صدرها حيث تكون القلادة كل واحد من تلك العظام
وهى تريبة واختلف المفسرون فمنهم من قال الولد مخلوق
من الما الذى يخرج من صلب الرجل وترايبه ومنهم من قال
انه مخلوق من الماء الذى يخرج من صلب الرجل وترايب المراة
واحتج الاولون بان الله بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق
والذى يوصف بهذا الوصف هو ما الرجل ثم عطف عليه
بان وصفه بانه يخرج من بين الصلب والترايب وذلك
يقتضى كون هذه الصفة صفة لما الرجل واذا كان كذلك
ثبت ان الولد مخلوق من ما الرجل واحتج اصحاب القول
الثانى بقوله عليه السلام اذا غلب ما الرجل يكون
الولد ذكرا ويعود شبهه الى الاب والى اقاربه واذا غلب
ما المراة فبالضد وهذا صريح فى ان الولد مخلوق من
ما الرجل وما المراة والله اعلم بحقايق مخلوقاته

الصفة الثالثة قوله في سورة والنجم وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وقال في القيمة الم
يك نطفة من منى تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ولقائل
ان يقول ما الفائدة في قوله من منى تمنى مع ان كل منى
يمنى والجواب ان فيه تنبيها على حقارة حال الادمى
والتقدير انه مخلوق من المنى الذي جرى على مخرج
النجاسة فلا يليق بمثل هذا الشي ان يتمرد على طاعة
الله الا انه سبحانه عبر عن هذا المقصود على سبيل
الرمز والكناية ونظيره قوله تعالى في عيسى ابن مريم
كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضا الحاجة الا
انه تعالى عبر عن هذا المعنى بقوله كانا ياكلان الطعام
وكان الحسن البصري رحمه الله يقول كيف يليق التكبر
والتجبر بمن يمر على مجرى البول مرتين الصفة الرابعة قوله
تعالى الم نخلقكم من ما مهين وايضا قال وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من ما مهين والمراد بكونه مهينا
وجوه الاول قال مالك انه نجس رطبا ويابسا وقال
الشافعي انه طاهر رطبا ويابسا وقال ابو حنيفة رضوان
الله عليه انه نجس رطبا طاهر يابسا وحجة الشافعي
من وجهين انه تعالى من بخلقنا منها حيث قال ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين ولو كان نجسا لما حسن هذا الامتنان
فان الزموا العلقة والمضغة قلنا جوابه من وجهين
الاول انا لا ندري ما حالها حين ما تكون في الرحم والثاني
ان المنى يصير علقة ومضغة بسبب انه ممتزج به دم
الحيض والطمث والدم نجس فلهذا العارض حكمنا بالنجاسة
الا ان اصل التخليق منه يقتضي كونه طاهرا والحجة
الثانية انه تعالى من علينا بان جعل اللبن طاهرا لاجل انه غذانا

ومن

ومن المعلوم ان الحاجة الى طهارة الذاتى اعظم من الحاجة
الى طهارة الغذا فلما من علينا بجعل اللبن الذي هو الغذا
طاهرا فلان يمن بطهارة المنى الذي هو الاصل كان اولى
واعلم انا وان حكمنا بطهارته الا ان العلما لما اختلفوا في
طهارته ونجاسته كان ذلك دليلا على غاية حقارته ونهاية
مهانته والثاني ان مهانته لاجل كونه مستقذرا والثالث
ان مهانته لاجل مروره على ممر النجاسة الصفة الخامسة
انه تعالى اخبر ان الرحم الذي هو موضعه قرار مكين وهو قوله
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وفيه فوايد الفايدة الاولى
ان من ملا كوزا من الماء ثم قلبه انصب ذلك الماء ثم انه سبحانه
اودع النطفة في قعر الرحم ثم خلق الرحم منكسا ثم حفظ
فيه تلك النطفة بقدرته وحكمته وهذا وان كان عجيبا
بالنظر الى قدرتنا الا انه غير عجيب بالنظر الى قدرته وذلك
لان اجرام السموات والارض والجبال والبحار اثقل بكثير
من تلك القطرة كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فلما امسك السموات والارض بقدرته من غير علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا فكان يقدر على امساك النطفة في قعر الرحم بقدرته
كان ذلك اولى واحرى الفايدة الثانية انه تعالى سمى الرحم قرارا
مكينا ومعلوم ان النطفة في الرحم ليست مستقرة بل
بقيت معلقة في الهوى فكيف يجوز تسمية الرحم بالقرار
المكين وجوابه كانه قال انا امسك النطفة في هوا الرحم بقدرتي
كما يمسك الواحد منكم الشي الثقيل في مستقر الارض والمراد
منه اظهار كمال القدرة ونظيره انه تعالى سمى تخليق السماء
بناء فقال الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء والشي
المعلق في الهوى لا يسمى بناء وانما الشي المستقر على القرار
هو الذي يسمى بناء الا ان الجواب عنه كانه قيل انى لما امسكت

السماء بقدرتى فى جو الهوى كان ذلك السكوت جاريا
مجرى الشئ الذى يكون مستقرا على الارض ويبنى عليه
البناء ولتسميه السماء بالبناء انما كان لاجل التنبيه على
احكام خلقته والمقصود منه التنبيه على كمال القدرة
الصانع سبحانه فكذا هاهنا سمى الرحم بالقرار المكين
لتقرير هذا المعنى **الفائدة الثالثة** وهو ان استقرار النطفة
فى الرحم انما كان بسبب انه سبحانه بقدرته وحكمته يحفظها
فى الرحم فلما كان المستقر هو القدرة الازلية ولا
شك ان القدرة الازلية مبراة عن الخلل والعجز
والنقصان لاجرم سمى السماء بناء والرحم قرارا ونظيره
قوله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها يعنى
لها عمد غير مرئى وهو قدرة الله وحفظه وحكمته والله
اعلم **الصفة السادسة** للنطفة قوله تعالى فى الانسان انا
خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا المشج فى اللغة الخلط والامشاج
الاخلاط قال صاحب الكشاف الامشاج لفظ مفرد
وليس بجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة
امشاج ويقال ايضا نطفة مشيج ولا يصح ان يكون
امشاج جمعا للمشيج بل هما مثلان فى الافراد ونظيره
برمة اعشار اى قطع منكسرة وثوب اخلاق وارض
سباسب واختلفوا فى معنى كون النطفة مختلطة
على وجوه الاول انه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المراة
قال ابن عباس ماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر
رقيق فيختلطان ويخلق الولد منهما فما كان من عصب
وعروق وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء
المراة وقال الحسن من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة
فان المراة اذا ابتلعت ما الرجل وحبلت امسك حيضها

فاختلطت النطفة بدم وقال قتادة الامشاج هو انه
يختلط الماء والدم اولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة
وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة الى
صفة وحال الى حال وقال اخرون الامشاج عبارة
عن كون النطفة مختلطة من الامهات الاربعة والتقدير
من نطفة ذات امشاج وهذا ادل على قدرة الله تعالى
لان الطبايع المتنافرة لا يجتمع الا بقهر قاهر ثم ان كل واحد
من تلك الطبايع منافية للحيوة فبنا امر الحياة عليها يكون
اظهارا للضد من الضد فيكون ادل على كمال القدرة ونظيره
قوله تعالى فى اخر سورة يس الذى جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون ويحتمل ايضا ان يكون المراد
ما ذكرنا من كون النطفة متولدة بعد الهضم الرابع فبعضها
يكون فيه خاصية العظم وبعضها فيه خاصية اللحم
وخاصية العروق وتلك الاجزاء مخلوطة بعضها
ببعض فيكون امشاجا بهذا التاويل المرتبة الثالثة من
مراتب خلقة الانسان صيرورة النطفة علقة وزعم
اصحاب التجارب ان المنى فى اول الامر يصير كرة مستديرة
ويبقى على لونه الابيض فى الرحم ستة ايام كما شرحناه
ثم انه يظهر بعد ذلك فى الباطن اعنى مركز هذه الكرة
نقطة دموية وذلك الموضع هو الذى ذكرنا انه مجمع
الارواح وهو الذى اذا تمت خلقته كان قلبا ولهذا
المعنى قالوا ان اول عضو يتكون من البدن هو القلب ثم
يحصل بعد ذلك ايضا نقطتان دمويتان احداهما فوق
النقطة الاولى وهى التى اذا استحكمت خلقته كان دماغا
والنقطة الثانية تحصل على يمين النقطة الاولى وهى
التى اذا استحكمت خلقتها كانت كبدا ثم ان هذه النقطة
الثالثة تمتد فى الصفات امتدادا تاما وهذه الاحوال

تحصل بعد ثلاثة ايام اخرى فيكون ذلك تسعة ايام من الابتدا
وقد يتقدم يوما او يتاخر يوما ثم بعد ستة ايام اخرى وهو
الخامس عشر من العلوق تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة
وربما يتقدم يوما او يومين او تاخر يوما او يومين فهذا حال
شرح العلقة ثم ههنا اسرار وفوائد الحكمة الاولى ان كل
من نقش نقشا على شي فانه يحتاج الى امور احدها ان يكون
محل النقش جسما صلبا كثيفا وها هنا الحق سبحانه وضع
نقشه على الماء المهين الثاني يجب ان يكون المكان الذي ينقش
فيه واسعا وان يكون الموضع مضيئا وها هنا الحق سبحانه
نقش هذا النقش العجيب في الرحم وهو موضع ضيق فقال
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا واستدل بهذا على الهيئة
ووحدانيته فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم وايضا نقش
هذا النقش في ظلمات الارحام فقال في الزمر يخلقكم في بطون
امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له
الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فما اعظم درجة الانسان
وما اعجب خلقته وذلك لانه تعالى ايما ذكر حالا من احوال
تخليقه ذكر عقيبه اما التهليل كما في هاتين الايتين واما
التعظيم والتقديس كما في قوله فتبارك الله احسن الخالقين
الحكمة الثانية ان كل نقاش وكاتب اراد ان يكتب شيا على
جسم فانه يكتب اولا ذلك النقش على ظاهر ذلك الجسم
ثم انه يصل الاثر من الظاهر الى الباطن وها هنا الحق سبحانه
اظهر اثار كتابته ونقشه وتصويره اولا في الباطن وهو ظهور
ثم سريانها من الباطن الى الظاهر وهذا ليعلم كما ان ذاته
وصفاته لا تشبه الذات والصفات فكذلك لا يشبه
فعله افعال ساير الفاعلين واذا اشتبه هذا عليك في مبدا
الخلقة والفطرة فله مثال حاضر في الحال وذلك لان الاعضاء
الظاهرة لا تتحرك ولا تسكن الا اذا حدث في القلب داعية

النقط الثلاثة الدموية اولا في الباطن صح

وارادة

وارادة لذلك الفعل ومحدث تلك الدواعي والارادات
في القلوب هو الله تعالى وهو المراد بقوله تعالى كتب في قلوبهم
الايمان وبقوله عليه السلام قلوب العباد بيد الله
وبقوله عليه السلام قلب المومن بين اصبعين من اصابع
الرحمن فالحق سبحانه يكتب في القلب تلك الدواعي
والارادات ثم يتولد منها فنون الافعال والحركات في
ظاهر البدن فظهر ان تاثير قدرته تعالى تظهر الا في القلوب
والضماير اولا ثم ترى تلك التاثيرات من البواطن والضماير
الى الظواهر ولما عرفت هذا المعنى في الحال فاعرف مثله
في تخليق الله تعالى البدن في الابتدا والحكمة الثالثة ان كل
نقاش ابدع نقشا حسنا لطيفا فانه يبالغ في صون نقشه
عن اربعة اشيا عن التراب فان الغبار يبطل رونق النقش
ويزيل طراوته وعن الماء فانه يغسله ويزيله وعن الرياح
فانها تكدر النقوش وتبطلها وعن النار فانها تحرق وتفني
الاثر ثم انه سبحانه عكس هذه الصفة فاظهر نقش خلقة
البشر من التراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب واظهر نقش خلقة الدواب من الما فقال
والله خلق كل دابة من ماء واظهر خلقة عيسى من الهوى
فقال فنفخنا فيها من روحنا وايضا جعل نفخه سببا
لتخليق الحيوانات فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وخلق الجان من النار فقال
والجان خلقناه من قبل من نار السموم وذلك يدل على ان فعله
لا يشبه فعل احد من الفاعلين الحكمة الرابعة انه سبحانه
خلق القلب اولا وذلك لانه سرير الروح ومدرسة
المعرفة وخانقاة الصفوة ومنزل المحبة والنور الفايض
من خطاب فاعلم انه لا اله الا الله لا يتجلى الا فيه والكرامة
الحاصلة من تشريف يحبهم ويحبونه لا يظهر الا فيه

والاستقرار المتولد من وعد الا بذكر الله تطمئن القلوب
لا يحصل الا فيه فلما كان هو المقصود في الثواب والعقاب
والخطاب والعتاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب
والتحريض والتحذير لاجرم كان هو المخلوق الاول ثم انه
تعالى خلق الدماغ فوقه والكبد تحته لان الدماغ منشا
العقل الذي هو الواسطة بين القلب وبين العالم العلوي
والكبد منشا الغذا وهو الواسطة بين القلب وبين
العالم السفلي فجعل العلوي في العلو والسفلي في السفل
تنبيها على هذه الدرجات الحكمة الخامسة ان القلب
سلطان البدن وليست سلطنته بسبب كبر الجثة
والا لوجب ان يكون الفخذ اولى بهذه السلطنة ولا
بسبب الحدة والا لكانت المرارة اولى بها ولا بسبب
القوة والا لكانت العظام اولى بها ولا بسبب الحدة
والقطاعية والا لكانت الاسنان اولى بها ولا بسبب
كثرة الذخيرة والا لكانت المعدة اولى بها ولما بطلت كل
هذه الوجوه ولم يبق للقلب خاصة سوى كونه معدنا للعلم
والحكمة والفهم والادراك علمنا انه انما كان سلطان البدن
لكونه موصوفا بالعلم والحكمة فكل من كان عليما حكيما كان
سلطانا بالحق ونايبا للحق وبالحق كل من كان محروما عن العلم
والحكمة كانت سلطنته في التلبيس بنيابة ابليس الحكمة
السادسة ان الروح سلطان الجسد وسرير الروح هو
القلب لاجرم كان القلب هو اول الاعضاء الحادثة في
البدن فنقول لما كان الروح سلطانا محتاج الى سرير
جسماني كان ذلك السرير اول الاعضاء المتكونة في القلب
فالحق سبحانه سلطان الموجودات فلو كان محتاجا الى سرير
جسماني وهو العرش لوجب على هذا القياس ان يكون العرش
اول المحدثات واول المتكونات لكنه ليس الامر كذلك

بنص القران والخبر اما نص القران فهو قوله تعالى ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش بين تعالى ان الاستوا على العرش متاخر عن تخليق
السموات والارض واما الخبر فانه روى انه عليه الصلاة
والسلام قال اول ما خلق الله العقل وفي رواية ثانية
اول ما خلق الله القلم وفي رواية ثالثة اول ما خلق الله نوري
وفي رواية رابعة اول ما خلق الله جوهرة ثم نظر اليها بعين
الهيبة فصارت ماء جميع هذه الروايات مطابقة
على ان العرش ليس هو المخلوق الاول وذلك يدل على كونه
منزها عن العرش والكرسي والمكان والجهة الحكمة
السابعة ان القلب سلطان الجسد فكان اشرف اعضا
الجسد هو القلب ثم ان المجسمة يقولون كل موجود هو
اشرف من غيره وجب ان يكون هو اعلا من غيره فلما
كان الحق هو اشرف الموجودات يجب ان يكون في المكان
اعلى من جميع الموجودات فها هنا القلب سلطان البدن
واشرف الاعضاء مع انه ليس في اعلى موضع من مملكة القلب
بل هو مستقر في الوسط فظهر بهذا فساد قول
المجسمة ان الاشرف يكون اعلى في المكان والجهة بل
ها هنا دقيقة اخرى وهي ان اخس اعضاء البدن انما
هو الشعر والجلد والعظم واعلى شي في البدن هو هذه
الثلاثة فعلمنا ان العلو لا يقتضي الشرف والسفل
لا يقتضي الخسة الحكمة الثامنة ان كل طباخ وضع اللحم
الاحمر في قدر وطبخه فانه يزول تلك الحمرة ويحدث البياض
وها هنا الحق سبحانه وضع المني الابيض في قدر الرحم
وطبخه بنار الطبيعة فانقلب الابيض احمر وايضا كل احد
يسلط الحرارة على جسم لطيف فان بسبب تلك الحرارة
تزدادا الرقة والرخاوة والحق سبحانه قلب هذه القضية

فسلط الحرارة على النطفة الرطبة فصيرها منعقدة
كثيفة قوية فان قيل انما حصلت الكثافة والانعقاد
لان الحرارة لما عملت في تلك الرطوبة بحركتها فبقي الباقي
صلبا يابسا فنقول ان كان الامر كذلك وجب ان تؤثر
تلك الحرارة القايمة برحم المراة وسائر اعضايها في
تخفيف تلك الاعضاء فان تاثير تلك الحرارة في محلها
اولى من تاثيرها في الجسم الاجنبي عنها المباين لها ولما لم
تؤثر تلك الحرارة في تخفيف تلك الاعضا الام واثرت
في تخفيف جواهر النطفة علمنا ان تاثيرها في احد المحلين
وعدم تاثيرها في المحل الثاني بتدبير مدبر المخلوقات وتقدير
مقدر الكاينات فالطبايع معزولة والخواص باطلة
والافلاك معطلة والكواكب مسخرة ولا تاثير الا للقدرة
الازلية ولا نفاذ الا للمشيئة السرمدية سبحانه
وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا المرتبة الرابعة
وهي صيرورة العلقة مضغة والمعنى انه ينقلب ذلك
الدم الجامد مضغة اي قطعة لحم كانها بمقدار ما يمضغ
كالغرفة اسم لما يغترف واعلم انا بينا انها تصير علقة
من مدة خمسة عشر يوما ثم انه بعد ذلك باثني عشر
يوما تصير مضغة وتتميز الاعضاء الثلث بعضها
عن بعض وامتدت رطوبة النخاع وربما تقدم ذلك او
تاخر بيوم او يومين او ثلاثة ثم بعد تسعة ايام ينفصل
الراس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن
تميزا يحس به في البعض ويخفى في البعض ويحس بذلك
بعد تمام الاربعين في الاكثر وفي الاية ابحاث البحث الاول
وهو ان المضغة اسم للقطعة من اللحم فقوله ثم خلقنا
المضغة عظاما يقتضي تقدم تخليق اللحم الذي هو المضغة
على تخليق العظام وقوله فكسونا العظام لحما يقتضي تقدم

العظام

العظام على اللحم وذلك متناقض فالجواب ان المضغة
اسم للقطعة الممضوغة من اللحم فهذا الجسم المسمى
بالمضغة لا يكون لحما البتة ولا يكون املس السطح
وذلك لانه مركب من اجسام مختلفة الصور فبعضها
يكون اذا استحكمت خلقته كان عظاما وبعضها اذا
استحكمت خلقته كان عصبا وبعضها اذا استحكمت
خلقته كان عروقا ثم ان هذه الاجسام بعدما استحكمت
خلقتها ولم يتميز بعضها عن بعض تمام التمييز ولم تظهر منها
صلابة وكثافة بل هي باقية على الرخاوة فهي من حيث
كونها لينة رخوة تشبه اللحم ومن حيث انها لم تبق على كريتها
وملاستها بل صارت اجساما مختلفة الطبايع صار
كاللحم الممضوغ فلهذا المعنى سمى الله تعالى هذا الجسم في هذا
الوقت مضغة البحث الثاني انه سبحانه وصف المضغة
في سورة الحج فقال ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم
ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى والمخلقة المسواة
الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود
اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء
ثم للمفسرين في المعنى اقوال الاول ان المراد من تمت فيه احوال
من لم يتم كانه سبحانه قسم خلق المضغة على قسمين احدهما
تامة الصورة والحواس والتخاطيط والثاني الناقصة
في هذه الامور فبين تعالى انه بعد ان صيره مضغة ففيها
ما يخلقه انسانا تاما بلا نقص وفيها ما ليس كذلك
وهذا قول قتادة والضحاك فكانه تعالى يخلق المضغ
متفاوتة منها ما هو تام خال عن العيوب ومنها ما يكون
معيوبة ويتبع هذا التفاوت تفاوت الناس في خلقتهم
وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم
والقول الثاني في المخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير

المخلقة السقط وهو قول مجاهد والله تعالى اعلم الثالث
المخلقة المصورة وغير المخلقة اى غير المصورة وهو الذى
يبقى لحما من غير تخطيط وشكل واحتج اصحاب هذا القول
بما روى علقمة عن عبد الله انه قال اذا وقعت النطفة فى
الرحم بعث الله ملكا فقال الملك يا رب مخلقة او غير
مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال
مخلقة قال يا رب فما صفتها اذكر ام انثى ما رزقها ما اجلها
اشقى ام سعيد فيقول الله سبحانه انطلق الى ام الكتاب
فاستنسخ منها صفة هذه النطفة فينطلق الملك
فينسخها ولا تزال النسخة معه حتى ياتى على اخر صفتها
الرابع قال القفال رحمه الله التخليق ماخوذ من الخلق
فما تتابع عليه الخلق بعد الخلق حتى يتم فهو الخلق وما لم يتم المخلوق
فهو غير المخلوق لانه لم يتوارد عليه التخليقات واعلم
ان القول الاول اقرب لانه تعالى قال فى اول الاية فانا خلقناكم
من تراب واشار الى الناس فيجب ان يحمل مخلقة وغير مخلقة
على من سيصير انسانا وذلك يبعد فى السقط لانه قد يقصود
يكون سقطا ولم يتكامل فى الخلقة فان قيل هلا حملتم
ذلك على السقط لاجل قوله تعالى ونقر فى الارحام ما
نشا وذلك كالدلالة على انه فيه ما لا يقره تعالى فى الرحم
وهو السقط قلنا ان هذا لا يمنع صحة ما ذكرنا فى كون
المضغة مخلقة وغير مخلقة لانه تعالى بعد ان تمم خلقة
البعض ونقص خلقة البعض لا يجب ان يكمل ذلك فيه
بل فيه ما يقره فى الرحم وفيه ما لا يقره فان كان قد ظهر
فيه خلقة الانسان فيكون من هذا الوجه قد دخل فيه
السقط اما قوله تعالى لنبين لكم ففيه وجهان الاول لنبين
لكم ان انقسام المضغة الى المخلقة وغير المخلقة يدل ان
المتولى لهذا التدبير ليس هو الطبع بل هو الصانع المختار

والثانى

والثانى ان اول هذه الاية وهى قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب فيكون
المعنى انا اخبرناكم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل
عنكم ذلك الريب فى امر بعثكم فان القادر على هذه الاشيا
كيف يعجز عن الاعادة واما قوله تعالى ونقر فى الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى فالمراد منه ان من اقسام هذه
المضغة من يبلغه الله حد الولادة والاجل المسمى هو
الوقت المضروب للولادة وهو اخر ستة اشهر او تسعة
او سنتين او اربع او كما شا الله وقد روانه تعالى كما كتب ذلك
الوقت المعين فى اللوح المحفوظ صار اجل مسمى البحث
الثالث من مباحث هذا الوضع انا قد ذكرنا ان اصحاب
التجارب قد زعموا ان فى مدة اربعين يوما يصير الحال بحيث
يتميز بعض الاعضاء عن بعض وفيه اشكال وذلك لانه روى
فى الصحيحين عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدق ان احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم
يرسل الله اليه ملكا ينفخ فيه الروح فيومر باربع كلمات
فيكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد فوالله الذى لا اله
غيره ان احدكم ليعمل عمل اهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل
الجنة فيدخلها فهذا الحديث يدل على انها تبقى اربعين يوما ثم
تبقى علقة مثل هذه المدة ثم تبقى مضغة مثل هذه المدة وذلك
على خلاف ما حكيتم عن اهل التجارب والجواب انه وان اختلف
الاعضاء فى مدة الاربعين الا ان صورة العلقة والمضغة

انما تتم عند انقضاء الاربعينات الثلاثة فلا منافاة
بين التجربة وبين كلام صاحب الشرع اما المرتبة الخامسة وهو
صيرورة المضغة عظاما واعلم ان هذا الانسان مركب من
الاعضاء والاعضاء تنقسم الى قسمين الى اعضا بسيطة
والى اعضاء مركبة والاعضا المركبة هي التي لا يكون جزء
المحسوس مساويا لكلها في الاسم والحقيقة كاليد فان كل
جزء من اجزاء اليد لا يكون مساويا لكل اليد في الاسم والحقيقة
واما الاعضاء البسيطة فهي التي يكون جزء المحسوس مساويا
لكله في الاسم والحقيقة كالعظم فان كل جزء من اجزاء المحسوس
يكون مساويا لكله في الاسم والحقيقة واعلم ان الاعضاء
المركبة انما تتركب من الاعضا البسيطة فلهذا السبب لم
يذكر الله تعالى في هذا المقام شيا من الاعضا المركبة اما الاعضا
البسيطة فهي عشرة الاعصاب والعظام والرباطات
والاوتاد والاوردة والشراين والاغشية واللحم والشحم
والجلد الا ان اصل البدن واساسه هو العظام فلهذا المعنى
خص الله تعالى العظام بالذكر في هذا الموضع واعلم ان العظام
يمكن تقسيمها على وجهين الاول ان العظام بحسب منافعها
على اقسام احدها ما قياسه من البدن قياس الاساس وعليه
مبناه مثل فقار الصلب فانه اساس البدن وعليه يبنى كما تبنى
السفينة على الخشبة التي تنصب فيها اولا وثانيها ما قياسه
من البدن قياس الجن والوقاية كعظم اليافوخ وثالثها ما قياسه
قياس الالات التي بها تتم الاعمال وهي عظام اصابع اليدين
والرجلين ثم ما كان من هذه العظام انما يحتاج اليه للدعامة
او الوقاية ولا يحتاج اليه لتحريك الاعضاء فانه خلق مصمتا
وما كان منها يحتاج اليه لاجل الحركة فقد زيد في مقدار تجويفه
وجعل تجويفه في الوسط واحدا ليكون جرمه صلبا
ولا يصير رخوا بسبب كثرة المنافذ ثم جعل المخ في وسطه

ليرطبه ويمنعه اليبس المفتت وفائدة زيادة التجويف
ان يكون اخف وفائدة توحيد التجويف ان يبقى جرمه
اصلب وفائدة صلابة جرمه ان لا ينكسر عند الحركات
العنيفة التقسيم الثاني للعظام انها بحسب تجاوزها
على اقسام فاحدها ما يتجاوز بتجاوز مفصل سلس
وهو الذي لاحد عظميه ان يتحرك حركاته سهلا من غير
ان يتحرك معه العظم الاخر كعظام الاصابع مع الكف
ومفصل الرسغ مع الساعد وثانيها ما يتجاوز بتجاوز
مفصل عسر غير موثق وهو كعظام فقرات الظهر في النصف
الاعلى من الظهر ولولا ذلك لما قدر الانسان تارة على ان
ينتصب انتصابا تاما وقت القيام وتارة يصير منحنيا كما في
وقت الركوع فاما النصف الاسفل من الظهر فاصل
عظامه موثوقة محكمة وثالثها ان يكون المفصل موثقا
ليس لاحد عظميه ان يتحرك وحده البتة مثل مفصل عظام في العنق
العين ورابعها المركوز وهو ما يوجد لاحد العظمين زيادة
وللثاني فقرة تركز فيها تلك الزيادة ارتكازا لا يتحرك فيها
مثل الاسنان وخامسها المدور وهو الذي يكون لكل
واحد من العظمين اسنان كالمنشار ويكون اسنان كل واحد
منهما منهدمة في تحاريز الاخر كما يركب الصفار ونصفايح
النحاس كمفاصل القحف وسادسها ان تكون العظام
متلاصقة فمنها ما هي متلاصقة طولا مثل مفصل ما بين
عظمي الساعد ومنه ما هو ملتزق عرضا مثل مفصل الفقرات
السفلى من فقار الصلب واعلم ان عظام البدن جملتها
مائتان وثمانية واربعون عظما اما عظام الراس فخمسة
وخمسون سبعة هي عظام اليافوخ واربعة عشر عظام
اللحى الاعلى واثنان هما اللحيان الاسفلان واثنان وثلاثون
سنا فالمجموع خمسة وخمسون واما خرزات الظهر

فتسعة وعشرون سبعة للعنق واحدى وعشرون يتصل
بها الاضلاع وخمسة هي العطن وثلاثة العجز وثلاثة
العصعص واما الاضلاع فاربعة وعشرون من كل جانب
اثنا عشر والعنق مؤلف من عظام اربعة والترقوتان عظمان
موضوعان على كل واحد من جانب العنق والكتفان معلومان
وكل واحد من اليدين مولف من احد وثلاثين عظما العضد
وطرفه والساعد وهما عظمان ملتصقان بالطول والكف
وهو اثنا عشر الرسغ وهو صفان من كل صف اربعة
والمشط اربعة اخرى والاصابع خمسة عشر فالمجموع
احد وثلاثون ومجموع عظام اليدين اثنان وستون وعند
العانة عظمان والفخذان وطرفاهما والرصفيان وعظام القدم
سبعة وعشرون فهذا مجموع عظام البدن والكلام فيها
وفي منافعها طويل والنكتة الظاهرة في كيفية الاستدلال
بهذه الحالة على الصانع ان العظام اجسام صلبة قوية
فكيف تولدت من النطفة السخيفة الرقيقة وايضا فهذه
العظام مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير
ومجوف ومصمت وعريض ودقيق واللايق بكل موضع
من مواضع البدن عظم مخصوص ولو حصل في ذلك
المكان عظم آخر لاختلت المصالح فالطبيعة التي لا شعور
لها ولا ادراك كيف يمكن اسناد تخليق هذه الاعضاء
اليها وكيف يعقل ان يقال ان هذه الطبيعة رتبت هذه
الاعضاء بهذا الترتيب الموافق للمصلحة ان هذا مما لا يقبله
العقل بل الفطرة السليمة والطباع المستقيمة تشهد
بان تخليق هذه الاعضاء وترتيبها لم يصدر الا عن الصانع
الحكيم المدبر اما المرتبة السادسة وهي قوله تعالى فكسونا
العظام لحما واعلم ان اهل التشريح ذكروا ان جميع عضل
البدن خمسماية وتسعة وعشرون عضلة واعلم ان الخالق

سبحانه

سبحانه لما اقتضت حكمته ان يجعل منبع قوة الحس
والحركة هو الدماغ وتكون الآلة الحاملة لها بين القوتين
من الدماغ وهو العصب ثم كانت العصب لا يحسن
اتصالها بالعظام التي هي بالحقيقة اصول الاعضاء
المتحركة اذا كانت العظام صلبة والعصبة لطيفة
فانبت الخالق بحكمته من العظام شيا شبيها بالعصب
يسمى رباطا فجمعه مع العصب وشبكه به كشي واحد الا
ان هذا الجرم الملتيم من العصب ومن الرباط كان ايضا
دقيقا فدبر الخالق سبحانه في ذلك بان جعل الجرم منقوشا
وملا خلله لحما وغشاه غشاء دقيقا صلبا وجعل في
وسطه شيا كالمحور من جملة العصب فهذا العضو هو
العضلة وفيه فوايد كثيرة احدها انه لما فيه من اللحم
منشا المنافع كثيرة منها ان يكون حشو الخلل الفرج
الحاصلة بين العظام ومنها ان اللحم متولد من الدم الذي
هو حار رطب فيكون اللحم سببا لزيادة السخونة في الاعضا
مثل حشو الجثة ومنها انه يكون حايلا بين عظام البدن
بعضها من بعض ومنها انه يكون حايلا بين عظام البدن
وبين الاجسام الصلبة الخارجة عن البدن ويكون ذلك
اللحم شبيها بالمضربة اللينة التي يجلس الانسان عليها
فلا يتالم بسبب المصاكة الحاصلة بين عظام البدن
وبين الاجسام الصلبة الموجودة من الخارج الفايدة
الثانية ان هذه العضلات بسبب متوسطات العصب
يجري فيها قوة الحس والحركة فيتمكن الانسان بسببها
من الحركات الارادية والافعال الاختيارية الفايدة
الثالثة ان هذه العضلات بسبب ما فيها من شظايا
الرباط وبسبب كونها محللة بهذه الاغشية الصلبة
تكون صلبة قوية لا يعرض لها الانفكاك والانقطاع

سريعا فهذه اشارة مختصرة الى منافع هذه العضلات
فان قيل انه تعالى ذكر في جميع المراتب المتقدمة لفظ الخلق
فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما وفي هذه المرتبة لم يذكر
لفظ الخلق بل قال فكسونا العظام لحما فما السبب فيه
قلنا السبب فيه ان العظام والاعصاب والعروق اعضاء
اصلية متولدة من النطفة ولذلك فان شيا منها اذا
بطل لا يعود اما اللحم فانه ليس من الاعضاء الاصلية
فلذلك فانه اذا ذهب بالهزل عاد بالسمن مرة اخرى وهو
انما يتولد من دم الطمث لا من المني فلما كان الامر كذلك
لا جرم جعل اللحم كالكسوة للاعضاء الاصلية وايضا قد
ذكرنا ان فائدة اللحم افادة السخونة للاعضاء الاصلية
وان يكون كالمضربة اللينة التي اذا جلس الانسان عليها
لم يتالم بسبب المصاكة الحاصلة بين عظامه وبين الاجسام
الصلبة الخارجة وهذه الفوائد والمنافع شبيهة بالفوائد
المطلوبة من الثياب الملبوسة فلهذين السببين ذكر في هذه
المرتبة لفظ الكسوة فسبحان من له تحت كل كلمة من كلمات
هذا الكتاب الكريم سر شريف ونكتة روحانية المرتبة
السابعة وهي قوله ثم انشاناه خلقا اخر فاعلم ان في المراد
بالخلق الاخر قولين الاول المراد منه نفخ الروح وزعموا
ان الروح ليس من جنس البدن فلهذا المعنى جعل هذه المرتبة
نوعا اخر من الخلق متغايرا للمراتب المتقدمة واحتجوا عليه
بوجوه من المنقول والمعقول الحجة الاولى ان المراتب المذكورة
لا يكمل الانتفاع بها الا بنفخ الروح فوجب في الحكمة ذكر
الروح عقيب تلك المراتب والمذكور عقيب تلك المراتب هو
قوله ثم انشاناه خلقا اخر فدل على ان المراد منه نفخ الروح

فلما

فلما عبر عن نفخ الروح بانه خلق اخر علم ان الروح ليس من
جنس البدن الحجة الثانية قوله تعالى فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فالتسوية عبارة عن تخليق الابعاض والاعضاء
ونفخ الروح فيه اشارة الى تعلق الروح بالبدن ثم انه
تعالى اضاف الروح الى نفسه دل على انه متميز في ذاته بمزيد
شرف لا يحصل مثله للاجسام الحجة الثالثة انه تعالى ميز
بين عالم الارواح وعالم الاجسام فقال الا له الخلق
والامر فحصل التباين بين هذين النوعين ثم انه تعالى حكم
بان الروح من عالم الامر فقال قل الروح من امر ربي ثم بين
انه لا سبيل للبشر الى معرفته فقال وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ولو كان من جملة الاجسام لما صح هذه الاحوال
الحجة الرابعة انه تعالى اضاف الافعال الى النفس فقال ان
النفس لامارة بالسوء وقال تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة
وقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك ومعلوم
ان جميع اجزا النفس ليس مبدا للاعمال فعلمنا ان النفس شيء
يدبر البدن وهو غير البدن الحجة الخامسة وهو قوله تعالى
اخرجوا انفسكم وهذا صريح في ان النفس شيء مغاير للبدن
تارة تدخل البدن وتارة تخرج منه الحجة السادسة قوله
تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم وكل احد
فانه لا ينسى هذا الهيكل الذي يشاهد بحواسه فدل على ان
تلك النفس التي ينساها الانسان عند فرط جهله شيء اخر
غير هذا البدن الحجة السابعة قوله تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها وهذا صريح في ان هاهنا نفسا هي
محل الالهامات ومحل الفجور والتقوى ومعلوم ان كل واحد
من اجزاء البدن وابعاضه ليس كذلك فهذه النفس شيء مغاير
لهذه الاعضاء الحجة الثامنة ان القران دل على ان الشيء المشار
اليه بانه هو الانسان المخصوص باق بعد الموت قال تعالى

في الشهدا، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم وقال تعالى في صفة المعذبين بالنار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وقال عليه السلام انبيا الله لا يموتون ولكنهم ينقلون من دار الى دار فثبت بان الشي المشار اليه بانه هو الانسان باق بعد موت البدن حتى يدرك اللذات والالام واما ان هذا البدن المشار اليه ليس حيا بعد الموت فهو معلوم بالضرورة ولو جوزنا كونه حيا لجاز مثله في جميع الجمادات وهو سفسطة واذا لاحت المقدمتان علمنا ان المشار اليه بقولنا هو الانسان ليس هو هذا البدن **الحجة التاسعة** قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك تعرف ربك ولو كان المراد من النفس هو هذا الجسد المشاهد لما امرنا بمعرفته لان معرفته حاصلة بالضرورة والحاصل لا يمكن تحصيله **الحجة العاشرة** انا نجد من انفسنا انا نضيف كل واحد من هذه الاعضاء الى انفسنا فنقول يدي ورجلي وقلبي ودماغي والمضاف غير المضاف البتة فعلمنا ان النفس غير هذه الاعضا فان قالوا فقد يقول نفسي وذاتي وهذا يقتضي ان يكون نفس الشي مغايرة لنفسه وهو محال وجوابه انا اذا اضفنا النفس والذات اليها كان المراد من النفس والذات هو البدن وهو مغاير لذلك الشي المشار اليه بانه هو الانسان فهذه استدلالات سمعية على اثبات النفس ولمن انكر النفس ان يجيب عن الكل بجواب واحد وهو انه لا نزاع ان النفس شي مغاير لهذا البدن المحسوس وكيف لا نقول ذلك والانسان قد يمرض فيذبل غاية الذبول ثم يبرا فيسمن بعد ذلك غاية السمن فالانسان واحد في الحالين مع ان الاجزا البدنية مبتذلة لكنه لم لا يجوز ان يقال البدن منقسم الى قسمين اجزا اصلية باقية من اول الخلقة الى اخرها والثا

اجزا مبتذلة عرضية تطرى وتزول فالانسان عبارة عن تلك الاجزا الاصلية فهذا ما في هذا البحث اذا عرفت هذا فنقول اذا حملنا قوله ثم انشاناه خلقا اخر على الروح فهاهنا لطائف **النكتة الاولى** قال بعضهم انه سبحانه خلق الارواح من انوار عالم الجمال والجلال فالقوة النظرية مع ما فيها من بهجة المعرفة والمحبة من عالم الجمال والقوة العملية المدبرة للبدن من عالم الجلال ولولا ان انوار الارواح مستورة بظلمات الاجساد والا لسجد لها كل كافر **النكتة الثانية** قال بعضهم انه تعالى خلق الارواح من النور والطيب والبقاء والعلو والعلم والحياة اما النور فلانه ما دام الروح في الجسد يكون الجسد نورانيا فالعينان يبصران والاذنان يسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماغ يتفكر فهذا يدل على ان الروح من عالم الانوار والدليل على انه من جوهر الطيب انه ما دام الروح في الجسد يكون طيب الرايحة مصونا عن العفونة والدليل على انه جوهر البقا انه ما دام الروح في الجسد يكون الجسد مصونا عن الفساد والتفرق والانحلال والدليل على انه من جوهر العلو انه ما دام الروح في الجسد يكون البدن مرتفعا عن الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد الروح قوة ازداد الارتفاع الا ترى ان الانسان عند استيلاء عالم الروحانيات على روحه ياخذ في الرقص والسبب فيه انه قوة روحانية فصارت تلك القوة الروحانية جاذبة له من الارض الى عالم السموات والانبياء عليهم السلام لما كملت هذه الاحوال فيهم صعدوا الى السموات فقال في حق ادريس عليه السلام ورفعناه مكانا عليا وقال في حق عيسى عليه السلام ورافعك الي وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى والدليل على انه من جوهر العلم ان محل العلم

هو الروح وذلك لان العلوم نقوش علوية غيبية طاهرة
مقدسة فلا يكون محلها الا الجوهر القدسي العلوى
والدليل على انه جوهر الحيوة انه متى انقطع اثر الروح
عن كل البدن صار كله ميتا وان انقطع اثره عن جزء من
اجزاء البدن صار ذلك الجزء ميتا كما فى المفلوج وان
تعلق بكل البدن صار كله حيا وبالجملة فالروح كالشمس
والحياة الفائضة عن الروح كالانوار الفائضة عن
الشمس وكل جسم وصل اليه نور الشمس انقلبت
احواله من الظلمة الى الضياء كذلك كل عضو يصل
اليه نور الروح انقلب حاله من الموت الى الحياة
النكتة الثالثة دلالة ارتباط هذا البدن بالروح
على افتقار كل العالم الى الصانع فى غاية الظهور وذلك
لان هذا البدن مملكة صغيرة جدا واذا كانت هذه
المملكة الصغيرة لا يعقل استغناؤها عن ملك
مطاع فيا لكل العالم الذى هو المملكة الكبرى كيف
يمكن استغناؤها عن مدبر يدبرها ومتصرف
يتصرف فيها وكما ان المدبر فى هذه المملكة واحدة ولا
تعقل حصول روحين فى بدن واحد كذلك المملكة
الكبرى يجب ان يكون مدبرها واحدا **النكتة الرابعة**
ان المومن بذاته علوى وبصفاته علوى اما بذاته فلقوله
تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وايضا اقواله وافعاله علوية قال تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكتابه
علوى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين كما ان كلمة الله هى
العليا واما الكافر فكله سفلى قال الله تعالى وارادوا
به كيدا فجعلناهم الاسفلين وافعاله سفلية ان الذين

كذبوا

كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء
وكتابه سفلى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين فيا ايها المومن
العلوى لا تجعل روحك سفليا بالمعصية ويا ايها النورانى
لا تجعل نفسك ظلمانية بالاعراض عن الله ثم انه تعالى بين
من خلقتك ان العلوى اشرف من السفلى والروحانى
افضل من الجسمانى وذلك لانه خلق فيك اعضاء علوية
واعضاء سفلية اما العلوية فالقلب والعين واللسان
واما السفلية فالبطن والمخرجان فمن استعمل العين فى العبرة
واللسان فى الحكمة والقلب فى المعرفة صار علويا شريفا
ومن استعمل البطن فى اكل الحرام والفرج فى الزنا والحرام
صار سفليا خبيثا ثم اكد هذه الدلالة بان جعل الرية التى هى
معدن النفس الصاعد فوقانيا والمعدة التى هى معدن الهابط
سفليا ليعلم ان كل ما كان علويا سماويا فهو الشريف وما كان
ارضيا سفليا فهو الخسيس **النكتة الخامسة** الروح محل العلم
ويجب ان يعلم ان الموجودات على ثلاثة اقسام موجود
لا يجوز ان لا يعلم وهو الله سبحانه وتعالى وموجود لا يجوز
ان يعلم وهو الجماد وموجود يجوز ان يعلم ولا يعلم وهو انت
فان صرت تعلم شيا فقد تخلقت باخلاق الله وان صرت
لا تعلم شيا فقد صرت مشابها للجمادات فامتيازك عن
الجمادات والتحاقك بزمرة الملئكة المقربين وملازمتك
لعتبة رب العالمين انما حصل بسبب ايصال الروح بالبدن
وعند هذا يظهر منقبة الروح وفضيلتها **القول الثانى**
ان المراد من قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر تخليق الاعضاء
الجسمانية واعلم ان تمام الكلام فى شرح قدرة الله تعالى
وحكمته فى خلق الانسان قد ذكرناه فى علم التشريح من
الطب الكبير الذى صنفناه ولنذكر هاهنا نكتا قليلة من
المنافع الظاهرة الجليلة التى تصل اليها افهام كل احد

فنقول انظر الى النطفة وهي قطرة قذرت من الماء ولو تركت
ساعة ليضربها الهوى بطلت وفسدت كيف اخرجها رب
الارباب من بين الصلب والترائب وذلك لانه سبحانه
اوقع الالفة والمحبة في قلوبهم ثم قادتهم سلسلة
الشهوة والمحبة الى الاجتماع ثم استخرج النطفة من
الرجل بحركة الوقاع واستخرج دم الحيض من اعماق العروق
وجمعها في الرحم ثم خلق المولود من النطفة وسقاه بماء
الحيض حتى نما ورباه وكيف جعل النطفة وهي بيضاء
مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم
اجزاء المضغة الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار
واللحم في داخل الرحم في الظلمات الثلاث ولو انكشف
الغطا والغشا لكنت ترى التخطيط والتصوير يظهر
في النطفة شيا فشيا ولا ترى المصور ولا قلمته ولا
آلته فهل رايت مصورا وفاعلا لا يمس آلة في مصنوعه
ولا يلاقيه فسبحانه ما اعظم شانه ولنشير هاهنا الى
قليل من تشريح الاعضاء اما الراس فتامل انه سبحانه
دورها وشق سمعها وبصرها وانفها وفمها وانه تعالى
ركب كرة الراس في بطن الام من ثلاثة وعشرين عظما
وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة فكيف تولدت
العظام الصلبه ومن النطفة السخيفة الرقيقة ثم انه
سبحانه قدر كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص
ومقدار مخصوص ووضع مخصوص لو وقع بخلاف
ذلك لبطلت المنفعة وفات الغرض وركب بعضها
مع بعض بحيث يحصل من مجموعها كرة الراس على هذه
الخلقة المخصوصة واعلم انه تعالى انما اظهر الاحتياط
في عظم الراس لاجل ان الدماغ اشرف اعضا الانسان
فانه محل الفكر والعقل ولما كان في غاية الشرف صانه

بسبعة انواع من الصيانات وذلك لان الدماغ
يحيط به غشاء رقيق يقال له الغشاء المسمى وفوق
ذلك الغشاء غشاء اخر صلب وهو يلتصق بمقعر
عظم اليافوخ ثم فوقها عظم اليافوخ ثم خلق
خارج العظم غشاء اخر يقال له السمحاق وفوق
هذا الغشا طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية
الجلد وفوق الجلد الشعر فتامل انه خلق تعالى فوق
دماغك سبع طبقات جارية مجرى السموات السبع
والمقصود من تخليق دماغك ان يكون من المتفكرين
في دلائل الله المتاملين في مخلوقاته ليستدل بها على
جلالة خالقها وحكمته ولنذكر الان بعض صفات
الدماغ فنقول انه سبحانه قسمه في طوله الى ثلاثة اقسام
وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل والقسم
المتوسط محل التامل والفكر وجعل البطن الموخر
محل الاسترجاع والتذكر وكل واحدة من هذه
الاحوال الثلاثة امور مهمة للانسان لا يحصل
الانتفاع بالانسانية الا معها اما الحفظ والتخيل
فامر لا بد منه في الانسانية ويدل عليه وجوه الاول
ان الانسان محتاج الى التفهيم والتفهم بالكلام
والكلام مركب من الحروف وهذه الحروف لا توجد
مجتمعه البتة بل متعاقبة فلو لم يكن الانسان حافظا
لصور المحسوسات بعد غيبوبتها لكان الانسان
اذا سمع حرفا ثم انقضى ذلك الحرف الاول ووجد
الحرف الثاني فعند حصول الحرف الثاني لا يكون الحرف
الاول موجودا في الخارج ولا يكون اثره ايضا باقيا
في الحفظ فحينئذ لا يكون المسموع ابدا الا حرفا واحدا
والحرف الواحد لا يفيد المعنى البتة فثبت انه لولا

الحفظ ما كان يحصل التفهيم والتفهيم بالكلام
فكانت هذه المصلحة العظيمة تختل وتبطل الثانى
ان الانسان اذا راى شيا ثم غاب عنه ثم راه مرة
اخرى عرف ان هذا الذى راه الان هو الذى راه قبل
ذلك وذلك لانه لما راه فى المرة الاولى ثم غاب عنه
بقيت صورته فى الحفظ فلما راه مرة ثانية صارت
هذه الصورة المحسوسة ثانيا منطبقة على تلك
الصورة المحفوظه فى الخيال فحصل الشعور بان هذا
الذى راه الان هو الذى راى قبل ذلك فلولا القوة
الحافظة لما حصل هذا المعنى ولو لم يحصل هذا المعنى
لاجل نظام العالم فما كان يعرف الزوج زوجه ولا
السيد عبده ولا احتاج كل احد الى تعرف حال كل
شخص فى كل مرة يراه الثالث ان خاصية الانسان
ان يتوصل بالفكر الى ان يصير المجهول معلوما والفكرة
عبارة عن تركيب الاشيا الحاضرة فى الذهن ليتوصل
بتركيبها الى ان يصير المجهول معلوما ولا معنى لحضور
الاشيا فى الاذهان الا حضور مثلها واشباحها
فى القوة الحافظة فالقوة الحافظة فى دماغك جارية
مجرى اللوح المحفوظ فى عالم السموات وبقا صور
المحسوسات فى خيالك يشبه بقاء كتبة احوال
المخلوقات فى اللوح المحفوظ فثبت بما ذكرنا ان
القوة الحافظة من اعظم نعم الله على الانسان
ثم ان فيه امرا اخر عجيب لا يعرفه الا الله سبحانه وذلك
لان هذه الصورة التى يتخيلها ويشاهدها حالما يستحضرها
اما ان يقال انها موجودة او يقال انها معدومة والقول
بكونها معدومة باطل لانا نميز بين كل واحد منها وبين
غيرها بل كانا نشاهدها وننظر اليها فى خيالنا فانا اذا

نظرنا الى قرص الشمس ثم غمضنا العين فانا نشاهد قرص
الشمس حاضرا فى خيالنا كانا ننظر اليه فثبت انها موجودة
ثم قال قوم ان محل هذه الصور الخيالية مقدم دماغنا
وقال اخرون بل مقدم الدماغ آلة فى هذا العمل ومحل هذه
الصور جوهر الروح والروح ليس بجسم ولا بجسمانى
وكل واحد من القولين عجيب جدا اما الاول فهو ان مقدم
الدماغ جسم صغير جدا فكيف ارتسم فى ذلك الجسم
الصغير صور السموات والارضين والشمس والقمر
وصور البلدان والمسالك والممالك والانسان ايضا
ربما يحفظ كتبا كثيرة فكيف اتسع ذلك الجسم الصغير
لهذه الصور العظيمة وقد يحفظ الكلمات التى سمعها
من اول عمره مع كثرتها فكيف ارتسمت هذه الصور
الكثيرة فى هذا الجسم الصغير من غير ان يختلط شى
من هذه النقوش بعضها ببعض ولا شك ان هذا من
العجايب التى لا يعرفها الا المدبر الخالق واما القول الثانى
وهو ان محل هذه الصور جوهر الروح وهو ليس بجسم
ولا بجسمانى فهذا اعجب لان هذه الصور لها اطوال
وعروض وامتداد فى الجهات والاحياز فكيف يعقل
حلولها فى شى ليس له طول ولا عرض ولا امتداد
فى الجهات وبالجملة فنحن نعلم بالضرورة انا نحفظ
صور هذه المحسوسات واذا اردنا ان نعلم انا كيف
نحفظها عجزنا عن ذلك فسبحان الخالق الحكيم ومن
جملة نعم الله علينا فى كيفية هذا الحفظ انه جعل الحافظ
لصور المحسوسات الخمسة شيا واحدا والفايدة
فيه انا اذا سمعنا صوتا علمنا ذلك الشخص لان القوة
الحافظة تعلم ان الذى له هذا الصوت فله ذلك الشكل
فحينيذ يفيد السمع فايدة البصر ويقوم كل واحد من

الحواس الخمسة مقام الاخر واما البطن الاوسط من
الدماغ فهو محل الفكر ومعنى الفكر هو ان يركب القوة
المفكرة شيئين من الاشيا الحاضرة عند قوة المحافظة
فيصير ذلك التركيب سببا لاستحداث صورة جديده
عند العقل وجميع التركبات التى احدثها اهل الدنيا
فى بناء المساكن واستخراج الحرف والصناعات فهو
من اعمال القوة المفكرة فالقوة المفكرة تستخرج تلك
الصور بهذا الطريق ثم ان القوة العملية تنقل تلك
الصور من الافكار الى الخارج ومن المعلوم انه لولا
الفكر لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفع
الافات وهما اعظم النعمة بخلق القوة المفكرة ومن
اراد ان يعرف قدر هذه النعمة فلينظر الى البهايم والمجانين
واعلم ان القوة المفكرة كالقلم والقوة الحافظة كاللوح
فان القوة المفكرة اذا استنبطت صورة جديده ارتسمت
تلك الصورة فى لوح الخيال فكان المثبت هو المفكرة
والقابل هو الخيال فكانت المفكرة قلما والحافظ لوحا
واعلم انا وان كنا نعلم بالضرورة انا نفكر الا انا اذا اردنا
ان نعلم ان هذا الفكر ما هو صعب ذلك علينا فان هذا
الذى طلبناه هل نعلمه ام لا فان علمناه فكيف نطلب
العلم به وان لم نعلمه فكيف يمكننا طلب شى لم يخطر ذلك
الشى ببالنا واما البطن الاخير من الدماغ فهو التذكر
ومعنى التذكر ان من حضر فى ذهنه امر من الامور ثم غاب
عنه فانه يسترجعه بعد غيبوبته وهذه الحالة حاصلة
للانسان فانه ليس كلما راه الانسان وسمعه فى مدة عمره
فانه يكون حاضرا فى خياله بل اكثر هذه الصور فى اكثر
الاحوال غير حاضرة فى الذهن ولكنها وان كانت غايبة
الا ان الانسان متى اراد استحضارها قدر عليه

فهذا الاستحضار هو التذكر ولا شك ان خلق هذه
القوة نعمة عظيمة من الله تعالى على الانسان واعلم ان
ها هنا ايضا حالة عجيبة تعجز العقول البشرية عن معرفة
كيفيتها وذلك لان هذه الصور اذا كانت غير حاضرة
فتذكرها عبارة عن طلب رجوعها فهذا الطلب اما ان
يكون طلبا لتلك الصورة بعينها او يكون طلبا لصورة ما
مبهمة اى صورة كانت فان كان الاول فهو محال لانها غير
معلومة بعينها اذ لو كانت معلومة بعينها لكانت حاضرة
فما كان الانسان يحتاج الى طلبها واذا لم تكن معلومة
بعينها امتنع طلبها بعينها والثانى ايضا محال لان المطلوب
اذا كانت صورة ما لا هذه الصورة فلم حصلت هذه
الصورة بعينها دون سائر الصور ولما اذا حصلت هذه
الصورة بعينها حكم العقل بان مطلوبى كان هو هذه الصورة
فهذا لنا شكال عظيم وبالجملة كل احد يجد من نفسه
بالضرورة انه يحفظ الاشيا ويتفكر فيها ويستعيدها
بعد غيبتها ثم العقول متحيرة فى معرفة حقيقة هذا
الحفظ والذكر والفكر فسبحانه ما اعظم شانه وابهر
برهانه فى اصناف ملكه وملكوته فهذا هو الاشارة
المختصرة الى خلقة الدماغ ثم تامل احوال العين فانها
مركبة من سبع طباق وثلاث رطوبات وفى الحقيقة
فهى مركبة من عشر طباق وثلاث رطوبات فالطبقة
السفلانية هى الطبقة الصلبة وفوقها المشيمية
وفوقها الشبكية وفى الطبقة السبكية الرطوبة
الزجاجية وفوقها الجليدية وفوق الجليدية الطبقة
العنكبوتية وفوقها الطبقة البيضية وفوقها الطبقة
العينية وفوق الطبقة العينية الطبقة القرنية
وهذه الطبقة القرنية بعدها اهل الظاهر طبقة

واحدة لكنها فى الحقيقة اربع طبقات ثم يحيط بهذا
المجموع الطبقة الملتحمة فاذا عرفت هذا علمت ان طبقات
العين ثلاثة عشر طبقة على عدد طبقات العالم الاكبر
فان اعلى طبقات العالم الاكبر العرش وتحته الكرسى
وتحته السموات السبع وتحتها الطبقات الاربعة
العناصر فمجموع طبقات العالم الاكبر ثلاثة عشر ثم
انه تعالى خص كل واحد من هذه الطبقات والرطوبات
بشكل مخصوص ولون مخصوص ومقدار مخصوص
وترتيب مخصوص لو لم يوجد على ذلك الوجه بل على وجه
اخر لاختلت المصلحة ثم تامل فى احوال العين من وجوه
احدها انه تعالى جعل موضع الابصار مقدار عدسة
واحدة ثم اظهر فى تلك العدسة صورة السما والعالم
مع اتساع اطرافها وتباعد اكنافها الثانى ان البياض
يناسب النور والسواد يناسب الظلمة فجعل البياض
سببا للعمى والسواد معدنا للقوة الباصرة ليعلم ان
سبب حصول هذه النعمة هو فضل الله وكرمه لا الطبع
والخاصية والثالث انه سبحانه جعل الحدقة مصونة
بالاجفان ليسترها ويحفظها ويصقلها ويدفع الاقذا
عنها والرابع انه سبحانه جعل الاجفان سودا ليكون سوادها
سببا لاجتماع النور الذى يعبر على الابصار ويكون
مانعا عن تصرف ذلك النور والخامس انه سبحانه خلق
لتحريك الحدقة اربعة وعشرين عضلة لو نقصت
واحدة منها لاختل امر العين والسادس ان العين شبه
المراة ومعلوم ان المراة انما ينتفع بها اذا كانت فى غاية
الصقالة والصفا فلما كانت العين لا ينتفع بها الا حال
كونها فى غاية الصقالة والصفا لاجرم خلق الخلق سبحانه
هذه الاجفان متحركة الى الانطباق ابدا من غير اختيار

الانسان حتى تبقى الحدقة نقية صافية عن جميع الاكدار
واما الذبابة فلما لم يخلق لعينها الاجفان لاجرم الهمها
حتى انها بيدها تنظف عينيها عن اثار الغبار والكدورات
السابع انه تعالى جعل العينين هاديا لصاحبها الى ادراك
الاشيا لا لاطلاع غيره بواسطة ما فى قلب صاحبه
وذلك لان القلب فى داخل البدن والعينان كالزجاجتين
الموضوعتين على جدار البيت فكيف ما كان الشمع فى داخل
البيت وقع ضوءه على الزجاجتين فكيف يستدل باحوال
العين على احوال القلب فى الرضى والغضب والرغبة
والنفرة فسبحان من جعل العين هاديا لصاحب العين الى
معرفة الغير والغير الى معرفة احوال قلب صاحب العين
الثامن وهو ان الطف اعضاء البدن هو العين ثم ان جميع
الاعضا يتاثر من الحر والبرد فوق ما يتاثر منها العين وكان
ينبغى ان يكون الامر بخلاف ذلك لان الالطف اسرع تاثيرا
لكنا نرى ان الوجل على صلابة جلدها تتاثر من الحر والبرد
فوق ما تتاثر العين منهما وما ذاك الا ليعلم الانسان ان
حصول هذه المصالح ليس بالطبع والخاصية بل بحفظ
الرحيم العليم واما احوال الاذن فاعلم انه تعالى شق الاذنين
واودعهما ماء مرا ليكون ذلك معينا على ادراك السمع وليمنع
الهوام عن الدخول فى الاذن ثم راعى فيه انواعا من المصالح الاول
انه تعالى حوطها بصدفة الاذن ليجمع الصوت فيردها الى
الصماخ الثانى انه سبحانه جعل فى ثقبة الاذن انحرافات
وانعراجات حتى تصير المسافة بهذا السبب طويلة فلو
دخل تلك الثقبة شى من الهوام والحشرات فحينئذ يكثر
حركاته بسبب طول المسافة فينبه الانسان فيسعى فى اخراجه
عن الاذن والثالث انه خلق العينين مقدمتين والاذنين
موخرتين لان العينين تدركان الاجسام والاعراض وهى

ادلة وجود الصانع والاذنان يسمعان الكلام والدلائل
العقلية مقدمة على الدلائل السمعية فلا جرم قدم البصر
على السمع والرابع خلق العينين مع الغطا والاذنين بلا غطا،
لان متعلق العين اجسام واعراض باقية فلولا الغطا لحصل
الملالة واما مدرك الاذن فهوا الاصوات وهي غير باقية
فلولا الغطا فبما زال الصوت قبل ارتفاع الغطا فلا يحصل
الانتفاع بالسمع الخامس روى كعب الاحبار قال دخلت على
عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاديان واذناه
قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب
ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الانف فانه سبحانه رفعه
من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيها
حاسة الشم وفيه منافع الاولى انه يستدل باستنشاق
الروايح على الاغذية والمطاعم المستوية والثاني يستنشق
بمنفذ المنخرين الهوى البارد الرطب فيستغني بالمنخرين عن
فتح الفم ابدا الثالث انه جعل بتجويفه واسعا حتى ينحصر فيه
هوا كثير فينكسر برده قبل النفود الى الدماغ فان الهوى
المستنشق وان كان ينفذ اكثره الى الرية فان شطرا صالح المقدار
ينفذ ايضا الى الدماغ ولذلك فان المزكوم يضره استنشاق
الهوى البارد والرابع انه بتجويفه الواسع يجذب الى نفسه
هوا اكثر حتى يحصل امام الة الشم فيكون ادراك الشم
اسهل ولذلك فان من بالغ في الشم جذب الهوا بخيشومه اكثر
والخامس انه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل اخراجها ولذلك
فان من قبض على انفه عسر عليه التكلم باكثر الحروف والسادس
ان يكون للفضول المندفعة من الراس ستر ووقاية عن الابصار
واعلم ان منفعة النفس عظيمة فانه لو انقطع عن الانسان
لحظة واحدة لمات ثم تامل ان الهوى المستنشق يدخل

اولا من المنخرين فينكسر برده هناك ثم يصل الى الحلقوم فيعتدل
مزاجه هناك ثم يصل الى الرية ويتصفى فيها ثم يصل الى
القلب ويروح عن الحرارة الغريزية وينفذ من القلب الى
العروق المتحركة ويبلغ الى اقاصي اطراف البدن ثم اذا سخن
جدا وخرج عن حد الانتفاع عاد من تلك الاقاصي الى القلب
ثم الرية ثم الى الحلقوم ثم الى المنخرين ثم يخرج ويعود مثله
فمجموع هذه الافعال هو المسمى بالنفس الواحد ويقال ان
الانسان يتنفس في كل يوم اربعة وعشرين الف نفس
فاعرف مقدار النفس الواحد في المنفعة فانه لو انقطع تحصل
الموت ثم انظر الى كثرة الانفاس لتعرف عظيم نعمة الله عليك
كما قال تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها واما الفم فانه سبحانه
جعله الة لتحصيل مصالح الروح ولتحصيل مصالح البدن
اما مصالح الروح فانه اودع فيه اللسان الناطق المعرف
لما في القلب واعلم انه سبحانه خلق القلب امير البدن ومعدنا
للحرارة الغريزية فاحتاج القلب الى تعديل تلك الحرارة القوية
بالنسيم البارد المعتدل فاذا استدخل الهوى البارد ووصل
الى القلب واعتدلت حرارة القلب به وبقي ذلك الهوى هناك
ساعة يسخن واحترق فاحتاج القلب الى اخراجه وذلك هو
اخراج النفس فجعل المدبر الحكيم اخراج ذلك النفس سببا لحدوث
الصوت ثم جعل في الحنجرة وفي اللسان وفي الحنك وفي
الاسنان وفي الشفتين مقاطع ومخارج للحروف مختلفة
فحصلت الحروف بهذا الطريق ثم جعل تلك الحروف عند تاليفها
وتركيبها موديه للمعاني فانظر الى كمال الحكمة فان المقصود الاصلي
من التنفس هو ايصال النسيم البارد الى القلب فانما اخراج النفس فهو
جاري مجرى دفع الفضلة الفاسدة ثم انه سبحانه صرف هذا المعنى
الى رعاية مصلحة اخرى وهو انه جعلها مادة الحروف والاصوات والكلام
ثم انه سبحانه خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة

والخيشومية والملامسة حتى اختلفت الاصوات لاجل اختلاف هذه الاحوال
فكما لا تتشابه صورتان البتة فكذا لا يتشابه صوتان البتة
وكما يحصل الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصرة فكذلك
يحصل الامتياز بينهم بسبب القوة السامعة فيحصل في الظلمة
هذا التمييز ويحصل للاعمى هذا التمييز واما ما يتعلق بتحصيل
مصالح البدن فهو ان اعظم الاشياء المحتاج اليها في مصلحة
البدن هو الاكل وهو سبحانه اعد في الفم اسباب الاكل وذلك
في وجوه الاول انه تعالى خلق في الفم الاسنان ولها منافع الاول
ما ذكرنا انها تكون مقاطع للاصوات فيحدث الحروف المختلفة
بسببها والثاني انها تكون آلة القطع والكسر والطحن ثم انظر الى
الحكمة وذلك ان الانسان في اول ما يتناول الغذا يحتاج الى القطع
فجعل الاسنان المقدمة حادة عريضة الروس جارية مجرى
السكين وجعل الانياب مستديرة حادة الرؤس للكسر
وجعل الاضراس مسطحة الروس خشنة الروس كالرحى لاجل
الطحن ولو قدرنا كون الاضراس مقدمة وكون الرباعيتين
موخرة لبطلت المصالح والمنافع باسرها الثالث لتكون زينة
الوجه وذلك انه سبحانه زين الفم بالاسنان فبيض الوانها ورتب
صفوفها وجعلها متناسبة متناسقة كانها الدر المنظوم
ثم انه سبحانه خلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لينطبقا
على الفم ويسد منفذها وليتم بهما مخارج الحروف ومن لطيف
الحكمة انه تعالى جعل الاذن بلا حجاب ولا باب وخلق ورا اللسان
بابين احدهما الاسنان والثاني الشفتان وفيه تنبيه على انه
يجب ان يكون استماع الكلام اكثر من الاشتغال بالكلام فان
استماع الكلام يجري مجرى الدوا والاشتغال بالكلام كالدا
النوع الثاني مما حصل في الفم من اسباب الاكل وذلك انه
تعالى جعله معدنا للرطوبة العذبة اللعابية فالانسان
لما وضع الطعام في الفم وطحنه باسنانه امتزج ذلك المطحون

باللعاب الذي في الفم فوصلت اثار تلك الطعوم اللذيذة
بواسطة ذلك اللعاب الى اللسان فيصير ذلك الطعام سببا
لقوة اللذة في الحال كما انه يصير سببا لقوة البدن في الاستقبال
ثم هاهنا انواع من العجايب الاول ان كل من اراد ادارة الرحا
بسبب انصباب الما اليه وضع الرحا في موضع يكون اسفل
من مجرى الما حتى اذا انصب الما من الاعلى الى الاسفل فحينئذ
يقوى على ادارة الرحا والله سبحانه ادار رحا الفم بالما الذي
يصعد اليه من اسفل المعدة ليعلم الخلق ان ذلك بسبب الحكمة
والقدرة لا بسبب الطبع والخاصية والثاني ان الانسان
قبل ان يضع الطعام في الفم لا يجتمع في فمه من تلك الرطوبات
شي كثير ولو اجتمع لكان في عنا بسبب اجتماعها وكما وضع الطعام
في الفم اجتمعت من تلك الرطوبات بقدر ما يبتل به ذلك الطعام
ولو لم يجتمع تلك الرطوبات في الفم في هذا الوقت لتعذر على
الانسان مضغ ذلك الطعام ولعسر عليه ابتلاعه فانظر الى
كمال الحكمة في الوقتين الثالث ان الانسان لما احتاج الى طحن
الطعام ومضغه بالاضراس فقد ينقلب اجزاء الطعام فيما
بين تلك الاضراس فجعل اللسان متحركا في ذلك الوقت حتى
ان الانسان بحركاته المختلفة يرد الطعام الى ما بين الاضراس
حتى ينطحن على سبيل الكمال والتمام فسبحان من له الحكمة القاهرة
والدلايل الباهرة فهذه اشارة مختصرة الى احوال الراس وشرح
احوال هذه الحواس ثم هاهنا انواع اخر من الحكمة والفوايد
في الراس الاول تامل في وضع الحواس وحفظ القوة والذكر
في الراس وذلك لانها جعلت في الراس كالمصابيح فوق المنارة
ليتمكن الانسان بسبب ارتفاع هذه الحواس من ادراك
الاشيا البعيدة فما احسن قول الحكما الراس صومعة الحواس
الثاني كان بعضهم يقول عند امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما اعجب امر الشطرنج فان تلك الرقعة على غاية صغرها تشتمل

على انواع لا نهاية لها من اللعب فقال عمر رضى الله عنه بل ههنا
ما هو اغرب منه واعجب وذلك لان رقعة الوجه اصغر
بكثير من رقعة الشطرنج ثم ان كل عضو من اعضاء الوجه
لا يتغير عن مكانه فالعينان ابدا يكونان فى ذلك الموضع المعين
وكذا الانف والاذنان والفم ثم مع ذلك فانه يحصل فيه
التفاوت فانك لا ترى شخصين فى الشرق والغرب متشابهين
من كل الوجوه فسبحانه ما اعظم شانه واعلم ان التفاوت فى الصورة
ظاهر قوى فيما بين الادميين وبعده فالتفاوت حاصل بين صور
الحيوانات الاهلية الا ان التفاوت فيما بين الادميين اكثر
واما الحيوانات البرية فالتفاوت فيما بين صورها قليل جدا
والسبب فيه انا قد ذكرنا انه لولا اختلاف صور الناس لما تميز
الزوج عن الاجنبى والسيد عن غير السيد ومالك المتاع
والدار عن غيره فكان ذلك يفضى الى المفاسد العظيمة فلهذا
المعنى اقتضت الحكمة الالهية اظهار التفاوت فى صور
الادميين واما الحيوانات الاهلية فقد تتعلق ببعض الاغراض
باعيانها فى بعض الوجوه الا ان اشتداد الحاجة الى معرفتها
باعيانها واشخاصها ليس كالحاجة الى معرفة الناس باشخاصها
واعيانها فلا جرم لم يظهر المخالفة بين صورها واشخاصها
الا فى القليل فسبحان من له فى كل شى حكمة مرئية واسرار
مخفية الثالث قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ
لا يبغيان فان تعجب من هذه الحالة فانظر الى وجهك على
صغره فانه سبحانه وضع فيه اربعة من البحار مختلفة
الطبايع والصفات وجعل بحر الاذن مملوا من الماء المر وبحر
العين مملوا من الماء المالح وبحر الفم مملوا من الماء العذب وبحر الانف مملوا
من الماء العفن المتغير وجعل بين كل واحد من هذه البحار حاجزا ومانعا وابقى
كل واحد منها على صفته وخاصيته بحكمة بالغة اما حرارة
الاذن فلئلا يدخلها شى من الحشرات واما ملوحة العين

اظهر الله تعالى المخالفة بينهما
فى الصور الا ان تلك
المخالفة اقل من المخالفة
الحاصلة بين اشخاص الناس
واما الحيوانات البرية فلا
تتعلق مصلحة البتة بمعرفة
اعيانها واشخاصها فلا جرم
صح

فلئلا

فلئلا تتطرق العفونة الى ذلك الشحم واما عذوبة بحر الفم فلاجل
ان يجد الطعوم على غاية اللذة واما عفونة الانف فلاجل انه جعل
مصبا لفضلات الدماغ فسبحانه ما اعظم شانه الرابع قال
الباقر كل ما خلق الله تعالى فى العالم الاكبر خلق نظيره فى العالم
الاصغر فلهذا قال وفى انفسكم افلا تبصرون يعنى ان عجزت عن
مطالعة العالم الاكبر فانظر فى العالم الاصغر وذلك لانى خلقت
فى العالم الاكبر شمسا وقمرا ونجوما وخلقت فى العالم الاصغر
مثلها فشمس العالم الاصغر هى الروح لان الروح تضئ جسدك
كما ان الشمس تضئ العالم واذا خرج الروح من جسدك صار
جسدك مظلما كما ان الشمس اذا غربت صار العالم مظلما والعقل
كالقمر فكما ان القمر يستمد النور من الشمس فكذلك العقل
يستمد النور من الروح وكما ان القمر يزيد ضوءه تارة وينقص
اخرى فكذلك العقل تزداد قوته تارة وتنقص اخرى واما النجوم
الخمسة السيارة الباقية فنظيرها فى البدن الحواس الخمس
ونظير الجبال عظامك ونظير البحار العروق الكبار فى البدن
ونظير الاودية والانهار العروق الصغار المتشعبة من
تلك العروق الكبار وكما انه يحصل فى البحار حيتان مضطربة
فكذلك ترى فى بحر فمك لسانك مضطربا بذكر الحكمة وفى
بحر مقلتك ترى حدقتك مضطربة بمطالعة العبرة وكما انك
ترى بعض اجزاء الارض فيه نباتا وبعضها ليس كذلك فهكذا
ترى فى بعض اجزاء بدنك شعورا وفى بعضها ليس كذلك
وبالجملة اختصاص كل عضو بصفة خاصة وخلقة خاصة
لا بد وان يكون بقدرة العزيز العليم الخامس انه تعالى جمع
اكثر المحاسن فى الوجه فجعل اربعة اشياء من اعضاء الوجه
ملونا بلون السواد جعل موضع النور من الحدقة ملونا بلون
السواد وجعل الاهداب سودا والحاجبين اسودين والشعر
اسود وجعل اربعة منه ابيض جعل الملتحمة من الحدقة ملونة

بلون البياض وجعل الاسنان بيضا وجعل الجبهة كالسطح
المتحد من الفضة النقية وجعل الذقن كالكرة المتخذة من
الفضة ثم جعل الخدين على لون حمرة الورد والشفتين على
لون حمرة الياقوت ثم جعل الوجه دايرة تامة على شكل القمر
والجبهة نصف دائرة والحاجبين خطين مقوسين وامتداد
الانف كالخط المستقيم فتامل فى ورقة الوجه وانظر الى هذه
الاصباغ المختلفة وتامل فى تركيب الحدقة من السواد والبياض
فهما لونان فى غاية المضادة والمنافرة فجعل النور فى وسط
الحدقة ثم جعل السواد محيطا بالنور ثم جعل البياض
محيطا بالسواد ثم جعل الاهداب السود مرة اخرى محيطة
بذلك البياض ثم جعل بياض الاجفان مرة اخرى محيطة بذلك
السواد ثم جعل سواد الحاجبين مرة اخرى محيطا بذلك البياض
ثم جعل بياض الجبهة مرة اخرى محيطا بذلك السواد ثم جعل
سواد الشعر مرة اخرى محيطا بذلك البياض فانظر وتامل
فى هذه الاصباغ العجيبة والتركيبات البديعة ليشهد
عقلك وجبينك وروحك ولبك وفكرك وذكرك وجميع
ذرات اجزائك وابعاضك على جلالة قدرة الخالق وكمال
حكمته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا السادس
قال صلوات الله عليه اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه
فجعل حسن الصورة الظاهرة دليلا على حسن السيرة
الباطنة فى الاعم الاكثر ومنهم من ذكر فيه وجوها اخرى
الاول كان عليه السلام قال من حسن الله خلقه وجب عليه
ان يجعل شكر هذه النعمة حسن الفعل والثانى انه اراد بحسن
الوجه الدين وذلك لان العبد انما يتوجه الى ربه بدينه والدين
عند الله الاسلام فاذا رفع المحتاج حاجته الى من حسن
دينه لم يرض من دينه ان يرده غير مقضى الحاجة الا اذا
كان عاجزا عن قضايها والثالث انه اراد بحسان الوجوه

المتهجدين

المتهجدين بالليل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار السابع روى انه
عليه السلام كان يقول فى سجدته سجد وجهى للذى خلقه
وشق سمعه وبصره بحوله وقوته وايضا قد يعبر بالوجه
عن الذات قال الله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وقال تعالى كل شى هالك الا وجهه وقال عليه السلام وجه
دينكم الصلاة ويقال للعربى يا وجه العرب ويقال للطريق
المفضى الى الحصول المطلوب هذا وجه هذا الامر وقال الخليل
عليه السلام وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
فكل هذه الاستعمالات تدل على انهم يجعلون الوجه اسما لكل
ذلك الشى تارة واسما لاشرف اجزائه اخرى وهذا يدل على ان
اشرف اجزاء الانسان انما هو الوجه والامر فى الحقيقة كذلك
وذلك لان العين المبصرة للاعتبار فيه والاذن السامعة
للاسرار فيه واللسان الناطق بذكر الحكيم الجبار فيه فلهذا
قال امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه سبحان من بصر
بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولا شك ان مصالح هذا العالم
لا يتم الا بهذه الحواس واما مصالح العالم الروحانى والاعتبار
القدسية فلا يتم الا بالفكر والذكر وهما لا يتمان الا بالدماغ
واللوح والقلم هناك والانوار والظلم هناك فلهذا السبب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل الثوم لانه كان مضرا
بالدماغ وكان يحب الطيب لانه يقوى الدماغ وكل المناصب
العالية والدرجات الشريفة كان مبنيا على مصالح الدماغ
ولنكتف بهذا القدر من اثار حكمة الله فى خلق الدماغ والراس
والحواس والله اعلم واما ما يتعلق بالقلب فانا نفرد له فصلا
النوع الثانى فى شرح اثار حكمة الله تعالى فى خلق الانسان
وفيه وجوه الاول ان نقول تفكر فى خلق الجنين فى الرحم فانه
لا حيلة له فى طلب الغذا فصرف الله اليه من دم امه ما يكفيه

ثم لا يزال ذلك غذاله الى ان يستحكم بدنه و يقوى جلده على
مباشرة الهوى وحينئذ يهيج الطلق بالام وينفصل
الولد عن الام فعند ذلك يصرف الله تعالى ذلك الدم الى
ثدى الام ويحصل له ضرب اخر من الغذا وقوله مما كان وهو
اللبن الخالص ثم ههنا لطيفتان اللطيفة الاولى انه
سبحانه لما غذاك حين كنت فى بطن الام بالدم لاجرم ما اوصل
اليك هذا الغذا من طريق الفم بل من طريق السرة والحكمة
فيه ان الفم موضع الذكر والتسبيح والتهليل والدم نجس
ولا يليق بالحكمة تلطيخ الفم الذى هو موضع ذكر الله بالدم
النجس والاشارة فيه ان الفم الذى لم يصر بعد محل الذكر بل
ليس الا مجرد صلاحية ان يصير محل الذكر فالله تعالى نزهه
عن التلطيخ بالدم فالان وقد صار هذا الفم محل التسبيح والتهليل
منذ خمسين سنة فلا يجوز ان تلطخه باكل الميتة وهو الغيبة
والنميمة واكل الحرام اللطيفة الثانية فرغ خاطرك عن طلب الرزق
وتيقن انه تعالى اذا اسد عليك طريقا فتح طريقا اخر اجود
من الاول انظر الى الجنين فانه كان ياتيه غذاءه وهو الدم من طريق
واحد وهو السرة فلما خرج من بطن الام وانقطع ذلك الطريق
انفتح طريقان اخران وهما الثديان وخرج منهما غذا طاهر
لطيفا وهو اللبن الذى يخرج من بين فرث ودم ليعلم انه مهما
انسد طريق واحد فتح الله طريقين احسن وانفع من الاول
ثم اذا اتم الحولان وتمت مدة الرضاع انقطع هذان الطريقان
ولكن انفتح طرق اربعة طعامان وشرابان اما الطعامان
فالنبات والحيوان واما الشرابان فالمياه والالبان ثم اذا
مات الانسان انقطعت هذه الطرق الاربعة ولكنه تعالى
بفضله ورحمته يفتح عليك الابواب الثمانية من الجنة
لتدخل الجنة من ايها شئت بفضله ورحمته الوجه الثانى
فى بيان الحكمة انه تعالى خلقك فى احسن تقويم وذلك لانه

تعالى

تعالى خلق المخلوقات فى عالم الاجسام على اربعة اصناف
فقائم كالاشجار وراكع كالبهائم وساجد كالحيات والحيتان
وجالس كالجبال ثم انه تعالى خلق الادمى بحيث يكون تارة
قائما وتارة راكعا وتارة ساجدا وتارة قاعدا ثم انه يذكر الله تعالى
على جميع هذه الاحوال كما قال الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ثم انه ضم الى هذا الذكر الفكر فقال ويتفكرون
فى خلق السموات والارض فما اعظم هذه الحالة واحلى
هذه الدرجة وقد يذكر هذه الحكمة على وجه اخر فيقال
النبات رؤسها فى عمق الارض وارجلها صاعدة فى
السماء وهى منكسة كانها وضعت قمة راسها على الارض
واما الانسان فانه بالعكس من ذلك فرجلاه على الارض
وراسه فى السماء والحيوانات متوسطة فى هاتين الحالتين
لا منكوسة كالنبات ولا منتصبة كالانسان والسبب
فيه عند اهل الطبائع ان النبات جسمانى محض فلاجرم
كانت روسها نحو الارض والانسان روحانى محض
بالنسبة الى سكان الارض فلاجرم كانت روسها الى
عالم الروحانيات وهو عالم السموات ومساكن الملئكة
واما الحيوانات فهى متوسطة فى هاتين فى الجسمانية والروحانية
فلاجرم كانت متوسطة بين الانتصاب والنكس واعلم
ان هذا الكلام يوهم ان السبب لهذه الاحوال انما هو الطبع
والخاصية الا انه سبحانه وتعالى ابطل هذا الوهم وازال
هذا الخيال فقال يايها الانسان مادامت راسك منتصبة
كنت فى مقام التكبر وفى متابعة ابليس حيث قال ابى
واستكبر وكان من الكافرين فاذا وضعت راسك على
الارض فهناك تقرب من الحضرة الصمدية كما قال واسجد
واقترب ليعرف ان هذا ليس بالطبع بل بفضل الله ورحمته
الوجه الثالث اعلم ان بدنك يشبه الدار الكاملة التى ثبتت

واكملت بيوتها وخزاينها وفتحت ابوابها واعد فيها كلما يحتاج
اليه صاحب المنزل فالراس كالغرفة فى اعلى الدار والثقب
التى فى الراس كالروازن فى غرفة الدار ووسط دماغه كالايواز
فى الدار والفم كباب الدار والانف كالطاق التى فوق باب الدار
والشفتان كالمصادع للباب والاسنان كالبوابين واللسان
كالحاجب والظهر كالجدار القوى الذى هو حصن الدار والوجه
كصدر الدار والرية التى هى جاذبة للنفس البارد كالبيت الصيفى
وجريان النفس فيها كالهوى الذى يجرى فى البيت الصيفى
والقلب مع حرارة الغريزية كالبيت الشتوى والمعدة
وطبخ الغذا فيها كالمطبخ والكبد وحصول الدم فيها كبيت
الشراب والعروق التى يجرى فيها الدم كمسالك الدار
والطحال بما فيه من السوا كالخوابى التى بقيت فيها الدرديات
والمرارة بما فيها من الصفرا الحادة كبيت السلاح والامعا بما فيها
من نقل الطعام كبيت الخلا والمثانة بما فيها من البول كبيت
البيو والسيلان فى اسفل البدن كالمواضع التى تجرى منها
القاذورات من الدار والرجلان كالمركوب المطيع والعظام التى
بناء الجسد عليها كالخشب التى عليها بناء الدار واللحم فى خلال
العظام كالطين والعصب الذى يربط بعض العظام ببعض كالرسن
التى يربط به بعض الاشياء ببعض والتجويفات فى جوف العظام
كالصناديق فى الدار والمخ فيها كالجواهر والامتعة المخزونة فى
الصناديق فسبحان من هيا فى بيت بدنك لمسافر روحك هذه
المصالح العجيبة والاسرار الغريبة فهذا ما يتعلق ببيوت هذه
الدار ثم ان الروح فى هذه الدار كالملك المتصرف فيبصر بالعينين
ويسمع بالاذنين ويشم بالمنخرين ويذوق باللسان وينطق بالفم
ويمس باليدين ويعمل الصنايع بالاصابع ويمشى بالرجلين
ويبرك على الركبتين ويقعد على الاليتين وينام على الجنبين ويستند
بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين ويتخيل بمقدم الدماغ ويتفكر

بوسط الدماغ ويتذكر بموخر الدماغ ويصوت بالحنجرة
ويستنشق الهوى بالخيشوم ويمضغ بالاسنان ويبلع
بالمرى والمقصود من كل هذه الاحوال ان تكون فى حضرة
الربوبية مشتغلا بالعبودية كما قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ثم انه تعالى فوض تدبير هذه المملكة
الى ثلاثة من الروسا احدها الشهوة ومسكنها فى الكبد
وجريانها مع الدم فى العروق الساكنة ولهذا المعنى قال عليه
السلام ان الشيطان ليجرى من ابن ادم مجرى الدم وذلك
لان القوة الشهوانية لا تسرى الا من الكبد مع الدم فى العروق
وثانيها القوة الغضبية ومسكنها القلب وهى تجرى فى العروق
المتحركة الى جميع اطراف البدن وثالثها القوة النفسانية للدبرة
ومسكنها الدماغ وهى تجرى فى الاعصاب الى جميع اطراف البدن
ثم هولاء الروساء الثلاثة ليسوا اشيا متباينة مستقلة بانفسها
بل هى كالفروع المتفرعة من اصل واحد وكالاغصان النابتة
من شجرة واحدة وكالمنبع الذى ينشق منه ثلاثة انهار وكالاب
الذى يتولد منه اولاد كثيرون وكرجل يعمل اعمالا ثلاثة فيسمى
بثلاثة اسما الحداد والصايغ والبنا مثلا فهولا الثلاثة كملوك
الاطراف الذين ولاهم الملك الاعظم فالشهوة يشبه افعالها
افعال النساء والصبيان والحمقى من الناس اذا لم يودبهم اباوهم
وازواجهم والغضب يشبه افعاله افعال العيارين القتالين
اذا لم يودبهم الملوك والقوة المدبرة يشبه افعالها افعال الحكما
والفقها واهل الخير والصلاح **الوجه السابع** كانه
سبحانه يقول عبدى اردت ان اخرجك الى الدنيا واعرضك
على والديك وعلى اهل الدنيا فلما اردت ذلك ربيتك كما تربى
الام الشفيقة ولدها حين تريد عرضه على الناس فجعلت جبهتك
كالسطح المتخذ من الفضة النقية ليكون محل السجود واظهرت
فى رقعة وجهك انواع النقوش العجيبة فاعطيتك الحاجب

المقوس والعين الملوزة والخد المورد وجعلت وجهك
كالقمر ثم جعلت العينين للاهتدا والاذنين للاصغاء
والفم للاغتذا والمعدة للهضم والكبد للاتمام والعروق
لتكون كالانهار والمنافع لدفع الفضول واليدين للاعمال
والرجلين للمشى وانما فعلت بك كل هذه الاعمال لتكون عند
خروجك الى الدنيا مبرأ من النقصان فاذا ابرأتك عن النقصان
عند ما اخرجتك الى الدنيا مع انها سجن ودار محنه وموضع ممر
لا مسكن مقر فاعرف انه يكون عنايتى بك وبتحسين احوالك
اذا اخرجتك من القبر الى محفل القيمة الوجه الخامس انه
سبحانه خلق اليدين الة للطلب والرجلين الة الهرب ثم انه تعالى
خلق اليد مركبة من اربع مفاصل محسوسة العضد والساعد
والكف والاصابع فان الانسان جعل هذه العظام الاربعة
بمنزلة العظم الواحد قدر عليه فيمد اليد ويجعلها كالرمح وان
اراد ان ياخذ جسما مستديرا تحت ابطه جعل اليد كالدائرة المحيطة
بذلك الشئ لاجل انه حصل فى اليد هذه المفاصل ثم انه سبحانه
جعل الاصابع خمسا وقسم كل اصبع بثلاثة انامل ووضع
الاربع فى جانب والابهام فى جانب اخر وبهذا الترتيب صلحت اليد
للاعمال الكثيرة فان بسطها كانت كالطبق يضع عليه ما يريد
وان جمعها كانت الة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت معرفة له
وان ضم احد الكفين الى الاخر صار المجموع كالقدح الكبير ثم خلق
الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى
يمكنه ان يلتقط باصابعه الاشياء الدقيقة وليمكنه ايضا
ان يحك بها بدنه عند الحاجة ثم تامل فى هذا المقام فان الظفر الذى
هو اخس الاعضا لو لم يحصل للانسان لصار اعجز الخلق عند
الحاجة الى الحك فان احدا لا تقوم مقامه فى حك بدنه ثم من عجايب
هذا الباب انه اذا احتاج الى حك موضع معين من بدنه فانه لا يخطى
فيه البتة ولو فى وقت النوم والغفلة والاشتغال بغيره لم يعثر

على

على موضع الحك الا بعد تعب طويل ولنذكر منافع اليد
فى وجه اخر فنقول من المعلوم ان مصالح الانسان تنقسم الى
قسمين الى روحانية والى جسمانية اما المصالح الروحانية
فلليد فيها اعظم انواع المعونة وذلك لان عقل الانسان
الواحد لا يستقل باستنباط جميع العلوم المحتاج اليها
لا بد من استعانة بعض العقول بالبعض وذلك لا يتم الا بان
يكتب المتقدم ما حصله من العلوم حتى يصل ذلك المكتوب
الى المتاخر فيكمله وينتفع به ومعلوم ان الكتبة لا تحصل الا
باليد واما المصالح الجسمانية فهى قسمان جلب المنافع ودفع
المضار اما جلب النفع فلليد فيه اعظم انواع المعونة وذلك
لان الانسان يتخذ بيده الات يصيد بها ما فى البحر والبر والهوى
من الحيوانات ويعمل السفن فيقطع بها البحار والمسافات البعيدة
ويتخذ الات يخرج منها اصوات لذيذة نافعة للبدن والروح
ويبنى بيده المساكن الحسنة وينسج الثياب الحسنة ويتخذ
الاطعمة الطيبة اللذيذة ومعلوم ان كل هذه الاعمال لا تتهيأ
الا باليدين فتارة ينسج الثياب المنقوشة بعجايب النقوش
وصنوف الانواع والاصباغ فيصير لونه احسن من لون
الطاووس وتارة يعمل لنفسه ذوايب ما يشبه به ذوات
الاعراف وتارة يتخذ لنفسه من اصناف الحلى ما يصير احسن
من ذوايب الاطواق واما دفع الضر فهو على قسمين تارة بالمجاهدة
واخرى بالتحرز واما الجهاد فانما يكون بالسلاح فهو يمسك
بيديه ما هو ابلغ واعظم من القرون كالرمح وما هو اقطع
من الانياب كالسيف وما هو ابلغ من النخس من المخاليب كالخنجر
وما هو اشد رضا من الحافر كاللبوت والاحجار فاذا تاملت علمت
ان اليد مع الرمح قرن ومع السيف ناب ومع الابرة حمة ومع
الخنجر مخلب واما التحرز فهو اما ان يكون بالهرب او بالتحصين
اما الهرب فانه يدلل الفرس بيديه فيعلوه حتى يصير سرعه

ركض الفرس له فيدركه اذا طلب ويعجز طالبه اذا هرب
واما التحصن فانه يعمل بيديه ما هو افضل مما جعلت للحيوانات
من الجلود الغليظة والاظلاف والاصداف وذلك مثل
القوس والدرع وانواع السلاح ويتخذ بيده القلاع
والحصون احسن مما لسائر الحيوانات وكل هذه انما تتاتى
باليدين ثم انهما يخدمان كل البدن خدمة عظيمة فيبعدان
انواع الآفات والقاذورات من تلك البدن ويجران جميع
المنافع اليها ولو غاصت العقول ادوارا واعصارا
فى اثار حكمة الله تعالى فى خلق اليدين لاعترفت بعد التوغل
التام بالعجز والقصور **واعلم** ان الاستقصا فى بيان اثار
حكمة الله فى خلق الانسان مما لا يمكن فى هذا الكتاب ونعم
ما قال الشيخ ابو حامد الغزالى رحمه الله فى كتاب الاحياء
فقال والتعجب كل العجب ممن يرى صورة انسان على حايط
فيستحسنه ويصرف جميع همته الى النقاش وانه كيف
نقشه وكيف قدر عليه مع انه يعلم ان ذلك النقش انما تم
وكمل بالصبغ والقلم والحايط واليد والقدرة والعلم والارادة
وشى من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه بل كل ذلك
من خلق الله تعالى وانما غاية فعل هذا النقاش الجمع بين الصبغ
وبين الحائط على ترتيب مخصوص فاذا كان هذا القدر من العمل
سببا للاعتراف لذلك النقاش بالعلم والحكمة فبان يستدل
بظهور تركيب الانسان وتخليقه على جلالة علم الخالق ونهاية
قدرته وحكمته كان اولى **الوجه السادس** انظر مع كمال قدرته
الى تمام حكمته وذلك لان الجنين حين ما يكون فى الرحم يكون
بعض اعضائه مضموما الى البعض ويكون المجموع كالكرة
الموضوعة فى كيس الرحم وذلك لانه قد ضم فخذيه الى صدره
ووضع راحتيه على ركبتيه ووضع راسه على ركبتيه
ويكون عيناه على ظهر كفيه ويكون انفه بين الركبتين

ويكون

ويكون جالسا على رجليه ومعتمدا على عقبيه كالشخص
المتفكر المغموم المهموم المنتظر لورود الامر عليه
ويكون وجهه الى ظهر امه حماية للقلب وهذه الجلسة
ايضا اوفق للانقلاب ثم اذا صار الجنين كبيرا وضاق
عليه الموضع فانه سبحانه يلهمه الى كيفية الخروج فينكس
راسه ويعين على الانقلاب ثقل الاعالى فى الجنين ثم فى ذلك
الوقت ينفتح الرحم الانفتاح الذى لا يمكن ان تتخيل
فى مثله مثله ولا بد من انفصال يعرض للمفاصل العظيمة
ومدد وعناية من الله تعالى فى ذلك الوقت يعجز عن معرفة
كيفيتها العقول البشرية ثم هاهنا احوال عجيبة الاول ان
الجنين كان فى البطن ايده الله تعالى بالالهام حتى عرف ان
مصلحته عند الخروج من ان ينقلب وينتكس ثم بعد
الانفصال من البطن والخروج الى الدنيا لا يهتدى البتة
الى شى من مصالحه وذلك لانه عند كونه فى البطن ليس هناك
من يعينه على شى من مصالحه وذلك لانه فلما كمل عجزه هناك
هدى الى رعاية مصلحته ولما خرج الى الدنيا فها هنا من
يعينه على رعاية مصالحه فلا جرم انقطعت تلك الهداية
وهذا يدل على ان الانسان كلما كان اشد عجزا وقصورا كانت
عناية الله تعالى به اتم ولا شك ان عجز الخلق فى موقف القيمة
اشد واكمل فنرجوا من فضل الله ان تكون عنايته بهم فى ذلك
الوقت اتم واكمل والثانى ان البيضة اذا تفقست عن الدجاجة
خرج الفرخ عنها وعدت والتقطت من الحب ما ينفعها
واحترزت عما يؤذيها وفرق بين امها المشفقة لها وبين
الهرة الطالبة لايذائها اما الانسان فانه حال انفصاله عن
الام لا يتميز بين المنافع والمضار والصديق والعدو فكان
فى هذا الوقت اكثر جهالة من الفرخ عند خروجه عن قشر
البيضة ثم ان الامر لو كان مستمرا على قانون الطبيعة والخاصية

وجب ان يكون الفرخ لما كان اذكى واكثر تمييزا من الانسان
عند المنتهى والكمال لكنه تعالى قلب هذه القضية فجعل من
كان كثير التمييز فى اول الامر قليل التمييز عند الكمال والغاية وجعل
الانسان الذى هو اقل الحيوانات تمييزا فى الاول من اكثرها
معرفة وهداية وعقلا ليعرف ان كل ذلك بحسب القدرة
والحكمة والعناية لا بحسب الطبع والعلة والخاصية
الثالث ان الصبى بعد الخروج من بطن الام لما احتاج الى
الغذا فانظر كيف هداه الله تعالى الى الثقام الثدى ولما كان
بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة فانظر كيف دبر له فى خلق
اللبن اللطيف ثم خلق الثديين وجعل فيهما اللبن وانبت على راس
الثديين حلمتين قدر ما ينطبق عليه فم الصبى ثم جعل فى تلك
الحلمة ثقبا ضيقة جدا حتى لا يخرج منه اللبن الا بعد المص
والا على سبيل التدريج فان الطفل لا يطيق من اللبن الا القليل
ثم انظر انه تعالى كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك
المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع على سبيل الرفق ثم انه
سبحانه اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه فى الحولين لا يتغذى
الا باللبن فيستغنى عن السن واذا صار كبيرا ولم يوافقه اللبن
واحتاج الى الطعام الغليظ فيحتاج حينئذ الى المضغ والطحن
فلا جرم انبت له الاسنان عند حدوث الحاجة اليها لا قبلها
ولا بعدها فتبارك الله احسن الخالقين واحكم الحاكمين
وارحم الراحمين الفصل السادس فى شرح احوال الانسان
من وقت ولادته الى وقت موته فى عجايب القلب ذهب اكثر
العقلاء الى ان اشرف اعضاء البدن هو القلب وهو الرئيس
المطلق لساير الاعضاء وهو المخاطب فى الحقيقة وهو موضع
التمييز والاختيار واما ساير الاعضاء فمسخرة والدليل
عليه الاخبار والقران والمعقول الحجة الاولى قوله تعالى
فى سورة البقرة قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك وقال

فى

فى سورة الشعرا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك فدلت هاتان الايتان بصريحهما على ان التنزيل
والوحى كان على القلب فوجب ان يكون المخاطب والمكلف
هو القلب الحجة الثالثة قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والاية دالة بصريحها
على الذكرى والفهم انما يحصل بالقلب وتاويل القاء السمع
الجد فى الاستماع حتى يصير سمعه كالشى الذى القى الى الكلام
بلا اضطراب فيه ومن الناس من قال ان او فى هذه الاية بمعنى
الواو وذلك لان الذكرى لا بد فيه من مجموع الامرين ولا
بد فيه من حضور القلب ولا بد فيه من القاء السمع لان القلب
عبارة عن محل ادراك الحقايق والقا السمع عبارة عن الجد
والاجتهاد فى تحصيل تلك الادراكات ومن المعلوم انه
لا بد من الامرين معا فكان او هاهنا بمعنى الواو والجواب
ان ما ذكرتم محتمل لكن يمكن ايضا اجرا الاية على ظاهرها وذلك
لان القوى العقلية قسمان منها ما يكون فى غاية الكمال والصفا
ويكون مخالفا لساير العقول بالكمية والكيفية اما الكمية
فان لحصول المقدمات البديهية والحسية والتجربية لها اكثر
واما بالكيفية فلان تركيب تلك المقدمات على وجه ينساق
الى النتايج الخفية ومثل هذه القوة العقلية يستغنى فى
معرفة حقايق الاشياء عن التعلم والاستعانة بالغير الا ان
مثل هذا يكون فى غاية الندرة واما القسم الثانى وهو الذى
لا يكون كذلك فهو يحتاج فى اكتساب العلوم النظرية الى التعلم
والاستعانة بالغير والتمسك بالقانون الصناعى الذى يعصمه
من الخلل والزلل اذا عرفت هذا فقوله ان فى ذلك لذكرى لمن
كان له قلب اشارة الى القسم الاول وانما ذكر القلب بلفظ
التنكير ليدل ذلك على الكمال التام بدليل قوله تعالى ولتجدنهم
احرص الناس على حياة اى على حياة عظيمة طويلة المدة فكذا

اسهل بالنسبة اليها م

التنكير م

هاهنا قوله لمن كان له قلب كامل فى قوة الادراك عظيم
الدرجة فى الاستعداد لمعرفة الحقايق واما قوله او القى
السمع وهو شهيد فهو اشارة الى القسم الثانى الذى يفتقر
الى الكسب والاستعانة بالغير وهذا من الاسرار التى عليها
مبناء اصل العلم المنطق وقد لاح بتوفيق الله فى هذه الاية
ولما كان القسم الاول نادرا جدا وكان الغالب هو القسم الثانى
لا جرم امر الكل فى اكثر الايات بالطلب والاكتساب فقال
افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب لا يعقلون بها او
اذان لا يسمعون بها فان قوله افلم يسيروا فى الارض حث
على الطلب والجهد فى الكسب وقال صاحب المنطق ان القسم
الاول وان كان غنيا عن الاستعانة بالمنطق الا انه نادر جدا
والغلبة للقسم الثانى وكلهم محتاجون الى المنطق فانظر
الى هذه الاسرار العميقة كيف تجدها مندرجة فى الفاظ
القران الحجة الثالثة الايات الدالة على ان استحقاق الجزاء
ليس الا على ما فى القلب من المساعى فقال لا يواخذكم الله باللغو
فى ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقال تعالى لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ثم بين تعالى
فى اية اخرى ان التقوى فى القلب فقال اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى وقال تعالى وحصل ما فى الصدور الحجة الرابعة
قوله تعالى حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
فى اصحاب السعير وستعرف ان العقل فى القلب وان السمع
منفذ اليه الحجة الخامسة قوله تعالى ان السمع والبصر والفواد
كل اولئك كان عنه مسولا ومعلوم ان السمع والبصر لا فايدة
فيهما الا ما يوديانه الى القلب فكان السوال عنهما فى الحقيقة
سوالا عن القلب ونظيره قوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما
تخفى الصدور ومعلوم ان خيانة الاعين لا تكون الا بما يضمره
القلب عند التحديق والنظر الحجة السادسة قوله تعالى وجعل

لكم

لكم السمع والابصار والافدة قليلا ما تشكرون فخص
هذه الثلاثة بالزام الحجة بسببها واستدعا الشكر
عليها وقد قلنا انه لا طايل فى السمع والابصار الا بما يوديان
الى القلب ليكون القلب هو القاضى فيه والحاكم عليه الحجة
السابعة قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افدتهم من شى فجعل هذه الثلاثة تمام ما الزمهم من حجته
والمقصود من ذلك هو الفواد القاضى فيما يودى اليه
السمع والبصر الحجة الثامنة قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب لازما لهذه الثلاثة
ونظيره قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها وجه الاستدلال بهذه الاية ان
المقصود من هذه الاية بيان انه لا علم لهم اصلا ولو ثبت العلم
فى غير القلب كثباته فى القلب لم يتم الغرض الحجة التاسعة
انه تعالى كلما ذكر الايمان فى القران اضافه الى القلب فقال
تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم وقال
تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان وقال تعالى كتب فى قلوبهم
الايمان وقال ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فثبت ان محل هذه
المعارف هو القلب واذا كان كذلك كان محل الارادات
هو القلب لان الارادة مشروطة بالعلم واذا كان محل الارادة
والعلم هو القلب كان الفاعل هو القلب الحجة العاشرة محل
العقل هو القلب واذا كان كذلك كان المكلف هو القلب انما
قلنا ان محل العقل هو القلب لقوله تعالى اولم يسيروا فى الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى ولهم قلوب لا يعقلون
بها وقوله تعالى ولهم قلوب لا يفقهون بها وقوله ان فى ذلك
لذكرى لمن كان له قلب اى عقل اطلق على العقل اسم القلب لان
القلب محل العقل وايضا فانه تعالى اضاف اضداد العلم الى

القلب فقال في قلوبهم مرض ختم الله على قلوبهم وقالوا قلوبنا
غلف بل لعنهم الله بكفرهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
تنبيهم بما في قلوبهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
كلا بل ران على قلوبهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
فدلت هذه الايات على ان موضع الجهل والغفلة هو القلب
فوجب ايضا ان يكون موضع العقل والفهم هو القلب
واما الخبر فما روى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الا وان في الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب وهذا تصريح بان الفاعل هو القلب وباقي
الاعضا تابع له ويروى ان اسامة لما قتل الكافر الذي
قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قتلته
قال لانه قال هذه الكلمة عن الخوف فقال هلا شققت
عن قلبه وهذا يدل على ان محل المعرفة هو القلب وكان عليه
السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
وهذا يدل على ان المقصود الاصلي هو القلب واما المعقول
فاعلم ان هذه المسله مما عظم اختلاف الفلاسفة فيها
فزعم ارسطاطاليس ان النفس واحدة ولها افعال ثلاثة
الفكر والغضب والشهوة فهذه صفات ثلاثة لجوهر
واحد هو النفس والمتعلق الاول للنفس هو القلب ومنه
تتعدى القوى النفسانية الى ساير الاعضاء وزعم بقراط
وافلاطون وجالينوس انها نفوس ثلاثة كل واحد منها
مستقل بنفسه ولكل واحد منها عضو على حدة فمعدن
النفس المفكرة هو الدماغ ومعدن النفس الغضبية
هو القلب ومعدن النفس الشهوانية هو الكبد واعلم
ان القران والحديث مطابقان لقول ارسطاطاليس ونحن

نورد

نورد في هذا المقام هذه المسلة على سبيل الاستقصاء فنقول
اثبات صحة ما ذهب اليه ارسطاطاليس يتوقف على اثبات
مقامين احدهما بيان ان النفس واحدة والثاني بيان ان العضو
الرئيس على الاطلاق واحد وهو القلب اما المقام الاول وهو
بيان ان النفس واحدة فنحن ها هنا نبين مقامين اما ان يدعى
البديهية واما ان يدعى الاستدلال اما دعوى البديهية
فهو ان المراد من النفس ما يشير اليه كل احد الى ذاته الخاصة
بقوله انا وكل احد يعلم بالضرورة انه اذا اشار الى ذاته الخاصة
بقوله انا فان ذلك المشار اليه شي واحد غير متعدد فان قيل
لم لا يجوز ان يكون المشار اليه لكل احد بقوله انا وان كان واحدا
الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من ثلاثة اشيا وهو القوة
المفكرة والغضبية والشهوانية والجواب هذا باطل وذلك — اذا قلت
لان البديهية العقلية حاكمة باني اشتهيت وغضبت وتفكرت
وبديهة عقلي حاكمة باني اذا قلت انا اشتهي انا اغضب انا اتفكر
فالموضوع في هذه القضايا الثلاثة شي واحد والتعداد انما
وقع في المحمول كما اني اذا قلت هذا الجسم حلو واسود ويابس
فالموضوع واحد والتعداد واقع في المحمولات واذا كان هذا
معلوما بالضرورة علمنا ان الجوهر واحد في الذات متعدد
في الصفات واما طريقة الاستدلال فيدل على صحة قولنا
وجوه الحجة الاولى ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند
دفع المنافي والشهوة حالة نفسانية تتولد عند طلب الملايم
ودفع المنافي وطلب الملايم مشروط بالشعور بكون الشي
ملايما ومنافيا فالقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافي
على سبيل الاختيار والقصد لان القصد الى الدفع والجذب
مشروط لا محالة بالشعور فالشي المحكوم عليه بكونه دافعا
للمنافي على سبيل الاختيار لا بد وان يكون مشعورا بكونه منافيا
فالادراك والغضب صفتان من صفات شي واحد وكذا

القول في الشهوة فثبت بهذا البرهان القاطع ان التفكر
والغضب والشهوة صفات ثلاثة لذات واحدة الا انها
صفات متباينة **الحجة الثانية** انا اذا فرضنا مبداين
يكون كل واحد منهما مستقلا بفعله الخاص امتنع ان
يكون اشتغال احدهما بفعله الخاص مانعا للاخر من الاشتغال
بفعله الخاص بذلك الاخر واذا ثبت هذا فلو كانت القوة
المفكرة مبدا مستقلا بنفسها وكذا القوة الشهوانية
والغضبية وجب ان لا يكون اشتغال القوة الغضبية
بفعلها مانعا للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعلها ولا
بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان بالشهوة
وانصبابه اليها يمنعه من الاشتغال بالغضب والانصباب
اليه فعلمنا ان هذه الامور الثلاثة ليست مبادي مستقلة
بانفسها بل هي صفات لجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال
ذلك الجوهر باحد هذه الافعال مانعا له عن الاشتغال
بالفعل الاخر **الحجة الثالثة** انا اذا ادركنا شيا فقد يكون
الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا لحصول
الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للجوهر الذي يغضب
وللجوهر الذي يشتهي فحين ما ادرك صاحب الادراك لم
يكن من هذا الادراك اثر ولا خبر عند صاحب الشهوة
ولا عند صاحب الغضب فوجب ان لا يترتب على ذلك صاحب المدرك
الادراك لا حصول الشهوة ولا حصول الغضب وحيث
حصل هذا الترتيب علمنا ان الادراك بعينه هو صاحب
الشهوة وهو صاحب الغضب فهذا جملة ما يحتج به على
وحدة النفس واحتجوا على تعدد هذه النفوس فقالوا راينا
النفس الشهوانية حاصلة في النبات بدون النفس الغضبية
ورأينا النفس الغضبية حاصلة في الحيوان بدون النفس
النطقية ثم راينا هذه الاثار الثلاثة حاصلة في الانسان

فعلمنا

فعلمنا ان كل واحد من هذه الثلاثة جوهر مستقل بنفسه
منفرد بذاته والجواب ثبت في اصول المعقولات ان الماهيات
المختلفة يجوز اشتراكها في اثار متساوية اذا ثبت هذا فنقول
في الجائز ان تكون النفس الانسانية مساوية للنفس النباتية
في افعال التغذي والنمو وان كانتا مختلفتين في الماهية ومن الجائز
ان تكون النفس الانسانية مساوية للنفس البهيمية في فعل
الغضب فان كانتا مختلفتين في الماهية وعلى هذا يكون جوهر
النفس الانسانية واحدة بالذات الا انها مبدا الافعال الثلاثة
احدها النطق ولا يشاركها فيه ساير النفوس وثانيها الغضب
ويشاركها فيه البهيمية فقط والثالث الشهوة ويشاركه
فيه البهائم والنبات فان قالوا النفس الواحدة كيف تكون
مصدر الافعال مختلفة قلنا لم لا يجوز ذلك لا سيما عند حصول
الالات المختلفة فهذا هو البيان الملخص في وحدة النفس وهو
اقوى مما كتب جالينوس فيه المجلدات **اما المقام الثاني** في بيان
ان العضو الرئيس على الاطلاق هو القلب فنقول انا قد بينا فيما تقدم
ان المني اذا وقع في الرحم صار كالكرة ويجتمع الاجزاء الهوائية حشوه
والنارية وتصير مادة الارواح ويجتمع الاجزاء المائية والار
ويحيط بتلك الكرة ليكون صوانا لها والمانع لها من التحلل
وذلك الموضع المتوسط الذي فيه اجتمعت تلك الاجزا اللطيفة
هو الموضع الذي اذا تمت خلقته كان قلبا فبهذا الطريق عرفنا
ان اول عضو يتكون هو القلب واذا كانت النفس واحدة كان
تعلقها الاول بالقلب ثم بواسطة القلب يسري اثره الى ساير
الاعضاء فثبت ان العضو الرئيس على الاطلاق هو القلب
هذا هو الكلام المعول عليه في اثبات هذا المطلوب وهاهنا
وجوه اخر اقناعية ونحن نذكرها **الحجة الاولى** ان العقلاء
يجدون الفهم والادراك والعلم في ناحية القلب فعلمنا ان القلب
محل العلم قال جالينوس مسلم ان القلب محل للغضب فاما انه محل

وجوابه

للعلم فممنوع وهو ان الغضب دفع المنافى ودافع المنافى له شعور بكونه منافيا فوجب ان يكون القلب محل العلم والشعور الحجة الثانية ان النفس هى الحساسة المتحركة بالارادة فاذا تعلقت النفس بالقلب فلابد وان يفيده الحس والحركة الارادية فيكون القلب منبعا للحس والحركة الارادية الحجة الثالثة ان الحس والحركة الارادية انما يحصلان بالحرارة اما البرودة فعائقة عنهما والقلب منبع الحرارة والدماغ للبرودة فجعل القلب مبدأ للحس والحركة الارادية اولى من جعل الدماغ مبدأ لها الحجة الرابعة كل احد اذا قال انا فانه يشير بقوله انا الى الصدر وناحية قلبه وايضا اذا قال الرجل العاقل انا فعلت كذا وانا اقول كذا يضع يده على ناحية قلبه وهذا يدل على ان كل احد يعلم بالضرورة ان المشار اليه بقوله انا موجود فى القلب لا فى الدماغ الحجة الخامسة اظهر اثار النفس الناطقة النطق فوجب ان يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الذى ينبعث منه النطق لكن النطق والكلام انما ينبعث من القلب لان الصوت انما يتولد من اخراج النفس وادخال النفس واخراجه فعل القلب وذلك لان المقصود من ادخال النفس ترويح حرارة القلب والمقصود من اخراجه دفع الفضلة المحترقة واذا كان ادخال النفس واخراجه مقصود للقلب بالذات كان اسناد هذا الفعل الى القلب اولى من اسناده الى الدماغ الذى لا حاجة به البتة الى النفس فثبت ان اخراج النفس فعل القلب والصوت انما يحدث من اخراج النفس فثبت ان فاعل الصوت هو القلب قال جالينوس الصوت لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ويدل عليه وجوه الاول ان الالة الاولى للصوت هو الحنجرة بدليل انك اذا خرقت قصبة الرئة اسفل من الحنجرة لم تسمع لذلك الحيوان بعد هذه الحالة صوتا فثبت ان الة الصوت هى الحنجرة والحنجرة مولفة من

ادام

ثلاثة غضاريف وهذه الغضاريف تتحرك بعضلات كثيرة وتلك العضلات انما تتحرك باعصاب نابتة من الدماغ فثبت ان فاعل الصوت هو الدماغ والثانى انا نرى عصبات البطن يمتد عند التصويت بالصوت العنيف واما القلب فانه لا يناله التعب عند التصويت والثالث ان القلب اذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته وان انكشف عن الدماغ ثم حفظ بطل فى الحال صوت ذلك الحيوان فثبت ان مبدا الصوت هو الدماغ لا القلب والجواب انا بينا بالحجة القوية ان مبدا الصوت هو القلب اقصى ما فى الباب ان الدماغ يعين عليه الا ان هذا لا يقدح فى قولنا الحجة السادسة ان القلب موضوع فى موضع يقرب ان يكون وسطا من البدن والعضو الرئيس يليق به ذلك حتى يكون ما ينبعث منه من القوى يصل الى جميع اطراف البدن على القسمة العادلة والدماغ موضوع فى اعلى البدن وذلك ينافى هذا المقصود الحجة السابعة ان الناس يصفون القلب بالذكا فيقولون قلب ذكى وقلب بليد قال جالينوس الناس اذا وصفوا انسانا بان له قلبا قويا فمرادهم منه الشجاعة واذا قالوا فلان لا قلب له فالمراد منه الجبن والجواب ان هذا يدل على ان القلب موضع القوة الغضبية وهذا لا ينافى ان يكون القلب موضع الفهم والعلم والله اعلم واحتج جالينوس على ان موضع الادراك هو الدماغ بوجوه الحجة الاولى هى ان الدماغ منبت العصب والعصب الة الادراك وما كان منبتا لالة الادراك وجب ان يكون معدنا للقوة الادراك فهذه مقدمات ثلاثة اما المقدمة الاولى وهى ان الدماغ منبت للعصب والدليل عليه ان الاعصاب الكثيرة انما توجد فى الدماغ واما القلب فانه لا يوجد فيه الا عصبة صغيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الدماغ منبتا للاعصاب واما المقدمة الثانية وهى ان الاعصاب الات الحس والحركة فالدليل عليه انك اذا كشفت عن عصبة

وشد دتها وجدت ما كان اسفل من موضع الشد فانه يبطل
عنه الحس والحركة وما كان اعلى مما يلى جانب الدماغ لا يبطل
عنه قوة الحس والحركة وهذا يدل على ان آلة الحس والحركة هو
العصب واما المقدمة الثالثة وهى انه لما كان الدماغ منبتا
لآلة الحس والحركة وجب ان يكون معدنا لهما فالدليل عليه انه اذا
كان قوة الحس والحركة انما يصلان من الدماغ الى جميع اطراف
البدن بواسطة هذه الاعصاب النابتة من الدماغ فثبت
ان المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ واعلم ان اصحاب
ارسطاطاليس اجابوا عن هذه الحجة من وجهين الاول قالوا
لا نسلم ان الدماغ منبت العصب اما دليل جالينوس على ذلك
هو ان الاعصاب كثيرة قوية عند الدماغ وقليلة صغيرة عند
القلب صغيرة فقد اجابوا عنه من وجهين الاول ان هذه المقدمة
الواحدة غير منتجة للمقصود بل لا بد من ضم مقدمة اخرى اليها
وهو ان القوة الكثيرة انما تكون عند المبدا والصغر والقلة
عند غير المبدا الا ان هذه المقدمة غير برهانية بل هى منقوصة
من وجوه الاول ان العصبة المجوفة تكون رقيقة عند المنبت
فاذا دخل الموضع الذى يتكون الحدقة فيه يغلظ ذلك العصب
ويتسع وهذا نقص على هذه المقدمة الثانى ان الحبة التى يتولد
منها ساق الشجرة يكون اصغر بكثير من ساق الشجرة فلم لا
يجوز ان تكون العصبة الصغيرة التى فى القلب تكون كالحبة
التى منها تتشعب الاعصاب الكثيرة فى الدماغ الثالث لو صح
دليل جالينوس لوجب ان يقال ان مبدا العروق والضوارب هى
النسجة الشبيهة بالشبكة التى فى الدماغ لا القلب لان فى
تلك النسجة من العروق الضوارب عددا لا يحصى وهو فى غاية
المشابهة بعروق الشجرة الوجه الثانى فى الجواب سلمنا ان الكثرة
والقوة لا تحصلان الا عند المبدا لكن لا نزاع ان القلب منبت
الشرايين من جنس اجرام الاعصاب فيمكن ان لا تنبت الاعصاب

منها

منها انما قلنا ان العروق من جنس الاعصاب وذلك لان اجرام
العروق تتفرق وتنقسم الى الشظايا اللينة التى لا حس لها وهى
بيض لدنة عديمة الدم صلبة غير حساسة فى نفسها والاعصاب
كذلك فى جميع الصفات والدليل على ان الاعصاب غير حساسة
فى نفسها انك اذا شددت العصبة برباط شدا قويا صار ما هو
اسفل من موضع الشد عديم الحس وذلك يدل على ان العصب غير
حساس فى نفسه وانما يجرى اليه الحس من موضع اخر فثبت
ان العروق والاعصاب متشاركة فى هذه الصفات والاحوال
فعلمنا ان العروق والاعصاب من جوهر واحد واذا ثبت هذا
فنقول لم لا يجوز ان يقال ان هذه العروق الضوارب لما انقسمت
وتشعبت ودقت وصغرت ونفدت فى الدماغ والتف بعضها
على البعض وانضمت اجزاؤها واتصلت فصارت على شكل
الاعصاب وتحقيق القول فيه ان هذه الشرايين حين ما انفصلت
عن القلب كان يحتاج اليها لتكون حاملة الدم والروح الى
جوهر الدماغ فلما صغرت ونفدت فى جوهر الدماغ وحصل
هذا المقصود حصل الاستغناء عنها فلا جرم صرفت الى
عرض اخرى وهو ان ازيل عنه وصف التجويف وانضمت
تلك الشظايا بعضها الى بعض وصارت على اشكال الاعصاب
فبهذا الطريق صارت العروق اعصابا ولما كان منبت العروق
هو القلب لا جرم كان منبت الاعصاب ايضا هو القلب
بهذا الطريق اجاب جالينوس عن هذا الكلام من وجهين
الاول قال الدليل على ان الاعصاب ليس من جنس العروق
وجوه الاول ان الشرايين ناقصة والاعصاب ليست ناقصة
الثانى ان الشرايين مجوفة والاعصاب ليست مجوفة الا القلب
الثالث ان الشرايين مخونة على الدم بدليل انها اذا نقبت
جلب ذلك النقب على صاحبه من انفجار الدم امرا صعبا
والعصب كله لا دم له والرابع ان الشرايين مولفة من

طبقتين احدهما يتحلل الى اجزاء ذاهبة فى العرض على الاستدارة
والاخرى تنحل الى اجزاء تذهب على الاستقامة فى الطول واما
العصبة فهى تنحل الى كيف ابيض عديم الدم ذاهب على الاستقامة
فى الطول والخامس انك اذا شددت العصبة حصل عدم الحس
والحركة الارادية ولا يبطل منه حركة النبض وان شددت
الشريان بطل النبض ولم يبطل الحس والحركة والسادس ان
العصب قد تمسك عن فعله كثيرا والشريان فعلها فعل دائم فثبت
بهذه الوجوه ان الشرايين ليست من جنس الاعصاب الوجه الثانى
من الجواب عن هذا الكلام قال ان اصل الشريان المتولد من القلب
ينقسم الى قسمين قسم يصعد الى جانب الراس وقسم ينزل
الى اسفل البدن والقسم النازل الى الاسفل لا شك انه ينقسم
وينفرق الى العروق الدقاق ثم انها بعد دقتها صارت اعصابا
فوجب ان يكون الحال كذلك فى الشرايين الداخلة فى الدماغ اجاب
اصحاب ارسطاطاليس فقالوا اما الجواب الاول فضعيف لان الصفات
المذكورة للشرايين انما تكون باقية قبل نفوذها فى جوهر الدماغ
فلم قلتم ان هذه الصفات تبقى والذى يدل عليه ان الروح الدماغى
لا شك انه كان متولدا فى القلب ثم انه تصاعد من القلب وبقى فى
الشبكة المتولدة تحت الدماغ مدة ثم انه ينفذ فى الدماغ فحدث
له حال كونه فى الدماغ احوال وصفات ما كانت حاصلة حين كانت
فى القلب فلم لا يجوز ان يكون الحال فى الشرايين كذلك وهو ان الصفات
المذكورة للشرايين كانت حاصلة لها قبل نفوذها فى جرم الدماغ
اما بعد نفوذها فى جرم الدماغ وتقسيمها وتصغرها فى الغاية
اثر فيها جرم الدماغ وقلبها عن طبايعها فصارت فى الصورة
والخلقة شيا اخر فهذا الاحتمال لا يبطل بما ذكره جالينوس
واما جوابه الثانى فهو ايضا ضعيف وذلك لان الروح القلبى
لما صعد الى الراس فى الشرايين الصغيرة صعد الى اسفل البدن
فى الشرايين الصغيرة ثم ان الجزء الصاعد الى الراس تغير عن حالته

بسبب اختلاطه بجرم الدماغ والجزء النازل الى الاسفل لم يتغير
عن حالته البتة فلم لا يجوز ان يكون الحال فى اجرام الشرايين كذلك
فهذا تمام الكلام على حجة جالينوس على ان الدماغ منبت العصب
واحتج ارسطاطاليس على ان منبت العصب هو القلب فقال
الحركة الارادية لا بد وان تكون بالة صلبة قوية والدماغ ليس
لجرمه شى من الصلابة والقوة واما القلب ففيه انواع من
الصلابة منها ان لحمه قوى شديد صلب اصلب من ساير اللحوم
ومنها ان فيه من الرباطات العصبية مقدارا كثيرا ومنها انه
بسبب كثرة حركته لا بد وان يكون اقوى جرما واذا كان كذلك
كان جعل القلب منبتا للاعصاب التى هى الالات للحركة القوية
اولى من جعل الدماغ منبتا اجاب جالينوس عنه من وجهين
الاول انه بنى كلامه على المقدمة القياسية والحس دل على ان
المنبت هو الدماغ والقياس المعارض للحس لا يلتفت اليه والثانى
ان المتولى لتحريك الاعضاء ليس هو العصب فقط بل العضل
والعضلات مركبة من الاعصاب والرباطات والاغشية
واللحوم وهى مستندة الى الاعضاء والاعصاب تفيدها الحس
والقوة على الحركة واما ما يختلط بها من الرباطات والاغشية
فيفيدها الشدة والقوة والامن من الانقطاع وعلى هذا التقدير
لا يمتنع كون الدماغ منبتا للاعصاب اجاب اصحاب ارسطاطاليس
عن الاول بان الحس لم يدل الا على كثرة الاعصاب وقوتها عند
الدماغ وقد بينا ان هذا القدر لا يدل على كون الدماغ منبتا
للاعصاب واما الثانى فضعيف ايضا لان جالينوس استدل
بغلظ العصب وكثرته على تولده منه وارسطاطاليس عارض
هذا فقال ان هذا الوجه يدل على قولكم لكن كون الدماغ لينا
والعصب قويا علكا يمنع من تولده منه بل كون العصب قويا
صلبا مع كون القلب قويا صلبا يدل على ان العصب اصل نابت
من الدماغ نابتا من القلب فسقط كلام جالينوس بالكلية

والله اعلم النوع الثانى من الجواب عن شبهة جالينوس سلمنا
ان الدماغ مبنا للعصب الذى هو الة الحس والحركة لكن
قلتم انه يلزم من هذا كون الدماغ معدنا للقوة الحس والحركة لم
بيانه انه لا يبعد ان يكون قوة الحس والحركة الا ان الدماغ
يرسل الى القلب الة نابتة منه ليستفيد بتلك الالة قوة
الحس والحركة من القلب واذا كان هذا الاحتمال قائما سقط
كلام جالينوس بالكلية والله اعلم الحجة الثانية لجالينوس
على ان معدن القوة المدركة ليس هو القلب وهذه الحجة احسن
دلايله انه لو كان قوة الحس والحركة الارادية ينفذ من القلب
الى الدماغ لكنا اذا شددنا على العصبة بخيط شدا قويا
وجب ان يبقى الحس والحركة فى الجانب الذى يلى القلب وان
يبطل من الجانب الذى يلى الراس لكن الامر بالضد فعلمنا ان
قوة الحس والحركة تجرى من الدماغ الى القلب ولا تجرى من
القلب الى الدماغ وهذه الحجة لا يحتاج فيها الى المقدمات
الكثيرة المذكورة فى الحجة الاولى والجواب لم لا يجوز ان يقال
الروح القلبى يكون فى غاية الحرارة واذا كان بينه وبين الدماغ
منفذ مفتوح وصل تبريد الدماغ اليه فلا جرم لم يبق مستعدا
لقبول قوة الحس والحركة فبطلت هذه القوة من الجانب
الذى يلى القلب وانما لم يبطل من الجانب الذى يلى الراس لان
الشرايين فى الدماغ كثيرة جدا وكلها مودية اليه قوة الحس
والحركة والله اعلم الحجة الثالثة لجالينوس قال الحكما والاطبا
اتفقوا على ان الحامل لقوة الحس والحركة جسم لطيف
نافذ فى الاعضا هو الروح واذا كان كذلك فالدماغ يكون
مبدا لهذا الروح اولى من القلب وذلك لانا نجد فى الدماغ
مواضع خالية واما القلب فليس كذلك اما التجويف الايمن
منه فمملو دما انما الشبهة فى التجويف الايسر فانه يعتقد فيه
انه مملو من الروح قال جالينوس وليس الامر كذلك فان القلب

مستولدة من القلب صح

اذا

اذا كشف عنه وابرز من غير ان يثقب ويخرق اغشيته لم يمت
الحيوان بسبب ذلك حتى انه يمكنك ان تلبث مدة طويلة تمسه
بيدك وتنظر اليه بعينك وهو مكشوف فتعرف كيف ينبض
وتعلم ان نبضه عند ذلك كما لم يزل ينبض قبل ان ينكشف عنه
ولكن بشرط ان يقع هذا التشريح فى موضع لا يكون هواه باردا
كى لا يبرد القلب فانه لو برد صار النبض حينئذ ضعيفا بطيا
متفاوتا اذا عرفت هذا فنقول اذا اثقبنا التجويف الايسر فى
هذه الحالة سال فى الحال دم ولو كان هذا التجويف مملوا روحا
لوجب ان لا يسيل منه البتة الدم ولو كان هذا التجويف من
بعضه روح وفى بعضه دم لوجب ان يخرج الروح اولا ثم
يسيل الدم بعده فكان يجب ان لا يسيل الدم فى الحال على هذا
التقدير فلما سال الدم فى الحال علمنا ان التجويف الايسر مملوا
من الدم وايضا الحيوان الذى مات نجد فى التجويف الايسر من
تجويفى قلبه علق الدم واما الدماغ فان جرمه مورد فلا يمتنع
ان يحصل فى تلك الغضون اجزا الروح والجواب هذه الحجة
فى غاية الضعف وذلك لان هذا الكلام ان صح فهو يقتضى ان لا
يكون فى القلب روح اصلا وجالينوس لا ينازع فى كون القلب
معدنا للارواح الحيوانية ويسلم ان الروح الحيوانى يصعد
من القلب الى الدماغ ويصير هناك روحا نفسانيا الحجة
الرابعة لجالينوس ان العقل اشرف القوى فيكون مكانه اشرف
واشرف الامكنة اعلاها فوجب ان يكون مكان العقل هو
الدماغ وهو بمنزلة الملك العظيم الذى يسكن القصر العالى
وايضا الحواس محيطة بالراس فكانها خدم الدماغ واقفة
حوله على مراتبها وايضا محل الراس من البدن محل السما من العالم
وكما ان السما منزل الروحانيات فكذا الدماغ وجب ان يكون
مسكنا للعقل والجواب ان ما ذكرناه من البراهين لا يعارضه
هذه الاقناعيات فهذا اخر الكلام المنقح فى هذه المسلة

في

وكنت قد طالعت كتاب آراء بقراط وافلاطون وهو كتاب
طويل والمقصود منه هذه المسلة فتعبت فى ابحاثه وضممت
اليه اشيا كثيرة من المعقولات ثم خفت من ان يضيع ذلك
منى فكتبته فى هذا المكان لئلا يضيع وبالله التوفيق
المسلة الثانية فى شرح احوال القلب الذى يدل على شرف
القلب وجوه الاول ان المقصود من خلق الانسان اشتغاله
بمعرفة الله تعالى وخدمته وذلك لانه تعالى قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فبين ان المقصود من الخلق هو العبادة
ثم قال فى اية اخرى المقصود من العبادة هو المعرفة اما
المعرفة فقوله لموسى عليه السلام اقم الصلوة لذكرى
واما الاخلاص فلقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين فظهر ان لب اللب ومقصود المقصود انما هو
معرفة الله تعالى ثم انك قد عرفت ان محل هذه المعرفة هو
القلب فحينئذ ظهر ان المقصود من خلق العالم هو القلب
الحجة الثانية انه ثبت فى الروايات ان اول ما خلق الله جوهرة
ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط الحرارة عليها
فارتفع زبد وعلاه دخان فخلق الارض من الزبد والسموات
من الدخان فنقول انه تعالى خلق تلك الجوهرة شيا واحدا وسله
من العدم الى الوجود فكل ما وجد من المخلوقات فهو سلالة
المعدومات ثم سل من ذلك المخلوق الارض لانه قال كانتا
رتقا ففتقناهما وهذا هو السلالة الثانية ثم سل من الارض
قبضة ادم عليه السلام كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين وهذا هو السلالة الثالثة جسد ادم ثم سل من صح
قلبه فكان هذا هو السلالة الرابعة ثم جعل القلب سرير
المعرفة فظهرت تلك الحكمة المطلوبة فى رابع السلالات
ليعلم انه الشى المعظم من جميع المخلوقات وعند هذا ظهر ان
جسم الانسان منقسم الى قسمين الى الهيكل الظاهر والى

المضغة الباطنة وهى القلب الذى هو سرير معرفة الله تعالى
فالقلب تبع الهيكل الظاهر فى الصورة والهيكل الظاهر تبع
القلب فى المعنى ولما جعل الهيكل الظاهر تبعا للمضغة الباطنة
علم انك ما خلقت لاجل هذا الظاهر بل لاجل ان يطلب من هذا
الظاهر باطنا ومن هذا الشاهد غايبا ومن المحسوس معقولا
فظهر بما قلنا ان المقصود الاصلى هو القلب وحصنه هو كل
البدن وحصن البدن هو كل الارض وحصن الارض هو كل
السموات وحصن السموات عالم الممكنات والكل مسخر فى قبضة
قدرته ونفاذ الهيته اذا عرفت هذا فنقول القلب له فى القران
اسمان احدهما القلب والثانى الفواد قال تعالى كتب فى قلوبهم
الايمان لهم قلوب لا يفقهون بها وقال ان السمع والبصر
والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال وافئدتهم هواء
وقال تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ثم نقول
يحتمل ان يكون الفواد اسما لجميع هذه المضغة والقلب يكون
اسما لجزء مخصوص منه ونسبته الى كل هذه المضغة كنسبة
العين الى الهيكل الظاهر والشى يكون اسما للشى الذى نسبته
الى عين هذه المضغة كنسبة النقطة الناظرة الى العين
وتلك النقطة هى المسماة بسويدا القلب فهذا السويد
بالنسبة الى العين الباطنة كسواد العين بالنسبة الى العين
الظاهرة والسبب فى ان الابصار الظاهرة تحصل بالسواد
والبصيرة الباطنة تحصل بالسويدا وجهان الاول ان الابصار
تجرى مجرى النور والسواد من جنس الظلمة فالسواد والابصار
كالمتضادين واظهار احد الضدين من الاخرى ادل على القدرة
والحكمة الثانى ان يكون الانتهاء على وفق الابتدا فكما ان فى
الابتدا يظهر نور الوجود من ظلمات العدم بايجاد الحق سبحانه
وتعالى فكذلك فى الانتهاء اظهر نور البصر والبصيرة من ظلمات
سواد العين وسويداء القلب ليكون المبدا والغاية دالتين

بقرائن الاحوال وشواهد المقال على تحقيق قوله فالق
الاصباح وعند هذا ظهر ترتيب عجايب الظاهر والباطن
اما الظاهر فاوله الهيكل الظاهر ثم العين ثم الناظرة ثم
النور الباصر الموجود فى اللطيفة الناظرة واما الباطن
فالفواد وهو اسم لتمام هذه المضغة ثم القلب ثم النقطة
الناظرة وهى سويدا القلب ثم نور البصيرة اذا عرفت
هنا فنقول ان الابصار فى عالم الظاهر يتوقف على شرايط وتلك
الشرايط بعينها معتبرة فى ادراك البصيرة الشرط الاول
للابصار ان لا يكون المبصر فى غاية الجلا ولا فى غاية الخفا اما الذى
فى غاية الجلا فكالشمس فان العين تتحير فيها فلا تقدر على ابصارها
بالتمام والكمال واما الذى فى غاية الخفا فكالذرة فكذا للعقل
مدركات هى فى غاية الجلا والعظمة ومدركات هى فى غاية
الخفا والصغر اما الاشياء التى فى غاية الجلا والاشراق
فهو جلال الله تعالى وكبريايه ويليه عظمة الارواح العالية
المقدسه فنور سويدا القلب يحترق فى هذه الحضرة فلا
يصل اليها واليه الاشارة بقول من قال سبحان من احتجب
عن العقول بشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره واما الذى
فى غاية الخفا فكتفاصيل الاحوال وجريان المحدثات اما
تفاصيل الاحوال فقوله وننشئكم فيما لا تعلمون فان النطفة
فى حين ما تقع فى الرحم الى ان ينفصل الجنين لها فى كل لمحة حالة
وفى كل لحظة صفة الا ان التفاوت بين اللحظتين مما لا يصل
اليه عقول البشر واما جريان المحدثات فهو انه تعالى لما ذكر
من الحيوانات الانعام فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع ثم قال بعده والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ثم قال ويخلق ما لا تعلمون والمعنى انه لا يمكنكم ان تحيطوا
علما بتفاصيل احوال جميع الحيوانات لكثرتها واختلاف
احوالها وبالجملة فالعقول قاصرة عن معرفة الاوايل والاواخر

ونظيره

ونظيره ان العقول متحيرة فى مبدا الخلق والايجاد وفى منتهى
الاعدام والافناء بل العقول لا سبيل لها الى معرفة الازل
والابد فان كل ما يستحضره فى ذهنه يكون متوسطا بين
الازل والابد ولو انه بقى الى قيام القيمة يتقدم الى ما قبل ويتاخر
الى ما بعد لم ير نفسه الا فى المتوسط بين الازل والابد ويرى
حقيقة الازل والابد منزهة عن لواحق الانظار وعلايق
الافكار وتمام هذا الكلام سياتى فى باب الصفات فى تفسير
العدم والبقاء وشرح كونه اولا واخرا ان شاء الله تعالى الشرط
الثانى ان المبصر اذا كان حاضرا فما لم يحرك الانسان حدقته
من جانب الى جانب تحريكات كثيرة فانه لا يرى المبصر وكذا
الفواد ما لم يحرك عينه من معقول الى معقول لا يتمكن من ابصار
المطلوب وتلك التحريكات هى المسماة بالفكر والروية والنظر
فكما ان نظر العين عبارة عن تقلب الحدقة من جهة الى جهة
طلبا لروية المرئى فكذا نظر القلب عبارة عن تقليب حدقة القلب
من جانب الى جانب طلبا لادراك المعقول الشرط الثالث
ان القوة الباصرة لا يمكنها ادراك المبصرات الا عند صيرورة
الهوا مضيا بسبب طلوع الاشياء النيرة فكذا العقل لا يقدر
على الابصار الا عند طلوع الاشياء النيرة ثم نيرات العالم الجسمانى
اربعة الشمس والقمر والكواكب ثم النار فكذلك نيرات العالم
الروحانى اربعة اولها نور جلال الله كما قال تعالى واشرقت
الارض بنور ربها وهى بمنزلة الشمس فكما لا يستطيع ابصار
الخفافيش ابصار قرص الشمس فكذلك لا يستطيع ابصار
الارواح البشرية مطالعة نور الجلال فهذه المرتبة بمنزلة
الشمس والمرتبة الثانية بمنزلة انوار الارواح العلوية
الروحانية الكروبية كما قال تعالى ينزل الملئكة بالروح من
امره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك
واكابر الانبياء والصديقين هم الذين يطيقون مطالعة هذه

الروحانية

الانوار قال تعالى فى واقعة وانه هو رب الشعرى وقال فى واقعة
الخليل فلما جن عليه الليل رأ كوكبا وهذه المرتبة بمنزلة القمر
فكما ان القمر تارة يكون بدرا يضئ العالم اضاءة كاملة وتارة يكون
هلالا دقيقا يظهر قليلا ثم يخفى فكذا الارواح العلوية قد
تكون عظيمة الاضاءة والانارة كقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته وكقوله ويستغفرون للذين امنوا وتارة يكون كالهلال
الضعيف وهو قوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم
شيأ والمرتبة الثالثة انوار الارواح السفلية وهم الصديقون
الملازمون لعتبة جلال الله المعتكفون فى حضاير قدس الله
استنارت ارواحهم وانار وارواح غيرهم وهذه المرتبة
بمنزلة الكواكب وكما ان الكوكب قد يكون فى العظم الاول درية
متلالية كما قال تعالى كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة وقد
تكون ضعيفة جدا كالسها وامثاله فكذلك الارواح السفلية
منها ما تكون قوية ومراتبها اربعة اولها الذين يكونون
فى العظم الاول وهو روح الخليل والكليم وروح الحبيب
فان ارواح الخلق تهتدى بانوار هذه الارواح السفلية لانها
ارواح قدسية قريبة الدرجة من الارواح العلوية ولهذا
قال تعالى يا ايها الناس قد جاكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا
مبينا وقال قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وكما ان الفايدة فى الكواكب
قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون فكذا دعوات الانبياء عليهم
السلام اعلام نورانية يهتدى بها فى ظلمات بر الشبهات
وبحر الشهوات قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم
صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير
الامور وثانيها الذين يكونون فى العظم الثانى وهى ارواح
اولى العزم كما قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وثالثها ارواح المرسلين وهم ثلاثمائة وثلثه عشر وهولاء
الذين يكونون فى العظم الثالث من الكواكب ورابعها

ارواح جملة الانبيا عليهم السلام وهم كما يقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا وهولاء هم الذين يكونون فى مرتبة العظم
الرابع من الكواكب ثم بعد هذا مراتب المومنين وهى ثلاثة
السابقون والمقتصدون والظالمون كما قال تعالى ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فالسابقون هم الاولياء كما
قال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمقتصدون
هم العلماء قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم والظالمون هم
العوام ولكل واحد من هذه الارواح اثر ونور فاذا اتصلت
صارت كالمراءة المحاذية فينعكس انوار بعضها الى بعض فيصير
كل واحد منها مكملة للاخر من وجه ومستكملة به من وجه
ولهذا السبب كان احد مقامات الصديقين الحب فى الله والمرتبة
الرابعة من نيرات العالم الروحانى العقل ومرتبته مرتبة
النار فى عالم الجسمانيات واعلم ان نور العقل له عيوب كثيرة كما
ان نور النار له عيوب كثيرة فالاول كما ان نور النار ممزوج
بدخان كثير يسود الثوب ويجفف الدماغ فكذا نور العقل
ممزوج بدخان الشبهات وذلك الدخان تارة يسود ثوب
العبودية بلطخة التشبيه والتعطيل واخرى يجفف الدماغ
البشرية فيلقى صاحبه فى وهم الحلول والاتحاد والثانى ان
نور السراج فيه اشراق وفيه احراق فكذا نور العقل فيه
اشراق وفيه احراق اما اشراقه وهو التفكر فى غير الله ليستدل
به على جلال عظمة الله واما الاحراق فهو التفكر فى جلال الله فلهذا
السبب قال عليه السلام تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق
والثالث ان نور السراج ينطفى بادنى ريح فكذا سراج نور العقل
ينطفى بادنى شبهة فلهذا السبب قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وقال الخليل
عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف الصديق

توفني مسلما وقال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال الكليم رب اشرح لي صدري وقال عيسى ربنا
انزل علينا مايدة من السماء وتلك المائدة مايدة الهداية
والمعرفة الرابع ان السراج انما يضئ اذا وضع في بيت صغير
فاما اذا وضع في صحراء واسعة فانه يقل ضوؤه فكذا سراج
العقل انما يظهر نوره اذا وضع في بيت البدن كما قال وفي
انفسكم افلا تبصرون فان هذا البيت بيت صغير مختصر
الا ترى ان سراج العقل لما وضع في ميدان الارواح انطفى
ولم يظهر له لمعان واشراق كما قال تعالى ويسلونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا
كان حاله في ميدان الارواح كذلك فاعرف انه كيف يكون
حاله في صحراء جلال الانوار الصمدية وفضاء كمال الاسرار
الالهية التي تقدست عن ان يكون لها بداية ونهاية او مقطع
وغاية الخامس ظهور نور السراج مشروط بان يكون بينه
وبين قرص الشمس حايل اما اذا وضع في مقابلة قرص الشمس
انطفى فكذلك العقل انما يضئ فيما وراء حجب الغيب وعالم
انوار الصمدية واما اذا ازيل الحجاب وتجلت الانوار انطفى
نور العقل ولهذا قال لموسى عليه السلام اخلع نعليك
انك بالواد المقدس طوى فقوله اخلع نعليك اشارة
الى تجلي لمعان انوار العظمة والكبرياء السادس نور السراج
وان طال بقاؤه لكنه بالاخر ينطفى او ان استمر لكنه تطلع
الشمس فيبطل ضوؤه لا محالة فكذا نور سراج العقل اما ان
ينطفى لطريان الغفلات والشهوات واما ان بقي الى اخر الامر لكنه
اذا انقضى ليل الحيوة الدنيوية وتجلى نهار عالم الاخرة وانكشفت
السرائر وتجلت الضمائر لم يبق لسراج العقل نور ولا قوة
البتة فهذا هو شرح نيرات عالم الروحانيات **الشرط الرابع**
لابصار القلب انه كما ان انتفاع البصر بنيرات عالم الجسمانيات

يتوقف

يتوقف على امور فكذلك انتفاع البصيرة بنيرات عالم
الروحانيات يتوقف على مثل تلك الامور بيانه ان ابصار
الاشيا ورويتها يختلف بالكمال والنقصان فتارة يرى
الانسان روية تامة وتارة يرى روية ناقصة وسبب هذا
التفاوت اما ان يكون عايدا الى ذات القوة الباصرة او الى
امور خارجة عنها فكذا ادراكات البصيرة قد تختلف
بالكمال والنقصان وذلك التفاوت قد يكون بسبب عايد
الى ذات البصيرة وقد يكون بسبب امور خارجة عنها اما العائد
الى ذات البصيرة فهو على وجهين الاول اختلاف جواهر
الارواح قال الله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران على العالمين وهذا يدل على ان ارواح هذه الشعبة
من معشر البشر وجنس الانس مخصوص بمزيد القوة والجلالة
والرفعة فتارة يظهر اثار تلك القوة بالنبوة وتارة بالخلافة
وقال تعالى في صفة عيسى فنفخنا فيها من روحنا وقال في وصف
محمد صلى الله عليه وسلم علمه شديد القوى ثم ترقى من تعليم
الملك الى تعليم الملك فقال الرحمن علم القران ثم انتقل من خطاب
الغيبة الى خطاب الحضور فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما قال تعالى في جميع الانبيا على العموم
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال عليه السلام الارواح
جنود مجندة وقال عليه السلام الايمة من قريش وهو
اشارة الى اختصاص هذه الشعبة بمزيد قوة نفسانية
روحانية فلما لم يظهر اثر تلك القوة بالنبوة بعد محمد صلى الله
عليه وسلم فلا بد من ظهور اثرها بقوة الخلافة والرياسة
وكل ذلك يدل على اختلاف الارواح في ماهياتها فمنها ما
يكون في غاية النزالة والدناءة ومثاله في عالم الجسمانيات
الابصار فمنها ما يكون في غاية القوة كزرقا اليمامة ومنها ما
يكون في غاية الضعف وهذا الاستعداد الذاتي لا سبيل البتة

الى تبديله والثانى اختلاف جواهر الارواح بسبب
الصفات العرضية التى تقبل العلاج ومثاله فى الجسمانيات
انه قد يكون بصرا ضعيفا اضعف من بصر لا لاجل الخلقة
الاصلية بل لسبب رمد عرض له فاورث ضعفه او لسبب
انه استعمل كحلا قويا فافاده ذلك الكحل فى تلك الساعة زيادة
قوة فكذا الارواح يعرض لها عارض فيحصل فيه نوع من الكلال
بسبب ذلك العارض واليه الاشارة بقوله عليه السلام
انه ليغان على قلبى وهذا النوع من التفاوت قد يطرا وقد يزول
واما التفاوت الحاصل بسبب الامور الخارجية فهو انواع
السبب الاول الاشتغال بغير الله ومثاله فى عالم المحسوسات
ان من شغل حدقة بالنظر الى شى كان نظره اليه مانعا من ابصار
غيره ثم كلما كان التحديق اليه اشد واكمل كان الحرمان عن ابصار
الثانى اشد واكمل فكذا عالم الروحانيات على هذا القياس كلما كان
اشتغال القلب بغير الله اشد واكمل كان حرمانه على الاطلاع على
انوار جلال الله اشد واكمل ولهذا المعنى حكم تعالى بوقوع المنافاة
بين الامرين فقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال
فى اية اخرى ويحبون المال حبا جما وقال وانه لحب الخير لشديد
وقال زين للناس حب الشهوات من النسا وقال عليه السلام
حب الدنيا راس كل خطيئة ثم اذا انصفنا علمنا انا كالمعذورين
فى حب الدنيا وكيف لا نحبها ونحن انما خلقنا منها وانما ارتضعنا
من طعامها وشرابها وانما تربينا على ظهرها وانما الفنا وشاهدنا
احوالها ولو اتفق لبعض الخلق على سبيل الندرة اطلاع على
شى من الروحانيات فذاك انما يكون بعد استحكام الالف
بالدنيا فمع هذه الاسباب القوية كيف ينفك قلب الانسان
عن محبة الدنيا اليس وانه عليه السلام قال جبلت القلوب
على حب من احسن اليها وبغض من اسا اليها فانظر الى الدنيا
كم انتفعنا بطعامها وشرابها وانهارها واشجارها ولذاتها

وطيباتها واذا كان كذلك فلا محالة يكونون مجبولين على حبها
اذا عرفت هذا فنقول كل من احب شيا نظر اليه بكل عينه
ومن نظر الى شى بكل عينه لم يرى غيره وايضا اذا كنت محبا
لشى عميت عن روية معايبه وصرت مشتغلا بروية محاسنه
وفضايله وايضا اذا استحكمت تلك المحبة امتلا القلب
منها والظرف اذا امتلا من شى لم يتسع لغيره فهذه قلوب
لا يدخل فيها محبة الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى صم بكم
عمى فهم لا يعقلون وذلك لانه كانت قلوبهم مملوة من حب
الدنيا فما كانوا ينتفعون بما يرون ويسمعون ويتكلمون
ثم ان هذه الحالة كلما كان دوامها اكثر كان استحكامها اشد
وهو مرض القلب كما قال تعالى فى قلوبهم مرض والمرض ما لم
يكن مستحكما فانه يرجى علاجه فاذا استحكم وصار لا يقبل
العلاج قرب من الموت واليه الاشارة بقوله تعالى انك
لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشا وبقوله ان الذين
كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وعند
هذا يظهر ان الكل منه وان الخير والشر بتقديره وقضائه
وهاهنا سوالات السوال الاول اذا استحكم مرض الجسم
بحيث لا يرجى علاجه سقط الخطاب فاذا استحكم مرض القلب
فلم لا يسقط الخطاب والجواب عدم سقوط الخطاب فى
هذه الحالة انما كان حتى يعلم الانسان قبل انتهائه الى هذه
الحالة انه لو لم يعلم شغل العلاج قبل الانتهاء الى هذه
الحالة فانه سينتهى الى هذه الحالة وعند انتهائه الى هذه
الحالة لا يمكنه العلاج ولا يسقط عنه ايضا الخطاب
فلاجرم لاجل الخوف من هذه الحالة تشتغل بالتوبة
وبالعلاج قبل الانتها الى هذه الحالة ثم ان هذه المرتبة
لما لم تكن محدودة كان هذا الخوف حاصلا عند الاقدام على كل

ماكان ذنبا فكانت التوبة حاصلة عند جميع الذنوب
السوال الثانى انكم ذكرتم انا مجبولون على حب الدنيا وذكرتم
ان حب الدنيا يورث الاعراض عن الاخرة ثم انا مع ذلك
امرنا ببغض الدنيا وبحب الاخرة فكيف يجتمع هذا مع قوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها والجواب يظهر منه ان
العبد لا قدرة له على الوفا بهذه الطاعة الا بفضل المولى
واعانته والا بان يجذبه من التوغل فى حب الدنيا الى حب
المولى فلهذا السبب امره الله تعالى ان يقول كل يوم
مرات اياك نعبد واياك نستعين وجا فى الاخبار
المتواترة فضل عظيم فى قوله لا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم السوال الثالث اليس ان الدنيا ام حاضنة
فما السبب فى ان الله تعالى اوجب بغضها والجواب حبها
مانع عن حب الله تعالى وهذا كما انه فرض بغض الابوين
الكافرين وعصيانهما عند دعوتهما الولد الى الكفر قال تعالى
وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما
السوال الرابع ما علامة رجحان حب المولى على حب الدنيا
الجواب ترجيح المحبة على المحبة انما يظهر باحد امرين احدهما
قدر الحزن عند الفوات والثانى قدر السرور عند الوجدان
واعلم انه ما لم يترجح حب الله على حب الدنيا فلا ايمان واذا
حصل الرجحان فلا يطيب الايمان الا عند زوال المعارض
من كل الوجوه وعلامة ذلك ان لا تخطر الدنيا بباله الا عند
الحاجة اليها كانها شربة ماء او مدرة استنجاء السبب الثانى
لحصول التفاوت فى هذه الانوار الروحانية طيب الغذا
وخبثه قال تعالى يا ايها الناس كلوا من الطيبات وقال
تعالى ويحرم عليهم الخبائث والسبب فيه ان الغذا يصير
جزأ من البدن ومن القلب ولا شك ان الذى يصير جزا من
الشى يختلف حال ذلك الشى بسبب اختلاف حال هذا

الذى

الذى يصير جزا له فالبيت ان طينته بالطين الكدر جاء كدرا
وان طينته بالجص الابيض جا صافيا نورانيا واذا اختلف
حال البدن باختلاف احوال الاغذية لا جرم يختلف احوال
تلك الانوار بسبب اختلاف البدن الا ترى ان الما الصافى يكون
لونه لون الظرف والقارورة فثبت ان طيب الغذا وخبثه
بسبب لاختلاف احوال الانوار الروحانية السبب الثالث
الامكنة والازمنة اما الامكنة فلقوله تعالى ان اول بيت
وضع للناس للذى ببكة مباركا وقال الى المسجد الاقصا الذى
باركنا حوله واما الازمنة فقال فى ايام نحسات وهذا يدل
على انها اذا كانت ايام رحمة كانت متصفة بالسعود اى
يسعد فيها كل من اقدم فيها على عمل من الاعمال ومن كلام اهل
التصوف الوقت سيف قاطع ولارباب القلوب فى هذه
الكلمة كلمات والذى يميل اليه قلبى انه تعالى عين كل وقت
لحادث فصار ذلك الوقت مربوطا بذلك الحادث برابط المشية
الازلية الذى لا يمكن دفعه وابطاله فاذا جاء ذلك الوقت
جاء معه ذلك الحادث فكان السيف قاطع فالوقت بما
يمضيه الحق ويجريه غالب فاذا كان الوقت الذى فيه يفتح
الله برحمته متاخرا فلا ينفع الجد والجهد فى الزمان المقدم
وسمعت بعض المشايخ قال بعث الشيخ ابو سعيد بن ابى الخير
رحمه الله واحدا الى النهر ليجيئه بما يتوضا به فكان يبطى فى
الرجوع فقال الشيخ ذلك الماء الذى يمكننا ان نتوضا به بعد
ما خرج من النهر السبب الرابع وهو الاقوى الجذبة العلوية
والهداية الالهية ولا يتم جميع الاسباب الا بهذا المعنى
قال الله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب
وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهذه الاحوال
اشارة الى مبدا هذه الدرجة واما وسطها فقوله تعالى ففروا

الى الله ونهايتها هى قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
وايضا الى اولة الاشارة بقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به والى وسطه الاشارة بقوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
والى اخره الاشارة بقوله انت مولينا ثم اذا وصل القلب الى هذه
الحالة صار القلب فى عالم القلوب كالشمس فى عالم الافلاك
فعند هذا تبقى مسخرة فى انوار عالم الجلال كما قال تعالى والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره ثم صارت هذه الروح ينبوعا لبعض
الانوار على اسرار الارواح كما قال تعالى واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وبعد هذا درجات
لا يصل اليها الخيال ولا يعبر عنها المقال ومن اراد ها فليكن
من الواصلين الى العين لا من السامعين للاثر الشرط الخامس
للابصار اعلم ان الجنين حال ما يكون فى رحم الام فى اول ما يخلق
عينيه يكون الجفنان ملتصقين ثم بعد زمان يفصل الله احد
الجفنين عن الاخر الا ان الجفنين يكونان مطبقين فاذا انفصل
عن بطن الام يفتح العين فى بعض الاوقات الا انه فى اكثر الاوقات
يغمضها ويكون نايما وعند فتح العينين يكون جاهلا بامه والام
مع ذلك تراعى مصالحه وتعذره لعلمها بانه ما حان اوان
قدرته على التمييز بين المحسن والمسئ ثم لا يزال الطفل ينظر
اليها الى ان يميز بين الام وبين غيرها ثم اذا واضب على النظر
الف النظر والابصار حتى يصير بحيث لا يمكنه بان لا ينظر
الى شى اذا عرفت هذه المراتب فى العين الظاهرة فاعرف
مثلها فى العين الباطنة ففى اول الامر يكون عين القلب منطبقا
ثم ينفتح ولكنه لا يقدر على ان يميز بين الخير والشر ثم لا يزال
ينظر بعين عقله الى ان يصير بحيث ان يدرك الفرق بين المحسن
وبين المسى فيعرف ان المحسن هو الحق وان ما سواه فهو سبب
الضرر ثم اذا واضب على هذا النظر صار بحيث لا يمكنه ان يصير
عن نظر العقل وكما ان الام تعذر الطفل فى اول عمره عن التمييز

بينها

بينها وبين غيرها فكذا الحق هاهنا يعذر الانسان فى اول عمره
الا يعرف ربه وذلك سن ما قبل البلوغ ثم اذا واضب على النظر
فى افعال الله واثار حكمته فى مخلوقاته حصل له عشق ومحبة
مع هذا النظر فلا يرى شيا بعقله الا وينتقل منه الى مبدايه
وغايته اما المبدا فهو قدرة الحق واما الغاية فهى حكمة الحق فيصير
بحيث لا يرى شيا الا ويرى الله بعده وحينئذ يستنير السر
كما يستنير القمر بمقابلة الشمس والقلب فى هذا المقام قد استلذ
بالنظر والفه فلا جرم ابدا تقلب الفواد والقلب حدقته من
منظور الى منظور وقد كان للقلب قبل ذلك عين واحدة واما
الان فقد صارت كل ذرة من ذرات المبدعات والكاينات
عينا للقلب وذلك لان العالم كله يصير مراة للقلب والمراة
للعين بمنزلة بصر زايد فانه يرى بها ما لا يراه بدونها فعند ذلك
تصير كل ذرة من ذرات الممكنات عينا والعين ينبوع النور
فيصير كل العالم ينبوع النور فى حقه واذا اتصلت انوار العالم
به صار كله نورا قال تعالى فى صفة هولاء يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وفى الحديث ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما
يرون الكوكب الدرى فى السماء وان ابا بكر وعمر منهما وبالله التوفيق
الباب الرابع فى الاستدلال باحوال الحيوانات على وجود
الصانع الحكيم سبحانه وتعالى وفيه فصول الفصل الاول
فى الاستدلال الكلى باحوال الحيوانات وقبل الخوض فى المقصود
لا بد من الاشارة الى تقسيم الحيوانات فنقول اعلم ان الحيوانات
التى تطير فى الهوى قسمان احدهما الطيور والثانى الحشرات
والفرق بين القسمين ان كل حيوان صغير الجثة ليس له عظم
ولا ريش فهو من الطيور اذا عرفت هذا فنقول اقسام
الحيوانات خمسة قسمان منها من حيوانات الهوى والقسم
الثالث حيوانات الماء والقسم الرابع حيوانات وجه
الارض كالبهايم والسباع والقسم الخامس حيوانات تحت

الارض وهى الحشرات كالحيات والخنافس والديدان واشباهها
واعلم ان حيوانات الماء اعظم الحيوانات وهى ايضا اصغرها
والمراد منه انه يوجد فى حيوانات الماء مايكون فى العظم
فوق جميع الحيوانات ويوجد فيه ايضا مايكون اصغر من جميع
الحيوانات واما حيوانات وجه الارض فهى دون حيوانات
الما فى العظم وبعد حيوانات وجه الارض حيوانات الهوى
فانها اصغر جثة من حيوانات وجه الارض فهى دون حيوانات
الما فى العظم واخر المراتب فى الصغر الحيوانات المتولدة فى داخل
الارض فهذا هو ضبط هذه الاقسام ثم نقول اعلم ان الله تعالى
استدل بخلقة الحيوانات على وجود الصانع الحكيم تارة مجملا
وتارة مفصلا اما المفصل فسياتى شرحه فى الفصول الاتية
ان شاء الله تعالى واما المجمل فقال فى سورة البقرة والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم ثم ذكر عقيبه مما يدل على وجود الصانع
الحكيم ثمانية انواع من الدلايل فقال ان فى خلق السموات والارض
وهما دليلان ثم قال واختلاف اليل والنهار وهو الدليل
الثالث ثم قال والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس
وهو الدليل الرابع ثم قال وما انزل الله من السما من ما فاحيا
به الارض بعد موتها وهو الدليل الخامس ثم قال وبث فيها
من كل دابة وهو الدليل السادس ثم قال وتصريف الرياح
وهو الدليل السابع ثم قال والسحاب المسخر بين السما والارض
وهو الدليل الثامن ثم لما ذكر هذه الدلايل الثمانية مدح
المتفكرين والمتاملين فيها فقال لايات لقوم يعقلون والمقصود
انه سبحانه احتج بخلقة الحيوانات المختلفة على وجود
الصانع الحكيم وهو قوله وبث فيها من كل دابة ولما كان
الامر كذلك وجب علينا ان نبحث عن وجوه دلالة هذا
الدليل فنقول الاختلاف فى ابدان الحيوانات وفى صفاتها
ظاهر ونحن نشير الى بعضها ثم نستدل بها على وجود

الصانع

الصانع الحكيم واعلم ان الاختلاف بين الحيوانات حاصل
من وجوه لا يحيط بها علم البشر الا انا نشير الى بعض تلك
الوجوه فالاول الحاصل فى صورها واشكالها فاحدها
الاختلاف الحاصل فى الجلدة الظاهرة وذلك لان بعضها
كالسلحفاة يحيط به صدف وبعضها كالسمك فى جلدته
فلوس وبعضها على جلدته شوك كالقنفذ وبعضها على ظاهره
ريش وجناح كالطير وبعضها على ظاهره شعر ووبر وصوف
كالبهايم والانعام والسباع وبعضها يكون عاريا عن كل ذلك
كالانسان وثانيها الاختلاف فى الالوان والاشكال فمنها
مايكون ملونا بلون واحد وهو الانسان ومنها ما يكون
ملونا بلونين وهو الفرس ومنها مايكون ملونا بالوان كثيرة
عجيبة حسنة كالطاووس وثالثها الاختلاف فى
الاصوات فمنه ماهو مصوت ومنه ما لا صوت له والمصوت
منه ما هو طيب الصوت كالعندليب ومنه ماهو قبيح
الصوت كالحمار قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير
ورابعها قد يكون صغير الجثة عظيم العين كالبوم وقد يكون
كبير الجثة صغير العين كالعقاب وقد يكون عينيه سريع
التحرز من الضوء كالخفاش وقد لا يكون كذلك كالخطاف وخامسها
منه ما يمشى على بطنه ومنه ما له رجل واما رجلان كالطير
والادمى واما اربع كالبهايم والسباع واما ارجل كثيرة
ستة او ثمانية وكل طاير ذو جناحين فانه يمشى برجليه
ومن جملة ذلك ما يكون المشى صعبا عليه كالخطاف الكبير
الاسود والخشاف واما الذى جناحه يكون جلدا وغشا
فقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير
وسادسها ثدى الفيل والانسان يكون عند الصدور
وثدى البقر والغنم يكون عند السرة وسابعها اذن الفيل
صالح للذب مع كونه الة للسمع وانفه الة للقبض مع كونه

اله للتنسم فهذا اختلاف احوال الحيوانات فى الخلقة الظا
النوع الثانى اختلاف احوالها فى المسكن والماوى فمنها
مائية ومنها ارضية ومنها ما يكون مائيا وارضيا معا
اما الحيوانات المائية فمنها ما يكون مكانه وغذاه ونفسه
مائيا وله بدل التنفس النسيمى تنشق مائى فهو يقلب الماء الى
باطنه ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه والسمك كله كذلك ومنه
ما مكانه وغذاؤه مائى ولكنه يتنفس فى الهوى كالسلحفاة
المائية ومنه ما مكانه وغذاؤه مائى ولا يتنفس ولا يستنشق
مثل اصناف من الصدف ولا يظهر البتة للهوا ولا يستدخل
الماء الى باطنها وايضا الحيوانات المائية بعضها ماواه
الانهار الجارية وبعضها مياه البطايح مثل الضفادع
وبعضها ماواها مياه البحار وايضا الحيوان المنتقل
فى الماء منه ما يعتمد فى غوصه على راسه وفى السباحة
على اجنحته كالسمك ومنه ما يعتمد فى السباحة على
ارجله كالضفادع ومنه ما يمشى فى قعر الماء كالسرطان
ومنه ما يزحف مثل ضرب من السمك لا جناح له او
كالدود واما الحيوانات البرية فمنها ما يتنفس من طريق
واحد كالفم والخيشوم ومنه ما يتنفس الا على هذا الوجه
بل من مسامه مثل الزنبور والنحل وايضا الحيوانات الارضية
منها ما له ماوى معلوم ومنها ما ماواه كيف اتفق الا ان
يلد فيقيم للحضانة واللواتى لها ماوى معلوم فبعضها
ماواه شق وبعضها ماواه حفر وبعضها ماواه قلة رابية
وبعضها ماواه وجه الارض وايضا الطير يختلف فبعضها
يتعايش معا كالكراكى وبعضها يختار التفرد كالعقاب
وجميع الجوارح التى تتنازع على الماكول تنفرد لاجل
احتياجها الى الاحتيال فى الصيد ومنافستها فيه ومنها
ما يتعايش زوجا وتكونا معا كالقطا ومنها ما يجتمع تارة

وينفرد اخرى والحيوانات المنفردة قد تكون مدنية وقد
تكون برية صرفة انسانية والانسان من بين الحيوانات
هو الذى لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حياته لا تتم
الا بالمشاركة المدنية والنحل والنمل وبعض الغرانيق يشارك
الانسان فى ذلك لكن النحل والكراكى يطيع رئيسا واحدا
والنمل له اجتماع لكن لا رئيس له واما الحيوان الذى يكون
تارة مائيا واخرى يكون ارضيا فيقال انه حيوان يكون فى
البحر ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويعود الى البحر ويسمى فيه
النوع الثالث اختلاف احوالها بحسب الاخلاق فاعلم
ان الحيوان منه ما هو انسى بالطبع كالانسان ومنه ما هو
انسى بالمدارات كالهرة والفرس ومنه ما هو انسى بالقهر
كالفهد ومنه ما لا يانس كالنمر والذى يستانس بالقهر
منه ما يحصل استيناسه سريعا ثم يبقى مستانسا كالفيل
ومنه ما يكون ذلك بطيا كالاسد ويشبه ان يكون من
كل نوع صنف انسى وصنف وحشى وايضا بعضها يكون
ساكن الطبع قليل الغضب كالبقرة وبعضها ردية الحركات
كالحية وبعضها شجاع كريم النفس كبير الطبع كالاسد ومنها
قوى وحشى محتال كالذيب ومنها مكار ردى الحركات
كالثعلب ومنها غضوب شديد الغضب سفيه الا انه ملق
متودد كالكلب وبعضها شديد الذكا كالفيل والقرد والفرس
وبعضها حسود مباه بجماله كالطاووس وبعضها شديد
الحفظ كالجمل والحمار وايضا احوالها فى التناسل مختلفة
فبعضها تلد اناثه حيوانا وبعضها تبيض اناثه بيضا وبعضها
تلد اناثه دودا كالنحل والعنكبوت ثم تلك الدود يستكمل
اعضاؤها بعد ذلك ويقال انه اذا ظهرت السخونة وقت
الربيع طلب الجراد ارضا طيبة التربة رخوة الجسم وطرحت
فى تلك الارض بيضها ثم طارت بعد ذلك وعاشت اياما

واكلتها الطيور فاذا دار الحول وجاء الربيع مرة اخرى وطاب
الهوى خرجت من تلك البيضة المدفونة فى تلك الارض امثال
الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلا
وخرجت لها اجنحة فطارت واكلت من ورق الشجر وسمنت
ثم باضت كما فى العام الاول وهذه عادتها بتقدير العزيز العليم
واما دود القز الذى يكون على روس الاشجار فى الجبال فانها
اذا شبعت من الرعى ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها
من لعابها شبه العش والكن ثم تنام فيها اياما معلومة فاذا
انتبهت طرحت بيضا فى ذلك الكن الذى نسجت على نفسها
ثم تنقبها وتخرج منها وسدت ذلك الثقب ثم تخرج
لها اجنحة فتطير فيا كلها الطير وماتت من الحر والبرد والريح
والمطر ويبقى ذلك البيض فى تلك الاكنان محروزة ايام الصيف
والخريف والشتا الى ان يحول الحول وتجى ايام الربيع فينشا
من ذلك البيض ديدان صغار وتخرج من ذلك الثقب وتدب
على فوق الاشجار اياما معلومة فاذا شبعت وقويت اخذت
تنسج على انفسها من لعابها كما فى العام الاول وهذا دابها
وعادتها بتقدير العزيز الحكيم فسبحان من هدى كل واحد
من هذه الحيوانات الى هذه الاعمال واعلم ان الاستدلال
باحوال هذه الحيوانات على وجود الصانع الحكيم من وجوه
الاول انه سبحانه خلق هذه الحيوانات مختلفة الصور
متفقة الاشكال بعضها كبيرة كثيرة الالات والادوات
وبعضها صغيرة قليلة الالات فكما اعطى الفيل الجثة
العظيمة والبنية القوية الشديدة حتى تدفع عن نفسه
المكاره بانيابها الطوال الصلاب وينال بخرطومه الطويل
انواع المنافع فكذلك اعطى البقة على صغر جثتها جناحين
لطيفين حتى قدرت بهما على سرعة الطيران وتناول الغذا
بخرطومها فصار الكبير والصغير فى هذه المواهب
متساوية

وفى جذب المنافع والاحتراز عن المضار متشاكلة بل
ها هنا لطيفة عجيبة وهى انك ترى ما كان منها اصغر
جثة واقل حيلة كان اكثر راحة واطيب نفسا واقل اضطرابا
فى جر المنافع ودفع المضار مما هو اعظم جثة واقوى قوة
بيانه ان منها ما كان قوى القوة كامل البنية يدفع عن نفسه
المكاره بالقهر والغلبة كالاسد والفيل ومنها ما يدفع
عن نفسه المكاره بالفرار وسرعة العدو كالغزلان والارانب
ومنها ما يدفع المكاره عن نفسه بالطيران فى الجو كالطيور
ومنها بالغوص فى الماء ومنها بالاختفاء فى الثقب والحجرة
كالفار والنمل كما قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون واما طلبها
للمنافع فتارة بقوة البصر وشدة الطيران كالنسر والعقاب
وتارة بقوة الشم كالنمل والجعل وتارة بقوة السمع كالنسر فاما
هذه الحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنية
التى ليس لها شى من الالات والادوات ولا من الادراكات والاحساسات
كالديدان الصغار واشباهها فانها خلقت فى اماكن لينة ومواضع
حريزة اما فى النبات او فى حب النبات او فى اجواف الحيوانات
او فى الطين او فى السرقين وجعل غذاوها محيطا بها وجعل
فى جميع اجزاء ابدانها قوى جاذبة تمتص الرطوبات المغذية
لها المقوية لابدانها ولم تخرجها الى الطلب ولا الى الهرب فسبحان
الخالق العظيم الذى اعطى كل شى مصلحته ويروى ان الليلة
التى اوحى الله فيها الى موسى عليه السلام كان قلب موسى متعلقا
باحوال زوجته فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك على ذلك
الحجر فخرج منه حجر اخر ثم ضرب العصا عليه فخرج منه
حجر اخر فضرب العصا عليه فخرجت منه دودة فى غاية
الصغر وفى فمها مقدار ذرة من ورق الشجر فرفع الله الحجاب
عن سمع موسى عليه السلام فكانت تقول سبحان من يرانى ويسمع

كلامى ويذكرنى ولا ينسانى الوجه الثانى فى الاستدلال باحوال
هذه الحيوانات ان نقول هذه الحيوانات كثيرة جدا ويقال ان
حيوانات البحر ستماية نوع وحيوان البر خمسماية واحد منها هو البشر
واذا كان كذلك فكيف يمكن الاطلاع على احوالها وعجايب
صفاتها الا ان وجه الاستدلال بها على الصانع الحكيم ظاهر
وذلك لانه لو كان السبب لوجودها هو تركيب الطبايع وتاثير
الافلاك والكواكب فذاك بالنسبة الى الكل على السوية بل صريح
العقل يشهد بان اختصاص كل واحد منها بما له من الاعضاء
والقوى والصفات والاشكال لابد وان يكون بتدبير مدبر
قادر حكيم يخلق الاشياء بقدرته ويدبرها بحكمته واعلم انه
تعالى قد نبه فى القران على عجز البشر عن معرفة احوال الحيوانات
فى ايات احدها ان الله تعالى لما شرح احوال الحيوانات فى سورة
النحل فى قوله والانعام خلقها لكم الى قوله والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون والمعنى انا شرحنا
لكم احوال بعض الحيوانات فاما شرح احوال الكل فذاك مما لا
يليق بعقولكم بل يجب تفويض معرفتها الى خالقها فلهذا اختتم
الكلام فى شرح احوال الحيوانات بقوله ويخلق ما لا تعلمون
وثانيها قال تعالى فى سورة النور الم تر ان الله يسبح له من فى
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
والله عليم بما يفعلون ثم قال بعده ولله ملك السموات والارض
والى الله المصير وفيه فائدتان الفايدة الاولى
انه مع وجازته دال على تمام معرفة المبدا والمعاد فقوله ولله
ملك السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه
ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء
الى قدرة الواجب فى وجوده الازلى فى ثبوته ثم ان حدوث
هذه الحيوانات دال على قدرة الصانع ووقوع حدوثها على
جهة الاحكام والايقان دال على الصانع وحكمته فكان حدوث

هذه الحيوانات من ادل الدلايل على كونه تعالى ملكا بالحق مالكا
بالصدق ولهذا قال ولله ملك السموات والارض ثم قوله والى
الله المصير دال على ان المعاد حق وان البعث والحشر والنشر
حق حتى يظهر فى ذلك اليوم نتايج افعال هذا اليوم الفايدة
الثانية انه تعالى لما شرح احوال بعض الحيوانات على سبيل التفصيل
وهو قوله والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ثم ذكر
بعد ذلك التفصيل هذا الكلام المجمل وهو قوله ولله ملك
السموات والارض كان ذلك المجمل بعد ذلك المفصل تنبيها
على انه لا سبيل للعقول البشرية الى الوقوف على تمام تلك
التفاصيل وثالثها قال تعالى ايضا فى هذه السورة والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين
ومنهم من يمشى على اربع ثم قال بعد ذلك يخلق الله ما يشاء
ان الله على كل شى قدير وذلك لانه تعالى ذكر انقسام هذه
الحيوانات الى هذه الاقسام وهذا كلام تفصيلى ثم انه تعالى
اردفه بالكلام المجمل وهو قوله يخلق الله ما يشاء والمقصود
التنبيه على انه لا سبيل للبشر الى معرفة تمام هذه التفاصيل
وقد ذكرنا فى الفصول المتقدمة انه فى شرح احوال الافلاك
جرى على هذا المنهاج فقال فى ال عمران ويتفكرون فى خلق
السموات والارض اى يطلبون معرفة الحكمة فى كل واحد
منها ثم عدل الى التعظيم الاجمالى وهو قوله ربنا ما خلقت
هذا باطلا وقال فى الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره ثم عدل منه الى التعظيم المجمل فقال الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين والمقصود من هذه الايات التنبيه
على انه لا سبيل للعقول البشرية الى الاطلاع على تمام الحكمة
الالهية فى تدبير العالم العلوى والسفلى بل الواجب تفويض
اسرارها الى علمه المحيط بالغيوب المقدس عن النقصانات
والعيوب كما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو

وها هنا سوالان **السوال الاول** قال تعالى فى سورة الانعام
وما من دابة فى الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم
امثالكم فظاهر هذه الاية يوهم مذهب التناسخ من وجوه
الاول ان قوله تعالى الا امم امثالكم يقتضى حصول المماثلة
بينها فى الروح والعقل والادراك والتكليف والثانى
انه ثبت بهذه الاية ان كل نوع من انواع هذه الحيوانات
امة واذا ثبت هذا وجب ان يحصل فى كل واحد منها رسول
ونذير لقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير والانذار
لا يتحقق الا فى حق العقلاء المكلفين وهذا يقتضى كون
هذه الحيوانات عارفة بربها مكلفة بالطاعات والثالث
ما روى عن ابى الدرداء انه قال ابهمت عقول البهايم عن كل
شى الا عن اربعة اشيا معرفة الرب والسعى فى طلب الرزق
ومعرفة الذكر والانثى واهتمام كل واحد منها بامر صاحبه
والجواب ان لفظ المثل لا يقتضى حصول المثلية فى كل
الامور فاذا حملنا الاية على ثبوت المثلية ولو فى شى واحد
فقد وفينا بمقتضى اللفظ ثم اختلف المفسرون فى
معنى المثلية على وجوه الاول انها امثالكم فى كونها امما
وجماعات فكان المراد من هذا كونها انواعا مختلفة واقساما
متباينة فى الخلق والخلق والطبيعة والشكل والثانى
المراد انها امثالنا فى كونها مخلوقة لله تعالى وفى انه سبحانه
تكفل بارزاقها كما قال وما من دابة فى الارض الا على الله
رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها والثالث انها
امثالنا فى ان مقادير اعمالها معلومة لله تعالى مع انها
خالية عن التكليف وخوف العقاب فاحذروا ايها البشر
المكلفون فانكم باحصاء الله اعمالكم اولى والرابع انها امثالنا
فى انها محشورة يوم القيمة والله يقضى لهم بالحق كما يقضى
للانسان دليله ما روى فى الحديث انه تعالى يقتص للجما من

القرنا الخامس لا يبعد حمل الاية على جميع ما ذكرنا من الوجوه
لانه مخصص على هذا التقدير تكون الفايدة اكثر واما
التمسك بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
فالجواب انه مخصص بالامة الموصوفة بالعقل بالدلايل
العقلية وباجماع الامة **السوال الثانى** ما الحكمة فى خلق
الحيوانات الموذية كالحيات والعقارب والذيب والاسد
والجواب المعتمد عندنا فى الجواب انه تعالى مالك الملك والمالك
له ان يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الا انا نذكر ها هنا وجوها
اخرى فالاول انه تعالى رغب المكلفين فى الطاعات بان
وعد عليها الثواب وزجرهم عن المعاصى بان توعدهم
عليها بالعقاب فلابد وان يشاهدوا فى الحال شيا يشبه
الثواب وشيا يشبه العقاب حتى تتكامل رغبتهم فى
طلب الثواب ونفرتهم عن الهرب من العقاب فلا جرم اظهر
فى الدنيا انواع اللذات وانواع المحن والافات ليكون ذلك
كالمعرف لاحوال الثواب والعقاب وقد نبه الله تعالى على ذلك
فى قوله افرايتم النار التى تورون اانتم انشاتم شجرتها ام
نحن المنشيون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين اى
جعلناها سببا للمنافع فى الدنيا وجعلناها ايضا مذكرة
للعذاب فى الاخرة والثانى انه تعالى خلق الذيب بحيث يفترس
الغنم ثم ان الانسان يبالغ فى صون غنمه عن الذيب فاذا
بالغ فى هذا الحفظ مع ان هذه المضرة قليلة فلان يبالغ
فى صون طاعاته عن الشبهات والشهوات مع ان نتايج تلك
المضرة عظيمة كان ذلك اولى الثالث اذا احترز الانسان
عن سم الحية والافعى فلان يحترز عن سم الكفر والبدعة
والفواحش والذنوب مع شدة الالام الحاصلة منها
وطول مدتها كان ذلك اولى والله اعلم **الفصل الثانى**
فى الاستدلال باحوال الطيور على وجود الصانع الحكيم

سبحانه اعلم انه سبحانه وتعالى ذكر الاستدلال بوقوف
الطير فى الهوى على وجود الصانع المختار فى مواضع من
القران العظيم احدها قال تعالى فى النحل اولم يروا الى الطير
مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لايات
لقوم يومنون وثانيها قال تعالى فى النور الم تر ان الله يسبح
له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه والله عليم بما يفعلون وثالثها قال فى الملك
اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن
الا الرحمن انه بكل شى بصير اما الاية الاولى فنقول قرا
ابن عامر وحمزة والكسائى الم تروا على سبيل المخاطبة والباقون
باليا على الحكاية لمن تقدم ذكره حجة من قراها على المخاطبة
ان ما قبل هذه الاية مخاطبة وما بعدها مخاطبة فوجب
ان تكون هذه الاية مخاطبة اما ان ما قبلها مخاطبة فهو قوله
تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا وجعل
لكم السمع والابصار والافدة لعلكم تشكرون واما ان
ما بعدها مخاطبة فهو قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم واذا ثبت ان ما قبل هذه الاية وما
بعدها جا على سبيل المخاطبة وجب مجى هذه الاية ايضا
على سبيل المخاطبة حتى يكون النسق واحدا فى الكل وحجة
القراة الثانية ان الغرض من ذكر هذه الاية الارشاد
الى الدليل انما يحتاج اليه الجاهل لا العالم فوجب ان
يحمل هذا على لفظ المعاينة صرفا له الى الكفار المنكرين
قلنا نحن لا ننكر احتمال ما ذكرتم الا ان ما ذكرناه ايضا
محتمل لان الدليل كما يذكر للمنكرين حتى يصير مقرا فكذلك
قد يذكر للمقر حتى يزداد ايمانا على ايمان وعرفانا على عرفان
وهذه السورة مشتملة على دلايل كثيرة ولا شك ان

المقصود

260

المقصود منها هو التاكيد بسبب تكثير الدلايل اذا عرفت
هذا فنقول قوله تعالى فى النحل الم تروا معناه الم تعلموا والدليل
عليه انه تعالى عد الروية فى هذه الاية الى شيين احدهما
كون الطير مسخرة فى جو السماء ومن المعلوم ان كونها مسخرة
يعلم ولا يرى والثانى هو قوله ما يمسكهن الا الله وهذا المعنى
يعلم ولا يرى فثبت بهذين الوجهين ان قوله فى هذه الاية الم تروا
معناه الم تعلموا واعلم انه تعالى ذكر فى هذه الاية من دلايل المعرفة
والتوحيد امرين الاول كون الطير مسخرة والثانى انه ما يمسكهن
الا الله والمراد من كونها مسخرة انها فى انفسها اجرام ثقيلة
والجرم الثقيل يكون هاويا بالطبع الا ان قدرة الله تعالى
غالبة على جميع الطبايع والخواص فهو بقدرته يشيل الثقيل
الى فوق وينزل الخفيف الى تحت من غير ان يشق عليه هذا
الفعل ومن غير ان يتعب بسببه وكيف والسموات السبعة
مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم التى لا يعلم مقادير ثقلها
الا الله والارض مع ما فيها من البحار والجبال والحيوان
والنبات وهو تعالى يمسكها بقدرته ويسكنها بحكمته
كما قال تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فاذا
قدر على تسكين هذه الاجسام العظيمة من غير تعب ولا
مشقة فكيف لا يقدر على امساك اجرام الطيور بقدرته
فى الهواء اليس انه تعالى قلع الجبل فى وقت موسى عليه السلام
واوقفه فى الهوى كما قال تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة
وظنوا انه واقع بهم فها هنا قدرته على امساك الطير فى الهوى
اولى اذا عرفت هذا فنقول كون هذه الاجرام منقادة لقدرته
والهيته من غير منازعة ولا مدافعة هو المراد بكونها مسخرة
واذا عرفت هذا ظهر الفرق بين الطير مسخرة فى جو الهوى وبين
كونها واقفة هناك بامساكه وتسكينه فهذا هو الكلام
فى هذه الاية واما الاية المذكورة فى سورة النور وهى قوله

الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض فظاهر لفظ
قوله الم تر خطاب مع الرسول فلاجرم اشتملت هذه الاية
على فوايد زايدة على ما في الاية الاولى اولها قوله تعالى يسبح له من
في السموات وفي هذا التسبيح ثلاثة اقوال وذلك لان التسبيح
المذكور ها هنا اما ان يكون المراد منه دلالة هذه الاشيا
على قدسه وعزته وعظمته واما ان يكون المراد منه انها
تنطق بالتسبيح واما ان يكون المراد منه حصول هذه الدلالة
في حق البعض وحصول هذا النطق في حق الباقين والقسم الاول
اقرب واما القسم الثاني ففيه اشكال لان بعض من في الارض
ليسوا مكلفين وهم الاطفال والمجانين وهولاء لا يسبحون
باللسان واما المكلفون ممن في الارض فمنهم من لا يسبح بهذا
التفسير وهم الكفار واما تفسير التسبيح بكون هذه الاشيا
دالة على السبوحية والعظمة فهذا عام في حق كل الممكنات
وهو المراد ايضا من قوله وان من شي الا يسبح بحمده فان قيل
التسبيح بهذا المعنى حاصل في كل المحدثات والممكنات فما وجه
تخصيصه في هذه الاية بالعقلاء قلنا لان خلقة العقلاء
اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب
في خلقهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم مع حصول الشهوة
وحصول الغضب وحصول الشيطانية وثانيها قوله تعالى
والطير صافات ولقايل ان يقول ما وجه اتصال هذا بما قبله
والجواب انه سبحانه لما ذكر ان اهل السموات يسبحون واهل الارض
ايضا يسبحون ذكر ان الاشياء التي مقرها فيما بين السماء والارض
وهي الطيور فهي ايضا مسبحة لله تعالى وذلك لان ابدان هذه
الطيور اجرام ثقيلة ثم انه سبحانه اعطاها قوى تقوى بها على الوقوف
في جو السما صافة باسطة اجنحتها وذلك من اعظم الدلايل على
كمال قدرة الصانع ونهاية علمه وحكمته واعلم ان هذا الوصف
قد وصف الله الملايكة به فقال والصافات صفا وترى الملكة

حافين

حافين من حول العرش والملكة ايضا وصفوا انفسهم بهذا
الوصف فقالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبالجملة
فهذا يشعر بان الصافين واقفين في موقف الهيبة ومقام العظمة
مشتغلين بتسبيح جلال الله وتعظيم كبريائه على وجه الخشوع
والخضوع وثالثها قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه ففيه
ثلاثة اوجه احدها ان يكون المعنى كل من الطيور قد علم صلاته وتسبيحه
وهذا قول جماعة من اصحاب الاخبار وقال ابو ثابت كنت جالسا
عند ابي جعفر الباقر رضوان الله عليه فقال اتدري ما تقول هذه
العصافير عند طلوع الشمس وبعد غروبها قلت لا قال انها
تقدس ربها وتسله قوت يومها وثانيها ان يكون معنى الاية
كل مسبح قد علم صلاته وتسبيحه ويدل على صحة هذا التاويل قوله
سبحانه والله عليم بما يفعلون وثالثها ان يكون الها راجعة
الى الله وتقدير الاية كل مسبح ومصل قد علم صلاة الله الذي
كلفه اياها فهذا تاويل لفظ الاية واعلم ان الكلام الذي لابد من
البحث عنه في هذا المقام انه هل يجوز ان يكون الطيور والبهايم
عارفة بربها ام لا مشتغلة بتسبيح ربها ام لا فاكثر ارباب الاثار
والاخبار جوز ذلك واحتجوا عليه بان كون هذه الطيور
عارفة بربها مشتغلة بتسبيح ربها امر جايز في العقول والنصوص
وردت بوقوعها فوجب الاعتراف بذلك اما الجواز العقلي
فيدل عليه وجهان احدهما الاجمال والثاني التفصيل اما
الاجمال فهو ان حصول الفهم والعلم في ذات هذه الحيوانات
من جملة الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات واذا احت
المقدمتان وجب القطع بهذا الجواز واما التفصيل فهو انا نشاهد
من هذه الحيوانات افعالا لا تصدر الا من افاضل العقلاء وذلك
يدل على كونها عاقلة ومتى كان الامر كذلك ثبت جواز كونها عارفة
بربها ونبين ما ذكرناه بوجوه الاول ان الفارة تذهب ذنبها في قارورة
الدهن ثم تلحسه وهذا الفعل لا يصدر عنها الا لعلمها بقياس

مركب من مقدمات وهي انها محتاجة الى الدهن وان راسها
لا تدخل في راس القارورة وذنبها تدخل والمقصود حاصل
بهذا الطريق فوجب الاقدام عليه وهذا دليل على عقله
الثاني ان النحل تبني البيوت المسدسة وهي لم تفعل الا
لعلمها بانها محتاجة الى ان تبني بيوتها من اشكال موصوفة
بصفتين احداهما ان لا تكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى
الموضع الضيق معطلا والثاني ان تكون تلك البيوت
مشكلة بشكل متى انضم بعضها الى بعض امتلات العرصة
منها ولا يبقى شي منها ضايعا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف
بهاتين الصفتين هو المسدس فقط وذلك لان المثلثات
والمربعات وان كان يمكن ان تمتلي العرصة منها الا ان زواياها
ضيقة واما سائر الاشكال فان زواياها وان كانت واسعة
الا انه لا يمتلي العرصة منها بل تبقى فيما بينهما فرج خالية
ضايعة واما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين فاقدام
النحل على تسديس بيوتها مبني على علمها بانه لا بد وان تكون بيوتها
موصوفة بهاتين الصفتين وعلى علمها بان المسدس موصوف
بهاتين الصفتين فلاجرم علمت ان البيت الموافق له هو المسدس
ثم انه تعالى اعطاه من الذكا ما قدرت به على بنا تلك البيوت
مسدسة من غير مسطر ولا آلة ولا شك وان البشر
لا يقدرون على بنا البيت المسدس الا عند الاستعانة
بالالات الكثيرة فظهر ان علمه بهذه الحقايق وقدرته
على بنا هذا البيت ازيد من عقل البشر وقدرته والثالث
ان النمل تسعى في تحصيل الدخيرة وكان ذلك لعلمه بانه قد
يحتاج في الازمنة المستقبلة الى الغذا ولا يكون قادرا
على تحصيله في تلك الاوقات فوجب السعي في تحصيله
في هذا الوقت الذي حصلت فيه القدرة على الادخار
والرابع ان العنكبوت تبني بيوتا على وجه عجيب وانها

ما نسجت الشبكة التي هي تصيد بها الا بعد ان تفكرت
كيف يمكنها اصطياد الذباب فهذه افعال فكرية ليست
اقل من الافعال الفكرية الانسانية فوجب الاقرار بثبوت
العقل لها الخامس ان الجمل والحمار اذا ذهبا طريقا في ليلة ظلما
ففي المرة الثانية يقدر على سلوك ذلك الطريق من غير
ارشاد مرشد حتى ان الناس اذا اضلوا في ذلك الطريق
قدموا الحمار والجمل وتبعوه وجدوا الطريق المستقيم عند
متابعة المشي وايضا ان الانسان لا يمكنه المشي من بلد
الى بلد مشيا سويا الا عند الاستدلال بعلامة مخصوصة
وهذا القطا يطير في الهوى من بلد الى بلد طيرانا سويا من غير غلط
ولا خطا وكذلك الكركي ينتقل من طرف من اطراف العالم الى
طرف اخر لطلب الهوى الموافق من غير ان يضل البتة فهذا
فعل يعجز عنه العقل البشري وهي قادرة عليه السادس
ان الدب اذا اراد ان يفترس الثور لا يمكنه ان يقصده ظاهرا
فيقال انه يستلقي في ممر ذلك الثور فاذا قرب الثور منه
واراد نطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهش ما بين
ذراعيه حتى يثخنه وايضا انه ياخذ العصا ويضرب الانسان
حتى يتوهم انه مات فيتركه وربما عاد يتشممه ويتحسس نفسه
وايضا يصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه
تعريضا بالواحدة وصدمها بالاخرى ثم ينفخ فيه فيذروا
قشره ويأكل لبه السابع يقال من خواص الفرس ان كل واحد
منهما يعرف صوت الفرس الذي قابله والكلاب يتعالج بالعشية
المعروفة لها والفهد اذا سقي الدواء المعروف بخانق الفهد
طلب زبل الانسان فاكله والتماسيح تفتح افواهها لطاير
يقع عليها كالعقعق حتى ينظف ذلك الطاير ما بين اسنانها
وعلى راس ذلك الطير شي كالشوك فاذا هم التمساح بالتقام
ذلك الطاير تاذى من ذلك الشوك ففتح فاه فخرج الطاير

والسلحفاة يتناول بعد اكل الحية سعتر اجبليا وحكى
بعض الثقاة المجبين للصيد انه شاهد الحبارى يقاتل
الافعى وينهزم عنه الى بقلة يتناول منها ثم تعود ذلك
فنقله وكان ذلك الشيخ قاعدا فى كن غاير كما يفعله الصيادون
وكانت البقلة قريبة من ذلك الموضع فلما اشتغل الحبارى
بالافعى قلع الرجل البقلة فعادت الحبارى الى منبتها فلم
تجد فاخذت تدور حول منبتها دورانا متتابعا حتى خرت
ميتة فعلم الرجل انها كانت تتعالج باكلها من لسعة الافعى
وتلك البقلة هى الخس البرى واما ابن عرس فيستظهر فى
قتال الحية باكل السذاب فان النكهة السذابية مما تتنفر
عنها الافعى والكلاب اذا تدود بطنها اكلت سنبل الحنطة
واذا اجرحت اللقالق بعضها بعضا داوت تلك الجراحات
بالسعتر الجبلى فانظر كيف حصل لهذه الحيوانات هذا
الطب وهذا العلاج الثامن ان القنافذ قد تحس بريح الشمال
والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها يحكى انه كان
بالقسطنطنية رجل قد اثرى لسبب انه كان ينذر بالرياح
قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ
فى داره يفعل الفعل المذكور والتاسع ان الخطاف صناع
حسن فى اتخاذ العش لنفسه من الطين وقطع الخشب
فان اعوزه الطين ابتل وتمرغ فى التراب ليحمل جناحاه قدرا
من الطين واذا فرخ بالغ فى تعهد الفراخ وياخذ ذرقها
بمنقاره ويرميها عن العش ثم يعلمها القا الذرق بالتوالية
نحو طرف العش العاشر اذا اتى الصياد من مكان فراخ القبجة
ظهرت له القبجة وقربت منه مطمعة لاجل ان يتبعها ثم
يذهب الى جانب اخر سوى جانب فراخها الحادى عشر
ناقر الخشب قلما يجلس على الارض بل يجلس على الشجر وينقر
الموضع الذى يعلم فيه دودا ويخرجه وياكله الثانى عشر

الغرانيق

الغرانيق تصعد فى الجو جدا عند الطيران فان حجب بعضها
عن بعض بضباب او سحاب احدثت عن اجنحتها صوتا خفيفا
مسموعا يلزم بسبب ذلك الصوت بعضها بعضا واذا
نامت نامت على فرد رجل قد اصطنعت الروس الى القايد
فانه ينام مكشوف الراس فيسرع انتباهه فاذا سمع صوتا
او حسا صاح الثالث عشر ان النعامة اذا اجتمعت لها
من بيضها عشرون وثلاثين قسمتها ثلاثة اثلاث ثلثا
تدفنها فى التراب وثلثا تتركها فى الشمس وثلثا تحتضنه
فاذا خرجت فراريجها كسرت ما كان فى الشمس وشرب
فراريجها ما فيها من تلك الرطوبات التى ذوبتها الشمس
ورققتها فاذا اشتدت فراريجها وقويت اخرجت المدفون
منها فى الارض وفتحت لها ثقبا وقد اجتمع فيه النمل والذباب
والحشرات والديدان ثم تطعمها لفراريجها فاذا تناولت
ذلك قويت وقدرت على الرعى واللعب فقل لى يا ايها الغافل
اى امراة فى تربية اولادها تهتدى الى مثل هذه الحيلة واعلم
ان الاستقصا فى هذا الباب مذكور فى كتاب طبايع الحيوان
وهذا القدر يدل على ان هذه الحيوانات قد تاتى بافعال يعجز
عنها اكثر الاذكيا والعقلاء ولولا كونها عاقلة لما صح منها
شى من ذلك واذا ثبت كونها مهتدية عارفة بهذه الدقايق
فاى بعد فى كونها عارفة بربها مسبحة لمالكها فثبت بمجموع
ما ذكرنا ان الامكان حاصل واما النصوص الدالة على حصول
هذه المعرفة فكثيرة الحجة الاولى قوله تعالى حكاية عن
سليمن عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شى ان هذا لهو الفضل المبين الحجة الثانية
قوله تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم الحجة الثالثة قوله تعالى وتفقد الطير
فقال ما لى لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا

شديدا اولاذبحنه اولياتيني بسلطان مبين وهذا
التهديد والوعيد لايحسن الامع الفاهم العاقل الحجة
الرابعة قوله تعالى حكاية عن الهدهد فقال احطت بما لم تحط
به وجئتك من سبا بنبا يقين الى قوله فهم لا يهتدون
وهذا الترتيب في ايراد الكلام لاياتي الامن العاقل
الذي يكون في غاية الذكاء وذلك لان اشد الاشيا اخذ قلوب
الرجال بامر النساء ولهذا السبب بدا الله تعالى بذكر النسا
في قوله زين للناس حب الشهوات من النسا ولما لم يلتفت
سليمن الى ذكر المراه ثني الهدهد بذكر المال فقال واوتيت
من كل شي فلما لم يلتفت ايضا سليمن بذكر الجاه والملك العظيم
فقال ولها عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمن البتة الى شي
من امور الدنيا ربع الهدهد بما يتعلق بالدين فقال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله ومعلوم ان مثل
هذا الترتيب لاياتي الامع الذكا العظيم الحجة الخامسة
ظاهر هذه الاية التي نحن في تفسيرها وهي قوله كل قد علم
صلاته وتسبيحه فانه يدل على ان كل الطير التي هي صافات
في السما قد علم صلاته وتسبيحه الحجة السادسة قوله تعالى
في قصه داود ياجبال اوبي معه والطير والتكليف لا يتوجه
الا على العاقل الحجة السابعة قصة هابيل وقابيل وهو
قوله فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه فثبت بما ذكرنا من التجارب امكان كونها عارفة
بربها وثبت بهذه النصوص كونها عارفة بربها عاقلة فوجب
الاعتراف بذلك هذا تمام حجة القايلين بانها عارفة بربها
واحتج من انكر كونها عاقلة عارفة بربها بانها لو كانت
عاقلة لكان اثار العقل ظاهرة في حقها لان ايجاد العقل
لها مع انه لا يظهر اثره في حقها عبث وذلك لا يليق بحكمة
الحكيم ولكنا لا نرى اثار العقل حاصلة في حق شي منها

وذلك

وذلك لانها لا تحترز عن الافعال القبيحة ولا تميز بين ما ينفعها
وبين ما يضرها فوجب القطع بانها غير عاقلة اجاب الاولون
بان المتكلمين لما استدلوا بدليل الاحكام والاتقان على كونه
تعالى عالما اوردوا على انفسهم سوالا وهو انا نرى في العالم
افعالا خالية عن الاحكام والاتقان فوجب ان يدل ذلك
على جهل الفاعل واجابوا بان الاحكام والاتقان يدل على علم
الفاعل اما عدم الاحكام والاتقان لا يدل على الجهل لان
الجاهل لا يمكنه الفعل المحكم اما العالم يمكنه الفعل الخالي
عن الاحكام فكذا ها هنا يشاهد صدور الافعال المحكمة
عن هذه الحيوانات ويشاهد ايضا صدور افعال غير
محكمة عنها فتكون افعالها المحكمة دالة على عقلها اما
افعالها التي ليست محكمة عنها لا تدل على عدم عقلها
فهذا تمام الكلام في هذا الموضع وبالله التوفيق الاية الثالثة
في هذا الباب قوله تعالى في سورة الملك اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل
شي بصير فقوله صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو
عند طيرانها ويقبضن اي ويضممن اذا ضربن بها جنوبهن
وها هنا سوالان السوال الاول لم قال ويقبضن ولم يقل
قابضات حتى يكون مطابقا لقوله صافات والجواب
الطيران في الهوى يشبه السباحة في الما والاصل في السباحة
مد الاطراف وبسطها واما القبض فطار على البسط
للاستظهار به على الحركة والاسم يدل على الثبات والاستقرار
والفعل يدل على التجدد فعبر عن البسط بقوله صافات ليدل
لفظ الاسم على ان هذا هو الاصل وعبر عن القبض بلفظ الفعل
ليدل على ان هذا القبض تبع وعلى انه يصدر من الطيور تارة
بعد تارة كما يكون من السابح نظيره ما يقال فلان رجل
مناظر ويشعر فهذا يدل على ان حرفته هي المناظرة ثم انه

قد يشعر فى بعض الاوقات فكذا هاهنا ثم قال تعالى ما يمسكهن
الا الرحمن وذلك لانها مع ثقلها وضخامة اجسامها وضعف
ادمغتها وقلة اهتدائها الى الفرق بين المصلحة والمفسدة
لا يمكنها البقاء فى جو الهوى الا بامساك الله تعالى **السوال**
الثانى انه قال فى سورة النحل الم يروا الى الطير مسخرات فى جو
السما ما يمسكهن الا الله وقال هاهنا ما يمسكهن الا الرحمن
فما الفرق الجواب ذكر فى النحل ان الطير مسخرات فى جو السماء
فلا جرم كان امساكها هناك محض الالهية وذكرها هنا
صافات وقابضات فكان الهامها الى هذا التصفيف
والقبض على الوجه المطابق للمصلحة والمنفعة من كمال
رحمته ثم انه قال انه بكل شى بصير والمراد والمراد من
البصير كونه تعالى عالما بالاشيا الدقيقة وحاصل الامر
ان امساكها فى جو السما فعل على خلاف الطبايع فهو موافق
للمصلحة فدل كونها على خلاف الطبيعة على وجود مدبر
قادر قاهر قلب الطبايع وابطل الخواص ودل كون هذا الفعل
محكما متقنا مطابقا للمصلحة على كون ذلك المدبر القادر
عالما بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
فى الارضين ولا فى السموات فهذا ما يتعلق بهذا البحث
يروى ان الشبلى راى طوطيا فى القفص وكان يقول سبحان
من صورنى وفى الهوى طيرنى وفى القفص صيرنى سيكون
ما قضى سخط العبد ام رضى فاشتراه الشبلى بثمن كثير
واخرجه من القفص وخلصه وقال استحى ان اترك من
يسبح الله مسجونا الهنا ان الشبلى خلص ذلك الطير
لانه سبح الله فنحن المساكين نسبحك من اول عمرنا من صميم
قلوبنا فخلصنا من اليم عقابك يا ارحم الراحمين **السوال**
الثالث فى البحث عن احوال اربعة انواع من الطيور الخفاش
والطاوس والطوطى والعندليب ولامير المومنين

على

على بن ابى طالب رضوان الله عليه خطبتان جليتان فى خلقة
الخفاش والطاوس فنقول اما الخفاش فقد جعله الله تعالى
معجزة لعيسى عليه السلام قال تعالى فى ال عمران انى اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله
يروى ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات
اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا
وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض قال
وهب كان يطير ما دام ينظر الناس اليه فاذا غاب عن اعينهم
سقط ميتا ثم اختلف الناس فقال قوم انه عليه السلام
لم يخلق غير الخفاش ولاجله قرا نافع فيكون طائرا بالالف
على الواحد وقال اخرون انه خلق انواعا من الطير ولهذا
قرا الباقون طيرا الا انه اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع
وانما قال باذن الله اى بتكوينه وتخليقه كقوله وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله وقال تعالى هو الذى خلق الموت
والحيوة وانما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد ازالة
للشبهة وتنبيها على ان الذى عمله انا هو هذا التصوير
فاما خلق الحياة فهو من الله على سبيل اظهار المعجزة
الفصل الرابع فى الاستدلال باحوال الحشرات
على وجود الصانع الحكيم اعلم انها كثيرة الا انا نذكر الحيوانات
التى ذكر الله سبحانه فى القران وهو النحل والبعوض والذباب
والعنكبوت والنمل والجراد والضفادع والفراش
والدابة التى تقع فى الخشبة فتاكلها اما النحل فقوله
تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون **الفصل الخامس** فى البعوض قال الله
تعالى فى اول البقرة ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا

مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وفى الاية ابحاث
البحث الاول ذكروا ان فى سبب نزول هذه الاية اقوال
الاول قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له فطعن فى الاصنام ثم شبه عبادتها
ببيت العنكبوت قالت اليهود اى قدر للذباب والعنكبوت
حتى يضرب الله المثل بهما فنزلت هذه الاية والقول الثانى
ان المنافقين طعنوا فى ضرب المثل بالنار والظلمات والرعد
والبرق فى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما
اضاءت ما حوله والقول الثالث ان هذا الطعن كان من
المشركين قال القفال رحمه الله والاقوال الثلاثة كلها محتملة
ها هنا اما اليهود فلانه تعالى قال فى اخر الاية وما يضل به
الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
وهذا صفة اليهود لانه تعالى قال بعد هذه الاية يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم
واما الكفار والمنافقون فقد ذكر الله تعالى فى سورة
المدثر وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد
الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشا ويهدى من يشا
فاما الذين فى قلوبهم مرض فهم المنافقون واما الذين كفروا
فيحتمل ان يكون هم المشركون لان السورة مكية فثبت ان
الكل محتمل **البحث الثانى** الحيا تغير وانكسار يحصل فى
مزاج الانسان من خوف ما يعاب به ويذم الا ترى انه
يقال هلك فلان حياء من كذا ومات حياء وذاب حياء
ورايت الهلاك فى وجهه من شدة الحياء اذا ثبت هذا
كان الحياء من صفات الاجسام والله تعالى ليس بجسم
فكان الحياء محالا فى حقه الا انه ورد فى القران والاخبار
اما القران ففى هذه الاية وذلك لان ما لا يجوز ثبوته فى
حق الله تعالى لا يجوز اطلاقه فى حق الله تعالى على طريقة

النفى

النفى وانما الواجب ان يقال انه تعالى لا يوصف به واما ان
يقال لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فهو وان كان
فى صورة النفى الا انه ليس بنفى فى الحقيقة وكذا قوله ما اتخذ
الله من ولد وقوله وهو يطعم ولا يطعم وليس كل ما ورد
فى القران اطلاقه جاز ان يطلقه الواحد منا فلا يجوز
اطلاق هذه الالفاظ مع بيان ان ذلك محال ولقائل ان
يقول هذه الصفات لما كانت منتفية عن الله تعالى مع
وجوب كونها منتفية كان الاخبار عن انتفائها صدقا فوجب
ان يجوز اطلاقه نفى ان يقال الاخبار عن انتفائها يوهم صحتها
فنقول هذه الدلالة ممنوعة لفظا لان تخصيص هذا النفى
بالذكر لا يدل على ثبوت صحته بل لو قرن باللفظ ما يدل على
انتفا الصحة كان ذلك احسن من حيث انه يكون مبالغة فى
البيان وليس اذا كان غيره احسن لزم ان يكون تركه قبيحا واما
الخبر فما روى سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى حيى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه اليه ان
يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا وقال ابن عباس فى تفسير
قوله تعالى او لامستم النسا ان الله حيى كريم يكنى عن القبيح
بالحسن وان مما كنى ان قال او لامستم النسا واعلم انه لما ثبت
بالدليل انه لا يمكن اجرا لفظ الحيا فى حق الله تعالى على ظاهره
وجب تاويله وفيه وجهان الاول وهو القانون فى امثال
هذه الالفاظ ان كل صفة ثبتت للعبد مما يختص بالاجسام
فاذا وصف الله تعالى به فذاك محمول على نهايات الاعراض لا
على بدايات الاعراض مثاله ان الحيا حالة تحصل للانسان
بسبب انكسار وتغير فى المزاج فهذه حالة لها مبدا وغاية
اما البداية فهو ذلك التغير المزاجى واما النهاية فهى ان يترك
الانسان ذلك الفعل فاذا ورد الحيا فى حق الله تعالى فليس
المراد منه ذلك الانكسار الذى هو المبدا بل المراد منه

ترك الفعل الذى هو الغاية وكذلك الغضب له مقدمة وهى
غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية وهو انزال
العذاب بالمغضوب عليه فاذا وصفنا الله بالغضب
فليس المراد ذلك المبدا الذى هو غليان دم القلب بل المراد
تلك النهاية وهو انزال العذاب فهذا القانون الكلى فى هذا
الباب الوجه الثانى ان تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة
فيقولوا اما يستحى رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت
فجا هذا الكلام على سبيل اطباق الجواب على لفظ السوال
وهذا فن مشهور من الكلام **البحث الثالث** هو ان شبهة
هولا الكفار اما ان يقال انها وقعت من حيث انهم استبعدوا
من الله ضرب المثل او من حيث انهم استبعد وامن الله تعالى
ضرب مثل بالذباب والعنكبوت والبعوض وامثالها اما
الاول فباطل لان ضرب الامثال لتعريف المعانى امر مستحسن
فى العرف وفى الشرع وفى العقل اما انه مستحسن فى العرف
فلان امثال العرب كثيرة مشهورة وايضا كتاب كليلة ودمنة
اكثره امثال واما فى الشرع فلانه ضرب الامثال فى الانجيل
بالاشيا الحقيرة قال فشبه ملكوت السما رجل اخذ حبة
الخردل وهى اصغر الحبوب فزرعها فى قريته فلما نبتت عظمت
حتى صارت كاعظم شجرة من البقول فجا طير السما فعشش
فى فروعها فكذلك الهدى من دعى اليه ضاعف الله له
اجره وعظمه ونجا به من اهتدى وقال ايضا ولا تكونوا كمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم
تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل فى صدوركم وقال
ايضا قلوبكم كالحصاة التى لا تنضجها النار ولا تلينها
الما وقال لا تدخروا دخايركم حيث السوس والارضة
فتفسدها وفى البرية حيث السموم واللصوص فتحرقها
السموم وتسرقها اللصوص ولكن ادخروا دخايركم عند الله

وقال

وقال ايضا تحفر الارض فتجد دواب عليها لباسها وهناك
رزقها وهن لا تفران ولا تشخص ومنه ما هو فى جوف الحجر
الاصم او فى جوف العود من ياتيهن بلباسهن وارزاقهن
الا الله افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم
كذلك لا تخاطبوا السفها فتشتمون فثبت ان الله تعالى
ضرب الامثال بهذه الاشيا الحقيرة واما ان ضرب الامثال
مستحسن فى العقول فلان من طبع الخيال حب المحاكاة
والتشبيه وانما ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع
منازعة الخيال فاذا ذكر معه التشبيه ادركه العقل
ومع معاونة الخيال فلا شك ان الثانى يكون اكمل وايضا
فنحن نرى ان الانسان يذكر ولا يلوح كما يجب فاذا ذكر
المثال اتضح وصار مبينا مكشوفا فاذا كان التمسك
يفيد زيادة البيان والوضوح كان ذكره مفيدا نافعا واما
ان قيل موضع الشبهة للقوم هو انهم استبعدوا ان
يضرب الله الامثال بهذه الاشيا الحقيرة فاعلم ان هذا
جهل لانه تعالى هو الذى خلق الكبير والصغير وحكمته فى
كل ما خلق وبرا عام لانه قد احكم جميعه وليس الصغير
اسهل عليه من العظيم ولا العظيم اصعب من الصغير
فاذا كان الكل بمنزلة واحدة كان ضرب المثل بالكل جايزا
حسنا بل المعتبر ما يليق بالقصة فاذا كان اللايق بها ضرب
المثل بالبعوض والذباب كان ضرب المثل فيها بالفيل
والجمل غير جايز وها هنا المقصود تقبيح عبادة الاصنام
فكان ضرب المثل فيه بالذباب والعنكبوت اولى ويدل
عليه وجوه الاول انه تعالى خلق عبادة ضعفا فقال
وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذى خلقكم من ضعف
فلا جرم ضرب المثل لهم بالاشيا الضعيفة لان الجنس
اقرب الى الجنس قال عليه الصلاة والسلام امرت ان

اكلم الناس على قدر عقولهم والثانى انه تعالى لم يستحى من
خلقها ورزقها فالاولى ان لا يستحى من ذكرها وضرب
المثل لها وكيف يستحى من ذكر شى لو اجتمع الخلايق على
ان يخلقوا مثله لم يقدروا عليه قال تعالى ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
والثالث ان البعوضة تحيى اذا جاعت فاذا امصت
الدم كثيرا نشفت وماتت فهذا تنبيه للانسان على انه
اذا تم امر الانسان فقد قرب اجله كما قيل شعر
اذا تم امر بدا نقصه   توقعا زوالا اذا قيل تم
واعلم ان المفسرين اختلفوا فى لفظ ما فى قوله مثلا ما
فقال بعضهم انها صلة زايدة كقوله تعالى فبما رحمة من
الله لنت لهم وقال ابو مسلم رحمه الله معاذ الله ان يكون
فى القران زيادة ولغو الا ان الله تعالى وصف القران بكونه
هدى وبيانا وكونه لغوا ينافى ذلك وفى بعوضة قراتان
احدهما بالنصب وعلى هذه القراة فلفظ ما ابهامية
والمعنى مثلا اى مثل كان واما القراة بالرفع ففيه وجهان
الاول انها موصولة صلتها الجملة والتقدير الذى هو
بعوضة الا انه حذف المبتدا كما حذف فى قوله تعالى
تماما على الذى احسن والثانى ان تكون استفهامية
فانه لما قال ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا كانه قال
بعده ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب المثل به بل له تعالى
ان يمثل بما هو اقل من البعوضة وهو كما يقال فلان لا يبالى
بما وهب ماية دينار ودينارين اى يهب ما هو اكثر
منه واما لفظ البعوض ففى اشتقاقه قولان الاول
ان البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب
يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشى لانه قطع منه
والبعوض فى اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت

والقول

والقول الثانى ان اشتقاقه فى بعض الشى سمى به لقلة
جرمه وصغره لان بعض الشى قليل بالقياس الى كله اما
قوله تعالى فما فوقها ففيه قولان الاول فما هو اعظم
منها فى الجثة كالذباب والعنكبوت والكلب والحمار
وذلك لان القوم استبعدوا التمثيل بكل هذه الاشيا
والقول الثانى وهو اختيار المحققين ان المراد فما فوقها
فى الصغر اى بما هو اصغر منها واحتجوا على هذا القول
بوجوه الحجة الاولى ان المقصود من هذا التمسك تحقير
الاوثان وكلما كان المشبه به اشد حقارة كان المقصود
فى هذا الباب اكمل الحجة الثانية ان المقصود من هذا
الكلام بيان ان الله تعالى لا يترك التمثيل بالشى الحقير
واذا كان الامر كذلك كان المذكور ثانيا يجب ان يكون
اشد حقارة من الاول ويقال ان فلانا يحتمل الذل فى اكتساب
الدينار بل باكتساب ما فوقه والمراد ما فوقه فى القلة
الحجة الثالثة ان الشى كلما كان اصغر كان الاطلاع على اسراره
اصعب فاذا كان فى نهاية الصغر لم يحط به الا علم الله تعالى
فكان التمسك به اقوى واكمل فى الدلالة على العلم والحكمة
من التمسك بالشى الكبير **البحث الرابع** فى شرح عجايب
حكمة الله تعالى فى خلقة البعوض وبيانه من وجوه الاول
ان اكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل ثم الفيل مع كبر
جثته ليس له الا اربع ارجل وخرطوم وذنب والبعوضة
لها هذه الاعضا مع يدين زائدتين واربعة اجنحة ثم
انها تشارك الفيل فى الفم والحلقوم والجوف واعضاء
اخر لا تدركها ابصار الخلق ولا يحيط بها الا علم الخالق
الثانى ان هذا البعوض مع غاية صغره مسلط على الفيل
والاسد بالايذاء ولا قدرة لهما على البعوض وهذا يدل على
ان الاستيلا على الغير ليس بالقوة والشدة وكثرة العدد

والعدد بل بنصرة الله وتاييده كما قال تعالى كم من فية قليلة
غلبت فيه كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم اليس ان نمرود كان اكبر ملوك
بنى ادم واطغاهم واعظمهم سلطانا واشهرهم صولة
ثم ان بعوضة طارت الى دماغه وكانت توذيه وتوقع الدغدغة
فى دماغه وكان اكثر الناس محبة له وشفقة عليه من يضرب
على دماغه مائة صفعة بالشدة والقوة واكثر حتى يسكن
تلك الدغدغة بل ان كنت ما شاهدت نمرود ولا احواله
فاعتبر نفسك فانه اذا وقعت بعوضة على راسك او وجهك
فربما صفعت راسك ولطمت وجهك مرات وكرات تريد
ان تقتلها ثم انها تطير ولا يصيبها منك افة البتة ويبقى
ضرر اللطم والصفع على خدك وراسك الثالث ان الصانع
البشرى يقدر ان يصور فيلا من الخشب او من الحديد ولا يقدر
احد من الصناع ان يصور بعوضة من الخشب ولا من الحديد
فعلى هذا تكون البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه
وذلك لان الفيل والبعوضة يشتركان فى دلالة اجزا كل
واحد منهما على قدرة الصانع وحكمته ثم ان كلما حصل فى
الفيل من وجوه الدلايل فهو حاصل فى البعوض وقد حصلت
وجوه من الدلايل فى البعوض لم تحصل فى الفيل فانا بينا ان
الصانع البشرى يمكنه تصوير الفيل ولا يمكنه تصوير
البعوض فكانت البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه
فتامل انك ان اعتبرت الاعضا الظاهرة فالبعوض ازيد
فيها من الفيل وان اعتبرت الاستيلاء والقهر والقدرة
فالبعوض مستولى على الفيل والفيل لا قدرة له على البعوض
وان اعتبرت الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته فالبعوض
ازيد من الفيل بالوجه الذى ذكرناه لتعلم انه لا عبرة بالصور
والظواهر انما العبرة باعانة الله وتاييده الرابع اعتبر

قوة حواس البعوضة وكمال معرفتها بمصالحها اما حسن
البصر فلان البعوض اذا جلس على عضو من اعضا الانسان
فانه لا يزال يدير خرطومه من جانب الى جانب حتى يجد
الموضع المثقب من جلد الانسان وذلك لان جلد الانسان
فيه مسام كثيرة يخرج منها النفس والعرق وهو يراس
خرطومه يطلب تلك الثقبة فاذا وجدها غوص خرطومه
فيها فمن الذى هداه الى مقصوده من جذب الدم ومن
الذى عرفه ان بدن الانسان فيه منافذ ومسام وان
ادخال الخرطوم فى تلك المنافذ الموجودة اسهل من
احداث منفذ اخر فى الجلد واما حسن السمع فلان البعوضة
فى الليلة الظلما اذا وقعت على عضو الانسان فاذا حاول
الانسان بتقريب اليد منها ليضربها احست بحركة
اليد فيها وطارت ولو بالغ الانسان فى اخفا حركة اليد
فانها لا بد وان تحس تلك الحركة فمن الذى اعطاه هذه
القوة السامعة بهذا الكمال ثم ها هنا شى اخر وهو انها
علمت مص الدم من جلد الانسان جناية عليه وايذاء له
وان الانسان لا بد وان يقابل الجناية بان يقصد قتلها
وايذاها فالبعوضة لعلمها بهذا المعنى بقيت مستعدة
للفرار والحذر فانظر انه سبحانه كيف هداه الى تحصيل
الغذا الموافق له ثم اودع فى خياله انه لا بد من الحذر
فلما قرب الشر طارت وتخلصت ولا يتاتى مثل هذا
التدبير الا من الاله الذى خلق فسوى والحكيم الذى قدر
فهدى والخامس تامل فى صغر جثة البعوض ولا شك
ان خرطومه اصغر منه بكثير ثم ان ذلك الخرطوم مع غاية
صغره مجوف ولولا ذلك التجويف لما قدر على امتصاص
الدم منه فانظر الى ذلك الخرطوم مع كونه مجوفا كيف
يكون غاية رقته ثم تامل انها مع غاية رقتها كيف قوتها

وشدتها فانها بعوض ذلك الخرطوم فى جلدة الجاموس
والفيل على شدته وثخانته ويستخرج الدم منه كما يضرب
الرجل اصبعه فى الخنيص السادس انه سبحانه خلق فى خرطوم
البعوضة عضوا كبيرة كما فى خرطوم الفيل فتارة يمدها
ويطولها وذلك عند ما يغوص الخرطوم فى الجلد وتارة
يقبضه الى نفسه و ذلك عند الاخراج فتامل فى كل واحد
من اجزا العضو وذلك لانه على قياس خرطوم الفيل لابد
وان يكون اصله غليظا وراسه مستدقا ولابد وان
يندرج من الغلظ الى الرقة على تناسب مخصوص ولابد
وان يكون قد اختص كل واحد من تلك الاجزا بشكل
مخصوص وصفة مخصوصة ولا يقدر على ذلك
الشكل والتصوير الا القادر على جميع الممكنات العالم
بجميع المعلومات السابع تامل فى جسد البعوضة
فانه فى غاية الصغر وخرطومه اصغر منه بكثير وراس
خرطومه اصغر من ذلك الخرطوم بكثير ثم انه تعالى اودع
فى راس خرطومه سما وفيه فايدتان الفايدة الاولى ان ذلك
السم اذا انصب على ذلك الموضع من الجلد افسد مزاج
ذلك الموضع وبسبب فساد مزاجه يحدث فيه نوع
من اللين والرخاوة فحينئذ يسهل على البعوضة تغويص
خرطومها فى ذلك الموضع الفايدة الثانية ان تلك
الحرارة السمية تعين البعوضة على هضم ذلك الدم المخصوص
وقال اهل العلم ان الحكمة فى خلق السم فيما بين فكى الحية
انه ليس لها اضراس تقوى بها على مضغ الاغذية فخلق
الله سبحانه وتعالى فيما بين فكيها سما حادا قويا منضجا
فالحية اذا قبضت على جثة الحيوانات وجعلتها بين نجسم
فكيها القى ذلك السم على ذلك الجسم وتهريها من ساعتها
فحينئذ تبلعها وتستمرئها ولو لم يخلق الله فيما بين فكيها

ذلك

ذلك السم لما تمكنت من الاكل لانه ليس لها اسنان ماضغة طاحنة
فكانت تموت من الجوع اذا عرفت هذا فنقول بنية البعوضة صغيرة
وحرارة بدنها قليلة وليس لها شى من الاسنان فخلق الله سبحانه
وتعالى فى راس خرطومها ذلك السم ليعينها ذلك السم على هضم
الغذا واعلم ان سم البعوضة له قوة شديدة فى الكيفية ولذلك
فانه اذا اكثر اجتماع البعوض على بدن الانسان اسود لون البدن
وربما تودى الى الموت ثم هاهنا حالة اخرى اعجب من كل ما تقدم
وهو ان جثة البعوضة فى غاية الصغر وخرطومها اصغر منها
وراس الخرطوم اصغر من ذلك الخرطوم والسم الذى فى راس
ذلك الخرطوم اصغر لا محالة من راس ذلك الخرطوم ثم ان البعوضة
اذا وضعت راس خرطومها على موضع فى بدن الانسان فانه لا
ينصب على ذلك الموضع جميع ما معها من السم فانها اذا عضت
موضعا اخر حصل فيه مثل ذلك الالم فعلمنا انه لا ينصب من السم
الذى فى راس خرطوم البعوضة الا القليل واما الاكثر فيبقى هناك
فتامل ان ذلك الذى ينصب منه على بدن الانسان كم يكون فى
القلة والصغر فلعله يكون جوهرا فردا وجزا لا يتجزى فى علم الله
ثم انه سبحانه وتعالى قد اودع فى ذلك الجزء القليل من الخاصية
والقوة ما يزعج الفيل ويقلقله ويجعله مضطربا متحيرا ثم انه
سبحانه وتعالى ما اودع تلك القوة الشديدة فى سم البعوضة
الا ليعينها على اصلاح غذائها ونظم معيشتها وكل من له
عقل سليم وطبع مستقيم يشهد بان هذا لا يكون الا من تدبير
مدبر عالم بجميع الكليات والجزئيات قادر على جميع الكائنات
والممكنات الثامن تامل فى حال البعوضة فانها اذا وضعت على
عضو الانسان اعتمدت على ما لها من الايدى والارجل وغوصت
خرطومها فى الجلد فاذا احست بمجى اليد اخرجت ذلك الخرطوم
فى الحال على اسهل الوجوه وطارت قبل وصول اليد اليها
ولو ان الانسان جعل ابرة او مسلة فى جرم غليظ فانه لا يمكنه

ان يخرجها منه الا بعد تعب شديد التاسع تامل ايضا فى
حالها فانها اذا وجدت الفرصة والمهلة مصت دما كثيرا حتى
الى ان تنشق وتموت وربما مصت الى حيث تعجز عن الطيران
فاذا حاول الانسان ضرب يده عليها عجزت عن الطيران بسبب
ثقلها فبقيت هناك وتصل اليد اليها وتموت وهذا فيه تنبيه
عظيم للانسان على احوال دنياه واخراه اما دنياه فلان الاستكثار
من اللذات والشهوات سبب للوقوع فى المحن والافات واما
الاخرة فلان الانسان اذا كان خفيفا قليل العلايق فاذا وصل
اليه ندا قوله ارجعى الى ربك طار من وكر مكر الدنيا الى عش
عيش الاخرة اما اذا كان ثقيلا من حب الدنيا عجز عن الطيران
فيبقى فى هاوية الجسمانيات وظلمات الخيالات كما قال تعالى
فى صفتهم ناكسوا رؤسهم العاشر تامل فى راس البعوضة
ووجهها فانها مع غاية صغرها قد جعلها الله تعالى منقسمة
الى اقسام كثيرة واودع فى كل قسم من تلك الاقسام خاصية
معينة وقوة معينة وذلك لانه تعالى خلق فى راس البعوضة
عينين واودع فيهما قوة ناظرة اكمل مما للانسان ويدل عليه
وجوه احدها انها تبصر فى الظلمة الشديدة الموضع الذى منه
مص الدم والثانى انها ترى ببصرها مسام جلد الانسان
ولذلك قال اذا وجدتها غوصت خرطومها فيها والانسان
لا يرى ذلك البتة وايضا انه تعالى خلق فى راسها اذنين واودع
فيهما قوة سامعة اقوى مما للانسان ولذلك فانها تسمع فى
الظلمة خفيف اليد مع ان الانسان البتة لا يسمعها الثالث
انه خلق فى راسها قوة الشم ولذلك تحس بوقوع الجيف من
المكان البعيد ولولا الشم لما عرفت ذلك الرابع انه خلق فى
راسها الفم واودع فيها القوة الذايقة ولذلك فان البعوض
يرغب فى بعض الطعوم دون البعض ولولا القوة الذايقة
والا لما كان الامر كذلك والخامس انه تعالى اودع فى بدنها

القوة اللامسة ولذلك فانها تهرب من الحر الشديد والبرد
الشديد السادسة انه تعالى خلق فى راسها قوة الحفظ ولولاها
لما ميزت بين ما ينفعها وبين ما يضرها وخلق ايضا قوة الفكر
ولولاها لما عرفت وجوب الفرار عند مجئ اليد وخلق فيها قوة
الذكر ولولاها لما ميزت بين المعانى النافعة والضارة فانظر
الان راس البعوضة كم يكون مقدار ذلك الجرم ثم انه سبحانه
وتعالى قسم ذلك الجرم الصغير الى اجزا كثيرة واودع فى كل
واحد من تلك الاقسام خاصية معينة فهذا عيناه وهذا
اذنه وهذا انفه وهذا فمه وهذا مقدم دماغه الذى فيه
قوة الحفظ وهذا وسط دماغه الذى فيه قوة الفكر وهذا
موخر دماغه الذى فيه قوة الذكر ثم لا شك انه تعالى خلق له
منفذا لغذا ومخرج الفضلة ومتى كان الامر كذلك فقد خلق
له جوفا واسعا وعروقا وعظاما فيخطر ببال العاقل السليم
العقل ان يسند هذه التاثيرات العجيبه والتصرفات
البديعة الى الطبيعة مع انها قوة ولا شعور لها بشى من
الاشيا ولا يتميز فى حال من الاحوال هذا مما لا يقوله عاقل
بل شواهد الفطر وصرايح الافكار وبداية الانظار تنادى
باعلى صوتها على انها انما حدثت بتدبير من لا يعزب عن قدرته
وعلمه وحكمته ذرة من الارضين والسموات الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ورحم الله من قال

يا من يرى مد البعوض جناحها   فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطه فى نحره   والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته   ما كان منه فى الزمان الاول

الفصل الرابع فى الذباب قال الله تعالى فى سورة الحج
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز وفى الاية

ابحاث **البحث الاول** اعلم ان هذه الاية من جملة الايات التى اقر
بفصاحتها الصديق والزنديق والموافق والمخالف **يحكى** انه
اجتمع اربعة من الزنادقة بمكة ابن المقفع وابن ابى العوجا وابو شاكر
الديصانى وعبد الملك البصرى وقالوا تعالوا نعارض القران
كل واحد منا ربعه فتواعدوا وتفرقوا على ان يجتمعوا فى السنة
المستقبلة فلما رجعوا قال ابن المقفع انى عجزت عن معارضة قوله
وقيل يا ارض ابلعى ماءك وقال ابن العوجا عجزت عن معارضة قوله
فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا وقال ابو شاكر انى عجزت عن
معارضة قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال عبد الملك
البصرى انى عجزت عن معارضة قوله يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له فهولاء الزنادقة كانوا اكابر فصحاء العالم وقد عجزوا عن معارضة
هذه الايات وذلك لجزالة الفاظها وقوة معانيها وعذوبة
سياقها وفى هذه القصة نكتة اخرى عجيبة وذلك لان الاعدا
لما طعنوا فى فصاحة القران وقالوا كيف يليق بالله سبحانه وتعالى
ذكر الذباب والعنكبوت فاجاب الله تعالى عنه بان حقارة هذه
الحيوانات لا تقدح فى فصاحة هذه الايات اذا كانت المقصود
بذكرها التنبيه على الحكمة البالغة والمعانى الدقيقة الشريفة
ثم ان اشد الزنادقة عداوة واكثرهم علما بوجوه الفصاحة والبلاغة
اعترفوا بالعجز عن معارضة هذه الاية المشتملة على ذكر الذباب
فكان ذلك جاريا مجرى معجزة اخرى لمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه سوالان
السوال الاول ان الذى ذكره الله تعالى فى هذه الاية ليس بمثل فكيف
سماه مثلا والجواب لما كان المثل فى الاكثر نكتة عجيبة جاز ان
يسمى كلما كان كذلك مثلا **السوال الثانى** قوله ضرب مثل يفيد ان
هذا الكلام المذكور ليس هو كلام الله بل هو كلام لبعض المتقدمين
وذلك يجر الى القران العظيم اعظم وجوه الطعن والجواب لما كان
الكلام المذكور فى هذه الاية فى غاية القوة والبعد عن الشبهة كان
ذلك كالامر المعلوم من قبل فلا جرم كان ذكره بمنزلة اعادة امر

قد

قد تقدم اما قوله تعالى فاستمعوا له اى تدبروه حق التدبر
لان نفس السماع لا ينفع انما النافع هو التدبر والتامل
ثم انه تعالى احتج بامر الذباب على ابطال مذهب عبدة الاوثان
فقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت باسرها
واجمعها لما قدرت على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق
بالعاقل الاشتغال بعبادة مثل هذا الشى وقوله تعالى
ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه تعالى قال مستحيل ان يخلقوا
الذباب حال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم ثم قال وان يسلبهم
الذباب شيا لا يستنقذوه منه والمعنى كانه سبحانه قال
اترك حديث الخلق والايجاد واذكر ما هو اسهل منه فان الذباب
ان سلب منها شيا فهى لا تقدر على استنقاذ ذلك الشى من الذباب
واعلم ان المقصود من هذا الاستدلال يظهر من وجوه **الحجة
الاولى** ان فعل العاقل لا بد وان يشتمل على فايدة وتعظيم هذه
الاصنام لا فايدة فيه لانها جمادات لا تضر ولا تنفع والاشتغال
بالعبث محظور عند العقول **الحجة الثانية** ان العبادة غاية
التعظيم والانسان اشرف من الجماد واقدام الاشرف على
غاية التواضع للاخس خلاف العقل **الحجة الثالثة** انهم
لما عظموا الاوثان غاية التعظيم لم يقدروا على ان يعظموا
الخالق سبحانه وتعالى تعظيما ازيد من ذلك فحينيذ يلزم حصول
التسوية فى التعظيم بين مدبر السموات والارض وبين تلك
الاحجار والجمادات وذلك غاية السفاهة اما قوله تعالى
ضعف الطالب والمطلوب ففيه اقوال احدها المراد منه
الصنم والذباب فالصنم كالطالب من حيث انه لو طلب ان
يخلقه او يستنقذ منه ما استلبه منه لعجز عنه والذباب
بمنزلة المطلوب والثانى ان الطالب عابد الصنم والمطلوب
نفس الصنم وهذا اقرب لان كون الصنم طالبا ليس على سبيل

الحقيقة بل على سبيل التقدير اما هاهنا فعلى سبيل التحقيق
والقول الثالث ان يكون معنى قوله ضعف لا من حيث القوة
لكن لظهور قبح هذا المذهب كما يقال للرجل عند المناظرة ما اضعف
هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه اما قوله ما قدروا الله حق
قدره فالمعنى ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام
على نهاية خساستها شريكة لخالق السموات والارض في العبودية
واعلم ان منشا جميع الشبهات عن القول بالتشبيه فالتشبيه
في الذوات باطل كما تقوله المجسمة والتشبيه في الصفات باطل
كما تقوله الكرامية في التشبيه وفي الافعال باطل كما تقوله المعتزلة
قال الامام ابو القاسم الانصاري انه سبحانه جبار النعت عزيز
الوصف فالاوهام لا تصوره والافكار لا تقدره والعقول
لا تمثله والازمنة لا تدركه والجهات لا تحويه ولا تحده صمدي
الذات سرمدي الصفات اما قوله ان الله لقوي عزيز فاعلم انه تعالى
ذم الاصنام باشيا ثم اثنى على نفسه باضدادها فالاول
انه تعالى لما قال في هذه الاية للاصنام ضعف الطالب والمطلوب
فوصفها بالضعف ووصف نفسه بالقوة فقال ان الله لقوي
عزيز والثاني قال في حقها ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم وقال لنفسه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو الاية الثالث انه قال لها فادعوهم فليستجيبوا لكم وقال
لنفسه ادعوني استجب لكم قال في حقها لبيس المولى ولبيس
العشير وقال لنفسه نعم المولى ونعم النصير والخامس قال
في حقها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال
لنفسه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير والسادس قال في حقها ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم وقال لنفسه ليس كمثله شي وهو
السميع البصير البحث الثاني في اثار حكمة الله تعالى في خلق
الذباب اعلم ان اكثر الاحوال المذكورة في البعوض عايد في الذباب

ثم

ثم انا نخصه بمزيد وجوه فالاول ان في الذباب ثلاثة انواع
من المنافع الدينية فالاول انه يدل على التوحيد من وجهين
الاول انه من جملة من يسبح الله قال تعالى وان من شي الا يسبح
بحمده فهو يسبح الله تعالى بحالته ولا يعصيه بعمله البتة
واما الكافر وان كان يسبح الله تعالى بدلايل خلقته لكن
ينكر بلسانه ويعصيه باعماله فكان الذباب مع غاية حقارته
خيرا من الكافر والثاني انه تعالى جعل الذباب حجة على بطلان
مذهب عبدة الاوثان فقال وان يسلبهم الذباب شيا
لا يستنقذوه منه فمعبوداتكم لا يقدروا على خلق ذباب
واحد ولا على ذبها عن انفسهم ولا على استرجاع شي سلبها
الذباب عنهم ومن كان في الضعف والعجز هكذا كيف
يستحق ان يعبدوه واما الثاني فهو ان الذباب يدل على النبوة
فلانه صح في الاخبار انه ما كان يقع البعوض ولا الذباب على
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان اعز على الله
من ان يكون جلده مركبا من البعوض والذباب ودمه
مشربا لهما فكون هذين الحيوانين مسلطين على كل الخلق مع كونهما
ممنوعين عنه على التعيين من اقوى البينات واظهر المعجزات
واما الثالث فهو ان الذباب يدل على طهارة الصحابة روي ان
المنافقين لما طعنوا في عايشة رضي الله عنها ونسبوها الى
الفاحشة حصل الغم العظيم في قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر ما قولك في هذه الواقعة
فقال يا رسول الله انا اقطع بكذب المنافقين في هذه الواقعة
فقال عليه السلام وما الدليل عليه فقال عمر الدليل عليه
ان الله عصمك عن وقوع الذباب على جلدك فلما تفكرت فيه
علمت ان السبب انها تجلس على النجاسات فتلطخ ارجلها بها
فالله سبحانه عصم جلدك عن ذلك القدر من القاذورات

فكيف لا يعصمك عن كل من يكون متلطخا بالفواحش والسيآت
فاستحسن صلى الله عليه وسلم ذلك ثم دخل عليه عثمان بن
عفان فسأله عن هذه الواقعة فقطع بكذب المنافقين
فطالبه بالدليل فقال عثمن الدليل عليه ان الله ما اوقع ظلك
ثم تفكرت فيه فعلمت ان السبب فيه انه لو وقع ظلك على
الارض فربما وضع انسان قدمه على ذلك الظل فالله سبحانه لم
يمكن احدا من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن الاجنبي من
تلويث عرض زوجك ثم دخل عليه علي فسأله عن ذلك
الواقعة فقطع بكذب المنافقين فطالبه بالدليل فقال الدليل
عليه انا كنا نصلي خلفك فنزعت في اثنا الصلاة رجلك عن
نعلك فنزعنا ايضا ارجلنا عن نعالنا فلما تممت الصلاة قلت
لنا لم نزعتم ارجلكم عن نعالكم قلنا فعلت ذلك فوافقناك
فقلت انما فعلت ذلك لان جبريل عليه السلام اخبرني ان عليه
قذرا فلما امرك الله باخراج ذلك عن رجلك بسبب ما التصق
به من القذارة فكيف يليق بهذه العناية ان لا يامرك باخراجها
بتقدير ان تكون ملطخة بشي من الفواحش فطاب قلب النبي
صلى الله عليه وسلم عند سماع هذه الدلائل ثم انزل الله الايات
الدالة على طهارتها وبراتها عن الفواحش لعن الله باغضها ❊
والمقصود من رواية هذا الخبر ان الذبابة وان كانت متلطخة
ملوثة الا انها دلت على براة عايشة عن كل لوث وهذا يقتضي
كون الذبابة اشرف واعلى من اولئك المنافقين وارفع درجة
منهم فصارت الذبابة دالة على قدرة الله وحكمته ووحدانيته
ودالة على ابطال القول بعبادة الاوثان ودالة على نبوة سيد
الانبيا محمد صلى الله عليه وسلم ودالة على طهارة عائشة ❊
فصارت على حقارتها مستجمعة للدلالة على صحة اصول الاسلام
الوجه الثاني انه تعالى اظهر بخلق الذبابة قبايح الكفار وفضايح
الفساق والفجار اما قبايح الكفار فلانه اذا وضعت قصعة

من المرقة الحارة يبادر الذباب اليها والانسان يذبها عن تلك المرقة
الحارة بكل طريق ثم انها تلقي بنفسها في تلك المرقة وتموت فيها
وهذا يشبه طريقة الكفار فان الانبيا عليهم السلام يذبونهم
عن نار جهنم باقصى ما يقدرون ثم انهم يلقون بانفسهم في نار جهنم
الا ان عاقبة الذباب احسن من عاقبة الكفار لان الذبابة كما ماتت
تخلصت من الالم والكافر كما مات بقي في العذاب ابد الاباد قال
تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا واما فضايح الفساق
فلان في الذباب خساسة عظيمة فلا تميز بين الطيب وبين الخبيث
فتارة يقع على السكر واخرى على القاذورات فكذا الفاسق قد
وضعت له مائدة الجنة واعدت له جميع النعم الطيبة فهو تارة
يقدم على تلك المايدة الطيبة وهي الطاعات والعبادات واخرى
يجلس على مائدة المعاصي والمنكرات وهي من جنس القاذورات
والنجاسات فمن اراد ان يصون نفسه عن خساسة الذباب
وجب ان لا يدور حول الخبايث والمنكرات الوجه الثالث انه تعالى
اظهر بخلق الذباب ذل المتكبرين حكي عن سعيد بن جبير انه توارى
عن الحجاج وكان مع ذلك لا يترك الصلاة بالجماعة فقيل له
اياك والخروج فان عليك من الحجاج عيونا فقال كيف اتخلف
عن الجماعة والموذن ينادي بحي على الفلاح ثم اخذه اعوان
الحجاج في طريق المسجد فاتوا به اليه فقال الحجاج يا ابن جبير
ما الحكمة في خلق الذباب وكان قد تاذى به لكثرة ما كان يذب
عليه وهي تعاوده فقال انما خلق الله الذباب ليذل به الجبابرة
وذلك انه يقع على النجاسات ثم يقع على وجوه الجبابرة فيظهر
بذلك ذلهم حيث عجزوا عن دفع اضعف المخلوقات واحقرها
عن انفسهم الوجه الرابع قال اهل الحكمة ان في الذباب منفعة
عظيمة من ثلاثة اوجه وذلك لان الذباب لا يظهر الا في مواضع
العفونة والاماكن المستقذرة ثم انه سبحانه
وتعالى يخلق من بعض اجزاء تلك العفونات
ذات الذباب ويجعل بقية تلك العفونات غذايها

ثم انها لكثرة طيرانها تحرك الهوى وتحريك الهوى سبب لازالة
بقية العفونات عن الهوى فصارت الذبابة سببا لازالة العفونات
عن الهوى من هذه الاوجه الثلاثة والذبابة اذا طارت وجلست
على وجه الانسان واذته فذلك في الحقيقة نعم عظيمة في حق
الانسان فانه لولا وجوده وطيرانه لاستولت العفونات على الهوى
وتودى ذلك الى حصول المضار العظيمة فكما ان الصبي يتاذى من
الفصد والحجامة والعاقل يعلم انه من اعظم وجوه الانعام في حق [illegible]
الصبي فكذا وقوع الذبابة على وجه الانسان وان تاذى منه الجاهل
الا ان العاقل يعلم انه من النعم العظيمة في حقه من حيث انه سبب
لازالة العفونة عن الهوى الذى هو مادة الحياة فان قيل خالق
العفونات هو الله سبحانه وتعالى فكان ينبغي ان لا يخلقها حتى لا
يحتاج في دفعها الى خلق الذباب قلنا هذا السوال غير مختص بالذباب
فانا اذا قلنا انه سبحانه وتعالى خلق الخبز والما واصناف الفواكه
ليلتذ الانسان باكلها فيقول السائل خالق اللذات هو الله
سبحانه وتعالى فكان ينبغي ان لا يخلقها ابتدا حتى لا يحتاج الى
خلق الما والخبز ولما كان هذا ردا على كل القران علمنا سقوطه ثم
التحقيق ان الدنيا دار الاسباب فربط الله كل شي بشي حتى انه
كما ظهرت قدرته بايجاد الاشيا فكذلك تظهر حكمته بخلق
الاشيا اسبابا لساير الاشيا الوجه الخامس في امثال العرب
اجرى من الذباب واطيش من الذباب والح من الذباب واشبه
بالذباب من الذباب اما شدة جراته فظاهرة لان الانسان كلما
دفعه عاد اليه وقيل انما سمي الذباب ذبابا لانه كلما ذب اب
والحكمة في صفته بالجراة انه لما كان المقصود من خلقته افناء
العفونات تارة بالاغتذا وتارة بتحريك الهوى وتلطيفه بسبب
الطيران وجب كونها موصوفة بالجراة حتى انها متى ذبت لم تمتنع
عن الحركة فيبطل هذا المقصود وكذلك طيشها والحاحها من
الامور المعينة على هذا المقصود واما كون بعضها شبيها

بالبعض ففيه حكمة عجيبة وذلك لانا بينا انه لو حصلت
المشابهة بين الاشخاص الانسانية اختلفت مصالح
العالم فان على هذا التقدير ما كان يتميز زوج هذه المراة
من غيره وما كان يتميز مالك هذه الدار عن غيره وذلك
يفضي الى وقوع المفاسد العظيمة فلاجل رعاية هذه المصالح
ميز الله تعالى كل انسان عن غيره في الشكل والصورة والصوت
واما الحيوانات الاهلية فهي غير مكلفة فما كانت مصالحها
تختل عن حصول هذه المشابهة في الصورة والخلقة الا ان
الانسان انتفع بفرد معين منها ولم ينتفع بفرد اخر منها
مثل ان كان هذا الفرس اشد ركضا واشد عدوا من ساير
الافراس فلاجل هذا المعنى اظهر الله المخالفة بين صور الحيوانات [illegible]
الا ان المخالفة هاهنا اقل من المخالفة التي بين صور الانسان
واما الحيوانات البرية فان حاجة الانسان اليها قليلة وانتفاعه [illegible]
معين منها دون غيره نادر فلا جرم كانت المخالفة منها في الصور
والاشكال اقل من المخالفة الحاصلة بين صور الحيوانات الاهلية
واما هذه الحيوانات الخسيسة التي لا يتعلق حاجة الانسان
بها البتة فلم يحصل المخالفة بين صورها البتة وصارت في
المشابهة بحيث لا يمكن تميز بعضها عن البعض وهذا الترتيب
الذى ذكرناه في تخليق ابدان الحيوانات يدل على انها باسرها
مخلوقة لمنفعة الانسان حتى انها صارت مخلوقة على وفق
مصلحة الانسان فاذا عرفت هذا فنقول ان امتياز الانسان
عن ساير الحيوانات ليس الا بكونه عارفا بالله مشتغلا بطاعته
الله فدل هذا على ان كل الحيوانات مخلوقة لهذه الحكمة كما قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ودل ايضا على
ان خلق هذه الحيوانات ليس هو الطبيعة ولا العلة ولا
الخاصية بل المؤثر فيها هو قدرة الصانع المختار حتى انه
سبحانه وتعالى حيث تعلقت هذه المصلحة باظهار المخالفة

بين الصور والاشكال اظهرها وحيث لم تتعلق المصلحة
باظهار هذه المخالفة لم يظهرها فسبحان من لم يخل ذرة من
ذرات الارض والسماء عن دلايل ظاهرة وبراهين باهرة عن
كمال قدرته وغاية حكمته الوجه السادس من عجايب خلقة
الذباب انا بينا ان كثرة طيرانها سببا لزوال العفونة عن
الهوى فنقول ان كثرة طيرانها في العفونات يكون سببا لوقوع
تلك العفونات على اجنحتها وعجزت عن الطيران فدبر الخالق
الحكيم المدبر الرحيم ان اقدر الذبابة على ان تنظف جناحيها برجليها
عن كل ما التصق بها من العفونات ثم كما انها تنظف اجنحتها
برجليها فكذا خلق في معدم يديها يدين زايدتان تنظف ابدا
بهما عينيها وذلك لان العين لا يكمل الانتفاع بها الا اذا كانت
صافية صقيلة والحيوانات الكثيرة خلق الله تعالى على
وجه احداقها اجفانا وهي تكون مطوقة ابدا حتى ان الاطراف
الكثيرة لتلك الاجفان ينظف سطح الحدقة في كل لحظة
واوان عن انواع البخار والغبار فتبقى صقيلة صافية فتبقى
القوة الباصرة كاملة فاما الذبابة فان راسها صغير ولا
تحتمل اعينها الاجفان فلما لم يحصل لها الاجفان التي تصقل
عيونها لاجرم دبر الحكيم الرحيم في ذلك ان خلق في مقدم يديها
هاتين اليدين الزايدتين واقدرها على ان ينظف بهاتين الزايدتين
عينيها حتى تبقى صقيلة صافية ابدا فسبحان من خلق
كل شي على احسن الوجوه الوجه السابع في خلقة عجايب
الذباب قوله عليه السلام اذا وقع الذباب في اناء احدكم
فامقلوه ثم انقلوه فان احد جناحيه داء وفي الاخر دواء
واعلم ان هذه خاصية اطلع عليها الرسول عليه السلام
بنور النبوة والرسالة وهذا ايضا من عجايب الخلقة فان
كون احد الجناحين داء والاخر دواء مخصوص بالذباب ولا
يوجد في غيره الوجه الثامن انه تعالى حالي الذباب بحسب الصيف

والشتا

والشتا دليلا على اختلاف حالي الانسان بحسب الموت
والبعث فكما ان الذباب يغيب في الشتا ثم نظهر في الصيف
فكذا الانسان يغيب في اللحد بالموت ونظهر في القيمة بالبعث
وبالله التوفيق الفصل الخامس في الكلام في بقية
الحيوانات المذكورة في القران اما العنكبوت فقال تعالى مثل
الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وفي
تشبيه عبادة الاصنام ببيت العنكبوت وجوه الاول
ان بيت العنكبوت لا تصون عن البرد والحر فكذا عبادة الاوثان
لا تجلب النفع ولا تصون عن الضر والثاني ان بيت العنكبوت
ينهدم بادنى سبب فكذا مذهب عبادة الاوثان يبطل بادنى
حجة والثالث ان الشي انما يعرف بضده فلما كان الاشتغال بغير
الله كبيت العنكبوت في الضعف لزم ان يكون الاشتغال
بطاعة الله وبعبوديته اعظم واقوى من السموات السبع
والارض ثم في الاية لطائف دالة على شرف المومن الاول
انه قال مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا سمى الاصنام اولياء
للكافرين ثم وصف نفسه بكونه وليا للمومنين فقال الله ولي
الذين امنوا فالصنم ولي الكافرين وجبار السموات والارض
ولي المومن الثانية انه تعالى خلق البعوضة والعنكبوت
فجعل البعوضة سببا لهلاك اشد الخلق طغيانا وكفرا
وهو نمرود وذلك لان البعوضة التي اهلكت نمرود قالوا
كانت لها نصف البدن اما النصف الثاني فكان مفلوجا
فاسدا واما العنكبوت فانه جعله الله تعالى سبب النجاة محمد
صلى الله عليه وسلم عن شر الكفرة وذلك لانه عليه السلام
لما دخل الغار نسج العنكبوت على باب الغار والحكمة في الكل انه
تعالى خلق الاشيا الحقيرة الصغيرة ثم جعلها اسبابا للامور
العظيمة ليعلم الخلق ان الامر بيد الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد

ومن عجايب احوال العنكبوت انه اذا اراد ان يبني بيته طلب
زاوية يحيط بها ضلعان ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو
خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيلصق
القطر الاخر من الخيط ثم لا يزال يذهب ويجي ثانيا وثالثا
على تناسب مخصوص السدى تارة واللحمة ثم اذا
احكم الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة ويضيف البعض
الى البعض على مناسبة هندسية ثم يهيا شبكة يقع
فيها البق والذباب ثم يقعد في زاوية مترصدا لوقوع
الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد فيها بادر الى
اخذه فان عجز عن الصيد بهذا الطريق طلب لنفسه
زاوية من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم
علق نفسه منها بخيط اخر وبقي منكسا في الهوى ينتظر
ذبابة يطير فاذا طارت الذبابة رمى بنفسه اليها فاخذها
ولفف خيطه على رجليها واحكمها ثم ما من حيوان صغير
ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى افترى
انه يعلم هذه الصنعة من نفسه او بتعليم ادمي بل هذا
من الالهامات الربانية والهدايات الرحمانية واما النمل
فقال تعالى في سورة النمل في قصة سليمان عليه السلام
حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون قال المفسرون وادي النمل واد بالشام كثير
النمل فان قيل لم عدى اتوا بعلى قلنا لوجهين الاول ان اتيانهم
كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا والثاني ان يراد قطع
الوادي وبلوغ اخره اما قوله قالت نملة فالمعنى انها تكلمت
بذلك وهذا غير مستبعد فان حصول العلم والنطق لها
ممكن في نفسه والله تعالى قادر على كل الممكنات وعن قتادة
انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شيتم

وكان

وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث
السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى
فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له كيف
عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة يا ايها النمل
ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة
والشاة في وقوعها على الذكر والانثى ثم يميز بينهما بعلامة
كقولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي اما قوله ادخلوا
مساكنكم فاعلم ان النملة لما قاربت حد العقل لا جرم خوطبت
بما يخاطب به العقلا فلهذا قال ادخلوا مساكنكم واما قوله
لا يحطمنكم سليمان وجنوده ففيه وجهان احدهما التقدير
ادخلوا مساكنكم لئلا يحطمنكم والثاني ان يكون التقدير
لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك ها هنا
وفي الاية هذه تنبيه على امور احدها ان من يسير في الطريق
لا يلزمه التحرز وانما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها النملة
قالت وهم لا يشعرون كانها عرفت ان النبي يكون معصوما
والمعصوم لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو
ثم انها كما اثبتت هذه العصمة لاصحاب سليمان حيث قالت
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتلك
النملة كانت اكثر عقلا من الحشوية الذين يجوزون المعصية
على الانبيا ومن الروافض الذين يطعنون في اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وثالثها ما رايت في بعض الكتب ان تلك النملة انما
امرت رعيتها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم
فتقع في كفران نعم الله تعالى وهذا تنبيه على ان مجالسة ارباب
الدنيا محذورة ويروى ان سليمان عليه السلام قال لتلك
النملة لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم اخفت مني عليها ظلما
قال لا ولكني خشيت ان يفتتنوا بما يرون من مملكتك فيشغلهم
ذلك عن طاعة ربهم قال بعض اهل التذكير ان النملة تكلمت

فى هذه الاية بعشرة اجناس من الكلام نادت ونبهت
ونبهت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت
واشارت وعذرت اما النداء فيا واما التنبيه فقوله ها
واما التسمية فقوله النمل واما الامر فقوله ادخلوا واما
النص فقوله مساكنكم واما التحذير فقوله لا يحطمنكم
واما التخصيص فقوله سليمان واما التعميم فقوله
وجنوده واما الاشارة فقوله وهم واما العذر فقوله
لا يشعرون وايضا ان هذه النملة قامت باداء خمسة من
الحقوق اولها حق الله تعالى فانه تعالى جعلها ملك النمل فاحتاطت
فى رعاية الرعية وثانيها حق سليمان عليه السلام فانها
نبهته على الاحتراز من قتل البرى عن الجرم وثالثها حق
النمل فانها نصحت النمل حتى دخلت مساكنها فتخلصت عن
البلاء ورابعها حق جنود سليمان فانها حذرتهم الاقدام
على ايذاء الحيوانات من غير فايدة وخامسها حق جميع الخلق
فانها بهذا الكلام علمت جميع الخلق الاجتهاد فى ايصال
الاحسان الى الخلق والمبالغة فى كف الاذى عن الخلق كما
قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فهذا
ما يتعلق [illegible] الاية على سبيل الاختصار واما الحكمة فى خلقة
النملة وفى عجايب احوالها فمن وجوه الاول انه تعالى اشار بخلق
النمل فى الدنيا الى كيفية حال المتكبرين فى القيمة من الذلة
والحقارة قال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون امثال
الذر يوم القيمة يطاهم الناس باقدامهم والثانى ان النمل
يجمع للصيف فى الشتا وفى وقت الوجد الى الوقت الفقدان
فينبغى ان يكون العبد كذلك يشتغل بالطاعة فى الدنيا ليجد
الثواب فى العقبى قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة له فليأخذ
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة
قبل الكبر ومن الحيوة قبل الموت فو الذى نفس محمد بيده ما بعد

الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار الا الجنة او النار
الثالث ان النملة قد تتكلف حمل نوى التمر وتتحمل العنا والمشقة
العظيمة فى ذلك ثم انها لا تنتفع بتلك النواة الا ان تنظر
اليها ولا تنتفع بها قط الى ان تموت فيكون نصيبها من تلك
النواة فيكون نصيبها من تلك النواة محض المحنة والمشقة
فكذا الحريص يتحمل المشقة فى جميع الدنيا ثم يموت ولا ينتفع
بها ولا يكون له منها حظ الا التعب الرابع ان النملة تحمل
اضعاف وزن بدنها فكذا العبد ينبغى ان يتحمل اضعاف قوته
المشقة فى طاعة الله الخامس من عجايب احوالها انها تتخذ تحت
الارض منازل وبيوتا وتملاها حبوبا وذخاير قوتا للشتا
ثم تجعل بعض بيوتها متعرجا عن البعض لئلا يجرى اليها ما المطر
وربما اتخذت بيتا فوق بيت لئلا يسيل اليها ما المطر واذا
ابتل من تلك الحبوب شى اخرجته الى الشمس ايام الصحو ليجف ثم
انها تقطع الحبة بنصفين خوفا من ان تنبت وكذلك تقشر
الشعير والباقلا والعدس لاجل ان لا ينبت ثم اذا خرجت من
جحرها فيوما يذهب يمنه ويوما يذهب يسره ثم انها فى الذهاب
والمجى كانها قوافل لا ينحرف عن الطريق ثم اذا ذهبت واحدة منها
فوجدت شيا لا تقدر على حملها اخذت منها قدرا ورجعت
فاخبرت الباقين بذلك وربما اجتمع على الشى الواحد عدد منها
يحملونه ويقبلونه ويذهبون به الى الجحر ويتحملون العنا والمشقة
والشدة فيه واذا علمت بان واحدة منها توانت فى الحمل او
تكاسلت فى الاعانة اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها
قال امير المومنين على بن ابى طالب رضوان الله عليه فى خطبة
له انظر الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها كيف دبت
على ارضها وضنت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها
فى مستقرها تجمع فى حرها لبردها وفى ورودها لصدورها
مكفول برزقها مرزوقة بوفقها ولا يغفلها المنان ولا

يحرمها الديان ولو في الصفاء اليابس والحجر الاملس واما
الارضة فقد قال الله تعالى في سورة سبا في قصة سليمان
عليه السلام فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على دابة الارض
تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين قيل انه عليه السلام قال اللهم اعم على الجن موتي
ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب ودخل محرابه وقام متكيا على
عصاة فمات وبقي قايما سنة حتى تم بنا بيت المقدس ثم سلط
الله الارضة على منساته فخر فعرفت الجن موته وكانوا يحسبونه
حيا لكثرة ما يشاهدوا من طول قيامه قرا نافع وابو عمرو وابن كثير
منساته بغير همز وقرا ابن عامر بهمزة ساكنة والباقون بهمزة
مفتوحة وكلها لغات صحيحة واصله الهمزة لانه من نسات الشي
طردته واما قوله تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين ففيه قولان احدهما تبينت حال الجن للانسان ان الجن لا يعلمون
الغيب والثاني عرف عوام الجن ان روساهم لا يعلمون الغيب فانهم
كانوا يوهمون انهم يعلمون الغيب والعذاب المهين هو تلك الاعمال
الشاقة في البناء ومن عجايب احوال هذا الحيوان امور ثلاثة الاول
ان الله تعالى اعطاها شعرين تشبه السواطير تقرض بهما الخشب
ونوى التمر وتثقب الاجر والحجارة وهذا من العجايب فان ذلك
الحيوان على صغر جرمه ورخاوة بدنه كيف حصل المشقرية هذه
القوة العظيمة والثاني انها اذا نقبت الخشبة من داخلها بنت
هناك على نفسها بيتا من الطين الصرف يشبه الازاج والاروقة
فمن اين وجدت هناك التراب والماء حتى جعلتهما طينا وبنت
لنفسها من ذلك الطين والثالث ان الطير المسمى بنقار الخشب
لا ينقر الا على الموضع الذي يكون تحته هذا الحيوان فتامل ان هذا
الطير باي علامة عرف ان تحت ذلك الموضع هذه الارضة وكيف
يميز عنده ذلك الموضع من الشجرة عن ساير المواضع ومن انصف
علم ان علوم الخلق لا تصل الى هذه الاسرار واقر بجلال الله علم خالق

العالم وكمال قدرته وحكمته واما الفراش فقال تعالى
في سورة القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
واعلم انه تعالى وصف يوم القيمة بامرين الاول كون الناس
فيه كالفراش المبثوث قال قال الزجاج الفراش هو الحيوان
الذي يتهافت في النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره
ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث في هذه الاية بالفراش
وفي اية اخرى بالجراد المنتشر اما وجه التشبيه بالفراش فلان
الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحد منها يذهب الى
غير جهة الاخر وهذا يدل على ان الخلق اذا بعثوا فزعوا فاختلفوا
في المشي الى جهات مختلفة غير مضبوطة والمبثوث المتفرق
يقال بثه اذا فرقه واما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة
قال الفرا كغوغات الجراد يركب بعضه بعضا وبالجملة فالله سبحانه
وتعالى شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر وبالفراش
المبثوث لانهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش
ويتاكد ما ذكرناه بقوله تعالى تاتون افواجا وقوله يوم يقوم
الناس لرب العالمين وفي قوله في قصة ياجوج وماجوج وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في بعض فان قيل الجراد بالنسبة الى الفراش
كبار فكيف شبه الشي الواحد بالصغير والكبير قلنا شبه الشي
الواحد بالصغير والكبير لكن في وصفين اما التشبيه بالفراش
فلاجل ذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما بالجراد فلاجل
الكثرة والتتابع ويحتمل ايضا ان يقال انها تكون كبارا اولا ثم
تصير صغارا كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس وذكروا
للتشبيه بالفراش وجوها اخر الاول ما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال الناس عالم او متعلم وساير الناس همج ورعاع
فجعلهم الله في الاخرة كذلك جزاء وفاقا والثاني انه تعالى انما قال
انما قال كالفراش لانهم يكونون في ذلك اليوم اذل من الفراش لان
الفراش لا يعذب وهم يعذبون ونظيره قوله تعالى اوليك

كالانعام بل هم اضل الثالث ان الفراش كلما منع عن ان يلقي
نفسه في النار فانه يعود فكذا هولاء الكفار كانوا يمنعون
عن نار جهنم وهم كانوا يلقون انفسهم فيها **الصفة الثانية**
من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن
المنفوش والعهن الصوف ذو الالوان والنفش هو جعل
الصوف بحيث ينفش بعضه عن بعض ويتميز بعضه عن
بعض واعلم انه تعالى اخبر ان الجبال مختلفة الالوان كما قال
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانه وغرابيب سود
ثم انه سبحانه يفرق اجزاوها ويزيل التاليف والتركيب
عنها فيصير ذلك مشابها للصوف المتلون بالالوان
المختلفة اذا جعل منفوشا وانما ضم تعالى بين حال الناس
وبين حال الجبال كانه تعالى قال ان تاثير تلك القرعة في
الجبال هو انها تصير كالعهن المنفوش فكيف يكون حال
الانسان عند سماعها فالويل ثم الويل لابن ادم ان لم تتداركه
الله برحمته ويحتمل ان يكون المراد ان جبال النار يصير كالعهن
لشدة حمرتها وانما لم يقل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
والجبال كالعهن المنفوش لان التكرير في مثل هذا المقام ابلغ
في التحذير واعلم ان حال هذا الحيوان عجيب فانه كما يقال انه يحب
النور ويبغض الظلمة جدا فاذا احس بالسراج ظن انه منفذ
الى عالم النور فيلقي نفسه على السراج يطلب ان يتخلص من
عالم الظلمات الى عالم الانوار ومنهم من قال انه يحب شكل
النار وصورتها فلفرط حبه للنار جعل نفسه فداء للنار
وعلى التقديرين فهو اما ان يكون محبا للنور او للنار وكيف كان
فانه جعل نفسه فدا لمحبوبه واذا كان الامر كذلك فالانسان
اولى بان يجعل نفسه فدا للنور معرفة الله تعالى ولنار محبته
بل اهل الهند يحرقون انفسهم على حب الصنم فالمومن اولى بان
يحرق قلبه في حب الله تعالى فان قيل قال الله تعالى ومن الناس من يتخذ

من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
ثم ان الهنود يحرقون انفسهم والمومن لا يفعل ذلك والجواب
من وجوه الاول ان معبود الكافر لا رحمة له عليه ومعبود
المومن رحيم وكذلك معبود الكافر لا علم له بشي ومعبود
المومن عليم فعابد الصنم اذا احرق نفسه لاجله فالصنم
ما علمه ولا رحمه واما الحق تعالى فانه عليم باحوال عبيده رحيم
بهم فلهذا منعهم عن ذلك العمل والثاني ان الكافر يحرق نفسه
وهو يرى معبوده بعينه والمومن يعرض نفسه للقتل ولا
يرى معبوده فكان هذا اعظم الثالث ان قليل الحقيقة
خير من كثير المجاز وفعل المومن حقيقة وفعل الكافر مجاز
والرابع قال الجنيد اهل الهند يحرقون انفسهم لاهل الصنم
فاذا كان يوم القيمة حشروا مع اصنامهم الى باب جهنم فيقال
لهم ادخلوا النار مع اصنامكم كما دخلتم النار في الدنيا فيابون
ويقول الله تعالى للمومنين ادخلوا النار فيقولون سمعنا
واطعنا ويتسارعون الى النار فذلك قوله تعالى والذين
امنوا اشد حبا لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
الفصل السادس في حيوانات الما قال تعالى والله خلق كل دابة
من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا ذكروا انه حصل في الربع المعمور
اربعة عشر بحرا كبارا منها بحر الروم وبحر القلزم وبحر الفارس
وبحر الهند وبحر الصين وبحر ياجوج وماجوج وبحر الحبشة
وبحر الاخضر وبحر الشرق وبحر الغرب وبحر الشمال وبحر
الجنوب وبحر طبرستان وثمانية انهار طوال مثل سيحون وجيحون
والدجلة والفرات ونيل مصر ونهر الكر والاوس وهي ممتد
طول كل واحد من ماية فرسخ الى الف فرسخ وقريبا من خمسماية
انهار صغار واما الاجام والغدران والانهار الصغار فلا
تعد ولا تحصى فهذا مجموع في الربع المعمور واما الارباع الثلاثة

من الارض فانها معمورة في البحر فاذا عرفت هذا فتامل في
الحيوانات الموجوده في بحار الربع المسكون واوديتها
واجامها ثم تامل فيما حصل في البحر المحيط من العجايب حتى تعلم
ان حيوانات البحر لا نسبة لها في الكثرة وعجايب الخلقة
والصفة الى حيوانات البر ثم ان الله سبحانه يحفظها ويرعاها
ولا يخفى عليه خافية من امورها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين وذكروا ان ملك حيوانات البحر هو الثعبان
وجنوده التماسيح والسرطانات واصناف من الحيوانات
البحرية التي لا يحصي عددها وانواعها الا الله تعالى قالوا
وهذا الثعبان حيوان هايل المنظر مهيب المخبر تخافه كل
حيوانات البحر لشدته وقوته وعظم صولته اذا تحرك تموج
البحر من شدة سباحته براق العينين واسع الفم والجوف
كبير الاسنان يبتلع كل يوم من حيوانات البحر عددا لا يحصى
فاذا امتلا جوفه منها واتخم تقوس والتوى واعتمد على راسه
وذنبه ورفع وسطه خارجا من الما مرتفعا في الهوى مثل
قوس قزح ومقصوده ان يوثر فيه حر الشمس فيستمري ما في
جوفه ربما عرض له في تلك الحالة ما يشبه الغشي والسكر
فيبقى كذلك اياما ثم ينعقد السحاب من تحته ثم ترفعه الرياح
الشديدة وترمي به الى البر فيموت وياكل جيفته السباع
مدة مديدة ويرمى به الى ياجوج وماجوج وماورا السد
فيصير غذا لها ثم ان هذا الحيوان على عظمه لا يتاذى من شي
الا من حيوان صغير في البحر يلسعه وهو لا يقدر عليه فيدب
سمه في جسم هذا الثعبان فيموت ويصير غذا الحيوانات
البحر وهكذا حكم تلك الحيوانات وذلك ان الجراد والنمل
والذباب والبق وما شابههما غذا للعصافير والقنابر
والخطاطيف ثم هذه الخطاطيف والعصافير غذا للبواشق
والشواهين ثم هذه الحيوانات اغذية للنسور والعقبان ثم

انها

ثم انها اذا ماتت اكلها الحيوانات الصغيرة من النمل والذباب
والدود وهكذا حال بني ادم فانهم ياكلون الطيور ثم ان الطيور تاكل
الذباب والبق ثم اذا مات ابن ادم اكلتهم في قبورهم الديدان
والحشرات فتارة ياكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تاكل
كبارها صغارها ليحصل العدل فان بالعدل قامت السموات
والارض ومن عجايب البحر صدفة الدرة ويقال انها وقتا
معينا في السنة تصعد من قعر البحر الى ظاهر سطح الما في يوم
المطر فتفتح اذنين لها شبيه السفطين فيقطر فيها من مياه
المطر حبات فاذا احست بذلك ضمت السفطين ضما شديدا
حتى لا يقع فيه شي من الما المالح الذي في البحر ثم تنزل برفق الى
قعر البحر وتمكث هناك منضمة على الصدفين الى ان ينعقد
فيه الدر **الفصل السابع** في احوال الانعام اعلم انه سبحانه
استدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته باحوال
البهايم وذكر ذلك في ايات كثيرة واجمعها ما ذكر في سورة
النحل فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تاكلون واعلم ان هذه الحيوانات مخلوقة لمصلحة المكلفين
فكل حيوان كان انتفاع المكلفين به اكثر كان اشرف ومعلوم ان
انتفاع المكلفين بالانعام اكثر من انتفاعهم بغيرها وذلك
لان الانعام منتفع بها في الاكل وذلك باكل لحومها وفي الشرب
وذلك بشرب البانها وفي الملبس باتخاذ الملابس من اصوافها
واوبارها وبالركوب وذلك بركوبها وبالحمل وذلك بان تحمل
امتعتهم في الاسفار وفي كثرة المال وذلك بسبب درها
ونسلها وفي التجمل بها وذلك لانها اموال ظاهرة فيحصل
التجمل بها ولما كان انتفاع الناس بالانعام اكثر من انتفاعهم
بساير الحيوانات لا جرم كانت الانعام اشرف انواع الحيوانات
فلهذا السبب قدمها الله تعالى في الذكر على ساير الحيوانات
فقال والانعام خلقها لكم ثم انه سبحانه وتعالى فصل القول

فى بيان منفعتها فالمنفعة الاولى قوله تعالى لكم فيها دفء
والمراد من الدفء هو اللباس وذلك لان اللباس سبب الدفء
فسمى اللباس باسم الدفء وتحقيق الكلام ان الروح الانسانية
اشرف الارواح السفلية والسبب فى هذا الشرف العظيم
كونها مشرفة بتشريف الاضافة المذكورة فى قوله ونفخت
فيه من روحى ولما كانت الروح الانسانى اشرف
الارواح السفلية وجب ان يكون البدن الانسانى
اشرف الابدان السفلية واشدها اعتدالا وابعدها
عن الكثافة والصلابة ولما كان بدنه فى غاية الاعتدال
لاجرم لا ينبت على جلده الشعور الكثيرة فيبقى عاريا عن
الغطاء والدثار الذى هو حاصل لسائر الحيوانات واذا كان
كذلك فلطافة مزاجه تحوجه الى التصون عن الحر والبرد
وكذا عرى جلدته عن الشعر تحوجه ايضا الى ذلك فلاجرم
احتاج الانسان الى ملبوس يصونه عن الحر والبرد وكيفيات
الاهوية ورطوبات الامطار فهذا هو السبب فى احتياج
الانسان الى الملبوس المنفعة الثانية قوله تعالى فى هذه
الاية ومنافع للناس واعلم ان ما قبل هذه الكلمة هو ذكر
الدفء وما بعدها هو ذكر الاكل ولفظة المنافع مبهمة
مجملة فلما قدم ذلك الدفء يحتمل ان يكون المراد من هذه
المنافع هو المسكن ولما ذكر بعد هذه الكلمة الاكل يحتمل
ان يكون المراد من هذه المنافع الشرب اما الاحتمال
الاول فنقول ان الانسان كما هو محتاج الى الملبس فكذا هو
محتاج الى المسكن وسبب الاحتياج من وجوه الاول
ان كل احد من الناس قد لا يقدم على ما يستحيى من اطلاع
الغير عليه فلاجرم يحتاج الى المسكن منفردا والثانى
ان الانسان لا يمكنه الجلوس فى الحر الشديد للشمس وفى
الهوى البارد جدا ولا يمكنه ان يجلس فى الرياح الشديدة

وفى الامطار القوية فلاجرم يحتاج الى المسكن والثالث
ان الانسان محتاج الى ادخار الاموال والمطعومات والملبوسات
ولا يمكن حفظها الا بالدار الرابع ان الانسان يحتاج الى ان
يحترز عن ضرر الاعداء من الناس والسباع وذلك لا يمكن
الا بالدار فلاجل هذه الوجوه يحتاج الانسان الى التفرد
بالمسكن واعلم ان المسكن يجرى مجرى الثوب فى كونه ساترا
للبدن مانعا من وصول المؤذيات من الحر والبرد والرياح
اليه ولما ذكر الله تعالى امر الملبوس قال بعده ومنافع اى
ومنافع من جنس منفعة الملبوس وهى منفعة المسكن
واعلم انه تعالى شرح امر هذه المنفعة فى هذه السورة فى اية
اخرى فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن
اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين فقوله
جعل لكم من بيوتكم سكنا اى مسكنا تسكنون فيه اما يتخذ
من الحجر او المدر وكل ذلك مخلوق لله تعالى ولكنه تعالى جعلها
بحيث يمكن المقيمين اتخاذ الابنية منها ثم قال وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
اقامتكم يعنى الخيام والقباب والفساطيط المتخذة من
النطاع والجلود وللسفر والحضر ثم قال ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والاثاث
ما يحتاج اليه فى البيت والمتاع ما يتنعم ويتجمل به
ثم قال الى حين اى الى الموت والمعنى ان الانتفاع بالدنيا
يكون الى مدة ولا يدوم فينبغى للعاقل ان يختار الاخرة واما
الاحتمال الثانى وهو ان يحمل المنافع المذكورة فى هذه
الاية على المشروب فاعلم انه تعالى جعل البانها مشروبا
لطيفا طاهرا لنا وذكر هذه النعمة فى ايات احدها قوله
تعالى فى هذه السورة اعنى سورة النحل وان لكم فى الانعام

لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا
سايغا للشاربين وثانيها قال في سورة المومنين وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع
كثيرة المنفعة الثالثة من المنافع المطلوبة من الانعام
قوله تعالى ومنها تاكلون واعلم انه تعالى ذكر منفعة الاكل
في المرتبة الثالثة وهاهنا ابحاث البحث الاول في سبب
احتياج الناس الى اكل اللحم واعلم ان السبب فيه ان الانسان
مركب من العظم واللحم ومن شان الغذا ان يكون شبيها
بالمتغذي لهذا السبب كان اكمل الاغذية للانسان هو
اللحم البحث الثاني ان قوله تعالى ومنها تاكلون يفيد الحصر
والمعنى منها تاكلون لا من غيرها وظاهر هذه الاية يقتضي
تحريم اكل غيرها الا ما خصه الدليل فلما قال بعده والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة ذكر هذه الحيوانات
وخصها بانها مخلوقة للركوب مع ان الاية المتقدمة دالة
على حصر منفعة الاكل في جنس الانعام كان مجموعها دالا
على حرمة لحم الخيل كما يقوله ابو حنيفة رحمة الله عليه
المنفعة الرابعة قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون الاراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها
الى مباركها وسرح الماشية اطلاقها وانما قدم الاربعة
في الذكر مع انها متاخرة في الوجود لان وقت الاراحة يكون
وقت شبعها وامتلاء اثدايها من اللبن بخلاف وقت التسريح
ولا شك ان التجمل في ذلك الوقت اكمل المنفعة الخامسة
قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق
الانفس الشق المشقة والتحقيق ان الشق نصف الشيء
والمعنى لم تكونوا بالغيه الا بذهاب نعض قواكم واعلم انه
تعالى ذكر هذه المنفعة في ايات كثيرة منها قوله تعالى
ومن الانعام حمولة وفرشا ومنها قوله تعالى في يس اولم يروا

انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها
لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب
افلا يشكرون ومنها قوله تعالى في المومن الله الذي جعل
لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وعليها وعلى
الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ومنها
قوله في الزخرف وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا
الى ربنا لمنقلبون وبالله التوفيق والنكتة فيه ان الابل
اقوى من سائقه وكذا الخيل والفيل فذلك الانقياد لا يكون
الا بتسخير الله تعالى كما قال تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا وما
الغرض منه الا التنبيه كانه تعالى يقول انا الذي جعلت
القوي منقادا للضعيف فاعلم اني قادر عليك ومسول
عليك فينبغي ان تكون خايفا مني ومنقادا لحكمي والا كسرت
رقبتك في محل القهر وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الرفيق

وقع الفراغ من هذا الكتاب في تاسع عشر
شوال المبارك من شهور سنة ستين [illegible]
والف احسن الله ختامها ببلوغ
المامول بجاه سيدنا ومولانا
محمد اكرم رسول
والحمد لله
وحده

284



من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب